

جامعة اليرموك

كُلّية الآداب

قسمُ التاريخ/الدراسات العُليا

الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق خلال

٤٨٧-٥١١هـ / ١٠٩٤-١١١٧م

Seljuq State in Persia and Iraq During

487-511 A.H/ 1094-1117 A.D

إعداد:

رأفت محمّد ضاحي الزين

بإشراف الأُستاذ الدكتور:

سليمان عبد العبدالله الخرابشة

(2015-2016/1436-1437)

الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق خلال

٤٨٧-٥١١هـ/١٠٩٤-١١١٧م

Seljuq State in Persia and Iraq During

487-511 A.H /1094- 1117 A.D

إعداد:

رأفت محمد ضاحي الزين

بإشراف الأستاذ الدكتور:

سليمان عبد العبدالله الخرابشة

قُدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة اليرموك

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور سليمان عبد العبدالله الخرابشة.......................... رئيساً ومشرفاً

الأستاذ الدكتور أحمد محمّد الجوارنة .... عضواً

الأستاذ الدكتور عصام مصطفى العقلة.................................... عضواً

الأستاذ الدكتور وائل منير الرشدان .... عضواً

الدكتور محمّد محمود العناقرة .... عضواً

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ: ١٨/٨/٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى روح أختي الطاهرة رحمها الله وأسكنها فسيح جنانه ..... رفيف الغالية

إلى رُبّان سفينة عائلتنا وضابط إيقاعها .... والدي العزيز أطال الله في عُمرك ..

إلى زهرة العمر وربيعه ودفء الشتاء .... أمّي الغالية حماك الله وأطال بِعُمرك ..

إلى كلِّ باحثٍ عن الحقيقة في التاريخ الإسلامي أهدي هذه الدراسة ....

رأفت الزين آب/٢٠١٦

الشُكر والتقدير .....

الحمد لله الذي بنعمته تتمُ الصالحات ، والصلاة والسلامُ على أشرف الخلق سيدنا مُحمّد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ....

الشكر لله تعالى على توفيقه ورضوانه بإتمام هذه الدراسة ، التي أخذت من وقتي وجهدي وبذلي وعطائي الشيئ الكثير .. الكثير .. فالحمدلله الحمدلله حتى يرضى وجهه الكريم

وانطلاقاً من مبدأ من لا يشكر الله لا يشكر الناس ،وتطبيقاً لقوله تعالى "ولئن شكرتم لأزيدنكم".

أتقدمُ بالشكر الجزيل ووافر الامتنان وعظيم التقدير إلى أستاذي الفاضل أ.د سليمان الخرابشة على تفضُله بقبول الإشراف على هذه الدراسة ، وعلى ما بذله من جُهدٍ يُذكر فيُشكر في قراءة ومتابعة هذه الأُطروحة ، مقدماً وقته وجهده وتوجيهاته وآرائه السديدة ،، فله مني كل المحبة والتقدير..

كما أتقدّم بالشكر والتقدير والثناء إلى الأستاذ الدكتور عصام هزايمه على مساعدته الدائمه والدؤوبة في الحصول على المصادر والمراجع التي احتاجتها الدراسة ، فله مني كل الشكر ..كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور عليان الجالودي على ما قدمه من نصح وإرشادٍ وتوجيه طيلة فترة الدراسة ..

وأتقدّم بالشكر الموصول إلى أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة لتفضُلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة، وتحمُلهم جهد وعناء قراءتها ، من أجل الخروج بأفضل النتائج والتوصيات التي وبلا أدنى شكّ ستُثري الدراسة .

ولا أنسى الشكر الكبير إلى العائلة الكريمة التي وقفت إلى جانبي وساندتني (هاله ، ريتاج، رفاه ، رزان، رزينة،مشاعل، أحمد وعبدالله ومصطفى، أنوار،أجوان) كما اتقدّم بالشكر الجزيل إلى د. نادية خريط مديرة مدراس ميار الدولية على دعمها المُستمر طيلة فترة الدراسة ، والآنسة آلاء هتربة، ود. فايق الزين على تسهيل مهمتّي أثناء الدراسة، ود. حسن الزيود على مساعدته في الحصول على القطع النقدية لفترة الدراسة ، ود. محمد البغدادي ،والمعلمة الفاضلة لانا الجيوسيّ على مساعدتها الدؤوبة لي، وكذلك فإن الشكر العظيم إلى أصدقائي وعد عزيز البدراني ، مصلح الخرابشة ، أيمن الخالدي ، معاذ الفقهاء ،عبدالمولى البصّال، أحمد الخضور ،مؤمنة الهلاليه رئيسة قسم الموارد البشرية جامعة الملك عبدالعزيز- المملكة العربية السعودية.

وإلى كلّ من وقف إلى جانبي وأعطاني النصيحة والدعم والتشجيع... شكراً

قائمة الرموز والمُختصرات

الرمز	المعنى
ت	تاريخ الوفاة
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
مج	مجلّد
ق	قسم
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
د.ط	دون طبعة
د.ن	دون تاريخ نشر
د.د.ن	دون دار نشر
P	رقم الصفحة بالإنجليزي
Vol	رقم الجزء بالإنجليزي

فهرس المحتويات

فهرس الملاحق

المُلخّص باللغة العربية

الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق خلال ٤٨٧-٥١١هـ/١٠٩٤-١١١٧م

إعداد

رأفت محمد ضاحي الزين

إشراف

أ.د. سليمان عبد العبدالله الخرابشة

لقد كان لدولة السلاجقة تاريخٌ حافل في المشرق الإسلامي استطاعت من خلاله التوسّع لتضمّ مساحات واسعة من العالم الإسلامي، وذلك بفضل قوّة وحنكة سلاطينها العظام طغرلبك وألب أرسلان وابنه من بعده ملكشاه.

تتناول هذه الدراسة حالة الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، والتي شهدت حالة من الانقسام والتفككّ والتناحر بين أبناء البيت السلجوقي الواحد، غير أن تلك الدولة وعلى كل الأحوال ورغم النزاعات والانقسامات السياسية التي شهدتها، فإنها لم تتعرض للسقوط والانهيار، بل استمرت ديمومة الحياة فيها، وفي هذه الدراسة حاولت دراسة تفصيلات الحياة بمختلف مجالاتها السياسية والعسكرية والقضائية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسلّطت الضوء على الجوانب الإيجابية في الدولة ومنها الوقوف بالمرصاد للإسماعيلية الباطنية، ومحاولات الجهاد في سبيل الله ضد "الفرنج" في بلاد الشام والجزيرة الفراتية.

وجاءت هذه الدراسة في مُقدّمة وتحليل لأهمّ مصادرها، ثمّ تمهيدٌ وأربعة فصولٍ وخاتمة، حيث تناولت في المُقدّمة أهمية الموضوع ،ثمّ نقداً وتحليلاً لأهم مصادر ومراجع الدراسة، أمّا التمهيد فقد تناولت فيه الحديث عن الأحوال السياسية التي كانت تمرّ بها الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق آواخر حكم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، وما آلت إليه وفاته من تفكك لعرى البيت السلجوقي، وانقسامٍ في مساحة الدولة الشاسعة التي تركها لأبنائه من بعده .

وكان الفصل الأول بعنوان "الصراع السياسي على السلطة" خصصتُ الحديث فيه عن النزاعات السياسية التي قامت بين أبناء السلطان ملكشاه: بركياروق ومحمود ومحمّد وسنجر، كما تطرّقتُ للمنافسات السياسية العسكرية التي وقعت بين أبناء البيت السلجوقي الواحد متناولاً دور الأمراء والوزراء والخواتين وقادة الجيش في إذكاء روح الفتنة وقيام الحروب بين السلاطين.

وجاء الفصل الثاني ليتحدّث عن السياسة الداخلية للسلطانين بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه مع ولاة الأقاليم داخل الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق ومع الخلافة العباسية في بغداد وأبناء عمومتهم في دمشق لا سيما الأتابك طغتكين ، كما تناول هذا الفصل الحديث عن العلاقات الخارجية وسياسة السلطانين بركياروق ومحمد مع الإسماعيلية الباطنية، " الفرنج" الصليبيين، وسلاجقة الروم والدولة الغزنوية والإمبراطورية البيزنطية ومملكة أرمينية وقد حاولت جاهداً إيضاح دور الدولة السلجوقية ممثلةً بالسلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه في التصديّ للإسماعيلية والفرنج رُغم الصعوبات والتحديّات التي كانت تمرّ بها الدولة السلجوقية .

أمّا الفصل الثالث فحمل عنوان "النُظم الحضارية في الدولة السلجوقية" والذي اشتمل الحديث فيه عن النظم السياسية: السلطنة، الوزراة، وقد أشرتُ فيه إلى الأدوار المهمة التي لعبها الأمراء والوزراء والخواتين زبيدة خاتون وتركان خاتون وكوهرخاتون في تشكيل معالمه، كما تطرقّت إلى النظم الإدارية في الدولة السلجوقية من مؤسسات إدارية في العاصمة والأقاليم والتقسيمات الإدارية للمناطق، بالإضافة إلى الوظائف السلطانية في قصر السلطان السلجوقي والوظائف الإدارية الأخرى في المدن مثل العميد والشُحنة، واختتم الفصل حديثه عن الجيش والقضاء والحِسْبة وما كان لها من أدوار كبيرة في الأحداث التي شهدتها الدولة السلجوقية.

فيما كان الفصل الرابع والأخير موجّهاً للحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدولة السلجوقية، والذي تناولت فيه المجالات الاقتصادية: الزراعة، والصناعة، والتجارة بالإضافة للمعاملات النقدية التي تعامل بها الناس في الدولة، وأشرت في حديثي عن الحياة الاجتماعية إلى طبيعة المجتمع السلجوقي، وفئات السُكّان، والمكونّات المشكّلة للتركيب السكاني،

وجاء الحديث عن الحياة الثقافية ليتكوّن من المؤسسات التعليمية في الدولة: المدارس، المساجد، الأربطة والزوايا ، كما تناولت جانباً من اهتمام السلطانين: بركياروق ومُحمّد بالحركة العلمية.

واختتمت الفصل بالحديث عن أهم العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، وأسهبت بالحديث عن أبرز العلماء والفقهاء الذين برزوا في كلّ علمٍ من العلوم السابقة، وتناولت الخاتمة أهم النتائج التي توصّلت إليها الدراسة، حيث كان منهج البحث الذي اتّبعه الباحث هو جمعُ المعلوماتِ التاريخية من مصادرها الأصلية وتصنيفها وتبويبها وتحليلها ومقارنتها مع بعضها البعض،ثمّ إسناد المعلومات إلى مصادرها الأساسية.

كما كان عرض آراء العلماء والمؤرّخين المعاصرين والحديثين من ضمن المنهج المُتّبع، والذي أردت منه استخلاص النتائج التي حصلتُ عليها من خلال القيام بهذه الدراسة الشاملة.

المُقدِمة:

الحمْدُ لله رب العالمين أحمدهُ وأستعين به واستغفرهُ وأستهدي به وأتوبُ إليه، والصلاة والسلامُ على سيدنا محمّد بن عبدالله خاتم الأنبياء والمرسلين، فمِنْ نِعمْ اللهُ على الإنسان أنْ علّمهُ بالقلم وعلّمَهُ مالم يعلمْ، وأرسل إليه الرسول الكريم هادياً وبشيراً ونذيراً وللحياة سراجاً منيراً.

وبعد ..

فما لا يخفى على أحدٍ أنّ الدولة السلجوقية من أهمّ الدول الإسلامية التي قامت في التاريخ الإسلامي بشكلٍ عام، وفي تاريخ المشرق الإسلامي وبلاد فارس والعراق على وجه التحديد فقد كان ظهور الأتراك السلاجقة في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في بلاد ما وراء النهر بعد أن نزحوا من موطنهم الأصلي في شمالي آسيا الوسطى، بعد أن اعتنقوا الإسلام على المذهب السنيّ، وكان ذلك بمثابة نُقطة تحوُلّ في تاريخ الدولة الإسلامية، فقد كان العالم الإسلامي آنذاك يشهد صراعاً عنيفاً بين الخلافتين العباسية في بغداد من جهة والخلافة الفاطمية في القاهرة من جهةٍ أُخرى، بالإضافة إلى ضعف الخُلفاء العباسيين وسيطرة الفرس البويهيين الشيعة عليهم، هذا إلى جانب تَوسُع الإمبراطورية البيزنطية على حساب الدولة الإسلامية في الشام .

كُلّ تلك العوامل بالإضافة لقوّتهم وانتصارهم على الغزنويين مهّدت الطريق أمام السلاجقة للدخولْ إلى بلاد فارس والعراق في فترات تاريخية لاحقة، وبدخول السلاجقة بغداد استطاع السلاجقة أنّ يُخلّصوا العرب من الفُرس، واستطاعوا أيضاً من إعادة وحدة العالم الإسلامي السياسية، في نفس الوقت الذي منحوا فيه الحضارة الإسلامية مظهراً وحياة جديدة بما استحدثوه من نُظّمِ وقوانين.

كما أنّ الدولة السلجوقية وعِبرَ تاريخها الطويل وحُكمِ سلاطينها العظام مُنذُ التأسيس شهدت أحداثٍ سياسية وعسكرية، تصارع فيها السلاطين والأمراء بتحريضٍ من الوزراء رغبةً في الوصول إلى السلطنة وسِدّة العرش، كما رغب أولئك في التوسّع والإمتداد .

لقد حظي تاريخ السلاطين السلاجقة العظام الأوائل بنصيبٍ وافرٍ من الاهتمام والبحث والتمحيص، فتناولت تلك الدراسات بداية تأسيس الدولة السلجوقية بزعامة السلطان طغرلبك

(٤٢٩- ٤٥٥هـ/١٠٣٨-١٠٦٣م) وخلفهُ من بعده ابن أخيه ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ/١٠٣٨-١٠٤٨م) ثمّ عهد قوة السلطان ملكشاة خلال عشرين عاماً استولى فيها على مقاليد الأمور في الدولة.

وانصبّت تلك الدراسات في مُجملها على إبراز إنجازات السلاطين الحضارية والإدارية، متناولةً بذلك الفترات المستقرّة والمُضيئة في الدولة السلجوقية والتي استمرّت حتى نهاية فترة حكم السلطان ملكشاة. ومنها الدراسة: التي قام بها محمّد أبو النصر وتحدّثت عن الدولة السلجوقية في عهد السلطان طغرلبك فجاء عنوانها : طغرلبك وتأسيس الدولة السلجوقية، ثمّ جاءت الدراسة الأخرى عن الدولة السلجوقية في عهد السلطان ألب أرسلان تحت عنوان: السلطنة السلجوقية في عهد السلطان ألب أرسلان، والتي قام بها خميس حسين، فيما تناولت الدراسة التي قامت بها مواهب عبدالفتاح المظاهر الحضارية للدولة السلجوقية في عهد السلطان ملكشاه، وهناك دراسة أخرى قامت بها سماح محيسن، وتتحدّث من خلالها عن دولة الأتراك السلاجقة في عهد السلطان سنجر ، والدراسة التي قام بها أحمد الشرمان حول الجيش السلجوقي .

وكانت جُلّ الدراسات السابقة تمرّ مرور الكرام عن فترة السلطانين: بركياروق ومحمد، وتتطرّق إلى النزاعات العسكرية التي قامت بينهم فقط، في حين لم تتطرّق إلى الجوانب الحضارية والاقتصادية والاجتماعية، فجاءت هذه الدراسة لتسلطّ الأضواء على كافة جوانب الحياة في الدولة السلجوقية خلال عهد السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه .

كما جاءت هذه الدراسة لتتناول التاريخ السياسي والعسكري للسلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيَ ملكشاه، ثم لتُسلّط الضوء وبشكل مُكثّف على علاقات الدولة السلجوقية مع القوى المجاورة، كما درستْ النظم الحضارية والإدارية في الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق، والتي أرسى دعائمها الوزير نظام الملك الطوسيّ. كما تناولت الدراسة أيضاً الحياة الاقتصادية بجميع تفرعاتها، وبحثتْ في الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة السلجوقية، والتي قامت تحت إشراف وزراء السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيَ السلطان ملكشاه .

إن إغفال الدراسات التاريخية الحديثة سابقة الذكر لمجالات الحياة الإدارية والعسكرية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية في عصر انقسام الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق وتفكُكِها بعد وفاة السلطان ملكشاه، كان سبباً في اختيار موضوع الأطروحة، والذي جاء تحت عنوان: الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق خلال ٤٨٧-٥١١هـ/١٠٩٤-١١١٧م.

وقد هدفت هذه الدراسة لتقديم صورة عن الدولة السلجوقية وديمومة استمرارية الحياة فيها بعد وفاة أعظم سلاطينها ملكشاة بن ألب أرسلان السلجوقي، ولإظهار عدم استسلامها وانهزامها وخضوعها للقوى المجاورة.

قُسّمت الدراسة إلى أربعة فصول كانت على النحو الآتي:

تناولتُ في التمهيد الحديث عن الأحوال السياسية في الدولة السلجوقية زمن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان وأواخر حياته ، وما نجم بعد وفاته من انشقاق وتفككٌ لعرى البيت السلجوقي .

وجاء الفصل الأولّ للحديث عن الصراعات السياسية على السلطنة والتي جرت بين أبناء السلطان ملكشاه : بركياروق ومحمود ومحمّد وسنجر، وقد أشرتُ وبشكل مفصّل إلى دور الأمراء والوزراء والخواتين في تشكيل معالم المنافسة على السلطة .

أمّا الفصل الثاني فتحدّثتُ فيه عن العلاقات السياسية للدولة السلجوقية مع ولاة الأقاليم في داخل مدن بلاد فارس والعراق، وأشرتُ إلى نظام الإقطاع الذي لعب دوراً بارزاً في رسم ملامح علاقة السلطانين: بركياروق ومحمّد مع الولاة ، كما أشرت في هذا الفصل أيضاً إلى سياسة السلطانين مع الخلفاء العباسيين وتحدثت عن سياستهم مع أتابك دمشق طغتكين ، كما أشرت في هذا الفصل أيضاًإلى طبيعة العلاقات السياسية مع القوى المجاورة والتي اشتملت على: الإسماعيلية -الباطنية، والفرنج " الصليبيين"، والدولة الغزنوية، وسلاجقة الروم، ومملكة أرمينية، والإمبراطورية البيزنطية .

وتناول الفصل الثالث من هذه الدراسة النُظم الحضارية في الدولة السلجوقية والتي تفرّعت إلى:

أ- النظم السياسية المؤلّفة من : السلطنة والوزارة، عالجت فيه الدور المحوري الذي لعبه كلّ من الأمراء والوزراء والخواتين في وصول السلاطين أبناء ملكشاة إلى السلطنة.

ب- النظم الإدارية في الدولة السلجوقية والتي تطرّقتُ للحديث فيها عن التقسيمات الإدارية في الدولة، ومؤسسات الدولة الرسمية في العاصمة والمدن الأخرى، كما تناولت الحديث عن الوظائف الإدارية الأخرى في المدن والأقاليم، وأخيراً فقد عالجت في تلك النُظم أهم الوظائف السلطانية في قصر الحضرة السلطانية .

ج- الجيش والقضاء والحسبة عند السلاجقة، إذ بحثت الدراسة وبشكّل مفصّل في طبيعة الجيش السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه وما تعرّض له من انقسامات في الأعداد والعناصر والوحدات العسكرية جرّاء الإنقسام الذي جرى بين السلاطين أبناء ملكشاة، وتناولت العديد من الأمثلة والشواهد التاريخية الدّالة على كلّ جزءٍ من الجوانب العسكرية .

كما تحدّثت في هذا الجانب عن القضاء من حيث مفهومه وتطورّه في بلاد فارس والعراق خلال العصر السلجوقي عن سابقه من الفترات التاريخية، ثمّ عالجتُ أهم الأدوار التي لعبها القضاة في الدولة، واختتمت الحديث عن القضاء بذكر أسماء أبرز من تولّى منصب قاضي القضاة في بلاد فارس والعراق خلال عهد السلطانين: بركياروق ومُحّمد ابنيّ ملكشاة، ثم قمت بربط العلاقة بين القضاء والحسبة في الدولة السلجوقية، حيث أشرتُ إلى أهمية وظيفة الحسبة في الدولة وأهم الشروط الواجب توافرها فيمن يتولّاها.

فيما خصصّتُ الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة للحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الدولة السلجوقية، وكان الحديث فيه متصلاً ليشمل المجالات الزراعية والصناعية والتجارية إضافة إلى أهم المعاملات النقدية التي كانت رائجة في الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق.

وعند الحديث عن الحياة الاجتماعية فإن الدراسة تطرّقت لتقسيم عناصر المجتمع في الدولة وتناولت أهم الفئات السكانية من حيث طبيعتها ودورها في المجتمع، كما عالجت الدراسة أهم العوامل التي أثّرت على الحياة الاجتماعية.

وكانت معالجة الحياة الثقافية في الدولة السلجوقية معتمدةً على دراسة أهم المؤسسات التعليمية في الدولة التي تألفت من المدارس والأربطة والمساجد، كما تناولت الدراسة أبرز العلماء الذين كانت لهم بصمات واضحة في إدارة المؤسسات التعليمية، واشتمل الحديث أيضاً على أهم العلوم الشرعية واللغوية والأدبية في الدولة، وأبرز العلماء في كلّ منها.

وقد اتبعَتُ في هذه الدراسة المنهج العلمي المُتّبع في كتابة الرسائل العلمية الجامعية والذي يقوم على جمع المعلومات من مصادرها المعاصرة الأصلية، ودراستها، ومقارنة وجوهها المختلفة وتبويبها وتصنيفها حسب المواضيع المراد دراستها، ومن ثمّ استخلاص أهم النتائج التي حصل عليها الباحث جرّاء دراسته المستفيضة للموضوع .

دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية المتنوّعة والتي شملت المصادر العربية والفارسية إضافة إلى المراجع الحديثة ذات العلاقة بموضوع البحث وفيما يلي عرضٌ لأهمّ هذه المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١- "**سياسة نامة** " وهو بلا شك مصدر هامّ جداً للمؤلّفْ الوزير أبو علي الحسن بن نظام المُلكْ الطوسيّ، المُتوفيّ سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) إذ يعتبر من المصادر التاريخية الفارسية الهامّة في تقديم معلومات عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة السلجوقية، كما احتوى الكتاب على جوانب من الأساليب التي اتّبعها السلاجقة في مُعظم حياتهم على المستويين الإداري والمالي، وقد أفاد الدراسة في كافة فصول الأطروحة.

٢- " **راحة الصدور وآية السرور**" للمؤلف نجم الدين أبو بكر محمد بن علي بن سليمان الراوندي، المتوفيّ سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٣م) وتعود أهمية هذا المصدر التاريخي الهامّ من مصادر الدولة السلجوقية لكون مؤلفهُ عاصر السلطان طُغرل الثالث آخر سلاطين العراق قبل سقوط دولتهم سنة ٥٩٠هـ/١١٩٤م، كما أنّه قدمّ هذا المؤلَف الضخم للسلطان كيخسرو بن قلج أرسلان أحد سلاطين السلاجقة في آسيا الصُغرى، وقد استفدت كثيراً مما وردِ في الكتاب من تفصيلات التحالفات السياسية والعسكرية للسلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاة ، كما أمدني الكتاب بمعلومات جمّة عن السلطنة وشاراتها، وعن أسماء الأمراء الحجّاب والأتابكة الذين عملوا رفقة السلطانين بركياروق ومحمّد، هذا بالإضافة لطرحه معلومات وافرة عن الحياة الإدارية في العاصمة وأقاليم الدولة السلجوقية المختلفة، ولا غرابة في ذلك، فقد عملَ المؤلف في دواوين الدولة السلجوقية وأرّخ لها تأريخاً شاملاً منذ قيامها.

٣- " **أخبار الأمراء والملوك السلجوقية المعروف باسم زُبْدة التواريخ** " (أخبار الدولة السلجوقية) مصدر تاريخي هام جداً للمؤلف المؤرخ صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر الحُسيني، المتوفي سنة (ما بعد ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)، ويعدُّ بحقّ من أهم المصادر التاريخية التي عرضت

تاريخ الدولة السلجوقية منذُ نشأتها حتى سقوطها، فقد تناول السلاطين السلاجقة حسب التسلسل التاريخي، وقد أمدنيّ بمعلومات ثمينة عن النزاعات السياسية والتحالفات العسكرية بين الأمراء والسلاطين للوصول لسدّة الحكم، كما أعطاني صورة واضحة عن جهود السلطان محمّد في التصدي لفرقة الإسماعيلية الباطنية.

٤- " **مُختصرُ تاريخ دولة آل سلجوق**" لمؤلفه مختصر الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، المتوفيّ سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٦م) ويُعتبر هذا الكتاب من أكثر المصادر التاريخية أهميةً في الحديث عن التاريخ السياسي والإداري للدولة السلجوقية، فقد أفادني كثيراً في الحديث عن قيام الدولة السلجوقية،والنزاعات السياسية العسكرية بين السلطان بركياروق وأخويه مُحمّدْ وسنجُرْ، والحديث عن الوزراء ورؤساء الدوواوين الذي عملوا برفقة السلطانين: بركياروق ومحمد، الأمر الذي أفاد الدراسة في الحديث عن الناحية الإدارية في الفصل الثالث من هذه الأطروحة، ويعدّ هذا الكتاب في الأساس اختصاراً لنُصرة الفترة وعصرة الفطرة الذي ألّفهُ عماد الدين محمد بن حامد الأصفهاني المتوفيّ سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م .

٥- " **العراضة في الحكاية السلجوقية**" للمؤلّف محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبدالله بن النظام الحسيني" اليزدي"، المتوفيّ سنة (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) وقد أفادني كثيراً في الحديث عن نشأة السلطانين بركياروق ومحمّد والنزاعات العسكرية بينهما، وأعطى إشارات واضحة عن طبيعة الوظائف السلطانية والإدارية، بالإضافة إلى احتوائه مجموعة من الأشعار باللغة الفارسية التي وصفت طبيعة الأحداث السياسية في الدولة.

٦- "**جامع التواريخ** " مصدر قيّم لمؤلفه رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمداني، المتوفي سنة (٧١٦هـ/١٣١٦م) والذي يتناول في المجلّد الخامس، الجزء الثاني منه ذكر تاريخ سلاطين آل سلجوق، حيث يستعرض حياة السلاطين السلاجقة حسب التسلسل التاريخي منذ قيام دولتهم، وقد أفادني في التعرف على طبيعة النزاعات العسكرية بين أبناء ملكشاه، والحديث عن أهمّ الوزراء والمستوفين والحجّاب الذين عملوا مع السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه.

٧- "**ذيل تاريخ دمشق**" وهو مصدر تاريخي هام لمؤلفه أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمّد التميمي، المتوفي سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، حيث أشار الكتاب إلى معلومات هامة جداً عن الصراعات السياسية التي خاضها السلطان تاج الدولة تتش في حلب وتوسّعه نحو المناطق المجاورة للفوز بالسلطنة من ابن أخيه السلطان بركياروق، وكذلك الحديث عن دور ولاة الموصل في مقاومة الغزو الفرنجي لبلاد الشام والجزيرة الفراتية، الأمر الذي أفاد الدراسة كثيراً لا سيما في الفصل الثالث من هذه الأطروحة.

٨- "**تاريخ الفارقي**" مصدر تاريخي هام لمؤلفه أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، المتوفيّ سنة (٥٨٠هـ/١١٨٥م) ويتحدثّ فيه المؤلف عن تاريخ مدينة ميافارقين وما حولها، كما يشير الكتاب إلى أهم الأحداث التاريخية في الدولة المروانية، وقد أفادني الكتاب بمعلومات واسعة عن تحركات السلطان تاج الدولة تتش في سعيه الدؤوب للوصول للسلطنة ومحاربة ابن أخيه السلطان بركياروق، كما أفدتُ منه في تبيان سياسة السلطانين: بركياروق ومحمد مع ولاة الأقاليم في صفحات الفصل الثاني .

٩- " **المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم**" للمؤلف أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ الجوزي المتوفي سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، ويعتبر هذا المصدر من أهم مصادر التاريخ الإسلامي التي أشارت إلى أحوال المشرق الإسلامي في كافّة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافيّة .

وقد أفدتُ منه في الحديث عن الظروف السياسية والأحداث العسكرية التي مرّ بها السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه ونزاعاتهم الحربية عبر خمس مواجهات قامت بينهما،كما أفادني في الحديث عن علاقة السلطنة السلجوقية بالخلافة العباسية، كما أفادني كذلك في الحديث عن نُظم الحكم حيث السلطنة وشاراتها ومراسم تعيين السلطان والخلع عليه، وكذلك في التعرّف على بعض العادات والتقاليد في المجتمع السلجوقي، وأشار إلى طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة، وكان ذلك مفيداً للفصل الرابع من هذه الأطروحة.

١٠- "**الكامل في التاريخ**" لمؤلفه المؤرّخ الكبير عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبدالكريم عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير، المتوفيّ سنة(٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، إذ يعّد هذا المصدر الواقع في- اثني عشرَ مجلداً - مصدراً هاماً وأساسياً من المصادر التي اعتمد عليها البحث في كافّة الفصول، فهو مصدرٌ توخّى فيه المؤلف الدقة والأمانة بعيداً تكرار الروايات والإسهاب في ذكر الحوادث التاريخية لفترة طويلة امتدت من بداية فجر الإسلام حتى نهاية سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م.

وقد أفادني في الحديث عن الدولة السلجوقية منذ قيامها ونشأتها، بالإضافة إلى الأهمية الكبيرة التي أفدت منها في الحديث عن الحياة السياسية للسلطانين بركياروق ومحمّد ،وأمدني ايضاً بمعلومات عن العلاقات السياسية مع الخلافة العباسية، كما أفادني في معالجة ظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عاشتها بلاد فارس والعراق.

١١- "**مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**" للمؤلف أبو المُظفّر شمس الدين يوُسفُ بن قزاوغلي بن عبدالله المعروف بـ سبط ابن الجوزي والمتوفي سنة(٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، ولا يقلٌ هذا المصدر أهميةً عن بقية المصادر التاريخية الأخرى في التاريخ الإسلامي، إذ يعدُ من أهم المصادر التاريخية التي تحدَثتْ عن أحوال المشرق الإسلامي، وقد عالج المؤلِفُ فيه الحوادث التاريخية معتمداً على طريقة المؤرخ الطبري في المنهج الحولي، وأشار الكتاب إلى الأحداث التاريخية التي تخصّ الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق ، وقد أمدني بمعلومات مهمة جداً عن طبيعة الحياة السياسية والإدارية للدولة السلجوقية، كما أضاف للدراسة قيمة هامة بعرضه لتراجم الشخصيات التاريخية البارزة في الدولة السلجوقية كل سنة هجرية، وقد اعتمدت الدراسة على الكتاب في كافة فصول الأطروحة.

١٢- " **زُبدة الحلبُ في تاريخ حلب**" لمؤلفه الشيخ كمال الدين أبو القاسم عمر بن العديم المتوفيّ سنة(٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وقد أفادني الكتابُ في الإطلاع على طبيعة الظروف السياسية للسلطان بركياروق أثناء نزاعه مع عمه السلطان تاج الدولة تتُش، وما آلت إليه حال والي حلب قسيم الدولة آقسنقر بعد تحالفه مع السلطان بركياروق في الفصل الأولّ.

١٣- " **تاريخ الإسلام و" دولِ الإسلام"ج٢**، للمؤلف أبو عبيدالله شمس الدين محمّد بن أحمد بن عُثمان الذهبيّ المتوفي سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، قدّم المؤلف من خلال مصدريه السابقين معلومات عن الخلفاء والسلاطين السلاجقة ، والعلماء ، والأحداث المتعلّقة بالعصر السلجوقي، حيث استعرض في الأولّ والذي يقع في أكثر من ثلاثين مُجلداً وقائع وأحداث ومجريات التاريخ الإسلامي عبر عصوره المتلاحقة منذ فجر الإسلام حتى نهاية سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م ، ولقد أمدّني الكتاب بمعلومات وافرة عن الأوضاع السياسية التي شهدتها الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، وما نجم عنها من صراعات على السلطنة ، كما تحدثّ الكتاب عن الإقطاعات التي تحصّل عليها الأمراء من السلطانين: بركياروق ومحمّد، بالإضافة لمعلومات أخرى مهمة توزّع توظيفها على كافّة فصول الأطروحة، أمّا الثاني، فأمدنيّ بمعلومات عن طبيعة النزاعات العسكرية التي جرت داخل البيت السلجوقي بالإضافة إلى إشارات هامة عن نظم الحكم في الدولة السلجوقية .

١٤- "**وفيّات الأعيان وأنباء ابناء الزمان** " مصدر تاريخي للتراجم لمؤلِفهُ القاضي شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن خلّكان المتوفي سنة (٦٨١هـ/١٢٨٣م)، قدّم ابن خلّكان من خلال هذا الكتاب معلوماتٍ وافيةً عن الخُلفاء والسلاطين والأُمراء والوزراء والقضاة ورجالُ العلمِ والأدبْ الذين عاصروا الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق، ليكون بذلك من أفضل كُتبِ التراجم والطبقات وأشهرها وأكثرها ضبطاً وأحكاماً، وقد أمدني بمعلومات واسعة عن رجالات الدولة في مختلف ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية وغيرها، الأمر الذي أفاد الأطروحة كثيراً في ترجمة الشخصيات التي وردت خلال الفصول الأربعة.

١٥- "**سِيَرُ أعلامِ النُبلاءْ** " لِمُؤلّفه شمس الدين أبو عبدالله محمّد بن أحمد الذهبي، المتوفي سنة (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) قدّمَ من خلاله المؤلف معلوماتٍ هامة عن الخُلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة والوزراء والعلماء، ممن كان لهم بصمات واضحة خلال العصر السلجوقي، وقد أمدني بمعلومات قيّمة عن سيرة السلطانين: بركياروق ومحمّد خلال فصول الأطروحة كافةً، كما أفادني كثيراً في تقديم معلومات عن وزرائهم ونوابهم في بلاد فارس والعراق.

ثانياً : المراجع :

أمّا المراجع العربية الحديثة فقد أثرت الأطروحة في كافة فصولها، ومنها :

١- " **تاريخ العراق في العصر السلجوقي**" وهو مرجع هام لمؤلفه حسين أمين، إذ أفادني بـ معلومات هامة حول الناحية السياسية في الدولة السلجوقية، كما أمدني بمعلومات قيّمة عن نُظمْ الحُكمْ في الدولة.

٢- "**السلاجقة في التاريخ والحضارة** " للمؤلّفْ أحمد كمال حلمي، ويتناول فيه دراسة شاملة لتاريخ دولة السلاجقة من الناحيتين التاريخية والحضارية.

٣- " **نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسيّة** " و" **نظام الوزارة في الدولة العباسية العهدان البويهي والسلجوقي** " للمؤلّف محمد مسفر الزهراني ، حيث استفدت من الكتابين في الحديث عن علاقة السلاطين السلاجقة بالخلفاء العباسيين، ودور وزراء السلطانين بركياروق ومحمد في الدولة السلجوقية ومؤسساتها.

٤- "**إيران والعراق في العصر السلجوقي**" و "**سلاجقة إيران والعراق**" للمؤلف عبدالنعيم حسنين ،الذين اشتملا على معلومات عن تاريخ السلاجقة والنزاعات التي جرت بين السلطانين بركياروق ومحمّد أثر كبير في فائدة الدراسة، والحديث عن علاقة السلاجقة بالإسماعيلية الباطنية، بالإضافة للمعلومات الهامّة عن جوانب ألوان الحضارة في الدولة السلجوقية سواءً كان ذلك في الجانب السياسي أو الإداري.

٥- " **المرأة والسلطة في الإسلام**، للمؤلف عصام عقلة الهزايمة، وقد أشار فيه مطولاً للأدوار التي لعبتها الخواتين السلجوقيات في السلطنة ومقاليد الحكم بصفة عامة في أحداث وتاريخ الدولة السلجوقية منذ عصر السلطان طغرلبك ، مروراً بعصر السلطانين بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه ، وقد أفادت الأطروحة كثيراً في الحديث النظام السياسي في العراق وبلاد فارس بين سنتيّ ٤٨٧-٥١١هـ/ ١٠٩٤- ١١١٧م .

٦- " **الإقطاع العسكري في عصر السلاطين السلاجقة** " و" **قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق** " للمؤلف عليان الجالودي، وقد تحدّث البحث الأول عن ماهية الإقطاع العسكري وخصوصيته التي طبقّها السلاطين السلاجقة منذ النشأة والتأسيس وانعكاساتها على الجيش السلجوقي وإقطاعات الأمراء في الدولة ، وقد أفادني كثيراً في معالجة مواضيع الفصل الثاني والثالث من هذه الأطروحة ، فيما قدمّ البحث الثاني صورة واضحة عن طبيعة نظام الحكم في الدولة السلجوقية خلال عصر السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه.

٧- " **المدارس النظامية وأثرها الثقافي في العصر السلجوقي** " لـ سامية عبدالله، حيث أشرات في هذا البحث عن نشاة المدارس النظامية في الدولة السلجوقية، كما أشارت إلى إسهامات الوزير نظام الملك الطوسيّ في تطويرها وتوسّعها في مناطق وولايات الدولة السلجوقية من أجل مواجهة الفكر الشيعي الذي قدمت به فرقة الإسماعيلية، وقد أفادني كثيراً في معرفة طبيعة المدارس وعمارتها ودور المدرسين الذين عملوا بها في عهد السلطانين: بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه .

٨- " **السياسة السلجوقية في العراق** " للمؤلف فاضل بيات ، قدّم فيه الباحث فكرة عامة عن طبيعة علاقة السلاطين السلاجقة بـ الخلفاء العباسيين، إذ استعرض الباحث طبيعة تلك العلاقة منذ دخول السلاجقة للعراق سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، وقد أفادني كثيراً في رسم ملامح تلك العلاقة والسياسة المتبعة من قبل السلطانين بركياروق واخيه محمد ابنيّ ملكشاه تجاه الخليفة المقتدي بأمر الله وابنه المستظهر بالله منذ سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، وقد أفاد الأطروحة في فصلها الثاني.

تمهيد

الوضع السياسي آواخر حكم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان

تمهيد

الوضع السياسي آواخر حكم السلطان ملكشاه

تولّى السلطان ملكشاه[1] السلطنة بعد وفاة والده ألب أرسلان، وكان حينما تسلّم السلطنة في السابعة عشرة من عمره، وكان اعتماده الكلّي على توجيهات وزير والده ،نظام الملك الطوسي[2]، وفوّض إليه السلطان الصلاحيات الواسعة قائلاً: "قد رددت الأمور كلّها كبيرها

---

(1) ملكشاه: هو أبوالفتح جلال الدولة ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق التركي انظر ملحق رقم (٤)، تولّى السلطنة بعد وفاة أبيه ألب ارسلان من ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، حلف له الأمراء والأجناد على الطاعة وتخلّص في بداية عهده من خروج عمّه قاورد بن جغري بك حينما طالب بالسلطنة قائلاً له: (أنا الأخ الكبير وأنت الولد الصغير وأنا أولى بميراث أخي السلطان ألب أرسلان منك، فأجاب السلطان ملكشاه: الأخ لا يرث مع وجود الابن) للمزيد عن سيرته انظر ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زكّار ،دار الفكر للطباعة والنشر ،بيروت، د.ط، ج٩، ص ٦٤٩-٦٥٤، وسيشار إليه : ابن الجوزي، المنتظم، ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالواحد الشيباني،(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت، د.ط، ج١٠، ١٩٧٩، ص ٢١٠-٢١٤، وسيشار إليه : ابن الأثير، الكامل، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قزّ أوغلي بن عبدالله،(ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد أنس الحسن وكامل الخراط، دار الرسالة العلمية للنشر، دمشق، ط١، ج١٣، ٢٠١٩،٢٠١٣، ص ٤٤٤-٤٥٠، وسيشار إليه : سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ط، مج٥، ص ٢٨٣-٢٨٩، وسيشار إليه: ابن خلّكان، وفيات الأعيان، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير إعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ج١٩، ٢٠٠٣، ص ٥٤-٥٦، وسيشار إليه: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٥م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٥، ١٩٩٢، ص١٣٣، وسيشار إليه: ابن تغردي بردي، النجوم.

(2) نظام الملك: قوام الدين أبوعلي الحسن بن علي ابن اسحق بن العباس الطوسي، تولّى الوزارة للسلطانين ألب أرسلان وابنه السلطان ملكشاه، ذكره أبو سعد السمعاني بأنه جلّه الوزراء ووصفه بمنبع الجود والكرم، كان مولده في سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م ووفاته على يد الإسماعيلية – الباطنية سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م، يقال أن السلطان ملكشاه هو من دبّر له تلك الميتة، والله تعالى أعلم.

للمزيد عن سيرته انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٥ – ٦٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٠٧-٢١٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٥-٤٤٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ١٢٨-١٣١، ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري، (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة: الأب انطون اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، د.ط، د.ن، ص

وصغيرها إليك، فأنت الوالد"، ثمّ قام السلطان ملكشاه في سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م بتعيين الولاة ذوو الكفاءة العالية والهمة الكبيرة في ولايات الدولة السلجوقية، وأشرف بنفسه على متابعة تدقيق الوارد والصادر من أموال الدولة[١].

ورغم ما واجه السلطان ملكشاه من صعوبات جمّة في بداية حكمة تمثّلت بخروج عمّه قاورد عليه، ثم تأديبه لحاكم سمرقند ثم والي خوارزم خوارزمشاه سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م حينما هاجمه السلطان ملكشاه وردّه إلى الطاعة[٢]، إلاّ أنه استطاع في نهاية المطاف أن يتغلّب عليها وكأننا بذلك نقرأ مخططاً وضعه السلطان ملكشاه لنفسه، بدأ في مخيلته منذ جلوسه على العرش أولاً ثم في الريّ، وكان ذلك المخطط يرتكز حول ثلاثة أمور لا رابع لها هي:

١) القضاء على منافسيه وتصفية خصومه، وهو ما فعله مع عمّه وغيرهم.

٢) المحافظة على ما ورثه عن أبيه وأجداده السلاطين طغرلبك وألب أرسلان.

٣) بسط نفوذ السلاجقة على أجزاء العالم الإسلامي على اختلافها[٣].

=١٩٢-١٩٢. وسيشار إليه: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، دول الإسلام، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط٢، ج٢، ١٣٦٤هـ، ص ١٣. وسيشار إليه: الذهبي، دول الإسلام، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ط، ج٢، ١٩٩٣، ص ٣٤٩، وسيشار إليه: الذهبي، العبر، القرماني، أحمد بن يوسف،(ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م) أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق: أحمد حطيط وفهمي سعد ،عالم الكتب، بيروت، ط١، مج٢، ١٩٩٢ ص ٤٥٦، وسيشار إليه: القرماني، أخبار الدول .

([١]) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ، (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٠٦، وسيشار إليه : ابن القلانسي ،ذيل تاريخ دمشق، ابن الجوزي، المنتظم،ج٩،ص٥٠٦.

([٢]) إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية وحتّى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠- ١٩٢٥م) ترجمه عن الفارسية: محمد علاء منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص ٢٤٩، وسيشار إليه: إقبال، تاريخ إيران، مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٢٦.

([٣]) حلمي، أحمد ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ،دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٧٥، ص ٣٧، وسيشار إليه: حلمي، السلاجقة .

ويمكن القول أن جهود السلطان ملكشاه لم تكن مقتصرة على مناهضة الخارجين عن طاعته كما ذكرنا، وتوسيع حدود دولته فحسب، بل أنه حرص على اتباع سياسة حكيمة في إدارة دولته فرتّب بالتنسيق مع وزيره نظام الملك أحوالها وأمورها وعمل على استتباب الأمن في أنحائها وقضى على كل ما يقلق الناس من فتن، كتلك التي حدثت في بغداد سنة ٤٨١هـ/١٠٨٧م بين أهل الكرخ وباب البصرة، واستطاع أن يخمدها[١]، وعمل السلطان ملكشاه كذلك على إنشاء المدارس، والأربطة، والمستشفيات والعمائر، وحفر الأنهار، وعمّر جامع السلطان في بغداد، وأقام المصانع بطريق مكة وبنى البلد بأصفهان[٢] وسيراً على خطى والده الب أرسلان فقد أسقط المكوس والضرائب فعمّ الرخاء والأمن للجميع[٣]، ومن مآثرة ومحاسنة العديدة في الدولة السلجوقية بناؤه للقناطر والجسور.[٤].

ويمكن القول بأنّ عصر السلطان ملكشاه قد بلغ فيه السلاجقة مبلغاً عظيماً من الرقي والرفعة، فكانت الأعوام العشرين التي حكم خلالها (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) من أزهى تاريخ السلاجقة بصورة خاصة والتاريخ الإسلامي بمجمله العام وذلك بما آلت إليه الصناعة والزراعة والعمارة من ازدهار وانتعاش[٥]، وقد كان ذلك الازدهار بسبب حنكة الوزير نظام الملك وما تمتّع به من قدرات في التنظيم والإدارة، إلا أن علاقة السلطان بالوزير في أواخر عهدها

---

(١) تمكّن سعد الدولة كوهرائين صاحب شحنة بغداد من إخمادها، للمزيد من التفاصيل انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦١٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦٤،.

(٢) الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر، (ت ما بعد ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) زبدة التواريخ اخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق: محمّد نور الدين، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص١٤٥، وسيشار إليه: الحسيني ، زبدة التواريخ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤٥-٤٤٦، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٣٣.

(٣) للمزيد من المعلومات عن مظاهر الحضارة في عهد السلطان ملكشاه انظر عبدالفتاح، مواهب، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٢هـ.

(٤) عن ولع السلطان ملكشاه في الصيد ارجع إلى سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤٤.

(٥) فامبري، أرمينيوس، تاريخ بخارى، ترجمة أحمد الساداتي ومراجعة وتقديم يحيى الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، والطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠، ص ١٣٨-١٣٩.

اعترإها الخلاف والبُغض، حتى أن بعض أصابع الاتهامات وجهّت نحو السلطان ملكشاه وأشارت إلى اتهامه في مقتل نظام الملك سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[١].

وبالعودة لبعض المصادر التاريخية، فقد أشارت تلك المصادر إلى أنّ الإسماعيلية[٢] هم من قتلوا نظام الملك على يد فدائي شاب طلب المساعدة من الوزير أثناء مرور موكبه مع السلطان ملكشاه في نهاوند، حيث اعترضه شاب في مقتبل العمر يطلبه مساعدة، وحينما أراد الوزير الطوسي مساعدته، أخرج الصبي الديلمي الفدائي سكينة كان يخفيها وطعن الوزير نظام الملك في قلبه ومات من حينها[٣].

ومن المهم هنا أن نذكر بدايات ظهور تلك الفرقة في أروقة الدولة السلجوقية، حيث تشير المصادر التاريخية إلى بزوغ نجم تلك الفرقة في أواخر عهد السلطان ملكشاه حينما اجتمع منهم ثمانية عشر رجلاً في ساوة وصلّوا العيد، ودعوا مؤذناً من أهل ساوة كان مقيماً في أصفهان

---

(١) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان،(ت ما بعد ٦٠٣هـ/١٢٠٧م) راحة الصدور وآية السرور في الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد الصياد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥، ص ٢٠٨-٢٠٩، وسيشار إليه: الراوندي، راحة الصدور ، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٠٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٣٩ ، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٤٩.

(٢)الإسماعيلية: هي إحدى فرق الشيعة وثاني أكبرها بعد الإثنا عشرية، انشقوا عنهم بعد موت الإمام جعفر الصادق بسبب الخلاف حول من يخلفه في الحكم، إذ أيد الإسماعيلية إسماعيل بن جعفر ونادت بإمامته، فما أيّد فريق آخر منهم موسى الكاظم الابن الآخر، وقد انتشرت الإسماعيليه الذين كانوا على مذهب الدولة الفاطمية في كرمان وأصفهان وخراسان وسجستان وأذربيجان ، للمزيد حول الإسماعيلية انظر الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبو بكر، (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل ، تحقيق: أمير مهنا و علي حسن، دار المعرفة، بيروت، ط٨، ٢٠٠١، ص ٢٢٦، البيهقي ، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م) تتمة صوان الحكمة، تحقيق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص٧، وسيشار إليه: البيهقي: تتمة صوان الحكمة، انظر كذلك لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة، ترجمة: حكمت تلحوق، مراجعة خليل أحمد، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص١٠٠، سيشار إليه: لويس، أصول الإسماعيلية .

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٢٢،الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٨-٢٠٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٠٤، الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ١٤٢-١٤٥. وسيشار إليه: الذهبي، تاريخ الإسلام، العبر، ج٢، ص ٣٤٩.

لدعوتهم فلم يجبهم فخافوا أن يفضح أمرهم فقتلوه[١]، وعندما تملّكوا القلاع في مدن الدولة السلجوقية السلجوقية في أصفهان وخوزستان وغيرها حاول السلطان ملكشاه أن يتواصل مع زعيمهم وقائدهم الحسن بن الصبّاح[٢] ويأمره ويهدّده بكفّ أذى أصحابه عن القتل وترويع الأبرياء، إلاّ أنهم أعرضوا عن أوامره ولم يستمعوا لها[٣]، ويبدو أن السلطان ملكشاه لم يكترث لأمرهم كثيراً ولم يحاول قتالهم، بالرغم من العديد من التحذيرات التي ذكرها الوزير نظام الملك له حول خطرهم، ومع مرور السنوات عظم أمر الإسماعيلية الباطنية وتغلغلوا في الدولة السلجوقية وقويت شوكتهم[٤]، ويعد مقتل الوزير نظام الملك بفترة قصيرة لحقه السلطان ملكشاه، أثناء مكوثه في بغداد لفترة من الوقت والتي نجم عنها صراعه مع الخليفة المقتدي بأمر الله[٥]

وبوفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م كانت الدولة السلجوقية تضمّ في جنباتها العديد من المناطق، بل أنّ المساحة التي كانت تتبع للدولة آنذاك يمكن وصفها بالشاسعه، إذ إنَ بلاد ما وراء النهر[٦] كانت قد أخضعت للسلطان ملكشاه منذ سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩[١].

([١])ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣١٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١١.

([٢]) سيأتي الحديث عنه وبشكل مفصل خلال الفصل الثاني من هذه الدراسة.

([٣]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٢.

([٤]) البنداري، الفتح بن علي بن محمّد (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، ط٢، ١٩٧٨، ص ٦٢، وسيشار إليه البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق.

([٥]) عن قصة الخلاف بين السلطان ملكشاه والخليفة المقتدي بالله، انظر الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (ت ٥٨٠هـ/ ١١٨١م) تاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع ، القاهرة ، د.ط، ١٩٥٩، ص ٢٦٥، وسيشار إليه، الفارقي، تاريخ الفارقي، ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٢، ابن الاثير، الكامل،ج١٠، ص٢٠٢-٢١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٤، السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبو بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء، مراجعة وتعليق جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص ٣٣٤.

([٦]) ما وراءالنهر: منطقة في شرق آسيا ما كان في شرقيها يقال لها بلاد الهياطله وما كان في غربيها يقال لها خراسان وولاية خوارزم، الحموي، أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي،(ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، د.ط ، مج ٥، ص٤٥، وسيشار إليه : الحموي ، معجم البلدان ، البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحقّ صفي الدين، (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،

كما أنّ الخطبة أقيمت له في مناطق امتدت حدودها من الصين حتى آخر بلاد الشام[2] لتشمل بذلك بلاد الجزيرة والشام والعراق وخراسان واليمن[3] وحتّى أن المناطق التابعة للإمبراطورية البيزنطية فإنها كانت من نصيب السلطان ملكشاه ،إذ إنّ حكّامها وملوكها حملوا الجزية ودفعوها له عن يدٍ وهم صاغرون[4]، وبصورة أخرى فإن تلك المساحة المترامية الأطراف للدولة السلجوقية في عهد ملكشاه قد لفتت انتباه بعض المؤرخين فقالوا: "ملك من مدينة كاشغر[5] إلى بيت المقدس عرضاً، ومن القسطنطينية وبلاد الخزر[6] إلى بحر الهند طولاً "[7]. انظر ملحق رقم (1)

ويمكن القول أن وفاته كانت بداية لنهاية عصر السلاطين العظام في الدولة السلجوقية أو ما يمكن تسميته بالعصر الذهبي، وفقد السلاجقة شخصية تاريخية تميزت بالحنكة السياسية والخبرة العسكرية[8]، وانقسمت دولة السلاجقة إلى عدّة دول هي: سلاجقة العراق وبلاد فارس، وسلاجقة الشام، وسلاجقة خراسان، وسلاجقة كرمان، وسلاجقة آسيا الصغرى.

وانشغل أبناؤه بالصراع حول الوصول للعرش والسلطة واستغل الأمراء وحكام الأقاليم تلك الظروف، إلا أن الدولة السلجوقية لم تسقط على أقل تقدير واستمرت ديمومة الدولة بحكم السلاطين

=تحقيق: علي البجاوي ، دار المعرفة، حلب، مج٣، ١٩٥٤م ، ص١٢٢٣، وسيشار إليه: البغدادي، مراصد الإطلاع .

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج، ص١٩، ص٤٤٤.

(2) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠١، ابن الأثير ،الكامل،ج١٠،ص٢١١.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٤، الذهبي، العبر،ج٢،ص٢١١.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٨٨.

(5) كاشغر: مدينة ورساتيق وقرى، يسافر إليها من سمرقند، وتلك النواحي في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون، الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٣٠.

(6) بلاد الخزر :بفتح الخاء والزاي وسكون الراء،بلاد الترك،خلف باب الأبواب يسكنها الاتراك المسلمون وغيرهم من النصارى وعبدة الوثنية، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج١، ص ٤٦٥.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٦٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٣٣٢.

(8) حسنين، عبدالنعيم، سلاجقة إيران والعراق، دار الفكر ، القاهرة،ط٢ ، ١٩٧٠، ص ٨، وسيشار إليه: حسنين، سلاجقة إيران والعراق، أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، ط١، ١٩٦٥، ص ٧٩، وسيشار إليه : أمين، تاريخ العراق.

السلطان بركياروق ومن بعده أخيه السلطان محمد ابنيّ ملكشاه، والذي سيأتي الحديث عنهم وعن الصراعات التي نشبت بينهم بشكل موسعّ في الفصل الأول من هذه الدراسة بحول الله.

وبعيد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان في بغداد سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢ م(١) عن عمر يناهز خمسة وثمانين عاماً(٢)، بدأت ملامح الصراع السياسي على العرش تظهر بين أبنائه بشكلٍ كبير، فقد تفاقمت الأزمة التي كان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسي سبباً مباشراً فيها قبل وفاتهما، ذلك أنّهما لم يتوصّلا لحلّ نهائي في مسألة ولاية العهد(٣)، فقد ترك السلطان ملكشاه من الأبناء: خمسة أولاد(٤) وست بنات من ثلاثة نساء قد تزوجهنّ(٥).

وقد تنازع أبنائه على السلطة، وكان أكبر الأبناء داوود الذي توفي هو الآخر سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م ثم يليه أحمد الذي توفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م وبركياروق(*) ومحمد وسنجر

---

(١) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧٤، أبو شامة،شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ج١، ١٩٩٧، ص ١٠، وسيشار إليه لاحقاً: أبوشامة، الروضتين، انظر كذلك ل.أسيديو، تاريخ العرب العام، ترجمة وتحقيق: عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، ط١٩٤٨،١،ص ٢٥٥.

(٢) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص٢٢٩.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٨، السامرّائي، خليل وآخرون، تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر-جامعة الموصل، العراق-الموصل، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٤٣، وسيشار إليه: السامرائي،تأريخ الدولة العربية .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩،ص٦٣٤.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٤،الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧٤، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٦٦، انظر كذلك طقوش، محمد، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠١٠،ص ١٥٤-١٥٥، وسيشار إليه لاحقاً هكذا طقوش، تاريخ السلاجقة.

(*) ولد السلطان بركياروق بن ملكشاة بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، فيما ورد في بعض المصادر التاريخية أن ميلاده كان العقد السابع من القرن الخامس الهجري وكان مولده في مدينة أصفهان، وأمه سلجوقية أصيلة وهي زبيده خاتون الزوجة الثانية للسطان ملكشاه للمزيد انظر:

الفارقي،تاريخ الفارقي،ص٢٣١، ابن الجوزي،المنتظم، ج٩،ص٦٤٠- ٦٤٣، الراوندي، راحة الصدور،ص٢١٤-٢١٥، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦-١٦٥، ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص١٩٦، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٤٣ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج١،ص٢٦٨-٢٧٠، الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج١٩،ص١٩٥-١٩٧، الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)الوافي بالوفيّات تحقيق

ومحمود[1]، وكان أحمد وداوود ومحمود من أم واحدة وهي تركان خاتون[2] وبركياروق من أم واحدة هي زبيدة خاتون[3]، بينما كان محمد وسنجر من أم أخرى هي سفرية خاتون، وكان أصغر الأبناء محمود وأمّه هي تركان خاتون[4].

وقد بدأت أولى النزاعات بين أبناء ملكشاه بين محمود بتأييد ورعاية من والدته تركان خاتون وأخيه بركياروق الذي كان عمره في ذلك الوقت اثنى عشر عاماً بينما لم يتجاوز عمر محمود الخمسة سنوات، ثم توسّعت دائرة الصراع ضدّ بركياروق لتشمل الأخوين: محمد وسنجر، هذا فضلاً عن صراعات إخوة السلطان ملكشاه المطالبين بالسلطة[5] وقد بدأت المنازعات بين الأخوين بركياروق ومحمود، عندما قام كلّ منهما بالاستيلاء على مناطق من الدولة المترامية الأطراف التي تركها لهم والدهم ملكشاه[6]، وقد عجز أولئك الأبناء عن الاحتفاظ بتماسك دولة السلاجقة كما تركها لهم والدهم السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسي .

=واعتناء: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ج١٠، ١٩٩٣، ص٧٥-٧٦، وسيشار إليه: الصفدي، الوافي بالوفيات.

(1) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٤، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٧٥،وسيتمّ الحديث عن الصراع بين السلاطين الأخوة بركياروق ومحمد وسنجر بشكل مفصلّ خلال هذا الفصل بعون الله، انظر ملحق رقم (٤)

(2) الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله بن أبو الخير بن علي (ت ٧١٦هـ/١٣١٦م) جامع التواريخ ، تحقيق ونشر: احمد آتش، مؤسسة تاريخ الترك، أنقره، مج٢ ، ج٥، ١٩٦٠، ص٣٩٩، ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) البداية والنهاية، مراجعة: أحمد ابو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ج١٢، ١٩٨٧م،ص ١٤٤، وسيشار إليه: ابن كثير، البداية والنهاية.

(3) زبيدة خاتون: هي والدة السلطان بركياروق واسمها زبيدة ابنة ياقوتي بن داود إبنة عمّ ملكشاه بن ألب أرسلان وزوجته الثانية،كانت حين وفاة زوجها في أصفهان، أنجبت منه بركياروق، كانت خائفة على ولدها ذو الثانية عشر عاماً من والدة محمود تركان خاتون، فأتاها الفرج على أيدي الجنود المماليك النظامية عندما قاموا بمساعدة ابنها بالوصول للسلطنة، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١.

(4) تركان خاتون:هي ابنة طغراج من نسل أفراسياب ملك الفرس، كانت شهمة، قادت الجيوش بعد وفاة زوجها ملكشاه كان في خدمتها عشرة آلاف فارس، توفيت سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وقيل انها سممّت في الطريق من بغداد الى أصفهان، الفارقي، تاريخ الفارقي، ص ٢٣٠،انظر كذلك ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٤٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٤٥٩، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٣٥ .

(5)الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٤-٢١٥ ، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٧٥.

(6) حلمي، السلاجقة، ص٤٥.

وقد رغب كلّ من هؤلاء الأبناء في الحصول على السلطنة لا سيما السلطان بركياروق الذي حظي بدعم وتأييد من عناصر أخرى كانت مقرّبة لملكشاه، وأعني بذلك قوات النظامية[١]، وهم في مجملهم أتباع نظام الملك من الجنود النظامية في أصفهان الذين كانوا يساندون السلطان بركياروق، ولم يكن أبناء ملكشاه فقط هم من يطمحون بالسلطة فقد لعب إخوته دوراً بارزاً في تشكيل مجريات الصراع وحيثياته، فهذا السلطان تاج الدولة تتش[٢] أخو السلطان ملكشاه قد ظهر مطالباً بالسلطة تلاه أخوه أرسلان أرغون[٣] كما لعبت النساء دوراً لا يقلّ أهمية عن غيره في حبك المؤامرات السياسية للوصول للسلطة كما فعلت ذلك تركان خاتون حتى وإن لزم الأمر التعاون مع قوات الجند، بالإضافة إلى دور الوزراء والأمراء الآخرين في إشعال المنافسة على السلطة وتأجيج بؤر الصراع من أجل مصالحهم الشخصية وقد أدّى كلّ ذلك إلى إضعاف البيت السلجوقي وتمزقّه[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥.

(٢) تتش: الملك تاج الدولة تتش بن السلطان أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي أخو السلطان ملكشاه، كان شجاعاً مهيباً جباراً ذا سطوة ،استولى على عدة مدن خطب له ببغداد، جرت له حروب مع الفاطميين وقد حكم بضع عشرة سنة، قُتلَ في موقعة الريّ ضد ابن أخيه بركياروق سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥ م، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤، انظر كذلك الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص ٨٣-٨٤ .

(٣) أرسلان أرغون: شقيق السلطان ملكشاه، حينما توفي ملكشاه استولى ارسلان على مرو وبلخ ونيسابور، وتقاتل مع أخاه الآخر بوربرس حول السيطرة على بعض المدن من نواحي نيسابور وسرخس ثم طالب بولاية خراسان مع الاعتراف بسلطنة بركياروق، قتل بمرو سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٧ م ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٢٦٢- ٢٦٤،دائرة المعارف الإسلامية، مادة أرغون، مج٣، تحقيق أحمد الشناوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط،١٩٧٠، ص ٥٩٤.

(٤) السامرّائي، تأريخ الدولة العربية، ص ٢٤٣، طقوش، تاريخ السلاجقة، ص ١٥٤.

الفصل الأولّ

" الصراع العسكري داخل البيت السلجوقي على السلطة "

ويشمل الفصل الأول الصراعات التالية:

أولاً : الصراع بين السلطان محمود وأخيه السلطان بركياروق ابنيّ ملكشاه

ثانياً: الصراع بين السلطان بركياروق والطامعين في السلطنة

ثالثاً : الصراع بين السلطان بركياروق وأخيه السلطان محمّد بن ملكشاه

رابعاً : وفاة السلطان بركياروق

خامساً: صراع السلطان محمّد مع أبن أخيه السلطان ملكشاه الثاني بن بركياروق لتولي السلطنة.

سادساً :عصيان وتمرّد الملك منكبرس بن بوري برس بن ألب أرسلان على السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م .

أولاً: الصراع بين السلطانين: محمود وأخيه بركياروق على السلطنة:

ولد محمود بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ميكائيل السلجوقي[١] في صفر سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م[٢] وأمه تركان خاتون التي قامت برعايته بعد وفاة زوجها[٣] وهي الزوجة الثالثة للسلطان ملكشاه.

وبعد وفاة السلطان ملكشاه ليلة الجمعة سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م[٤] لم تفصح تركان خاتون عن ذلك الخبر على الجميع باستثناء وزيرها و كبار قادة الجيش الذين قامت بالاتصال بهم سراً لطلب الدعم والوقوف والمبايعة لابنها محمود [٥]ولم يتردد العسكر كثيراً بالاستجابة لتركان خاتون فقد أعلنوا البيعة والولاء لولدها محمود[٦] بتوجيه وإدارة وزير تركان خاتون تاج الملك الشيرازي[٧] وعادوا به من بغداد إلى أصفهان[٨]، وجاءت مبايعة العسكر وتبعيتهم وولائهم لمحمود الصغير بعد أن أغدقت تركان خاتون الأموال عليهم ووعدتهم بإعطاء المزيد عن طريق وزيرها، ولم تكن مبايعة

---

(١) محمود بن ملكشاه: هو محمود بن ملشكاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي، انظر ملحق رقم (٤)، كان طفلاً صغيراً حينما فارق أبوه الحياة، قامت والدته تركان خاتون بتدبير المملكة له وأخذ البيعة من الخليفة العباسي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، مات بمرض الجدري في شوال سنة ٤٨٧/ ١٠٩٤م،وكان عمره سبع سنوات، الحسيني ، زبدة التواريخ، ص١٥٥، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص ٢٣٤، أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر ، تحقيق: محمد عزب ، دار المعارف ، القاهرة، ط١ ، ج٢ ، ١٩٩٩، ص٢٨٩، وسيشار إليه : أبو الفداء ، المختصر .

(٢)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٥٠،

(٣)ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص ٩، سبط ابن الجوزي، مآة الزمان،ج١٩، ص٤٥٩.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩،ص ٦٤٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٥٤.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٢٥، انظر كذلك ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٣٩ -٣٤٤ .

(٦)الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٥-١٥٦

(٧) تاج الملك الشيرازي: اسمه المرزبان بن خسرو فيروز أبو الغنائم، كان السلطان ملكشاه يريد أن يستوزره بعد وفاة نظام الملك فمات السلطان سريعاً، فاستوزرته تركان خاتون لها ولابنها محمود، فلما قهرهما السلطان بركياروق قتله غلمان النظامية وقطعوه إرباً إرباً سنة ٤٨٥هـ/سنة ١٠٩٢ م،ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٣١٣-٣١٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢١٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٥٣، للمزيد كذلك انظر ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد المغربي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ط١، ج٥، ق١، ١٩٨٣، ص ١٤، وسيشار إليه: ابن خلدون، العبر.

(٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٤٤٩

العسكر لابن تركان خاتون بسبب الأموال فقط، فقد كانت تركان خاتون مستولية على الأمور منذ أيام زوجها لحسبها ونسبها بالإضافة إلى إحسانها الدائم والدؤوب للجند(١).

ثم كانت الخطوة التالية من أجل ضمان البيعة بشكلها التام لمحمود بن ملكشاه والسيطرة على مقاليد الحكم وهي التخلّص من أشد مناوئيه على السلطة وهو بلا شك بركياروق الأخ الاكبر لمحمود من زوجة أبيه الثانية زبيدة خاتون(٢)، وأوكلت مهمة القبض على بركياروق لأحد القادة الأتراك ويدعى قوام الدين كربوقا(٣) واتصلت به تركان خاتون وطالبته بالتحرك إلى أصفهان وأعطته خاتم السلطان ملكشاه (٤)حتّى تضفي الصبغة الرسمية على تصرفّها القادم وهو الطلب من مسؤول قلعة أصفهان تسليمه القلعه (٥).

وبينما كانت تركان خاتون تعمل بكل ما أوتيت من قوة وعزم للفوز بمقعد السلطنة لابنها محمود ،كانت الخطوة التالية الحصول على الاعتراف الرسمي الذي يمنح الشرعية لسلطنة ابنها الصغير محمود ، فأرسلت إلى الخليفة المقتدي بأمر الله سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م(٦) تطلب منه الموافقة على تولّي ابنها محمود عرش السلطنة وأن تكون الخطبة باسمه في بغداد مقرّ الخلافة(٧)، فتردّد الخليفة في قبول طلبها وذلك لعدّة أسباب: من أهمها صغر سنّ ابنها محمود بالإضافة أنه لا

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ص٢١٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨١.

(٣) كربوقا: قوام الدولة أبو سعيد ، تملّك الموصل سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م بإقطاع من السلطان بركياروق،ثم أنهى حكم بنو عقيل فيها، شارك في عمليات الإغارة على الفرنج في أكثر من موضع في بلاد الشام ،كان من جملة الأنصار والمؤيدين للسلطان محمد سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٩م في بادئ الأمر ثم ما لبث وعاد لصفوف السلطان بركياروق، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٥٨-٢٨٩ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥٢.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩، ص ٤٤٩.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤٩، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ١٥.

(٦) المقتدي بأمر الله: هو عبدالله أبو القاسم حفيد القائم بأمر الله، بويع له بالخلافة يوم وفاة جدّه القائم بأمر الله في شعبان سنة ٤٦٧هـ /١٠٧٥م، وعمره آنذاك ١٩ سنة و٣ شهور، كان ديّناً خيراً قوي النفس عالي الهمّة من نجباء بني العباس، توفي فجأة في ١٥ محرّم سنة ٤٨٧ هـ /١٠٩٤م، وكان عمره ٨٥ سنة وبضعة أشهر، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص ٢٩٠، انظر كذلك اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن سلمان (ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق:خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١١، ج٣، ١٩٩٧، ص١٠٩، وسيشار إليه: اليافعي، مرآة الجنان.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٤٩.

يمتلك الخبرة الكافية ولا يليق بالملك، فكانت ردّة الفعل من تركان خاتون أن هدّدت الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله بالاستمرار بمشروع تسليم الأمير جعفر ولاية العهد بدلاً من ابنه المستظهر بالله[1].

وجاء رفض الخليفة لتركان خاتون بالصيغة التالية: "السلطنة والرئاسة والمحافظة على أصول السياسة وتعمير العالم ليس أمراً هيناً كلعب الأطفال، ومن الصعوبة أن يتمكّن طفل عديم التجربة من إقرار قواعد السلطنة وأن يدفع حسّاد وأعداء المملكة وهو لم يشبع بعد من لبن الرضاعة حتى الآن، وبالتالي فهو لا يستطيع أن يكون درعاً يصدّ عن الدولة سيف كل جبّار....[2] وكان ردّ فعل تركان خاتون على الخليفة برسالة مقتضبة جاء فيها: "ابن البطّ مهما كان صغيراً لا يستطيع ماء البحر ان يجرفه"[3].

وعلى ما يبدو فإن تهديدها للخليفة المقتدي من حرمانه من ابنه الصغير كان له أبلغ الأثر في نفسه[4] فلم يمكث بعيداً في تفكيره ووافق على طلبها مُكرهاً، إلاّ أنه اشترط عليها عدةّ شروط من أهمها وأبرزها: إعادة ابنه إليه وأن يتولى أمور الدولة وإدارتها أشخاص هم في السنّ أكبر من ابنها محمود[5]، واستقرّ الأمر على أن يكون ذلك المدبّر لأمور الجيش ورعاية البلد الأمير أُنَز[1]

---

(1) جعفر بن المقتدي: هو أبو الفضل جعفر بن المقتدي بأمر الله، ولد سنة ٤٨٠هـ /١٠٨٧ م كان برفقة جدّه السلطان ملكشاه بعد وفاة أمه خاتون التي هي ابنة السلطان ملشكاه، وكان هذا الاخير عازماً على توليته الخلافة بدلاً من اخيه المسترشد بالله، غيرأن وفاة السلطان ملكشاه غيرّت المجريات كان قد نشأ نشوءاً حسناً وعندما مات حزن عليه الخليفة كثيراً وصلّى عليه وحمل تابوته إلى الرصافة ، توفي سنة ٤٨٦هـ /١٠٩٣م، ابن الجوزي، المنتظم،ج٩، ص ٦٥٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٥٣، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت فواز ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ج٢٦، ٢٠٠٤، ص ١٩٣، وسيشار إليه: النويري ، نهاية الأرب.

(2) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦١، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٠-٨١.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٤٤٩، اليزدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) العراضة في الحكاية السلجوقية ترجمة وتحقيق : عبدالنعيم حسنين وحسين أمين ، منشورات جامعة بغداد ، د. ط ، ١٩٧٩، ص٧٢-٧٣، وسيشار إليه : اليزدي ، العراضة .

(4) اليزدي، العراضة، ص ٧٢-٧٣ .

(5)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٤٣،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤،ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ١٥.

بحيث يتولّى ذلك بعد استشارة تاج الملك الشيرازي الذي سيتولّى كذلك جباية الأموال وترتيب العمّال في الدولة[٢]، ويبدو أن تركان خاتون تحفظّت على شروط الخليفة وامتنعت عن قبولها في بداية الأمر، إلاّ أنّه وأمام إصرار الخليفه على موقفه بقوله: "إن هذه الأمر لا يجيزه الشرع"[٣] تراجعت تركان خاتون عن موقفها السابق ووافقت على طلب الخليفة، وكان أبو حامد الغزالي[٤] من أهم الفقهاء والعلماء في ذلك العصر الذين استشارهم الخليفة المقتدي بأمر الله ،كما كان المبعوث الخاصّ بينهما[٥].

وتمكّن أبو حامد الغزالي من أقناع خاتون بوجهة نظر الخليفة، وتم الاتفاق رسمياً على أن تفوّض السلطنة لمحمود بن ملكشاه ويخطب له في بغداد وفي بلاد الحرمين الشريفين وفي جميع البلاد التي كانت تابعة لأبيه[٦] وقد خطب بالفعل له يوم الجمعه الثاني والعشرين من شوال سنة ٤٨٥ هـ / العاشر من أيلول سنة ١٠٩٢م ولقبّ بناصر الدنيا والدين[٧]، وأوعز الخليفة المقتدي

---

(١) الأمير أنر: بضمّ الألف وفتح النون وسكون الراء، هو عزّ الدين أنر بيلغبك كان والياً على فارس عند السلطان بركياروق غير أنّه تعرضّ للهزيمة من صاحب كرمان فعيّنه السلطان بركياروق على ولاية العراق وكان إقطاعه يزيد عن عشرة آلاف دينار، قتل على مجموعة من الأتراك بخوارزم سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٧م، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٠، انظر كذلك الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٢-١٦٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢١٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص١٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩،ص ٦٤٣، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢١٤.

(٤) أبو حامد الغزالي: محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري، أحد أعلام العصر وأشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، ولد سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، درس العلوم الدينية، وله أكثر من مائتي مصنّف، أشهرها إحياء علوم الدين، توفي سنة ٥٠٥ هـ /١١١٢م، أبو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٥، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣٢٢- ٣٤٦، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣،ص١٣٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص ٢١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٤٤٩

(٦) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص ٢١٤، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان ،ج١٩،ص٤٤٩، الخرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وإمرة الحج، منشورات جامعة اليرموك، ط١، ١٩٩٩، ص٦٣، وسيشار إليه : الخرابشة ، التنافس السلجوقي الفاطمي.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢١٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢،ص ٢٥، انظر ملحق رقم (٧).

لوزيره عميد الدولة ابن جهير[1] بأخذ الخلع السلطانية للسلطان السلجوقي الجديد محمود بن ملشكاه، ويصف ابن العبري حال السلطان الصغير أثناء تقليده مراسم السلطنة وتسلّمه البزّه السلطانية وأجلاسه على العرش بأنه كان رزيناً هادئاً صامداً حتىّ أنه لم يغمض عينيه ولم يتحدّث مما أدهش الحضور[2].

وذاع خبر جلوس السلطان محمود على عرش السلطنة في البلاد إلى أن وصل إلى مسامع أتباع نظام الملك، فكان ردّ الفعل منهم عنيفاً وقوياً ذلك أنهم حملوا أسلحتهم ،وتوجهّوا لإخراج بركياروق من سجن قلعتها وملكوّه عليهم وخطبوا له[3]، وكان الدافع الأكبر لفعلهم هذا هو كراهيتهم الشديدة لتاج الملك ابو الغنائم وزير تركان خاتون والذي كان باعتقادهم له اليد الطولى في قتل مولاهم نظام الملك الذي لم يترددوا لحظة بإظهار الولاء والطاعة له[4]، وحينما علمت تركان خاتون بخبر الجنود النظامية وتحركّهم نحو أصفهان سيرّت العساكر لقتال بركياروق ومن معه[5]، وتحركّت هي من بغداد باتجاه أصفهان، فطالب عسكرها تاج الملك بالأموال التي وعدتهم بها تركان خاتون حينما هبوّا لنجدتها بعد وفاة ملكشاه والتي تركت أمرها لوزيرها تاج الملك، ووعد تاج

---

(1) عميد الدولة ابن جهير: أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الملقّب بعميد الدولة، الابن الأكبر لوالده،وصفه المؤرخين بصفات جليلة القدر حتى ضاهى الخلفاء فيها، ومن أبرزها العقلانية والهيبة والوقار وجودة الرأي والعفّة، عرف عنه كذلك حسن التدبير والكفاءة في المهمات،كثير الصدقات، غير أنه عرف عنه كبره الزائد،أوصى به القائم حينما احتضر للمقتدي، تولّى الوزراة لعدد من خلفاء من بني العباس منهم المقتدي والمستظهر، عزله الخليفة في رمضان سنة ٤٩٣هـ /١٠٩٩م ثم توفي بعد أن حبسه المستظهر بالله في دار الخلافة، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٠٣، للمزيد انظر ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج ٥،ص١٣١،الذهبي، العبر،ج٢، ص ٣٦٩، الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ بن احمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٤، ١٩٩٨، ص ١١١، وسيشار إليه: الحنبلي، شذرات الذهب، للمزيد عن وزراء بنو جهير بالتفصيل والتحليل انظر الربيدي، فاطمة، بنو جهير ودورهم في الخلافة العباسية ٤٥٤-٥٤١هـ/١٠٦٢-١١٤٦م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك،١٩٩٨، ص٧٥- ٨٨.

(2)ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٣٨ .

(3)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٤٣،ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢١٥.

(4)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥،النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٣ .

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢١٥، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٣٨.

الملك العسكر بإعطائهم المال عند الوصول لقلعة برجين[1]، وحاول هو أخذ الأموال منها فلمّا استقرّ في القلعة، تأخر عن اللحاق ب تركان خاتون ولم ينزل خوفاً من العسكر فما كان منهم إلاّ أنهم قاموا بنهب خزائنه ولم يجدوا فيها شيئاً من الأموال التي أخفاها، وعند وصول تركان خاتون إلى أصفهان لحق بها تاج الملك واعتذر عن التأخير مدعيّاً أن مسؤول القلعة قام بسجنه وهرب منه فقبلت العذر[2].

أمّا السلطان بركياروق فقد سار من أصفهان متجهاً نحو الريّ تبعه معززاً له القائد أرغش النظامي[3] وأضحت المواجهة بين الفريقين مرتقبة، وبالفعل فقد حدث ما كان متوقعاً بالتقاء العساكر في كلا الطرفين وكان ذلك في أواخر ذي الحجةّ سنة ٤٨٥هـ / تشرين الأول ١٠٩٢م[4] وحدث أن انحاز جماعة آخرون لمعسكر بركياروق ، منطلقين من فكرة النضمام لأكبر أفراد الأسرة ومنهم الأمراء يلبرد وكمشتكين الجاندار[5] وغيرهم ممن آثروا الانضمام لفريق بركياروق، ولعل ذلك لا يبدو مستغرباً بسبب ما يكنّه النظامية من كره وعداوة لتاج الملك، ثم انتقلت تلك الكراهية لبقية

([1]) قلعة برجين: موضع قريب من أصفهان، صعد إليها تاج الملك الشيرازي ليخرج الأموال التي أخفتهم فيها تركان خاتون من أموال ملكشاه.

([2]) ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢١٥.

([3]) أرغش النظامي: أحد الأمراء النظامية أتباع نظام الملك، كان مقرّه في الريّ سار مع بركياروق بن ملكشاه وقاتل معه ضدّ تركان خاتون في بروجرد، للمزيد انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٥.

([4])ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٥٠.

([5]) يلبرد: كان مملوكاً تركياً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، من ثقاته وخواصّه، وقد أرسله في مهام كثيراً ، كان أهمها، حينما وقع الخلاف بينه وبين وزيره نظام الملك سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، حول توليّ أبناء نظام الملك مناصب عديدة،وحينما أوغرت زوجته تركان خاتون صدر زوجها ملكشاه ضدّ نظام الملك، توفي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٥٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٥.أما كلمة الجاندار: فهي كلمة فارسية تعني حامل السلاح وهم من الجنود الذين يعملون حرساً أو سيّافين وقائدهم يقال له أمير جاندار، وصل بعضهم لمرتبة القائد والأتابك منهم كمشتكين قائد عسكر بركياروق وأتابكه، انظر الراوندي، راحة الصدور،ص٢١٧، الحسيني، زبدة التواريخ ١٥٩، انظر كذلك النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص١٩٣. للمزيد انظر الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٥، ص ١١١، وسيشار إليه: الباشا، الألقاب الإسلامية، للمزيد انظر حسنين، عبد النعيم ، إيران والعراق في العصر السلجوقي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢، ،ص٩٣، وسيشار إليه: حسنين ، إيران والعراق .

الأمراء وتمكنتّ تركان خاتون من احتلال أصفهان[1] وتوجه جيش بركياروق نحو منطقة يقال لها بروجرد[2] وهناك دارت الهزيمة على جيش تركان خاتون بسبب كثرة أعداد النظامية وممن تجمّع حول بركياروق[3]، ثم قامت تلك القوات النظامية بمحاصرة أصفهان .

وعلى أية حال فقد هبّ الجنود النظامية هبّة رجل واحد وقاموا بإلقاء القبض على تاج الملك الشيرازي وقدموا به لبركياروق للنظر في أمره، ورغم وقوفه لجانب تركان خاتون ومساعدته لها فإن المفاجئ في الأمر هو ما كان يكنّه بركياروق من رغبة في استيزار تاج الملك الشيرازي وذلك لما عرف عنه من قدرة وكفاءة وعلوّ للهمة[4]، وبينما هو كذلك فقد حاول تاج الملك بدوره ان ينقذ الأمر ويصلح ما قد يمكن إصلاحه وأن يستغلّ الأمر لصالحه فقام بتوزيع مبالغ من المال على الجنود النظامية وصلت إلى مائتي ألف دينار سوى العروض، وفي بادئ الأمر فإنّ تلك الأموال أزالت ما في صدورهم من غلّ تجاهه، إلا أن نائب نظام الملك[5] قد أوغر صدورهم بحثّه المستمر لأولئك الجنود ودعوته لهم بالنهوض وعدم الضعف أمام تلك المغريات قائلاً لهم: "لا تقتنعوا إلّا بقتل قاتل مولاكم"[6]، ففعلوا ذلك وهجموا عليه بشراسة بالغة وقتلوه وهو بعمر السابعة والأربعين في سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م، ومن شدّة كراهيتهم له قطعوا أحد أصابعه وحملوه لبغداد

---

(١)الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص ٢١٥.

(٢) بروجرد: بلدة بين همذان والكرج من نواحي بلاد فارس، بينها وبين همذان ثمانية عشر فرسخاً ، وبينها وبين الكرج عشرة فراسخ الحموي، وهي مدينة خصبة كثيرة الخيرات ، الحموي، معجم البلدان، مج١، ص ٤٠٤، لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، ص٢٣٥، وسيشار إليه: لسترنج، بلدان الخلافة .

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥، انظر كذلك النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص١٩٣-١٩٤ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم،ج٩، ص ٦٥٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٦.

(٥)عثمان بن محمد نائب نظام الملك: هو أحد نواب نظام الملك ومن أشد اتباع النظامية، وقف في وجه تركان خاتون وتاج الملك الشيرازي ومنع العساكر عن التهاون مقابل الأموال، انظر ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢١٦.

(٦) ويقصد عثمان بهذا القول مولى النظامية جميعاً الوزير نظام الملك الطوسي، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٩، ص ٩٤- ٩٦، نظام الملك، سياسة نامة"سير الملوك"، ترجمة وتحقيق: يوسف بكّار، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، وسيشار إليه: نظام الملك، سياسة نامة.

حيث دار الخلافة[1]، وبينما كان السلطان الصغير محمود بن ملكشاه على رأس السلطنة في بغداد حدث وأن فارقت والدته تركان خاتون الدنيا بأسرها في رمضان سنة ٤٨٧ هـ/ أيار ١٠٩٤ م[2] مما كان له الأثر الكبير في ازدياد فرصة بركياروق بالحصول على السلطنة بمفرده دون أي منازع، وبعدما علم السلطان بركياروق بنبأ وفاة والدة أخيه محمود، توجّه إلى أصفهان إلاّ أن من بها منعوه من دخولها، ثم حاول أمراء السلطان محمود ومنهم الأمير أُنَر وبلكابك[3] عمل خديعة للقبض على السلطان بركياروق، فما كان منهم إلاّ ان أخرجوا محمود متظاهراً باستقباله لأخيه بركياروق، وحينما تمّ لهم المراد قبضوا على بركياروق وأرادوا سمل عينيه، غير أن القدر كان للسلطان محمود بالمرصاد حيث أصيب بالجدري فجأة [4] فأشرف أمين الدولة ابن التلميذ[5] على علاجه وعندما اطلّع على حاله، أخبر الأمراء بأن يتمهّلوا بسمل عيني بركياروق قائلاً: "إن الملك محمود قد جدّر وما كأنه يسلم منه، وأراكم تكرهون أن يليكم، ويملك البلاد تاج الدولة تتش، فلا تعجلوا على بركياروق فإن مات محمود اقيموه ملكاً، وإن سلم محمود فأنتم تقدرون على كحله" وفي قول الطبيب ابن التلميذ إشارة مبطّنة مفادها الكراهية المطلقة من العساكر لتاج الدولة تتش[6]، وأخذ

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم،ج٩،ص٦٥٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص ٢١٦، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٤.

[2] الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص ٤٥٩.

[3] بلكابك: سرمز بلكابك شحنة مدينة أصفهان قتله الباطنية فيها سنة ٤٩٣هـ /١١٠٠م، بدار السلطان محمد بن ملكشاه وكان كثير الاحتياط منهم لا يفارقه لبس الدرع دخل بيت السلطان محمد ولم يكن مرتدياً درع، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨ حاشية ٣، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٠١.

[4] الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٣٤،النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص ١٩٤.

[5] ابن التلميذ: أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم الملقّب بأمين الدولة، طبيب نصراني عربي بغدادي وهو ابن طبيب من الأطباء المبرزين اتمّ تعليمه في عدة فروع من المعرفة أثناء إقامته الطويلة في بلاد فارس يبدو من سياق الحديث لدى ابن الأثير أنه يشغل منصب طبيب البلاط السلجوقي الخاصّ الذي يتم استشارته في كلّ صغيرة وكبيرة، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٣٤، مايرهوف، ماكس، ابن التلميذ، دائرة المعارف الإسلامية، مج١ ، ص٢٢٧.

[6] ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤ .

الأمراء بنصيحة الطبيب وانتظروا أسبوعاً كاملاً[1] وفي يوم الجمعه من شهر شوال سنة ٤٨٧هـ/نيسان ١٠٩٤م توفي السلطان محمود وتم دفنه في أصفهان عن عمر سبع سنوات وبضعة أشهر [2].

ثانياً: الصراع بين بركياروق وأفراد البيت السلجوقي الطامعين في السلطنة ويشمل:

١- الصراع بين السلطان بركياروق مع خاله إسماعيل بن ياقوتي بن داود[3].

استمراراً لسلسلة الصراعات والفتن التي واجهت السلطان بركياروق في بحثه عن السلطة كان خاله إسماعيل بن ياقوتي الطرف المنافس له، فأثناء صراع السلطان بركياروق مع اخيه محمود ووالدته تركان خاتون سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م، وبعد انتهاء بركياروق من محاصرته لأصفهان شعرت تركان خاتون بالفشل ومرارة الهزيمة فأخذت تبحث عمنّ يستطيع إيقاف مطامع بركياروق في السلطنة، وأخذ يجول في خاطرها المقربين والمنافسين وربما الأعداء له، فوجدت في إسماعيل بن ياقوتي ضالتها، خاصة وأنه كان قد حاول التقرّب منها في مرآت عديدة، فوجدتها تركان خاتون فرصة سانحة، فوعدته بالزواج منها إذا ما نجح بتخليصها من ابن أخته بركياروق[4] ولأجل تلك الغاية وفرّت له كافة التجهيزات المادية والحربية التي تكفل نجاح مهمتّه وعززّته بعدد من الأمراء منهم كربوقا[5]، وبالفعل فلم يتوانى اسماعيل بن ياقوتي لحظة في قبول العرض المقدّم، فسار على رأس جيش كبير العدد من التركمان وسار معهم أصحاب القائد سرهنك ساوتكين[6].

([1]) الراوندي،راحة الصدور، ص ٢١٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٢٣٤.

([2]) الراوندي، راحة الصدور،ص ٢١٩، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٥٧،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤.

([3]) إسماعيل ياقوتي: هو إسماعيل بن ياقوتي بن داود ابن عمّ السلطان ملكشاه وخال بركياروق، عينّه ملكشاه قبل وفاته على اذربيجان، قاتل بركياروق في الكرج وانهزم نواحي أصفهان، قتل سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م على يد رجال دولة بركياروق انظر الراوندي، راحة الصدور،ص٢١٨، الحسيني، زبدة التواريخ،ص١٥٦، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص ٢٢٤، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص ١٧.

([4]) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٥٦، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٢٤، اليزدي، العراضة، ص ٧٤.

([5]) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٨ ، ابن الأثير، الكامل، ص ٢٢٤.

([6]) سرهنك ساوتكين: أحد أتباع اسماعيل بن ياقوتي خال السلطان بركياروق، سار على رأس جيش كبير العدد من الخيول ،تعاون مع تركان خاتون وقوام الدولة كربوقا في قتال السلطان بركياروق، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٥٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤، اليزدي، العراضة، ص٧٤ .

أمّا بركياروق فحينما بلغه ذلك أسرع يعدّ العدّة فجمع الجيوش استعداداً للمواجهة مع خاله اسماعيل بن ياقوتي، والتقى الطرفان في منطقة الكرج[1] وذلك في مطلع صفر سنة ٤٨٦هـ/آذار ١٠٩٣م[2] وحينما بدأت المعركة كانت سجالاً بين الطرفين، واثناء ذلك إنحاز جمع من الأمراء من أتباع إسماعيل إلى بركياروق فدارت الهزيمة على إسماعيل بن ياقوتي وفرّ هارباً بنفسه ومن بقي معه من فلول جيشه إلى أصفهان[3].

ورغم الهزيمة التي مني بها جيش إسماعيل بن ياقوتي إلاّ أن تركان خاتون أبقت على العهد المتفق عليه بينهما واستقبلته بحفاوة بالغة وأكرمت نزله بدليل أنها خطبت له على المنابر ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ فحسب بل تجاوزه بأن سكّت نقوداً وضربت اسمه عليها بعد ابنها محمود بن ملكشاة سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[4].

وسارت الأمور بينهما كما هو مخطط لها واتسمت العلاقة بينهما بالودّ والمحبّة، وآلت الأمور بينهما للزواج، غير أن الأمير أنر مدبرّ وقائد جيش إبنها محمود وبقية الأمراء الآخرين كانوا يخشون وجود زوج قوي من الأسرة الحاكمة يتحكّم عليهم ويقضي على محمود، فأخذوا يكيدون له ، فاستشعر إسماعيل الخوف في صدره فآثر الابتعاد عن أصفهان نحو مكان أكثر أمناً واستقراراً[5].

وعلى كل الأحوال فقد وجد إسماعيل بن ياقوتي في الريّ ملاذاً آمناً له، ذلك أن أخته زبيدة خاتون "والدة السلطان بركياروق" كانت تقيم هناك، وقبل الذهاب إليها راسلها وأجابت على ما يبدو بالقبول رغم ما بدر منه من تدبير وتخطيط ضدّ ولدها بركياروق[6]، وحدث ما لم يكن بحسبان

---

(1) الكرج: بفتح أوله وثانيه، وآخره جيم، وهي فارسية وأهلها يسمونها كره، مدينة بين همذان وأصفهان في نصف الطريق وهي إلى همذان أقرب، كثيرة الجبال، الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص ٤٤٦.

(2) الراوندي، راحة الصدور ، ص ٢١٨، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٥٦.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤، ابن خلدون، العبَر، ج٥، ص ١٧.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ٣٠-٣١. اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٦٥، انظر لوحة رقم (٥) .

(5) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٦، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٢٤.

(6) الراوندي، راحة الصدور،ص٢١٨،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤.

إسماعيل بن ياقوتي بسبب وجود الأمراء آقسنقر وكمشتكين الجاندار[1] وبوزان[2] إذ كانوا جميعهم في الريّ ومن سوء طالعه أن ألتقى بهم هناك وحدثّهما بسرّه ونجواه وقصته مع ابن أخته السلطان بركياروق فما كان منهم حين سمعوا القصة إلاّ وأن استشاطوا غضباً لما يكنوّه للسلطان بركياروق من محبةّ وتقدير، ولما للعُرفُ القبلي من أحكام في توليّ الأبن الأكبر مقاليد الحكم بعد أبيه، فقرروا قتل اسماعيل بن ياقوتي[3] وكان ذلك في شهر رمضان من سنة ٤٨٦هـ/تشرين الأول سنة ١٠٩٣م، وعندما علمت والدة السلطان بركياروق خبر مقتل أخيها إسماعيل بن ياقوتي وسوء نيته تجاه ولدها سكتت ولم تعلّق شيئاً ، فإسماعيل أخيها وبركياروق ابنها [4].

وتساؤلنا هنا عن ماهيةّ الأسباب التي دفعت تركان خاتون للتحالف مع إسماعيل ياقوتي ضد أحد المقربين له وهو ابن اخته؟

وبالمزيد من التحليل التاريخي الدقيق لأوضاع الدولة السلجوقية في تلك الفترة أمكننا معرفة أسباب التحالف وتتمحور النقاط الأساسية في ذلك التحالف بدور كبار أسرة آل سلجوق وهم أخوة ملكشاه: بوري برس، أرسلان أرغون وكانا يميلان للسلطان بركياروق، بينما كان تاج الدولة تتش و إسماعيل بن ياقوتي ضد السلطان بركياروق، وكان إسماعيل يحظى بأهمية كبيرة بسبب قيمة إقطاعه الكبير في أذربيجان وسمعته الطيبة بين صفوف عساكر الجيش السلجوقي، أمّا تاج

([1]) آقسنقر: هو أبو الفتح بن عبدالله، التركي الحاجب مملوك السلطان ملكشاه، وهو جد نور الدين زنكي، أميراً تركياً ولاّه ملكشاه على حلب عام ٤٨٠ هـ /١٠٨٨م ومنحه لقب قسيم الدولة، فأحسن فيها السياسة وأقام الهيبة ، وجمع الذعّار، وأفنى قطاع الطرق، وفي أيامه جددّ عمارة منارة حلب في سنة ٤٨٢هـ/١٠٩٠م وقصدها التجّار والجلابين من كل مكان ورغب الناس في الإقامة بحلب للعدل الذي أظهره قسيم الدولة فيها ،انضمّ بعد وفاة ملكشاه إلى ابنه بركياروق ضد تاج الدولة تتش، قتله تتش سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م، كان شجاعاً عادلاً، منصفاً، وكان الملوك السلاجقه يحترمونه، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٤٩، ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين بن أبو جرادة العقيلي (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ج٢، ١٩٨٨، ص ٢٣٣- ٢٣٤، وسيشار إليه : ابن العديم، بغية الطلب، الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٩، ص١٢٩، ٤٥٨، للمزيد انظر، اليافعي، مرآة الجنان،ج٣، ص ١٠٩.

([2]) بوزان: الأمير عماد الدين او مؤيد الدولة، من معاوني السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ولاّه حرّان والرها سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م، قتله تاج الدولة تتش سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٤.

([3]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤.

([4]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٤، ابن خلدون، العبر، ج٥ ، ص٣١.

الدولة تتش فكان إقطاعه في بلاد الشام أكبر إلا أنه غير محبوب داخل الجيش، فلذلك نجد أن تركان خاتون تحالفت مع إسماعيل بن ياقوتي .

٢- الصراع بين السلطان بركياروق وعمّه السلطان تاج الدولة تتش

في أعقاب وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، أخذت دائرة التنافس على اعتلاء السلطنة السلجوقية في التزايد، فما أن طالبت تركان خاتون بالسلطنة لابنها محمود، حتّى تبعها اسماعيل بن ياقوتي مطالباً ابن أخته بالسلطنة ووصل الأمر بينهما للقتال، وقد أشارت الدراسة لذلك سابقاً، ثمّ ما انتهى السلطان بركياروق من الصراع معهما، حتّى أطلّ السلطان تاج الدولة تتش حاكم دمشق وما جاورها من بلاد الشام برأسه مطالباً بالسلطنة هو الآخر سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[١].

ففي عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وأثناء وجود السلطان ملكشاه في بغداد وقبيل وفاته، قدم إليه أخوه السلطان تاج الدولة تتش ومعه قسيم الدولة آقسنقر البرسقي صاحب حلب، والأمير بوزان صاحب الرها،وأقاموا أياماً في بغداد، ولمّا أذن لهم السلطان ملكشاه بالانصراف والعودة لبلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة تاج الدولة تتش حتّى يستولي على ما للخليفة الفاطمي بساحل الشام من البلاد، فساروا جميعاً للشام[٢]، ونزل تاج الدولة تتش على حمص فحصرها وأخذها، وملك قلعة عرقة[٣] عنوة أيضاً.

وبعد وصول السلطان تتش نبأ وفاة أخيه السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤]حدّثته نفسه وطمع بالسلطنة [١] خاصّة وأن أبناء أخيه الأطفال محمود وبركياروق قد اختلفا وتقاتلا في

([١]) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٤٩، أبو شامة، الروضتين،ج٢، ص١٠١.

([٢]) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٠٢.

([٣]) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس، بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق،تقع في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة حصينة،الحموي، معجم البلدان، مج٤،ص١٠٩ .

([٤]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩-٢٢٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٥٠،أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٨٨ .

أصفهان[٢] وتطلّع تاج الدولة تتش بعد ذلك للسيطرة على أكبر قدر ممكن من مناطق بلاد فارس والعراق[٣] وبلاد الجزيرة الفراتية، ويبدو أن تطلعاته لم تأتي من فراغ حيث تتميز تلك المناطق بخصوبة تربتها وتنوعّ التضاريس ما بين سهول وأودية وأنهار عدة[٤]، وتحقيقاً لذلك فقد توجّه تاج الدولة تتش بعد ذلك إلى هدف آخر يحكم من خلاله القبضة على المنطقة بأسرها، ويفرض نفسه في السلطنة وكان ذلك الهدف السيطرة على منطقة نصيبين[٥] وقد حاصرها وتمتّ له السيطرة عليها عنوةً، وقهر أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً، ونهب أموال الناس[٦].

وبعد حشد السلطان بركياروق وعمّه تاج الدولة العدد الكافي من العساكر بدأ الإعداد والتجهيز للمواجهة المنتظرة بين الطرفين، وكان مع كل طرف جملة من الأمراء فهذا يعقوب بن آبق التركماني وأخيه يوسف بن آبق[٧] في معسكر السلطان تاج الدولة تتش[٨] بينما اجتمع أكابر

---

(١) ابو شامة، الروضتين،ج٢، ص١٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩، الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص١٠، المعاضيدي، خاشع، تاريخ الدولة الفاطمية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص ١٢٢، وسيشار إليه: المعاضيدي ، تاريخ الدولة الفاطمية .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥-٢١٦، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٣٨، أمين، حسين، تاريخ العراق، ص ١٠٠.

(٣) لمعرفة المزيد عن تقدم تاج الدولة تتش واستيلائه على المناطق وصولاً لمعركته ضد ابن أخيه بركياروق انظر ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٢١- ١٤٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩- ٢٤٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٥١-٤٦٥، ابن العديم، بغية الطلب ،ج٢، ص٢٣٣- ٢٥٦، زبدة الحلب، ج١، ص٣٢٥- ٣٣٤، المعاضيدي، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٠٠.

(٤) الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص ٢٢٤.

(٥) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على طريق القوافل التجارية من الموصل- الشام، بينها وبين الموصل مسير ستة أيام، الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٢٨٨.

(٦) ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين بن أبي جرادة العقيلي (ت٦٦٠هـ /١٢٦٢م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكّار، دار الكتاب العربي دمشق، ج١، ط١، ١٩٩٧، ص ٣٢٩، وسيشار إليه: ابن العديم، زبدة الحلب، ابو الفداء، المختصر ، ج٢، ص٢٨٩ - ٢٩٠، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ١٠، اليافعي، مرآة الجنان،ج٣، ص ١٠٨.

(٧) يعقوب ويوسف بن آبق: أحد الأمراء الذين كانوا في حلب وانضموا لجيش السلطان تاج الدولة تتش، وكان لهم تأثيرهم الكبير في جمع عدد من قبائل التركمان للسلطان تتش ، كما انهم واشتركا في حرب السلطان تتش ضد السلطان بركياروق سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م،انظر ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٣٨.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٢٣٤،١٠، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان، ج١٩،ص٤٦٥،.

الأمراء في جيش السلطان بركياروق ومنهم الأمير برسق[١] وكمشتكين الجاندار وغيرهم، وحدث أن هجم يعقوب بن آبق على معسكر السلطان بركياروق فهزمهم وهرب كثير من جيش بركياروق واتصلوا بعمّه تاج الدولة تتش[٢] وهرب السلطان بركياروق إلى أصفهان وكان بها أخوه محمود وحدث أن ماتت تركان خاتون ومات بعدها محمود، فانضمّ أتباع محمود للسلطان بركياروق، فقويت شكيمته وكثر عدده[٣] واستوزر السلطان بركياروق مؤيد الملك بن نظام الملك سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٤] وكان أكثر أبناء نظام الملك ذكاءً ودهاءً وفضلا وسماحة[٥].

ومن أجل جمع تأييد أكبر عددٍ من الأمراء والعساكر لصالح السلطان بركياروق، قام وزيره الجديد مؤيد الملك بخطوة ذكية، فقد أرسل لأمراء خراسان والعراق يطلبهم الانتقام لفريق بركياروق[٦]، وكان تاج الدولة تتش قد طلب من نفس الأمراء في خراسان والعراق الانضمام تحت لواء رايته غير أنهم كانوا مترددين بالقبول لميلهم لجانب بركياروق[٧]، إلاّ أن أمراء خراسان والعراق

([١]) برسق: أحد الأمراء السلاجقة الذين كانوا ضمن جيش بركياروق ضد عمه تتش، كان مقيماً في أصبهان وانضم للسلطان بركياروق توفي سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٩م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤،ومن المراجع الحديثة انظر السيد،عبد الفتاح، أمراء السلاجقة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ٢٠١٠،وسيشار إليه: السيّد، أمراء السلاجقة.

([٢]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٣، الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص١٠،ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٣.

([٣]) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٧.

([٤]) مؤيد الملك: أحد ابناء نظام الملك وأشهرهم، استوزره السلطان بركياروق ثم عزله وسجنه، قام بتحريض محمد بن ملكشاة ضد أخيه، قتل سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، برع كدبلوماسي وقائد،كان يعرف وبصورة ممتازة اللغة الفارسية والعربية ،عاش خمسين سنة، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦١، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٢٨، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق،ص٨٣، يذكره سبط ابن الجوزي بمؤيد الدولة، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١٦.

([٥]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٤، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٣، محمود، حسن، العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار العلم، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص ٤٨٦

([٦]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤، ابن خلدون، العبر ج٥، ص ٣٤.

([٧]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١٦، ابن خلدون، العبر، ج٥ ، ص ٣٤ .

وأمام مراسلة مؤيد الملك بن نظام الملك لهم وافقوا على الانضمام لجانب السلطان بركياروق[1] وفي تلك الأثناء التي كان فيها السلطان بركياروق يستجمع قواه وينظّم صفوفه كان تاج الدولة تتش قد توجّه للريّ مدعمّاً بعدد كبير من التركمان ووصل إلى همذان وفيها أراد أن يجمع أكبر قدرٍ ممكن من العساكر، فكتب لولده رضوان[2] يطلبه التحرّك على الفور من دمشق والانضمام إليه في الريّ[3]، وبالفعل لم يتأخرّ رضوان عن تلبية نداء والده فقدم ومعه نجم الدين إيلغازي[4]، والأمير وثّاب بن محمود[5] وجماعة من أُمراء العرب وأتراك حلب، إلا أنه لم يصل للريّ[6].

وكانت المواجهة العسكرية بين تاج الدولة وابن أخيه بركياروق بن ملكشاه يوم الأحد السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨ هـ / الخامس من نيسان سنة ١٠٩٥م[7]، وكان القتال في قرية يقال لها داشيلو على بعد ٦٠ كم من الريّ[8] وكان تتش في القلب وكذلك بركياروق[9]، وبدأ القتال بينهما وأخذ كل طرف يرمي الطرف الآخر، وينازل بعضهما البعض، وأثناء القتال بين الفريقين تقدّم بكجور وهو من أكابر الأمراء الذين كانوا في الأساس مع فريق تاج الدولة تتش، إلاّ أنه ولأسباب

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤.

(2) رضوان بن تتش: ابن تاج الدولة تتش بن ألب ارسلان، ولد في دمشق سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٣م ، ونشأ في حجر والده ، طلبه والده المساعدة والتعزيز في لقاء الري ضد بركياروق، تولى حلب بعد وفاة والده، كان ذميم السيرة، قرّب الباطنية إليه وبنى لهم دار دعوة في حلب توفيّ سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٣١٥، ابن كثير ،البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤٩ وما بعدها.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٠، ابن العديم، بغية الطلب،ج٢، ص٤١١، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٣٦.

(4) إيلغازي: هو نجم الدين ابن ارتق بن اكسب التركماني استولى على ميافارقين أمره تاج الدولة تتش بالمسير للعراق لتنظيم الأمور فيها، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج١، ص١٩٩.

(5) وثّاب بن محمود: أحد الأمراء التابعين لتاج الدولة تتش وابنه رضوان سانده في احتلاله للمناطق وفي خصامه مع السلطان بركياروق، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص١٦٧.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٨ .

(7) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٠، الحسيني، زبدة التواريخ ، ص ١٦٠-١٦١ ، ابن العديم ،زبدة الحلب، ج١، ص ٣٣٦ .

(8) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٠.

(9) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٧ .

عديدة قد تحوّل وانحاز لفريق السلطان بركياروق وذلك بسبب قتل تتش لأولاده حينما استولى على حلب وقتل آقسنقر سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م، فتقدّم بكجور هذا نحو بركياروق مخاطباً له قائلا:" قد قتل عمّك أولادي بين يديّ، وأنا قاتله لآخذ بثأري، فقال له بركياروق: افعل "[1].

فتقدّم بكجور نحو السلطان تاج الدولة تتش واقترب منه كثيراً، حتّى عاينه أمامه فضربه بالنشابة والقوس على ترقوته اليسرى من رقبته فوقع تتش مقتولاً[2]، ولم يقف الأمر عند ثار بكجور فقط، فكان لسنقرجه[3] ثأراً كذلك عند تتش فحزّ رأسه بالسيف انتقاماً منه، وقيل أن أحد مماليك الأمير بوزان صاحب الرها رماه بسهمٍ في ظهره فوقع تاج الدولة تتش على الأرض وهزم جيش تتش بالكليّة[4]، وعندما قتل تتش أتي برأسه إلى السلطان بركياروق[5] فأمر بإرسال رأسه لبغداد فحمله العساكر وطيف به في شوارع بغداد[6].

٣- الصراع بين السلطان بركياروق مع عمّه أرسلان أرغون [7]

كان أحد الطامعين بالسلطنة بعد وفاة أخيه ملكشاه، حيث كان مقيماً في بغداد لحظة وفاة ملكشاه[1] ورغم أنه كان مقرباً عند ملكشاة حيث أعطاه إقطاعاً بقيمة سبعة آلاف دينار في

---

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٦٧، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي(ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق : محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ، ج٥، ١٩٩٢، ص ١٥٣، وسيشار إليه : ابن تغري بردي ، النجوم .

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٣٣٦، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٠.

(3) سنقرجه: لم تشر المصادر التاريخية التي تمكنّت من الإطلاع عليها لترجمة اسمه، إلاّ أنّه وبالنظر لسيرة تاج الدولة تتش العدائية من خلال سيطرته على مناطق عديدة، وما تمخضّ عنها من سوء معاملة للأهالي فيها، يعتقد بأنه كان من الناس الذين ظلمهم تاج الدولة تتش، فقتله انتقاماً وثأراً.

(4) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص٢٤٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٧-٤٦٨، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٢٩٢، الدواداري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك (ت مت بعد ٧٣٦هـ/١٤٣٢م) كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق : سعيد عاشور ، د. ن، د. ط، ج٦، ١٩٧٢، ص٤٤٤، وسيشار إليه : الدواداري، كنز الدرر.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٧-٤٦٨، الهمذاني، رشيد الدين "الدولة" فضل الله بن أبي الخير بن علي(ت٧١٦هـ/١٣١٦م) جامع التواريخ، مج٢، ج٥، ص٥٨-٥٩.

(6) ابن العديم، زبدة الحلب،ج١، ص٣٣٦، الصفدي، الوافي بالوفيات ، ج١٠، ص ٢٣٤.

(7)هو أخو السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود، ولد بمدينة مرو ومعنى إسمه باللغة التركية أسد وتستخدم غالباً كأسم علم كاهن، كلود، مادة أرسلان، دائرة المعارف الإسلامية، مج٢، ص ٥٩٤ .

خراسان[٢] إلاّ أنه وبمجرد وفاة ملكشاه أفصح عن ما في داخله من الرغبة في الحصول على السلطنة سائراً على نهج الكثيرين من أفراد البيت السلجوقي، وتحقيقاً لهذه الرغبة توجّه أرسلان أرغون إلى خراسان فاستولى عليها ثمّ سارَ إلى همذان فاستولى عليها كذلك سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٣] طوعاً وأكمل المسير متجهاً نحو الشمال الشرقي ووقع اختياره هذه المرّة على نيسابور[٤] والتي حاول دخولها إلّا أن أهلها بذلوا جهداً كبيراً في الذود عنها فلم تخضع له[٥] وليس ببعيد عنها تملّك مرو وترمذ[٦] وقد ساعده في تملكّها صاحب شحنة مرو الأمير قودن[٧] بسبب ما كان يتمتّع بنفوذ واسع فيهما[٨].

وباستعراض المناطق التي استولى عليها أرسلان أمكننا ملاحظة أنه وبمجرّد وفاة السلطان ملكشاه توّجه أرسلان إلى المناطق التي هو أصلاً على دراية كبيرة فيها، حيث يبدو أنه كان يحظى بأتباع كثر في تلك المناطق، فكان مخططه الإنطلاق منها ليتمكّن إخضاع بقيّة المناطق لسيطرته .

إلّا أن هنالك ثمة تساؤل يفرض نفسه حول طبيعة القوة والنفوذ الذي مكّن أرسلان من إخضاع تلك المناطق لحكمه، وقد تكون القوة متمثلة بالحاشية والأمراء والموالي الذين كانوا يدينون

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٩، ص٢١٢، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٣٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٢، البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٣، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٦٢ ، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٩٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩ ص٢١٢، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص ٣٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢.

(٦) ترمذ: بفتح التاء وسكون الراء وكسر الميم: مدينة مشهورة من أمهات المدن، تطلّ على نهر جيحون من جانبه الشرقي، يحيط بها سور وأشواقها مفروشة بالآجر، الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص٢٦.

(٧) الأمير قودن: مسؤول الأمن في مدينة مرو، من مماليك السلطان ملكشاة بن ألب أرسلان، كان سبباً في تنكّر وتغيّر علاقة السلطان ملكشاه بالوزير نظام الملك الطوسي، مال لـ أرسلان أرغون وسلّم له البلد سنة ٤٨٥-٤٨٦هـ /١٠٩٢-١٠٩٣م، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢.

(٨)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٣، اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٧٠

لأخيه ملكشاه وله من بعده في بغداد بالولاء والطاعة، ولربما أنه قد ألمح لقوات تابعه له في خراسان بالتحرك نحو المناطق التي استولى عليها بمجرد وفاة أخيه السلطان ملكشاه، ومما يؤكدّ ذلك مخاطبة أرسلان أرغون لوزير بركياروق مؤيد الملك بن نظام الملك سنة ٤٨٦هـ /١٠٩٣م بأن يقرّوه حاكماً على منطقة خراسان التي كانت لجدّه داود من قبله[١]،غير أن ردّة فعل بركياروق ووزيره كانت الصمت المؤقت إلى حين الفراغ من صراعه المزدوج على جبهتين: الأولى ضدّ أخيه محمود وتركان خاتون، والثانية ضدّ عمّه تاج الدولة تتش،ومن أجل اقراره على خراسان عرض أرسلان أرغون على بركياروق أموالاً مقابل ذلك[٢] كما تعهّد بعدم منازعته على السلطة مطلقاً والاكتفاء بمنطقة خراسان ما عدا نيسابور[٣].

ونظراً لانشغال السلطان بركياروق، فقد حاول تهدئة الأمور واستمالة عمّه والسكوت عن تصرفاته لحين فراغه هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه لا يريد أن تتشتتّ قواه ضدّ قوة لا يراها مصدر خطرٍ كبير بالمقارنه مع زوجة أبيه تركان خاتون وعمّه تاج الدولة تتش، فآثر التريّث والانتظار لحين اتضاح الصورة.

مقابل ذلك فإنّ أرسلان أرغون وفي خطوة هدفها الأبرز كسب ولاء النظامية خاصة مع حالة العداء التي يكنونها لمجد الملك البلاسيني فقد قام باستوزار عماد الملك بن نظام الملك، ومع ازدياد الصلاحيات الممنوحه لمجد الملك القمّي البلاسيني وتحدثّه بالنيابة عن السلطان بركياروق وتسلّمه مهمّه التواصل والتحاور مع الأطراف السياسية الأخرى المناوئة للسلطان بركياروق، فإنّ ذلك الأمر لم يعجب أرسلان أرغون فقال ذات مرّه: "لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاسيني"[٤] وفي الحقيقة فإنّ صدور مثل تلك العبارات مشافهةً في رسالة للسلطان بركياروق تحمل في طيّاتها

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٢ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٣ ، السامرّائي، تأريخ الدولة العربية، ص ٢٤٦ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٦٣

تهديداً مبطناً وعدم رضا، مما أثار سخط وغضب السلطان بركياروق الذي قرّر عندئذٍ إرسال قوّة عسكرية لمعاقبة أرسلان أرغون[1].

وكانت تلك القوّة بقيادة عمّ السلطان بركياروق الآخر ويدعى بوري برس أو بوديرس[2] الذي يبدو أنه كان مقرّباً للسلطان بركياروق ويحظى بموضع ثقته والاّ ما كان قد سيرّه على رأس حملة تأديبية هدفها إيقاف أخيه أرسلان عند حدوده، ولم تتحدّث المصادر التاريخية في ضوء ما تمّ قراءته عن طبيعة الجيش وعدد عساكره، ولكن ومن غير المرجّح أن يكون كبير العدد وذلك لانشغال السلطان بركياروق في أمور عسكرية أخرى .

وعندما تمكّن أرسلان أرغون من الوقوف على قدميه من جديد، وجمع الحشود والمناصرين له في بلخ، سار ومن معه من عساكر إلى مدينة مرو وهناك قام جيش أرسلان بفرض حصار عنيف على المدينة، كما قاموا بتحطيم أبواب المدينة[3]، وقاموا كذلك بتخريب المدينة وقتل الأبرياء من سكّان المدينة[4]، وعندما سمع بوبرس بذلك نهض بعساكره من هراه متجهاً صوب أرسلان ارغون لقتاله مرّه أخرى[5] وفي هذه المرّه تلقّى بوبرس الهزيمة من أخيه بسبب الفارق في تعداد الجيش الذي استقدمه أرسلان أرغون ، فوقع أسيراً بين يديه سنة ٤٩٠ هـ/١٠٩٧ م[6].

وبعد وقوع بوبرس أسيراً، لم يطل الأمر كثيراً لدى أرسلان أرغون بالتخلّص منه، ولم يقف الأمر على ذلك فقط، فقد قام أرسلان بـ مصادرة أمواله وأموال وزيره عماد الملك والتي بلغت ثلاثمائة ألف دينار[7]، وحينما بلغ السلطان بركياروق نبأ مقتل عمّه بوبرس على يدّ عمّه الآخر أرسلان أرغون غضب غضباً شديداً، وقرّ ملاحقة عمّه ومحاربته مهما كانت النتيجة، وهذه المرّه

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٣-٢٦٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٦، اقبال ، تاريخ إيران، ص ٢٦٦ -٢٦٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٤) ابن خلدون، العبر،ج٥ ، ص٣٦، انظر كذلك اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٦٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٣-٢٦٤، ابن خلدون، العبر، ج ٥، ص ٣٦-٣٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٦٤.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٣٦-٣٧ .

فقد أرسل أخاه السلطان سنجر[1] أواخر سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م، بقوة عسكرية كبيرة يقودها الأمير قماج[2] كما وأرسل معهما وزيراً خاصاً للسلطان سنجر يدعى أبو الفتح[3] وقد اشترط السلطان بركياروق شرطاً عليه يضمن بقائه في الوزارة وهو النجاح في مساعيه في التخلّص من أرسلان أرغون نهائياً[4]، وتمّ الاتفاق كذلك على أن يتبعهما السلطان بركياروق بنفسه بجيش إضافي معززاً لهما إذا لزم الأمر، وكان تحسّب بركياروق من عمّه أرسلان أرغون مستنداً إلى معرفته المسبقه بشجاعته وعدم خوفه إضافة لما أصبح يضمّه من أتباع جدد كثر في المناطق التي استولى عليها في أعقاب وفاة السلطان ملكشاه [5].

ورغم إرسال تلك القوات العسكرية من طرف السلطان بركياروق، إلّا أنّه لم يحدث أي صدام عسكري بين الجانبين، ذلك أن القدر كان بالمرصاد لأرسلان أرغون، فعند وصول جيش السلطان سنجر ومن معه إلى دامغان[6] وصلهم خبر مقتل أرسلان أرغون على يد أحد غلمانه وذلك سنة ٤٩٠ هـ /١٠٩٧ م[7] أثناء وجوده في مرو[1].

([1]) سنجر: أبو الحارث أحمد سنجر بن ملكشاه بن ألب ارسلان سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر تلقب بالسلطان الأعظم معزّ الدين،خطب له بالعراقين واذربيجان،وأرمينية، ولد بسنجار في بلاد الجزيرة في رجب سنة ٤٧٩هـ /١٠٨٥ م ولاّه أخوه بركياروق على خراسان سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٧م، توفي سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧م، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٢٨، ابن الأثير، الكامل،ج١١، ص ٢٢٢، ابن خلكّان، وفيات الأعيان،ج٢، ص ٣٥٥–٣٥٧، الحنبلي، شذرات الذهب،ج٤، ص٣٣٥.

([2]) قماج: هو أتابك السلطان سنجر، عيّنه له السلطان بركياروق سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٧م حينما أرسله إلى خراسان لتأديب أرسلان أرغون، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٥، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٦٤،

([3]) أبو الفتح: هو علي بن الحسين الطغرائي، عيّنه السلطان بركياروق وزيراً لأخيه سنجر، كما أرسل مجموعة كبيرة من الجنود والأمراء، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢١، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٥.

([4]) النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٥–١٩٦ .

([5]) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢١ .

([6]) دامغان: بلد كبير بين الريّ ونيسابور، وهو قصبة قومس، يشتهر هذا البلد بكثرة الفواكه فيه، وعيون المياه العديدة، الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٣٣.

([7]) الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ١٣، انظر كذلك اليافعي،مرآة الجنان، ج٣، ص١١٥، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٣٥.

وبعد مقتل أرسلان أرغون المنافس القوي للسلطان بركياروق، أصبح الطريق سالكاً وخالياً من المنافسين، فاتجّه السلطان بركياروق للاستيلاء على خراسان(٢) وفور استيلاءه عليها أخذ جميع الأموال التابعه لأرسلان أرغون(٣) وعينّ أخاه سنجر والياً على خراسان(٤) كما وفرض سيطرته على منطقة ما وراء النهر وأقيمت له الخطبة بسمرقند وما حولها(٥).

إن أكبر المستفيدين من التخلصّ من أرسلان أرغون هو ابن أخيه السلطان بركياروق الذي تعززّت حظوظه دون وجود منافس له في منطقة خراسان من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التخلصّ من حاكم خراسان بهذه الطريقه يظهر وبما لا يدعو للشك هشاشة وضعف النظام السياسي لدى أرسلان أرغون، وإنّ خروجه وثورته على ابن أخيه لم تعدو كونها حركة تمردّ فقط .

ثالثاً: الصراع بين السلطان بركياروق مع أخيه السلطان محمد بن ملكشاه على تولي السلطنة

يعدّ هذا الصراع الذي وقع بين الأخوين: بركياروق ومحمد بن ملكشاه من أقوى وأطول الصراعات وأكثرها تأثيراً في تقرير مستقبل السلطنة السلجوقية ، فقد أمتدّ هذا الصراع على عدّة

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢١، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٦٥، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٢٩٦، اقبال، تاريخ إيران، ص٢٦٧ .

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٢.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٥، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٥، ص٦٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٥، ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفّر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، ، بيروت، ط١، ج٢، ١٩٩٦، ص ٩، وسيشار إليه: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٦٤، للمزيد عن سلطنة سنجر بن ملكشاه في خراسان حتى عام ٥٥٢هـ /١١٥٧م انظر الوزنة، يحيى حمزة عبدالقادر، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ٤٩٠-٥٥٢هـ/١٠٩٦- ١١٥٧م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤، انظر كذلك محيسن، سماح، دولة الأتراك السلاجقة عصر السلطان سنجر (٥١١-٥٥٥هـ/ ١١١٧-١١٦٠م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ج١٠، ص٢٢٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٥.

لقاءات مختلفة بلغ عددها خمسة، كانت بدايتها منذ أن خرج محمد بن ملكشاه عن طاعة أخيه بركياروق سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٨م – ٤٩٧هـ/١١٠٤م[١].

فبالرغم من المكانة والرعاية التي حظي بها محمد بن ملكشاه عند أخيه بركياروق إلا أنه محمد تمردّ على أخيه وطالب بالسلطنة[٢] فمنذ وفاة والدهما السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م، قام السلطان بركياروق وبعد انتهائه من أولى الصراعات ضدّ أخيه محمود بإقطاع أخيه محمد مدينة كنجة[٣] وأعمالها [٤] وقام السلطان بركياروق بتعيين أتابكاً لأخيه محمدّ يدعى قتلغ تكين[٥] أو محمد[٦].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص ٤٩٧، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٢٥.

(٢) كان أخوه من أبيه فقط، فوالدة السلطان بركياروق تدعى زبيدة خاتون ، بينما والدة السلطان محمد والسلطان سنجر تدعى خاتون السفرية، ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٢١٤، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧٠، انظر كذلك البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ،ص٨٣ وما بعدها .

(٣) كنجة: بالفتح، ثم السكون، وجيم، مدينة عظيمة هي قصبة بلاد آرّان تقع بين خوزستان وأصفهان ،وأهل الأدب يسمونها جنزة، الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٤٨٢، البغدادي، مراصد الاطلاع ، مج٣، ص ١١٨٠.

(٤) الاقطاع: وهو أن تمنح بعض الأراضي للأمراء والجنودأو من يكون في إقطاعه صلاحاً، والإقطاع قديم في الدولة وأصله أن الملك او الخليفة أو السلطان إذا فتح بلاداً وأراد استبقائها واستغلالها وزّعها على قادة الجند لديه مقابل حربهم وكأنهم أجرة لهم، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٦٠، ابن البلخي ، فارس نامه، ص١١، كاهن، كلود، تطوّر الاقطاع الإسلامي ما بين القرنين التاسع والثالث عشر، مجلة الاجتهاد، بيروت، ع ١، ١٩٨٨، ص١٩٣– ٢٣٩، ويشار إليه: كاهن، تطور الاقطاع، انظر كذلك زيدان،جورجي، تاريخ التمدنّ الإسلامي ، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، ج١، ١٩٨٠، ص٢٣٦.

(٥) قتلغ تكين: قتلغ او قطلغ كما يذكره ابن خلدون أو فيلغ كما يذكره النويري ، مربي تركي ينحدر من جذور غير عربية، جعله السلطان بركياروق يدبرّ امور أخيه محمد بن ملكشاه، قتله محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٢ هـ/١٠٩٩م ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص ٢٨٧ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٣٤١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٢٦.

(٦) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،ج١٩، ص ٤٩٣، ابن تغري بردي، النجوم،ج ٥، ص ١٦٠ .

ومرّت السنوات وكبر عزم السلطان محمد وقويت شكيمته، وكان أول ما قام به التخلص من أتابكه وأقرب الأشخاص إليه، وكان دافعه لذلك لربما التحررّ من الرقابة والقيود والوصاية المفروضة عليه، على إثر ذلك قام محمد بن ملكشاه بالاستيلاء على آرّان[1].

وخلال إقامة محمد بن ملكشاه في مدينة كنجة، قدم إليه مؤيد الملك بن نظام الملك وكلّه أملٌ بأن تفلح مساعيه هذّه المرّه بالانتقام من السلطان بركياروق لخلعه من الوزارة، وقد فشلت في المرّه الاولى مع الأمير أنر، وفور وصوله كنجة التقى بمحمدّ بن ملكشاه وحرضّه على العصيان والتمرّد ضدّ أخيه السلطان بركياروق[2]، وكان لعبارة قالها مؤيد الملك لمحمدّ بن ملكشاه أن تعطيه الدافعيه والحماس القوي لانتزاع السلطنة من أخيه فقد قال له بالحرف الواحد: " السلطنة تطلبك"[3] وتوافق هذا مع ظهور علامات الشجاعة والشهامة في شخصية محمّد[4] ممّا شجّعه فعلاً على الخروج والعصيان عن طوع أخيه .

وبالفعل استجاب محمّد بن ملكشاه لكلام مؤيد الملك وأخذ به، وعلاوة على ذلك قام بتعيينه وزيراً له[5] وهو بذلك يصيب هدفين مرّة واحدةً ، فهو من جهة يستغلّ معرفة مؤيد الملك بالسلطان بركياروق وخفايا الأمور في دولته، ثمّ أنّه من جهة أخرى يستفيد من تأييد النظامية المواليين لمؤيد الملك بن نظام الملك ويضمهم لصفوفه[6] والذين كانوا يكنّون التبعية والولاء للداهية

([1]) أرّان: بالفتح وتشديد الراء ،وألف ونون ولاية واسعه منها جنزة التي تسميّها العامة كنجة وبرذعة وشمكور وبيلقان ،بينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرسّ ،فما جاوره من جهة المغرب والشمال فهو من أرّان، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان وربّما سمّي كذلك بلد حرّان المشهور من ديار مضر، الحموي، معجم البلدان،مج١، ص٢١٥، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج ١، ص ٥٠ .

([2]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٧، اليزدي، العراضة، ص ٧٨ .

([3]) الحسيني، زبدة التواريخ ص ١٦١-١٦٢.

([4]) الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٦.

([5]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٠، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٦، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٦.

([6]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨، حسنين، سلاجقة ايران والعراق ، ص٩٣.

مؤيد ،وجاءت أولى خطوات إعلان العصيان بشكليه: الرسمي والواضح، حينما قطع محمد الخطبة لأخيه السلطان بركياروق من بلاد أرّان وخطب لنفسه بدلاً منه(١).

– الحروب بين الأخوين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه:

*** الحرب الأولى في الرابع من رجب ٤٩٣هـ / الخامس عشر من آيار ١١٠٠م(٢).**

اثناء جلوس السلطان بركياروق ومكوثه في بغداد بلغه خبر استعداد أخيه محمد لمواجهته وتضاعف أعداد العساكر والمؤيدين له من التركمان(٣)، فلم يتوانى عن الخروج من بغداد نحو همذان متخذاً طريقه نحو مواقع أخيه محمد فمرّ على موضع يقال له شهرزور(٤) وأقام به ثلاث أيام(٥) استطاع من خلال تواجده في شهروز باستقطاب جمع غفير من التركمان وغيرهم(٦) وكان ذلك على ما يبدو في محاولة لاظهار قوة الشخصية لدى منافسه وعدوّه أخاه محمد وأنه لا يقلّ عدداً وعدّة عنه.

وقد كانت تلك المعلومات التي وصلت للسلطان بركياروق عن أخاه محمد بواسطة رئيس همذان ويدعى سليمان الهمذاني، الذي كان يساند السلطان بركياروق، وقد نصحه هذا الأخير بمعاقبة كل الأمراء الذين مالوا لجانب السلطان محمد وتركوا السلطان بركياروق(٧)، غير أن المفاجأة كانت بعدم اكتراث السلطان بركياروق لذلك الأمر وكأنه قد وضع نصب عينيه هدفاً واحداً يتمحور بالقضاء على قوة منافسه غير أبه بإرشادات ومساعدات البعض له، فلم يأخذ

---

(١) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٧

(٢) ابن الجوزي، المنتظم ج١٠، ص ٤٤، الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٣، ابن الأثير ، الكامل ،ج١٠، ٢٩٤، يذكرها سبط ابن الجوزي في الرابع من جمادي الأخرة، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٠٣ ،الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج٥، ص٦٤، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ٥٠٢.

(٤) شهرزور: بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة بعدها زاي و واو ساكنة،وراء: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج ٢، ص ٨٢٢ .

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٨، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٢٩.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٨ .

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٩ .

بنصيحة رئيس همذان[1]، وقد أضحت المواجهة بالقتال بين السلطانين المتنازعين أقرب من أي وقت مضى، وقد أخذ كل واحد منهما بالتجهيز للموقعه، فهذا السلطان بركياروق قد مكث يجمع التركمان وغيرهم وذاك السلطان محمد قد ضمّ بين جنبات عسكره وكما تذكر بعض المصادر التاريخية نحو عشرون ألف مقاتل[2].

وإلى جانب ذلك العدد الكبير من العساكر في صفّ السلطان محمد كان يقف إلى جانبه وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك والأمير سرمز[3] وابن السلطان محمد إياز[4] عوضاً عن عدد كبير من الجنود والعساكر النظامية[5] كما انضمّ الأمير سرخو صاحب شحنة أصفهان لتلك الجموع ايضاً[6]. واتجهت الأنظار لموقع قريب من همذان يقال له إسبيذ روذ[7] حيث المكان الذي تجمهرت فيه جموع العساكر في الفريقين، ليبدأ اللقاء الأول بين الأخوين[8] يوم السبت الرابع من رجب سنة ٤٩٣هـ / ١١٠٠م[9].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٥، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص١٩٨،الذهبي ،تاريخ الاسلام، ص٢٢.

(3) الأمير سرمز: هو أحد الأمراء الذين كانوا خاصّة السلطان ملكشاه وتركان خاتون من بعده، وعمل شحنة أصفهان، أوصته تركان خاتون على حفظ المملكة لابنها محمود، وبعد وفاة محمود وتركان خاتون انضمّ سرمز للسلطان محمد، وحارب كثيراً معه ضد السلطان بركياروق كانت أولى المعارك سنة ٤٩٣هـ /١١٠٠م. ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٥، السيدّ، أمراءالسلاجقة، ص٩٤.

(4) إياز: من جملة مماليك السلطان بركياروق، ثم صار من أعظم الأمراء والأتابكة، كان شجاعاً حسن الرأي في الحرب، قتله السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م حينما تجرأ وعصاه راغباً بالسلطنة تحت رعاية ابن مولاه ملكشاه بن بركياروق، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٨٥ وما بعدها .

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٨ .

(6) ابن الأثير ،الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٨.

(7) إسبيذروذ: اسم لنهر مشهور من نواحي أذربيجان،مخرجه من عند نهر بارسيس ويصبّ في بحر جرجان، ويقع بالقرب من همذان ومعناه النهر الأبيض، جرى عنده قتال بين الأخوين بركياروق ومحمد سنة ٤٩٣هـ /١١٠٠م، ١٧٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤، الحموي، معجم البلدان، مج١، ص ١٧٢، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٠٠، انظر كذلك لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٥٦.

(8) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤، البنداري،مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٦ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٠٣، ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢، ص١٦٩

(9) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥،ابن العبري ،تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٢، انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج٥ ، ص١٦٣، اقبال ، تاريخ إيران، ص٢٦٨ .

وما أن مالت الشمس للاصفرار حتى توزّع كل صفّ من الجيوش المتقاتلة إلى ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب، وقد تمركز السلطان محمد رفقة مجموعة من الأمراء في القلب، فيما شغل ميمنته الأمير سرمز وكانت الميسرة من نصيب وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك ونفر من الجنود النظامية(١)، ومع انتظار كلا الجانبين بدء القتال، جاءت الشرارة الأولى حينما هجم سعد الدولة كوهرائين بخيله من ميمنة السلطان بركياروق على ميسرة السلطان محمد(٢) فهزم مؤيد الملك بن نظام الملك ومن معه وهربوا بعيداً (٣) ويبدو أن عساكر السلطان بركياروق ومن مع سعد الدولة اعتقدوا بان الهزيمة قد حلّت بعسكر السلطان محمد فقاموا بالإغارة على خيام مؤيد الملك ومن معه ونهبوها(٤) وبينما هم في ذلك أغار خيل السلطان محمد على أولئك الفرسان وهزموهم ونهبوا ما أخذوه من الخيام(٥).

تلى ذلك هجوم من ميمنة السلطان محمد على ميسرة السلطان بركياروق كان معها هزيمة نكراء للميسرة(٦) وحينما شاهد بقية العساكر في معسكر السلطان محمد ذلك تجمعتْ ميمنة السلطان محمد إليه في القلب وهجموا على السلطان بركياروق ومن معه وفرّ العساكر وانهزموا نهائياً(٧) ولم ينتهي الأمر بهذا السوء فقط، فقد حدث الأسوأ حينما قام سعد الدولة كوهرائين بملاحقة من انهزم من طلائع عسكر السلطان بركياروق في الجهة اليسرى، واثناء ملاحقته لهم كبا به فرسه وسقط

---

(١) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ٢٩٥

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٨، الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص١٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٨، انظر كذلك الذهبي، تاريخ الإسلام ،ص٢٢، للمزيد كذلك انظر ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٩ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٥ .

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥.

(٦)ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٩٥، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٩-٥٠.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٥، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٩-٥٠ .

على الأرض، فلم يتوانى أحد جنود السلطان محمد الخراسانين عن قتله وأخذ رأسه واضعاً إيّاه بين يدي السلطان محمد[1].

وقد وقع وزير السلطان بركياروق أبو المحاسن الدهستاني في الأسر، غير أن المفاجئ في الأمر هو حسن معاملة مؤيد الملك بن نظام الملك له وإحسانه إليه بل أنه وكما يروى بالغ في احترامه وتقديمه موضع التقدير بلغ بذلك أن أعطاه الفرش والكسوة وضمنّه عمادة بغداد وأعاده إليها[2]. وما بين قتيل وأسير تمكّن السلطان بركياروق من الهرب بصحبة خمسين فارساً فقط من أصل عشرة آلاف على الأرجح، فنجا بنفسه معهم وتوجّه نحو أصفهان ومنها إلى خوزستان[3]، وبينما السلطان بركياروق في خوزستان، فقد أخذ يستجمع قواه من جديد ويجمع المزيد من الجنود والعساكر استعداداً لأخذ الثأر من أخيه السلطان محمد وقد ساعده في تحقيق هدفه ذاك أمير يعرف بـ داذ الحبشي[4] الذي زودّه بعشرين ألفاً من الفرسان[5]، أمّا السلطان محمد بن ملكشاه فقد ابتهج بنصره المؤزرّ، وكانت أولى خطواته بعد ذلك إعادة الخطبة له في بغداد وكان سفيره ورسوله في ذلك وزير السلطان بركياروق المأسور أبو المحاسن، الذي قام بمهمتّه على أكمل وجه، فقد خاطب الخليفة بإعادة الخطبة للسلطان محمد وبالفعل تمتّ الخطبة له منتصف رجب سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[6].

([1]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥، للمزيد حول حياة ووفاة سعد الدولة كوهرائين انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥٠٤– ٥٠٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٩، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٠ .

([2]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٨، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٠.

([3]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٣٤٣.

([4]) أمير داذ الحبشي: هو داذ حبشي بن التونتاق أحد الامراء المستولين على خراسان وطبرستان وجرجان، كاتبه السلطان بركياروق بعد الهزيمة من أخيه محمد في الموقعة الاولى بينهما سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م يستدعيه وهو بدامغان ويطلبه العون في الرجال والعدةّ، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٦، انظر كذلك ابن خلدون، العبر ،ج٥، ص٤٩.

([5]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٧ ، انظر كذلك اقبال، تاريخ إيران، ص٢٦٨ .

([6]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥، ابو الفداء، المختصر، ج٢ ، ص٣٠٠ ، الذهبي، دول الاسلام، ج٢ ، ص ١٦، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٩ .

ومهما يكن من أمر، فإن الهزيمة التي لحقت بالسلطان بركياروق وإن كانت بسبب فارق العدد بين الجيشين وتحولّ الناس إلى جانب السلطان محمد خاصة من النظامية، إلاّ أن الملفت للنظر ذلك التحوّل في مواقف الأمراء والوزراء في كلا الجانبين فما الذي يدفع سعد الدولة كوهرائين صاحب شحنة بغداد للمقاتلة في صفوف السلطان بركياروق بعد أن كان من أشد المتحمسين للسلطان محمد والخطبة له ببغداد، كما هو الحال مع أبو المحاسن الدهستاني وهو الذي استوزره السلطان بركياروق، ثم ما لبث بعد أن وقع بالأسر بيد مؤيد الملك ومعاونيه أن يتحوّل بموقفه للدعوة والخطبة لصالح السلطان محمد في بغداد.

*** الحرب الثانية بين الأخوين السلطانين بركياروق ومحمد في الثالث من جمادي الآخرة سنة ٤٩٤هـ/ الخامس عشر من نيسان ١١٠١م(١).**

بعد هزيمة السلطان بركياروق في المواجهة الأولى التي جمعته مع أخيه السلطان محمد، وما نتج عنها من نصر معنوي للفوز بالسلطنة، توجّه السلطان بركياروق نحو مدينة الريّ وفيها خاطب من كان يعلم مسبقاً بنيتةّ دعمه ومساندته فجمع الجموع فيها وسار نحو اسفرايين(٢) وتواصل فيها مع الأمير داذ الحبشي وتوجةّ منها نحو نيسابور واجتمع مع عميد خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالي الجويني(٣) ومنها كانت وجهته التاليه نحو بلخ، ثم سار نحو جرجان ومنها إلى دامغان(٤) وخوزستان يجمع المزيد من الفرسان حتى صار عددهم نحو ثلاثة آلاف

---

(١) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٣.

(٢) أسفرايين بالفتح ثمّ السكون وفتح الفاء وراء وألف، وياء مكسورة وياء اخرى ساكنة: بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، سمّاها بعض الملوك لخضرتها ولنضارتها، الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٧٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٦،انظر كذلك البغدادي، مراصد الاطلاع، مج ١، ص٧٣.

(٣) ابو القاسم بن أبي المعالي الجويني: هو ابن إمام الحرمين، قتله بعض الإسماعيلية الباطنية بنيسابور سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٩م، ومات مسموماً، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٦، انظر كذلك ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٨.

(٤) دامغان: مدينة مشهورة تقع بين الري ونيسابور، تشتهر بكثرة البساتين والفواكه فيها، الحموي، معجم البلدان، مج٢،ص٤٣٣.

فارس[1] وتوجّه إلى أصفهان غير أنه لم يدخلها بسبب وجود أخيه السلطان محمد فيها[2]، الذي بدوره أيضاً أخذ يجمع المزيد من الموالين له، فقام السلطان محمد بمخاطبة أخيه سنجر للانضمام له وأمره بقطع الخطبة للسلطان بركياروق في خراسان[3].

وعلى أية حال فإنّ أمر المواجهه للمرة الثانية بين الأخوين بركياروق ومحمد أضحى أمراً وشيكاً، واقترب الفريقان أكثر من أصفهان وقد اجتمع للسلطان بركياروق عدداً كبيراً مقارنة بالموقعة الأولى تذكره بعض المصادر التاريخية بنحو خمسون ألفاً من الفرسان[4]، فيما يذكره البعض الآخر منها بنحو خمس وعشرون ألفاً[5]، ومن غير المستبعد أن يفوق العدد ذلك الرقم بكثير عطفاً على ما جمعه السلطان بركياروق من فرسان وعساكر بعد هزيمته في المرّة الأولى لا سيما خلال تجواله ما بين مدن الريّ وجرجان ودامغان وخوزستان وأصفهان[6]، فيما كان معسكر السلطان محمد قد وصل عدد أفراده من الجنود والعساكر نحو خمسة عشر ألفاً[7] وعلاوة على الفارق في عدد الفرسان في كلا الجانبين فإنّ كل المؤشرات كانت تشير لتفوّق السلطان بركياروق، حيث ينفرد المؤرخ ابن الأثير بوصف تفاصيل الموقف قائلاً: "أنه ما كانت المعركة لتبدأ حتى وصلت تعزيزات من همدان تضمّ أتراس وأحمال وأسلحة، جعلت من السلطان بركياروق يصليّ لله ركعتين شكراً وامتناناً"[8].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٨، يذكر النويري العدد بثلاثون ألفاً، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٩

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٨، انظر كذلك الذهبي، تاريخ الاسلام، ص٢٣-٢٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٠.

(3) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٢

(4) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٢،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٤، ابن العبري ،تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٣، الذهبي، تاريخ الاسلام، ص٢٤، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥١.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١٣ .

(6) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢٣.

(7) الحسيني، زبدة التواريخ ص١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٩، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥١.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤.

ومع انتصاف نهار الثالث من جمادى الآخرة سنة ٤٩٤هـ/ الخامس عشر من نيسان سنة ١٠١١م[١]في منطقة يقال لها عسكر مكرم بالقرب من نواحي خوزستان، حتّى بدأ القتال بين الجانبين؛ ليستمرّ يوماً كاملاً[٢] كان على ميمنة قلب السلطان بركياروق الأمير إياز وعلى ميسرته أبناء برسق[٣]، بينما كان معسكر السلطان محمد لا يخلو من وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك وعدد من الأمراء[٤] ومع اشتباك الفريقين في هذه المعركة فقد اقتتلوا قتالاً شديداً، قتل فيه عدد كبير من العسكر من الطرفين[٥] رغم أن كثيراً من العسكر في الفريقين كما يصف ابن الأثير كان يستأمن الطرف الآخر فيسلّم عليه ويحسن إليه[٦].

ولم يسلم مؤيد الملك بن نظام الملك وزير السلطان محمد من الهزيمة بل إنّهُ تم إلقاء القبض عليه أسيراً[٧]، وتختلف بعض المصادر التاريخيه في ذكر الطريقة والجهة التي أسر بها مؤيد الملك، فبعضها يذكر أن أحد غلمان مجد الملك البلاسيني هو من قام بأسره أخذاً للثأر من مؤيد الملك حينما قتل مجد الملك[٨]، بينما يذكر البعض الآخر أن من قام بأسر مؤيد الملك هم غلمان وفرسان السلطان بركياروق نفسه[٩] .

ومع اختلاف الجهة التي أسرت مؤيد الملك فإنّ الأمر سيّان، سواءً كان أحد غلمان مجد الملك أم فرسان السلطان بركياروق فالاثنان في مركب واحد ينصبون العداء لمؤيد الملك ومن معه،

---

(١) الحسيني، زبدة التواريخ،ص ١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤، النويري، نهاية الأرب ،ج٢٦، ص١٩٩، الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص١٧، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ١٩٩.

(٣) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٢٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٤ .

(٤) الفارقي، تاريخ الفارقي، ص١٢٤ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٤ .

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ٥١٣، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٦٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٤.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤، انظر كذلك سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥١٣، اليزدي، العراضة، ص ٧٩، للمزيد حول أسر مؤيد الملك راجع ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٦٥.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤، اقبال، تاريخ إيران، ص٢٦٩

(٩) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٦-٢٢٧ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٤، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ص٥١٣.

وحينما تم إحضار مؤيد الملك بين يدي السلطان بركياروق ، فإن الاعتقاد السائد لمن يعرف تفاصيل تلك العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين مؤيد الملك والسلطان بركياروق منذ أن نال شرف وزارته سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، ثمّ عزله من الوزارة وما ترتب عليه من تولد لحقد دفين تجسّد في أول الأمر تحريضه للطامعين بالسلطنة ضدّ السلطان بركياروق، ثمّ قتله لوالدة السلطان بركياروق في مدينة الريّ، يقضي بـ قتل مؤيد الملك وتقطيعه إرباً إرباً وهو ما كان متوقعاً وغير مستبعد بتاتاً، ولمعرفة ردة فعل السلطان بركياروق على كلّ ما فعله الوزير مؤيد الملك، تلقي بعض من المصادر التاريخية الضوء على ذلك؛ حيث يصف المؤرّخ ابن الأثير اللحظات الأولى بين مؤيد الملك والسلطان بركياروق قائلاً:

"عندما تمّ الإمساك بـ مؤيد الملك تم إحضاره مكتوفاً بين السلطان بركياروق فكانت ردة الفعل الأولى بسبّ وشتم مؤيد الملك، وتذكيره بما فعله تجاهه بدأ من سبّ والدة السلطان مرّه، ثمّ تشويه سمعة السلطان بركياروق بفعل شائعة أطلقها مؤيد الملك تنسب السلطان لمذهب الإسماعيلية الباطنية، مروراً بتحريض الأمير أنر ضدّه وتحريض السلطان محمد بالخروج عن طاعته، انتهاءً بقتله لزبيدة خاتون والدة السلطان بركياروق، وغير ذلك ومؤيد الملك بن نظام الملك ساكت لا يعيد كلمةً [1]، ورغم ما ذكره ابن الأثير من تفاصيل اللقاء بينهما يبقى في الأمر شئ مدعاة للجدل والحيرة وهو ما عرف عن السلطان بركياروق من رغبة كانت لديه باستيزاره بالرغم من كل قام به مؤيد الملك، مقابل مبلغ من المال[2] .

ويصف المؤرّخ اليزدي صاحب كتاب العراضة في الحكاية السلجوقية حال مؤيد الملك بعد الأسر ووقوعه بين يدي السلطان بركياروق محاولته إغراءه بالمال مقابل الوزارة قائلاً:" وحينما أمسكت يد القضاء بتلابيب مؤيد الملك وأوقعته في دوامة التعب والعناء وقيّدته بقيد البلاء، فأرسل

([1]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤ .

([2]) اليزدي، العراضة، ص٧٩ ، اقبال، تاريخ إيران ، ص ٢٦٩ .

في عاقبة الأمر رسالة إلى السلطان بركياروق يقول فيها " إذا عفا عني ملك العالم ومهر منشور الوزارة بخاتم عفونا عما سلف فإني أُرسل إلى الخزينة مائة ألف دينار من الذهب "[1].

ويؤكّد الراوندي ذلك بإشارة إلى ما جاء في مخاطبات ومراسلات جرت بين السلطان والوزير المأسور، حيث بعث مؤيد الملك رسالة للسلطان بركياروق يقول فيها:" إذا عفوت عني، أعطيتك مائة ألف دينار لكي تشرفنيّ بوزارتك "[2].

واستمراراً للغرابة بأشدّ درجاتها فقد وافق السلطان بركياروق على ذلك بيوم وتاريخ محدد يتمّ فيه استلام المبلغ وبالمقابل يحظى مؤيد الملك بالوزارة وقلم النيابة بمجرد تسلّم السلطان بركياروق المال[3]، ويظهر ذلك من خلال سيناريو بدأه مؤيد الملك بن نظام الملك بالانشغال وتجهيز المائة ألف دينار وذلك عن طريق قرض يأخذه من أصحاب الخزانة السلطانية[4].

وحدث أن وقع خلافٌ بين مؤيد الملك بن نظام الملك وبين أصحاب الخزانة جعل من تجهيز المبلغ في الموعد المحدد أمراً بالغ الصعوبة ،وفي اليوم التالي وبينما كان السلطان بركياروق يخلد للراحة في خيمته جرى حوار جانبي بين صاحب الطشت[5] وجماعة من الغلمان التابعين لخدمة السلطان، ظهر فيه استغراب صاحب الطشت من فكرة ورأي السلطان استوزار مؤيد الملك من جديد[6].

وكانت كلمات صاحب الطشت ذاك سبباً في استشاطة السلطان بركياروق غضباً وقتله لمؤيد الملك، حيث قال صاحب الطشت:" إنّ هؤلاء السلاجقة لا حميّة لهم، فإنّ شخصاً مثل مؤيد

---

(1) اليزدي، العراضة، ص ٧٩.

(2) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٧

(3) اليزدي، العراضة، ص ٧٩.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٧.

(5) صاحب الطشت او الطشتدار: وظيفة عرفت في العصر السلجوقي جاء اسمها من متوليها، يتولّى صاحبها عملية صبّ ماء الغسيل على السلطان بعد فراغه من الطعام،اليزدي،العراضة، ص ٨٠، القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة،ج٥،١٩٢٢، ص٤٦٩، وسيتمّ الحديث بصورة موسّعة عن هذه الوظيفة ضمن الوظائف السلطانية في الفصل الثالث من هذه الأطروحه بحول الله تعالى.

(6) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٧.

الملك استطاع أن يجلب على السلطان بركياروق البلاء، فحرّض ذات مرةّ عبد أبيه[1] على أن يطلب الملك لنفسه، ثمّ ذهب لكنجة وحرّض الأمير محمد ضدّ أخيه، ومع ذلك فإنّ السلطان يريد أن يستوزره ويعتمد عليه "[2].

وحينما سمع السلطان بركياروق ما قاله صاحب الطشت للغلمان خرج بقميصه من خيمته وطلب إحضار مؤيد الملك على الفور بين يديه[3] وكان الغضب يملأ وجه السلطان بركياروق فأمر بعصب عيني مؤيد الملك واجلاسه على كرسي[4]، وقام بضربه ضربة قوية بسيفه نفذت في رقبته[5] مردداً على لسانه "هذه بوالدتي"[6] وكأنة يقتصّ من مؤيد الملك بدم والدته التي قتلها بدمّ بارد، ومن شدةّ ما يحمله السلطان بركياروق على مؤيد الملك من حقدّ وكراهية استمرّ يضرب رقبته ورأسه معلّقة على كتفه حتى سقطت على الأرض فقطع عنقه[7].

وحينما سقط رأس مؤيد الملك على الأرض التفت السلطان بركياروق لحامل الطشت قائلاً: "ألا ترى الآن حميّة السلاجقة "[8]، وهكذا مات مؤيد الملك وقد قارب عمره خمسين سنة، وبقيت جثتّه هامدة على الأرض عدّة أيام، حتّى سأل الأمير إياز في دفنه فأذن لذلك، فحمل لتربة أبيه في أصفهان ودفن معه[9].

---

(1) يقصد الأمير عزّ الدين أنر، حيث كان مملوكاً للسلطان ملكشاه من قبل كما ذكرت سابقاً .

(2) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٨، اليزدي، العراضة، ص ٨٠ .

(3) ابـن الأثيـر، الكامـل، ج١٠، ص ٣٠٤، سـبط ابـن الجـوزي، مـرآة الزمـان، ج١٩، ص ٥١٣، ابـو الفـداء، المختصر، ج٢،ص٣٠١.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٨.

(5) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٨، الذهبي، دول الاسلام، ج٢، ص١٧.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٣ .

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٩، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٨، البنداري،مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٦-٨٧، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٩، ابن تغري بردي، النجوم ،ج٥ ، ص١٦٥، اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٦٩ .

(8) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٨ ، اليزدي، العراضة، ص ٨١.

(9) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٢.

ومن خلال ما تمّ استعراضه من حشد واستعداد وقتال بين الأخوين، يتبادر للذهن تساؤل حول دور العقلاء من العلماء والفقهاء وحتىّ الأمراء في تهدئة النفوس بين السلطانين، وفي ضوء ما اطّلعت عليه من مصادر تاريخية بخصوص ذلك، لم أجد الإشارة لمحاولة قام بها السلطان سنجر حينما حاول أن يتدخل بين الأخوين، فقد أرسل السلطان سنجر سلطان خراسان رسالة لأخيه السلطان بركياروق يسأله في محمد، فقال: "لا بدّ أن يطأ بساطي، فامتنع عليه محمد "[1].

ويبدو مما سبق رغبة مبطنةّ للسلطان بركياروق باتخاذ هدنة وصفح عما سلف إلاّ انها بشئ لا يذهب هيبة الأخ الاكبر وهو ما لم يتقبلّه السلطان محمدّ، ليستمر مسلسل المواجهات من جديد .

*** الحرب الثالثة بين الأخوين السلطانين بركياروق ومحمدّ بن ملكشاة في التاسع عشر من صفر سنة ٤٩٥هـ/ الثالث عشر من كانون الثاني ١١٠٢م[2].**

حينما علم السلطان بركياروق بمسير أخيه السلطان محمدّ من بغداد للقائه جمع عسكره، وسار نحو نهاوند لتتبعّ قوات أخيه محمد[3] فالتقيا سوياً بالقرب من مدينة روذراور[4].وقدكان الطرفين متقاربين في العددّ والعدةّ فقد كان يضمّا في جنبات كل معكسر نحو أربعة آلاف فارس[5]، وكان لا بد من خوض غمار معركة بينهما للتأكيد على قوة وسطوة طرف على آخر، فبدأت المعركة بينهما في أول النهار بالاشتباك بالأيدي، وقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً[6] وفي اليوم التالي كان البرد شديداً وقارصاً حال من اشتباك الجنود مرّة أخرى فلم يلتحما ثانيةً[7] وكأنّ البرد جاء في وقته حيث على ما يبدو بأن كلا الفريقين قد وصلا لحقيقة مفادها الملل من القتال وزهق

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٣، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٧.

(٤) روذراور: مدينة بالقرب من همذان ونهاوند مسافة ٣٥ كم تقريباً، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص ٣٣١،الحموي، معجم البلدان، مج ٣، ص٧٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٤١.

(٦) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٠٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٧.

المزيد من الأنفس والأرواح، يؤكد ذلك المؤرّخ ابن الأثير بإشارات عن خروج الرجل من فريق السلطان بركياروق لقتال آخر من فريق السلطان محمد إلاّ أنهما لا يقتتلا بل يأخذ كل منهما بمعانقة الآخر ويعود عنه[1]، والحقيقة فإنّ ما يثير الانتباه هنا تلك الرغبة المضمرة التي كانت في قلوب السلطانين: بركياروق ومحمد ومن ورائهما العساكر والجنود، وما عرف من رغبة قوية بالميل للمصالحة والهدنة عطفاً على ما خاضاه من حروب مزّقت وشائج القرابة والدّم بينهما، وبالفعل فقد اتفق الأخوة على الصلح[2] وكان ذلك برعاية ومبادرة من الأمراء وفق شروط تلبي رضا الطرفين[3].

الطرفين[3].

– الصلح الأول بين الأخوين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاة ٤٩٥هـ/١١٠٢م :

نظراً لما لحق الناس من ضرر ووهن وملل وتعطّل في الحياة[4] استدعتها المناوشات المستمرّة بين أبناء السلطان ملكشاه، وما ترتبّ عليها من هدر للأموال في إعداد وتجهيز الجيوش لمحاربة أبناء الجلدة السلجوقية الواحدة، فقد كانت المبادرة المبنية بالأساس على الرغبة الداخلية بالتوقف عن القتال .

وجاءت تلك المبادرة من طرف السلطان محمّد بن ملكشاه، حيث تقدّم الأمير بلدجي يرافقه الأمير بكراج[5] تقدمّا نحو نظرائهما في طرف السلطان بركياروق، حيث التقيا مع وزير السلطان أبو المحاسن عبدالجليل الدهستاني والأمير إياز وذلك من أجل البحث والتشاور في إمكانية التوصلّ لحلّ شامل وعادل يرضي جميع الأطراف بدون فرض شروط من طرف على آخر، والتوصلّ لنتيجة مرضية تنهي الخلافات التي بدأت بين الأخوة منذ خروج السلطان محمّد عن

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١. ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(2) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، انظر كذلك ابن خلدون ، العبر، ج٥، ص ٥٧، اقبال، تاريخ إيران ، ص٢٦٩،

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٥.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١.

(5) بلدجي وبكراج: أحد الأمراء في معسكر السلطان محمد بن ملكشاه، اللذان بادرا بالصلح بعد مشاورة السلطان محمدّ وجسّ للنبض من طرف السلطان بركياروق بالقبول، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١.

طاعة أخيه سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م، وقد توصلّ الطرفان المتحاوران إلى عقد الصلح بينهما[١] الذي عقد في الرابع من ربيع الأول سنة ٤٩٥هـ/ السابع عشر من ديسمبر سنة ١١٠٢م[٢]، وأسفرت بنود الصلح عن تقسيم للأراضي بين السلطانين السلجوقيّين، بشكل يضمن بقاء كل سلطان في مناطق نفوذه ، كما حددّ الصلح الفرق في اللقب والتسمية لكليهما، بالإضافة لنقاط وشروط أخرى تمثّلت بامتيازات ومراسم يحظيان بهما .

ويمكن إيجاز أهمّ ما تمّ الاتفاق عليه بين السلطانين بركياروق ومحمد فيما يلي:

١) فيما يخصّ حدود مناطق النفوذ التابعة لكّلٍ من السلطانين: بركياروق ومحمّد، فقد حاز السلطان بركياروق على عاصمة الدولة السلجوقية أصفهان وأعمالها وبغداد وما يواليها[٣]، أمّا السلطان محمّد فقد كانت مدن كنجة وآرّان وأذربيجان والموصل[٤] علاوة على ديار بكر التي كانت من نصيبه[٥] كما اشترط الصلح على السلطان بركياروق كذلك إمداد الملك محمد بالجنود إذا ما امتنع عليه أي منطقة ليضمّها لنفوذه[٦].

٢) وفيما يخصّ اللقب فيحمل بركياروق لقب" سلطان" معترف به، بينما محمّد فيلقبّ بـ "الملك"[٧].

٣) بالرغم بأنّ السلطان محمّد لم يتوّج بالسلطنة في أصفهان باعتراف الناس والنظامية هناك إلاّ أن الصلح قد أعطى الملك محمد الحقّ بضرب ثلاث نوبات من الطبل يومياً على بابه[١]

---

(١) الحسيني،زبدة التواريخ، ص ١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١، انظر كذلك، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(٢) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ ،ص ٧٦-٧٧ ، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١، الذهبي، دول الاسلام ،ج٢، ص ١٨، العبر، ج٢، ص٣٦٩ ، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧، اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٦٩ .

(٥) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ٥٢١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١.

(٦) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٣١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٦-٥٧، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٣١، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤،النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١، للمزيد انظر ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

وتتطرّقت بنود الصلح كذلك إلى ذكر عدم اعتراض السلطان بركياروق أخيه الملك محمّد في الطبل[٢].

٤) ومنعاً للتواصل الشفوي الذي قد ينشأ من جرّائه سوء للفهم في وجهات النظر بين الأخوين فقد نصّ الصلح إقراراً على أن يكون التواصل كتابياً فقط من خلال الوزراء في كلا الجانبين[٣] .

٥) ألّا يعارض أياً من السلطان والملك الجنود والعساكر بالانضمام لكلا المعسكرين إن أرادوا ذلك[٤].

٦) واختتم الصلح بنوده ومحاوره بأن يحلف كل طرفاً للآخر بالالتزام بما جاء في الصلح[٥] وعدم نكث ما جاء فيه جملة وتفصيلاً .

وقد انفضّ الطرفان وتفارقا بعد عقد الصلح بين الأخوين في مساء الرابع من ربيع الأول من سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م[٦]، وتفرّق العسكران وقصد كلُ أمير إقطاعه، ثمّ توجّه بعدها السلطان بركياروق نحو ساوة[٧] فيما كانت أسدا أباذ[٨] هي وجهة محمّد القادمة[٩]، وقد استمرّ سريان مفعول الصلح بين الأخوين بضعة أشهر[١٠] حيث تمّ نقض العهد[١١] ذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠، ص٥٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦ ، ص٢٠١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(٢) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٢٩، ابن خلدون ، العبر، ج٥، ص٥٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٩، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦٢، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(٥) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٣٣١، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤.

(٦) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص ٣٣١ ، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٠١،ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٨،

(٨) أسد أباذ: بفتح أوله وثانيه: مدينة بالقرب من همذان ، نُسب إليها جماعة من أهل العلم والحديث منهم أبو عبدالله الزبير بن عبدالواحد الأسداباذي الحافظ ، الحموي، معجم البلدان ، مج١، ص٢٣٤.

(٩) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٧.

(١٠) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٢.

(١١) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١.

هو من قد بدأ بنكث العهد[1] ولم يوفِ بما عقّد عليه الإيمان بين الطرفين[2] فقد ندم السلطان محمّد أثناء عودته إلى أسد أباذ ومنها إلى قزوين، لعقد الصلح، ونسب من كانوا سبباً في عقده إلى الوهن والضعف والخديعة والمخامرة[3]، وقام بقتل الأمير كما قام بسمل وكحل الأمير أيتكين وهما أحد الأمراء التابعين له[4] وقرّر فسخ اعترافه بأخيه السلطان بركياروق سلطاناً كما جاء في الصلح[5] وتوجّه إلى أصفهان، وحينما علم السلطان بركياروق بذلك قرّر ملاحقة أخيه محمّد الذي ذهب لقزوين ومنها إلى أصفهان[6].

*** الحرب الرابعة بين الأخوين بركياروق ومحمّد في التاسع من جمادي الأولى سنة٤٩٥هـ[7]/الثامن من آذار ١١٠٢م**

كان من أسباب هذه المواجهة الرابعة بين الطرفين فسخ السلطان محمد للصلح الذي عقد بين الأخوين، فبعد توجهه لقزوين قام السلطان محمّد بن ملكشاة بالذهاب إلى أصفهان، إلاّ أنّه وقبل وصوله إليها كان السلطان بركياروق في أثره، ثم وصلت عساكر السلطان محمّد إلى إقليم الجبال، فلحقه السلطان بركياروق برجاله، لتحط رحال العسكرين في مدينة الريّ[8]، وقد جاء السلطان بركياروق مصمماً على قتال أخيه بجيش كبير، بلغ تعداده نحو عشرة آلاف فارس[9] فيما لم تقلّ قوات السلطان محمّد عن هذا العدد كذلك[10]، ووقع القتال بين الطرفين في التاسع من جمادي الأولى سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م، وبدأ كل فريق بالتمركز في موقعه استعداداً للمواجهه، وكان

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٥٦، الذهبي، دول الاسلام،ج٢، ص١٨.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ٥٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٢.

(3) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٣١ -٣٣٢، ابن خلدون، العبر، ج٥،ص٥٨، إقبال، تاريخ إيران، ص٢٦٩.

(4) وهم من أكابر الأمراء الذين ساندوا السلطان محمد منذ بداية خلافه مع السلطان بركياروق سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٢، الذهبي، دول الإسلام، ج٢،ص١٨.

(5) اقبال ، تاريخ إيران، ص٢٦٩.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢١.

(7) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٨ ، الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٤ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٢.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٢، الذهبي، دول الإسلام ،ج٢، ص١٨

(9) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص ٣٣٢،

(10) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٢، ابن خلدون، العبر ،ج٥، ص٥٧-٥٨.

سرخاب بن كيخسرو[1] في صفّ السلطان بركياروق، فيما كان ينال بن أنوشتكين الحسامي في صفّ السلطان محمد[2]، وقد بدأت المواجهة قوية، هجم فيها عساكر الأمير سرخاب على ميمنة الأمير ينال ملحقاً بها الهزيمة وتبعه معظم العساكر بالهجوم كذلك فألحقوا بهم الهزيمة[3] ولم يطل الانتظار كثيراً من اجل حسم نتيجة المعركة، أو حتّى من أجل انتظار ردّ فعل من عساكر السلطان محمد، إذ سرعان ما تفرّق جمع السلطان محمّد وتناثروا وحلّت بهم الهزيمة[4] مولينّ الأدبار نحو طبرستان[5] ولم تسلم خزائن السلطان محمّد وحاشيته من السلب والنهب، حيث كان فرسان السلطان بركياروق لذلك بالمرصاد[6] ولم يقتل في تلك المواجهة سوى رجّلٍ واحد فقط[7].

وبعد هزيمة السلطان محمّد في المواجهة الرابعة مع أخيه السلطان بركياروق في جمادي الأولى ٤٩٥هـ /١١٠٢م هرب إلى مدينة أصفهان وتفرقّ البقية من الطرفين نحو مدينة قزوين[8].

*** الحرب الخامسة والأخيرة بين الأخوين بركياروق ومحمّد في جمادي الآخرة سنة ٤٩٦هـ/آذار سنة ١١٠٣م[9].**

بعد هروب السلطان محمّد بن ملكشاه من أصفهان في أعقاب حصار أخيه السلطان بركياروق له سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م، اجتمع في المدينة عدد من المفسدين الذين كانت غايتهم

---

(1) سرخاب بن كيخسرو الديلمي: استدعاه السلطان بركياروق بعد نقض السلطان محمّد الصلح سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢م، للوقوف إلى جانبه، فأحضر معه عدد من الفرسان من منطقة آبة ،وكان له دور بارز في هزيمة السلطان محمّد في المواجهة الرابعة بين الأخوين، انظر ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٣٢ ، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٨.

(2) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٣٢، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٧١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٨ .

(3) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٣٣٢، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٨، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٤.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٨ ، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٢، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١، انظر كذلك الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٨، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ١٣.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٢ – ٣٣٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٨.

(6) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣- ٣٣٣..

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص ٣٣٢- ٣٣٣.

(8)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٨.

(9) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٨، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤.

الأساسية السلب والنهب مستغلين اضطراب الأوضاع الأمنية والحرب بين الأخوين، وكان عددهم كبير جداً ذكره المؤرخ ابن الأثير بحوالي مائة ألف، فقام أولئك بالزحف إلى أصفهان وبلدها القديم شهرستان، وطموّا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور، فلمّا شاهدهم أهل البلد قاتلوهم ودافعوا عن حريمهم وأولادهم وأموالهم، إلى أن عاد المفسدون عن المدينة وانتهى أذاهم[١] وقد كانت همذان محطتّه القادمة، وقد جاء اختيارها لخصوية تربتها وكثرة البساتين وغلاّتها الوافرة كذلك لكثرة ينابيعها من جهة ووجودها في إقليم الجبال مما يسهل الاختباء عن ملاحقيه من جهة أخرى[٢] لا سيما وأن عساكر أخيه السلطان بركياروق كانوا في ملاحقته، ولم يمكث غير بعيد فيها حتّى وصله الأمير غزغلي[٣] من كنجة وكان مقيماً للخطبة فيها للسلطان محمّد، ولم يكن الأمير غزغلي وحده بل كان يرافقه أحد أبناء نظام الملك، ويدعى منصور وابن أخيه محمّد بن مؤيد الملك[٤] فالتقوا به في همذان وأسهبوا له بالشرح عن محاولتهم اللحاق به في أصفهان وعلمهم بعد ذلك بخروجه منها ماراً بساوة ثم منها إلى همذان، ففرح السلطان محمّد بقدومهم ليكونوا بمثابة الدعم المعنوي الكبير له، وليزداد أعداد المناصرين له بوصولهم، فقد بلغ العدد نحو ستةّ آلاف فارس[٥].

وبينما هم في أمر مشورتهم، وصلهم خبر ملاحقة السلطان بركياروق لهم[٦] فقرروا المسير نحو شروان[٧]، والتي على ما يبدو كانت تعجّ بمناصرين وأتباع جدد للسلطان محمّد ، وأثناء المسير نحو شروان، توقفّ السلطان محمّد وأتباعه في منطقة فسيحة تدعى أردبيل، وقد وجدها

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦،ص٢٠١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٦، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٢٩ .

(٣) الأمير غزغلي: هو مقدمّ العساكر في كنجة وبلاد آرّان كان قد استعمله السلطان محمّد فيها وامر بالخطبة للسلطان محمّد هناك، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٥٩ .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٦٦.

(٧) شروان: إقليم كبير المساحة بالقرب من قزوين، يقع إلى الجنوب من باب الأبواب، انظر ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٣٦٠، الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢٤٥، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٦،لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢١٤.

ملائمة للاستعداد والوقوف على أعلى مستويات الجهوزية لقتال أخيه السلطان بركياروق، وبينما هو في أردبيل بالقرب من أذربيجان، وصلته رسالة من الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتي[١] يحث فيها السلطان محمّد على ضرورة اجتماع كلمتهم في قتال خصمهم المشترك وهو السلطان بركياروق[٢]، وبينما كان السلطان محمّد والملك مودود بن اسماعيل يعدّان العدّة لقتال السلطان بركياروق، حدث أن مات الملك مودود بن إسماعيل في الخامس عشر من ربيع الأول سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٣م[٣]، ونظراً لتقارب وجهات النظر بين السلطان محمّد والملك مودود فقد انحاز عساكر وأمراء الملك مودود بجلهّم للسلطان محمّد[٤] وكان في مقدمتهم سكمان القطبي وجمع آخر من الأمراء[٥]، وسار الجميع مع جيش السلطان محمّد وعساكره نحو باب دوين[٦] ومنها إلى منطقة تدعى باب خوى[٧]، وأخذ الجمع ينتظر وصول عساكر وفرسان السلطان بركياروق، الذي ما أن سمع اجتماع كلمة السلطان محمّد والملك مودود حتّى سار بفرسانه التي لم تُشر المصادر التاريخية إلى عددهم، إلّا أنّه ومن المرجّح أن يكون عددهم كبيراً عطفاً على ما حققّه من انتصار في

---

(١) الملك مودود: هو ابن خال السلطان بركياروق ، له ثأر مع السلطان بركياروق في والده إسماعيل، حينما قتله اتباع بركياروق في بداية دولة السلطان بركياروق سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م ، وشقيقته هي زوجة السلطان محمّد بن ملكشاه، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠، ابن خلدون، العبر ، ج٥، ص٦٦.

(٢) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٦ .

(٤) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، انظر كذلك ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٣٦٠، ابن خلدون، العبر، ج٥،ص٦٦.

(٥) سكمان أو سقمان القطبي: امير خلاط وهو أحد مقدمي عساكر الملك مودود بن إسماعيل بن ياقوتي في أذربيجان، انضمّ للسلطان محمد بن بعد وفاة الملك مودود وأتى بمحمّد بن ياغي سيان ووالده صاحب أنطاكية وقزل – نزل أرسلان بن السبع الأحمر وغيرهم من أتباع الملك مودود في أذربيجان، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٠.

(٦) باب دوين: مدينة مشهورة من نواحي أذربيجان تشتهر بوفرة المياه فيه والبساتين الخضراء، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٥٥.

(٧) باب خوى: مدينة مشهورة في أذربيجان يتميزّ بكثرة الالتواءات الجبلية فيه، جرت فيه المعركة الخامسة بين الأخوين بركياروق ومحمّد سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م، الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٣٤٥، لسترنج، بلدان الخلافة، ص٢٠١.

الموقعة الرابعة ثم ما جمعه من أنصار في أصفهان في أعقاب محاصرتها، وفي يوم الأربعاء[١] الموافق للثامن من جمادي الأخرة سنة ٤٩٦هـ / التاسع عشر من آذار ١١٠٣ م، وبدأ القتال بين الفريقين واستمرّ حتّى الساعة الأخيرة من العشاء[٢]، ونظراً للفارق الكبير في عدد الفرسان والمقاتلين، وربما للروح المعنوية العالية التي يتمتّع بها أتباع السلطان بركياروق فقد كانت الغلبة للأخير على حساب أخيه السلطان محمّد[٣].

حيث قام الأمير إياز بالتوغلّ من ميمنة السلطان بركياروق بعددٍ كبير من الفرسان يفوق عددهم الخمسمائة[٤] إلى قلب معسكر السلطان محمّد ليحيط به ومن معه من فرسان وعددهم آنذاك لا يتجاوز المائة[٥] لتكون النتيجة هزيمة السلطان محمّد للمرّة الرابعة[٦]، وفي أعقاب الهزيمة توجّه السلطان محمّد إلى موضع بالقرب من أخلاط أو خلاط يقال له أرجيش[٧]، فيما كانت قوات

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٦١.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٨، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٣٦١، ابوالفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٥، ويذكر النويري في نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٠١ أن السلطان محمد انتصر في المعركة التي جرت سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م، انظر كذلك الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٩، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٤، انظر أيضاً حلمي، السلاجقة ،ص٥٠-٥١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩، ص٤٧٤.

(٦) كانت أول المعارك بين الأخوين سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م والخامسة سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢ انتصر في أربع منها السلطان بركياروق يذكرها ابن الأثير مرتبة حسب السنوات ،غير أن الراوندي ذكرها غير مرتبة، انظر الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٧٢، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٣.

(٧) أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينية بالقرب من خلاط ، وأكثر أهلها من النصارى، انظر الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٥، الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٤٤، ابن الأثير،الكامل ، ج١٠، ص٣٦١، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٩، للمزيد انظر لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٦.

السلطان بركياروق تتقدم نحو جبلٍ كثير العشب والماء بين مراغة وتبريز[١] وكان ذلك بقصد الراحة ثمّ توجّه منها إلى زنجان[٢].

وفي الواقع فإن تلك الحروب التي جرت بين الجانبين قد أنهكت قواهما، فتهالك عزمهما، بالإضافة إلى أن السلطان بركياروق، أدرك ضعف السلاجقة وعدم قدرتهم على إحراز النجاحات الكبيرة[٣]؛ كما أن تلك النزاعات وكما وجدها وشعر بها السلطان بركياروق قد أدّت إلى انتشار الفساد والاضطرابات في أصقاع الدولة السلجوقية، ومما زاد الطين بِلّة موقف الخليفة العباسي المستظهر بالله حامي حمى الديار الإسلامية، الذي كان يقف موقف الحياد السلبي، فيوافق على الخطبة للسلطان الأقوى والمنتصر فيمن يصل إلى بغداد أولاً[٤].

ومن خلال ما تمّ التطرقّ له من نزاعات بين أبناء السلطان ملكشاه نكون قد أسدلنا الستار في الحديث عن خمس مواجهات عسكرية، استهلكت الوقت الطويل في القتال بدلاً من الإصلاح والإعمار في جميع أرجاء الدولة السلجوقية، واستنزفت الكثير من الأموال التي كانت من الممكن أن تستثمر في مشاريع تفيد الناس والفقراء بدلاً من الجوع والفقر، لذلك كلّه فقد جاءت المبادرة من السلطان بركياروق، حيث أرسل وفداً رفيع المستوى من العلماء والفقهاء والقضاة[٥] لمخاطبة أخويه محمّد وسنجر طلباً للمصالحة[٦]، وذلك إيماناً منه بسوء ما وصل إليه الحال في كافّة أنحاء الدولة السلجوقية وفي كافة المجالات السياسية الاقتصادية والاجتماعية، والدليل على ذلك ما ذكره

---

(١) مراغة: بلدة مشهورة، من أعظم بلاد أذربيجان، تشتهر بأسوارها وحصونها العالية ،الحموي، معجم البلدان، مج٥،ص٩٣.

(٢) زنجان: بلد مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، بالقرب من أبهر قزوين، وهي اليوم في إيران، بلدة كبيرة، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦١، الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص١٥٢، انظر كذلك لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية ، ص٢٥٦

(٣) حلمي، السلاجقة، ص ٥٣، أمين، تاريخ العراق، ص٨٢.

(٤) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١،ج٤، ١٩٩٦، ص٤٠، وسيشار إليه: حسن، تاريخ الإسلام السياسي .

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٢، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٣٧٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٥، الترمانيني ، أحداث التاريخ ،مج٢، ص١٥٤٠ .

(٦) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٧٠ ، ابن خلدون ، العبر، ج٥، ص٦٨ ، ابن تغردي بردي، النجوم، ج٥، ص١٩٧.

المؤرّخ ابن الأثير واصفاً حال البلاد قائلاً: "إن الحروب تطاولت بينهما، وعمّ الفساد، فصارت الأموال منهوبة، والدماء مسفوكة، والبلاد مخربّة، والقرى محرّقةً، والسلطنة مطموعاً فيها، محكوماً عليها، وأصبح الملوك مقهورين، بعد أن كانوا قاهرين، وكان الأمراء الأكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكّمهم، وانبساطهم، وإدلالهم"(١).

– الصلح الثاني بين الأخوين بركياروق ومحمد سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٤م :

جاء هذا الصلح بـ مبادرة من السلطان بركياروق رغم أنه من انتصر في أربع مواجهات سابقة جمعته بأخيه السلطان محمّد، تختلف بعض المصادر التاريخية في تحديد الموعد الذي أقيم فيه الصلح الثاني بين الأخوين فبعضها يرجعه إلى ربيع الأول من سنة ٤٩٧هـ /كانون الثاني ١١٠٣م(٢) والبعض الآخر يرجعه إلى ربيع الثاني من نفس السنة(٣)، والبعض الآخر اكتفى بذكر السنة دون الإشارة إلى الشهر الذي أقيم فيه الصلح(٤) والمهمّ في الأمر هو حدوث الصلح الذي يعني وقف النزاعات والحروب الطاحنة بين الأخوين، والتي ألقت بظلالها على أحوال البلاد والعباد، وأدّت إلى انتشار الفساد والفتن بين أفراد المعسكرين(٥)، فأرسل السلطان بركياروق القاضيان أبو مظفرّ الجرجاني(٦) وأبو الفرج أحمد بن عبد الغفار الهمذاني(٧) لأخويه محمّد وسنجر

(١) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٦٩.

(٢) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٦، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص١٤.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير،الكامل ،ج١٠، ص٣٦٩،الذهبي ، تاريخ الإسلام، ص٢٥، الذهبي، العبر، ج٢، ص ١٦٧ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٥، انظر كذلك ، اقبال ، تاريخ إيران، ص٢٧٠.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٧٢ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢٨،ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٣.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٩، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٨.

(٦) أبو مظفرّ الجرجاني: أحمد بن يحيى الجرجاني (ت ٥١٥هـ/ ١١٢١م) ،كان قاضياً بمدينة جرجان ، ثمّ نزل الكوفة، كان شاعراً ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٠، الصفدي، الوافي بالوفيات ،ج ١،ص٢٤٨.

(٧) أحمد الهمذاني: هو أبو الفرج أحمد بن عبد الغفّار الهمذاني ، المعروف بصاحب قراتكين ، كان مبعوث السلطان بركياروق لأخويه من أجل أقرار قواعد الصلح سنة ٤٩٧هـ /١١٠٤م ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٢، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٧٠ .

يطلبهما الموافقة على الصلح وانهاء حالة العداء بينهما[1] كما طلب القاضيان من السلطانين محمد وسنجر ابني ملكشاه الموافقة على الصلح، وقاما بتذكير الأخوين فضائل الإصلاح بين الناس وما نتج عن العداء من طمع للعدوّ ويقصدان الإسماعيلية- الباطنية ، إذ قوي أمرهما أثناء الخلاف بين الأخوين.

ويدأوا بنشر دعاتهم انطلاقاً من أصفهان وصولاً إلى سائر المدن[2]، فلقيا السلطان محمّد بن ملكشاه في مراغة بالقرب من تبريز ، حيث كان يجلس في المسجد، وفور وصولهما إليه صعد القاضي أبو المظفرّ الجرجاني إلى المنبر وطلب منه الموافقة على ما جاء به، وقام بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تتحدثّ عن فضائل الصلح ، وإصلاح ذات البين وما لقطيعة الأرحام من سوء العاقبة والمنقلب إزاء ذلك كلّه ولِما يتمتّع به السلطان محمّد بن ملكشاه من حسن الأخلاق ودمثها فقد أجاب للصلح[3].

وكان من الطبيعي أن يشاع خبر قبول السلطان محمّد للصلح في الأرجاء ليصل الخبر للريّ وبغداد، وأرسلت الرسل بين السلطانين لتوقيع بنود الاتفاق، كما أرسلت للخليفة العباسي المستظهر بالله[4] وكخطوة احترازية ولضمان عدم تكرار ما حدث في الصلح الأول سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م قام كل من الأخوين بركياروق ومحمد بحلفان اليمين على الوفاء[5] بما اتفقا عليه، ولم تختلف بنود الصلح الثاني كثيراً عن سابقها من حيث محاورها وركائزها الأساسية، غير أنها حملت معها تغيراً في مناطق النفوذ التابعة لكل سلطان ومنها أصفهان مثلاً.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٩، ابن خلدون ، العبر، ج٥، ص٦٨ .

(2) الراوندي، راحة الصدور،ص٢٣٨.

(3)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص٣٧٠ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢٨.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠ ، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٧ ، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٤ ، ،ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٨ .

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٢ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠ ، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٢٨

* **محاور وبنود الصلح الثاني:**

١- " مناطق النفوذ والخطبة "

يكون للسلطان محمّد السلطة والحكم والخطبة على المنابر في مناطق جغرافية يمتدّ نفوذها من نهر الأسبيذ روذ[١] إلى باب الأبواب[٢] وبمعنى آخر من همذان إلى قزوين، بالإضافة إلى ديار بكر والجزيرة والموصل والشام، كما أنّ له في بلاد العرب والتي يتأمرها سيف الدولة صدقة بن مزيد نصيب في النفوذ والسلطة[٣] وللسلطان بركياروق الأقاليم الجنوبية وتشمل الجبل وأصفهان والريّ وبغداد وأعمالها بينما كانت خراسان من نصيب السلطان سنجر[٤]، وتسلّم بركياروق أصفهان واتخذها عاصمة له، وتبادلا الهدايا بينهما[٥].

وفيما يخصّ الخطبة للسلطانين: بركياروق ومحمّد، فإنّه ومن المتعارف عليه بأنّه حيثما تكون الخطبة للسلطان في مكان ما، فإنّه ومن البديهي أن يكون ذلك المكان تابع لسلطة ونفوذ سلطان معيّن وهو ما حدث تماماً بين الأخوين، والأمثلة على ذلك كثيرة، ففي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م وأثناء الصراع بينهما قطعت الخطبة للسلطان بركياروق في بغداد وخطب بدلاً منه للسلطان محمّد بن ملكشاه.

وكانت تلك الخطبة متأرجحة ومتغيرّة بناء على نتائج المواجهات وضعف موقف الخلافة العباسية باتخاذ موقف الحياد السلبي، كما أنها وعلى سبيل المثال أيضاً وبعد انتصار السلطان بركياروق على السلطان محمّد في حصار أصفهان سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م قطعت للسلطان محمّد

---

(١) نهر أسبيذروذ: هو نهر يقع بالقرب من همذان ، يطلق عليه النهر الأبيض، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٥، الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٣٣.

(٢) باب الأبواب: تقع في أقصى شمال بلاد شروان، وهي بالقرب من قزوين وتشكلّ ميناء ساحلياً على بحره، الحموي، معجم البلدان، مج١،ص ٣٤٥، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٤.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٣٧٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٢٨، انظر كذلك ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧١.

وخطب بدلاً منه للسلطان بركياروق في أصفهان[1] كما أنها اقتصرت في بعض الأحيان للخليفة العباسي كما حدث في ربيع الأول من نفس العام، إذ قطعت الخطبة للسلطانين: بركياروق ومحمّد المتناحرين واقتصرت على الخطبة والدعاء للخليفة العباسي المستظهر بالله في منابر المساجد[2]، إلاّ أنّه وبعد إبرام بنود الصلح والاتفاق بين الأخوين، كانت الخطبة في بعض المناطق تتسم بالمساواة بين السلطانين بركياروق ومحمّد كما هو الحال في البصرة[3]، رغم ورود أحد البنود في ميثاق الصلح ينصّ على عدم ذكر سلطان على منبر مسجد منطقةٍ غير تابعة لسلطته ونفوذه[4].

٢- " التسمية الرسمية للسلطانين":

خلافاً لما كانت عليه التسمية في الصلح الأول سنة ٤٩٥هـ /١١٠٢م، والتي ذكر فيها بركياروق بالسلطان ومحمّد بالملك، فإنّ هذا الصلح قد وحّد التسمية بينهما ليكون لقب السلطان لكليهما[5].ومما لا شكّ فيه فإن عدم تميّز سلطان على آخر بالتسمية من شأنه أن لا يخلق فجوات في المكانة التي يحظى بها بركياروق أو محمّد لدى الخلفاء والملوك المجاورين للدولة السلجوقية .

٣- " الامتيازات والصلاحيات":

من أجل إضفاء رونق السلطنة بكل مظاهرها جاء التأكيد على أحقية كلٍ منهما بضرب الطبل على باب قصر كلا السلطانين مع كل آذان من الصلوات الخمس[6] مع التأكيد على منع السلطان بركياروق اعتراض الطبل لأخيه السلطان محمّد بن ملكشاه [1].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٥، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٤.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣ .

(3) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٣٧٠.

(4) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٧٠، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٣، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص٢٠١.

(5) أمين، تاريخ العراق، ص٨٢ ، انظر حسنين، إيران والعراق، ص١٠٣.

(6) كان من شعائر السلطنة السلجوقية أن يضرب الطبل للسلطان خمس مرات في اليوم، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٥، انظر كذلك متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ديك، دار الكتاب العربي، بيروت، مج١، ١٩٦٧، ص١٦٢، وسيشار إليه: متز، الحضارة الإسلامية.

إنّ التأكيد على هذا البند في الصلحين الأول والثاني بين الأخوين لربما يشير ضمناً إلى وجود محاولات من الاعتداء والمنع من طرف السلطان بركياروق على ضرب الطبل لأخيه محمدّ الأمر الذي قد ينقص من مكانته ويحرمه من التمتّع بمظاهر السلطنة بكافة أشكالها .

٤- " التواصل بين السلطانين":

حددّت بنود الصلح الثاني قنوات الاتصال والمكاتبة بين السلطانين الأخوين، لتكون عن طريق وزرائهما فقط[٢]، وهو بذلك لم يختلف كثيراً عمّا ورد في الصلح الأول، إلاّ أنّ التاكيد هنا جاء بسبب تغيرّ الوزراء في الجانبين، فوزير السلطان بركياروق سنة ٤٩٥هـ /١١٠١م وحينما عقد الصلح الأولّ كان نظام الدين أبو المحاسن عبدالجليل الدهستاني[٣] في حين أن وزيره في سنة ٤٩٧هـ /١١٠٣م أبو منصور الميبذي[٤]، وكذلك الحال بالنسبة للسلطان محمّد فقد كان وزيره في الصلح الأول أبو منصور خطير الملك[٥] وفي سنة ٤٩٧هـ /١١٠٣م حينما أقيم الصلح كان وزيره نصير الدين أبو المحاسن سعد الملك بن محمد الآبي[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٨ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٣٧٠، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٦، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص١٤،ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٦٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٨، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٧، اقبال، عباس ،الوزارة في عهد السلاجقة ، ترجمة : أحمد كمال الدين حلمي، منشورات جامعة الكويت ، الكويت ، ط١، ١٩٨٤، ص١٧٦، وسيشار إليه : عباس ، الوزارة .

(٤) خطير الملك محمد بن الحسين، من قرية ميبذ، وزر للسلطانين بركياروق ومحمدّ سوياً، اتصف بسمنته الكبيرة، وصغر عقله وجهله، كان مهذاراً بالكلام لا يستر شيئاً مما يسمعه، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧١، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٩-١٠٠،، اقبال، الوزارة ،ص ٢١٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٠-٣٣١، اقبال، الوزراة، ص٢٢١.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠-٣٧١، اقبال، الوزارة، ص٢١٩ .

٥- حريّة العساكر في الجانبين":

إنّ وجود بند في قواعد الصلح بين الأخوين يشير إلى حرية العسكر في اختيار الجهة التي يرغبون بالانضمام لها وعدم معارضة أيٍ من السلطانين لهما في ذلك[1] دليل واضح على حدوث سابقة تحوّل بين صفوف العساكر وانتقالهما بين معسكرات الأخوين، كما أنة يشير إلى وجود شعور داخلي لدى اولئك العسكر بالفائدة المادية من جهة وطمعهم في الحصول على إقطاعات ومكانة خاصة لدى السلاطين والأمراء ومن بعدهم الوزراء، كما أنه يؤكدّ على أن العساكر في الجانبين كانوا يحملون نفس طريقة التفكير، وربما جمعت صلة القرابة الأفراد ليكونا متوزعين على كلا المعسكرين.

ويستشهد المؤرّخ ابن الأثير ببرهان يؤكد انتقال العسكر من جانب السلطان بركياروق إلى جانب السلطان محمّد بن ملكشاه، حيث أنّه وبعد انتهاء مراسم اقرار قواعد الصلح الثاني سنة ٤٩٧هـ /١١٠٣م فقد أرسل السلطان محمد رسالةً لأصحابه وخاصتّه في أصفهان يأمرهم فيها بترك المدينة وتسليمها إلى أتباع أخيه السلطان بركياروق، كما عرض السلطان بركياروق على العساكر الموجودين في أصفهان اللحاق به إن أرادوا ذلك، غير أن وفائهم للسلطان محمّد حملهم على عدم الموافقة، فساروا بحريم السلطان محمّد من أصفهان حاملين معهم الدواب والأحمال والأموال التي أعطاهم إياها بركياروق[2].

وبعد الانتهاء من توقيع قواعد الصلح بين الأخوين، وصل خبر الاتفاق بينهما لدى البلاط العباسي، فاستبشر به المسلمون خيراً، وأرسل السلطان بركياروق لحاضرة الخلافة الإسلامية بغداد صاحب شحنته إيلغازي بن أرتق[3] ليطلع الخليفة على بنود الصلح طالباً إياه إقامة الخطبة للسلطان بركياروق بعد أن قطعت من بغداد فما كان من الخليفة سوى الموافقة ، وأمر بإقامة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠، ابو الفداء، المختصر، ج٢،ص٣٠٦، النويري، نهاية الأرب ،ج٢٦، ص٢٠١، انظر كذلك ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٦٨ ، ابن تغري بردي، النجوم ،ج٥،ص١٦٦.

(2) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٧١، ابن خلدون، العبر، ج٥،ص٦٨ .

(3) إيلغازي بن أرتق: هو ابن الأمير الكبير أرتق بن أكسب او اكسك ، عيّنه السلطان بركياروق شحنة لبغداد سنة ٤٩٦هـ /١١٠٢م ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٧-٣٣٨، الذهبي، سير اعلام النبلاء، مج١٩، ص٢٣٤.

الخطبة له[1] وخطب له كذلك بالديوان يوم الخميس التاسع عشر من شهر جمادي الأولى سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م ثم في اليوم التالي خطب له بالجوامع وفي بغداد وواسط[2].

ثمّ أرسل الخليفة المستظهر بالله الخلع السلطانية للسلطان بركياروق وللأمير إياز كذلك للوزير الخطير، تقديراً وتبجيلاً على ما بذلاه من جهود رامية تحققّ من خلالها الصلح بين السلطانين بركياروق ومحمد [3].

لتطوى صفحات الخلاف طويلة الأمد استغرقت خمس سنوات، كان معها سفك للدماء ،ودمار وخراب عمّ أصقاع الدولة السلجوقية، في الوقت الذي كان أعداء الإسلام يتربصون من كل جانب، غير أن السلطان بركياروق لم ينعم كثيراً بذلك الصلح فقد توفي في العام التالي للصلح سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[4].

رابعاً: وفاة السلطان بركياروق بن ملكشاه

تختلف بعض المصادر التاريخية في تحديد الفترة الزمنية والمكان اللذان توفيّ بهما السلطان بركياروق بن ملكشاه، فبعضُها يذكر تاريخ الوفاة في الثاني من ربيع الثاني[5] والبعض يذكر بأنه توفي في الثالث أو الثامن من ربيع الثاني سنة ٤٩٨هـ/الموافق للتاسع من كانون الأولّ سنة ١١٠٤م[6]، ويشير آخرون إلى تاريخ وفاة قدّروه بالثاني عشر من شهر ربيع الثاني من نفس

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧١، ابو الفداء، المختصر،ج٢،ص٣٠٧ ، انظر كذلك ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص١٤،ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٨.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٨.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٥، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٦٨.

(4) الحسيني، زبدة التواريخ، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٨٠،ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج٣، ص٢٦٨، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٨، انظر كذلك النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٤.

(5) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٧١.

(6) ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٨، القرماني، أخبار الدول، مج٢، ص٤٥٨.

السنة[1] فيما ينفرد المؤرخان ابن الجوزي وسبط ابن الجوزي بقولٍ يذكران فيه أن السلطان بركياروق توفي في ربيع الأول من سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[2].

ولم يقتصر الاختلاف في تلك المصادر على تاريخ الوفاة، بل انها زادت في ذلك خلاف حول المكان الذي توفي فيه السلطان بركياروق، فالبعض يذكرها بـ بروجرد[3] فيما ذكرها سبط ابن الجوزي وابن القلانسي بـ نهاوند[4]، إلاّ أنّ الغالبية من تلك المصادر يؤكّد بأنه توفي في بروجرد.

ومهما يكن من أمر فإنّ ذلك الخلاف وإن كان في التاريخ والمكان، إلاّ أنّه لا يغيرّ في صلب وحقيقة الموضوع شيئاً، فالمؤكّد في الأمر أنه وبعد انقضاء الصلح الثاني سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م بين الأخوين، توجّه السلطان بركياروق من مكان إقامته في أصفهان قاصداً بغداد[5]، وفي الطريق بدأت علامات الأرق والتعب تظهر على مُحياه بسبب معانته من مرضيّ السلّ والبواسير[6] اللذان أصاباه خلال الفترة الماضية، وحين وصل إلى بروجرد إشتّد عليه الألم العضال، مما دفعه للإقامة والمكوث قليلاً فيها، حيث جلس هناك ما يزيد على الأربعين يوماً[7] كان معها غير قادراً على الحراك.

وتسهب بعض المصادر التاريخية في ذكر الأحداث التي رافقت مرض وإعياء السلطان بركياروق بقولها: فلمّا آيس السلطان بركياروق من نفسه وأحسّ بدنو أجله، قررّ تعيين ولياً للعهد يخلفه في السلطنة وهو ولده الصغير ملكشاة الثاني بن بركياروق وقد أحضر جماعة من الأمراء

---

(1) النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٤.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٣٧.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٤.

(4) نهاوند: مدينة عظيمة في إيران، تقع على بعد أربعين ميلاً جنوب همذان،ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٧، الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص ٣١٣،، انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥٣٧، انظر لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص٢٣٢،

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٦، ابن خلدون، العبر، ج٥،ص٧١.

(6) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٨٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٤، اقبال، تاريخ إيران، ص٢٧٠.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠.

أخبرهم بتعينه ابنه ولياً للعهد من بعده[1] وهو بذلك يضرب عرض الحائط كل المحاولات التي حاول من خلالها أخيه السلطان محمّد بن ملكشاه توليّ عرش السلطنة.

وكان ملكشاه الصغير عمره حينما عيّنه والده وليّاً للعهد أربع سنين وثمانية أشهر[2]، ولذلك فقد أوصى برعايته وتوليّ أمره لحين يكبر الأمير الأتابك إياز وخلع عليه كما خلع على بقية الأمراء وأمرهم بالطاعة لهما من بعده، فحلفوا على الوفاء وبذل الأموال والنفوس في حفظ سلطنة ابنه الصغير[3]، وبعد وفاته تمّ تجهيز تابوته وحمل إلى أصفهان ليدفن فيها[4].

وقد توفيّ السلطان بركياروق عن عمر يناهز الأربعة والعشرين سنة وبضعة أشهر[5] رغم أن بعض من المصادر ذكرها بـ خمسٍ وعشرين سنة[6]، وقد حكم اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر[7] قضى معظمها في حروب متواصلة مع مناوئيه وأعدائه في السلطة، تبادل فيها معهم النصر والهزيمة[8].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٧، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ٣٨٠ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٧، ابو الفداء، المختصر ،ج٢، ص٣٠٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦،ص ٢٠٤، الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص٢٠، انظر كذلك الذهبي، العبر، ج٢،ص ١٦٦، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٥، ابن خلدون، العبر، ج٥،ص٧١.

(2) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٣٨٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ٥٣٦.

(3) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ٣٨٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٤.

(4) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٣٨٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٤.

(5) يذكر الحسيني أن عمره حينما توفي كان خمسا وعشرين سنة، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨١، ويذكر الذهبي من الوفاة بست وعشرون عاما، الذهبي، العبر،ج٢،ص٣٧٧. فيما يذكر ابن كثير انه بلغ الرابعة والعشرون من عمره، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ١٧٦، ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٨٨ .

(6) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٣٨١، انظر كذلك ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٤، اليزدي، العراضة، ص ٨١.

(7) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨١، ابو الفداء، المختصر، ص٣٠٨.

(8) حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص٩٦ .

خامساً: صراع السلطان محمدّ بن ملكشاه مع ابن أخيه ملكشاه الثاني بن بركياروق لتوليّ عرش السلطنة:

بعد وفاة السلطان بركياروق بن ملكشاه لم يكن سنداً لابنه الصغير ملكشاه الثاني سوى الأمير إياز، فما أن أتمّ مراسم دفن سيدةّ بركياروق، حتى سار مع ملكشاه بن بركياروق يرافقهم إيلغازي صاحب شحنة بغداد[١]، الذي كان متوجهاً للقاء السلطان بركياروق فلمّا وصل أصفهان علم بنبأ وفاته، فقرّر العودة معهم لبغداد، من أجل إتمام ما أوصى به السلطان بركياروق فيما يخصّ ابنه الصغير، وقد ساروا جميعاً واضعين نصب أعينهم هدفاً سامياً يتمثّل بالحصول على اعتراف الخليفة العباسي، بدعم وتأثير من صاحب شحنة بغداد[٢].

وفي السابع عشر من ربيع الثاني من سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وصلت مواكب ملكشاه الثاني وأتابكه الأمير إياز إلى بغداد[٣] وحينما علم الخليفة المستظهر بالله بقدومهم أرسل وزيره أبو القاسم علي بن جهير لاستقبالهم، وكان ذلك بمنطقة تدعى ديالي[٤]، وقد كان عدد الفرسان في موكب ملشكاه الثاني بن بركياروق حوالي خمسة آلاف[٥] وبعد عدةّ أيام، قدم إيلغازي بن أرتق صاحب شحنة بغداد يرافقه الأمير طغايرك[٦] إلى بلاط الخليفة يطلبون منه التكرّم والموافقة بالخطبة لملشكاه الثاني بن بركياروق[٧] وكان لهم ما أرادوا بالفعل فقد أمر الخليفة العباسيّ بإقامة الخطبة له بالديوان يوم الخميس الثاني من ربيع الآخر[٨] ثم يوم الجمعه خطب له في مساجد بغداد[١] وعند

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٢، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٠٨، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥،ص ٧١ .

(٢) أمين، تاريخ العراق، ص٨٢.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٧ .

(٤) ديالي: منطقة تقع بالقرب من نهر كبير بالقرب من بغداد، انظر الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٩٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٣٨٢،ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٠٨ .

(٦) طغايرك: أحد أمراء السلطان بركياروق حضر بالديوان مع شحنة بغداد للتأثير على الخليفة المستظهر واقناعه بإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه بن بركياروق سنة ٤٩٨هـ /١١٠٤م ، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢، انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٢.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٦،.

(٨) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢.

الخطبة له أمر الخليفة بتوزيع الدنانير والدراهم[٢]على العامّة ابتهاجاً واحتفالاً بهذا الحدث المبارك، بل أن المستظهر بالله زاد في ذلك بأن أنعم على ملشكاه الثاني بألقاب عديدة جمّه، كان أبرزها ما حظي به جدّه ملكشاه بن ألب أرسلان بن ميكائيل بن سلجوق وهو لقب" جلال الدولة "[٣].

وبينما هم في ذلك الأمر، تناهى إلى مسامع السلطان محمّد بن ملكشاه نبأ وفاة أخيه بركياروق وما تبع الوفاة من أمور أبرزها تعيين ملكشاه بن بركياروق ولياً للعهد، وقد كان وقتها في الموصل يحاصر واليها من طرف السلطان بركياروق شمس الدولة جكرمش[٤]، من أجل إقامة الخطبة له فيها عطفاً على ما تمّ في الصلح الثاني بينه وبين بركياروق مذكراً والي الموصل بذلك[٥] وعرض عليه ما جاء من الكتب بإقرار بركياروق بذلك بأن تكون الموصل وبلاد الجزيرة له، وقال له السلطان محمّد: "إن أطعت، فأنا لا آخذها منك، بل أقرّها بيدك، وتكون الخطبة لي بها، فقال جكرمش: إنّ كتاب السلطان بركياروق ورد إليّ بعد الصلح يأمرني بأن لا أسلّم البلد إلى غيره"[٦]، وحينما رأى السلطان محمّد إصرار وعناد جكرمش لم يكن بوسعه سوى فرض الحصار وتضييق الخناق على الموصل وأهلها مستخدماً النقّابين والدبابات[٧] وكان معظم عسكر جكرمش يجتمعون بمنطقة تل أعفر حيث يقومون بالإغارة على أطراف عسكر السلطان محمّد، وصمدت الموصل مدةّ عشرة أيام ولما وصل خبر وفاة السلطان بركياروق إلى جكرمش لم يكن أمامه سوى بذل الطاعة للسلطان محمّد بعد أن استشار أهل البلد والأمراء والعسكر، ثم قام بتسليم الموصل

([١]) ابن الأثير، الكامل، ص٣٨٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٦ رغم أنه يذكر ذلك بجمادي الأولى من سنة ٤٩٨هـ /١١٠٤م، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٤، ابو الفداء، المختصر، ج٢ ، ص٣٠٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٥، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٦

([٢]) الحسيني زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ص٣٨٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٦.

([٣]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢.

([٤]) للمزيد عن سيرته ودوره في ولاية الموصل سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢-٣٨٣، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٤، السيد، أمراء السلاجقة، ص ٧٦.

([٥]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٢.

([٦]) ابن الأثير، الكامل، ص٣٨٣، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٥.

([٧]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٣.

إليه[1]. وبعد أن فرغ السلطان محمّد من الموصل جلس للعزاء فيها[2] ثمّ سار منها متوجهاً لبغداد ولم يكن وحده في ذلك بل سار معه جكرمش بعد أن تصالحا بالإضافة إلى سكمان القطبي وعدد آخر من أكابر أمراء السلطان[3].

وكان دخولهم لبغداد يوم الجمعة الحادي والعشرون من جمادي الأولى سنة ٤٩٨هـ/العاشر من شباط سنة ١١٠٤م[4] ومثلما فعل الخليفة المستظهر مع السلطان ملكشاه بن بركياروق فعل مع السلطان محمّد، فقد أرسل وزيره لاستقباله[5]، وحينما دخل السلطان محمّد بغداد أقام في الجانب الغربي من بغداد[6] وبطبيعة الحال فإن المساجد هناك كانت تقيم الخطبة للسلطان محمّد ،فيما كانت إقامة السلطان ملكشاه في الجانب الشرقي والخطبة له فيها هناك[7]، كما كانت الخطبة بجميع مساجد بغداد لكليهما، باستثناء جامع المنصور الذي كان فيه الدعاء غير واضح المعالم بالنسبة للجهة المدعي لها من السلاطين السلاجقة فقد كان الدعاء مقتصرا على: "اللهم اصلح سلطان العالم[8].

وفي تلك الأثناء وعطفاً على ما تمّ ذكره من وجود العساكر مع إياز وملكشاه الثاني[9]، فقد كانت الرغبة المبيّتة بالنسبة لهما بالاستعداد والمواجهة بل القتال ضدّ أي تحركٌ قد يقوم به السلطان محمّد في بغداد، كذلك الأمر بالنسبة للسلطان محمدّ الذي كان مدعوماً ومعززاً بعسكر الموصل

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٣- ٣٨٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٢..

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٢١١، اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٧٢.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٣٨٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٢.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٧- ٧٨.

(5) ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٣٨٤-٣٨٥.

(6) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ٣٠٨، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠،ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٣، انظر كذلك أمين، تاريخ العراق، ص٨٣.

(7) ابو الفداء، المختصر، ص٣٠٨، أمين، تاريخ العراق، ص٨٣، الخالدي، فاضل، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، دار الأديب، بغداد، ط١، ١٩٦٩، ص٢٠٥، انظر كذلك الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي في العصر العباسي ٤٤٧-٥٩٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص١١٥، وسيشار إليه: الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٦ .

(9) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٣٦ .

وأتباع سقمان القطبي[1]، كذلك فإن الأمر لا يخلو من دعم لوجستي وربما عددي من الخليفة المستظهر، إذ كانت تربطه أواصر علاقة طيبة بالسلطان محمّد.

وأمام ذلك الصراع العسكري الذي يمثلّ الشرخ الكبير الذي وصلت إليه الدولة السلجوقية، بوجود سلطانين سلجوقيين متناحرين من جديد، غير أنهما هذه المرّة على أرض دار المملكة وحاضرة الدولة الإسلامية بغداد، فإنّها "أي بغداد" كانت على وشك فتنة كبيرة وفساد في الأرض، انزعج معها الناس وخافوا[2] إلاّ أنّ تدخلّ العقلاء من الجانبين كان له الأثر الكبير في إزالة الاحتقان بين الطرفين وتبديد المخاوف التي كانت تساور شكوكها نفوس أهالي بغداد، فقد لعب الصفيّ أبو المحاسن [3] دوراً مهماً في تهدئة النفوس، بسبب ما بذله من جهد كبير.

ذلك أنه وبعد سعي كثير من أمراء إياز واتباعه بإطماعه بالسلطنة ضدّ السلطان محمّد، استشار إياز وزيره الصفيّ قائلاً: ما ترى؟ فردّ عليه وزيره: المصلحة مصالحة محمّد شاه[4]، وحينما رآه متردد الجانب بذلك أتبع الصفي قائلا له:"يا مولانا، إن حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك، وليس الرأي ما أشار به خاصتكّ من امراء[5] فإن كلامهم يقصد أن يسلك طريقاً، وأن يقيم سوقاً لنفسه بك، وأكثرهم يناوئك في المنزلة .... والصواب مصالحة السلطان محمّد وطاعته "[6].

كان لتلك الكلمات وقع كبير في ذهن وأسماع الأمير إياز، فبعد تفكير وتأملّ وتدبرّ اقتنع بكلام وزيره الصفيّ ووقع في نفسه الصلح[7] واستدعى الصفيّ وقال له: "اعبر إلى وزير السلطان

([1]) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص ٦٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٦.

([2]) ابن الاثير، الكامل، ج١٠ ، ص٣٨٥.

([3]) الصفي ابو المحاسن: هو وزير الاتابك إياز مربي السلطان ملشكاه الثاني بن بركياروق، بذل جهداً كبيراً في تفادي تصادم الأمير إياز مع السلطان محمد سنة ٤٩٨هـ /١١٠٤م، في أعقاب وفاة السلطان بركياروق ،ابن =الجوزي، المنتظم، ج١٠، ٧٧-٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٥ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٦.

([4]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٦ .

([5]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٥.

([6]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٥.

([7]) ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٤، اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٧٤.

سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمّد[1] وقل له على لساني: إنيّ نظرت في المصلحة، فرأيت أن أغمد سيوف الإسلام، وأحقن دمائهم"[2].

وعلى الفور توجّه الوزير إلى السلطان ووزيره وطلب منهما قبول اعتذار إياز، فأجابه السلطان محمّد بالقبول[3] ثمّ في اليوم التالي حضر وزير الخليفة ابن جهير والقضاة والأشراف والوزراء في الجانبين وأخذوا العهد والأمان على محمّد بن ملكشاه وتسلمّ السلطان محمد عرش السلطنة دون نزاع[4] وأوصى الأمير إياز السلطان محمّد بن ملكشاه بابن أخيه ملكشاه الثاني بن بركياروق، فما كان من السلطان إلاّ أن أجاب: أمّا ملكشاه فهو ولدي وأنا أبوه[5].

وأصبحت السلطنة برمتّها تخضع لسلطان سلجوقي واحد خطب له في جمادي الأولى من سنة ٤٩٨هـ /١١٠٤ م[6] وأقام السلطان محمّد ببغداد ثم سار عنها متوجهاً إلى أصفهان.

سادساً: عصيان وتمرّد الملك منكبرس بن بوري برس بن ألب أرسلان على السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م

بحكم قرب نهاوند من مقرّ مكوث وجلوس السلطان وعساكره ، فإن المدينة برمتّها كانت تتبع له، حتى قبل خروجه على أخيه السلطان بركياروق، فلا غرو أن نجد معظم الولاة الذين تعاقبوا على إدارة المدينة كانوا أتباع السلطان محمّد، وكانت علاقته في تلك النواحي من الدولة السلجوقية تعتمد بالدرجة الأولى على إظهار جانب القوة والمنعة خاصة بعد تفرده بالحكم سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م، فكان ومنذ البداية حريصاً كل الحرص على قمع كل ما يمكنه أن يعكرّ صفو الأمن والأمان والاستقرار، ويتمثل ذلك بالفتن والاضطرابات التي من شانها أن تعمل على اهتزاز

---

(1) سعد الملك ابي المحاسن: نصير الدين أبو المحاسن سعد الملك سعد بن محمد بن آبي وزر للسلطان محمّد من سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م. حتى سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦م، وهو اول وزير بعد استقلاله عن بركياروق، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٧، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٠٦، اقبال، الوزارة، ص٢٢٦-٢٢٧.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٦.

(3) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٧، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٨٦ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥٣٦، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص ٣٠٨.

(4) حلمي، السلاجقة، ص ٥٢.

(5) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٨٧، ابن خلدون، العبر، ج٥ ، ص ٧٤.

(6) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٠٩ .

صورة السلطنة في عيون الرعية، وهو ما لم يسمح به السلطان محمّد،وفي ضوء ذلك كانت علاقته مع الولاة فيها تعتمد بالدرجة الأولى على استعمال الشدة والحزم مع كل من تسول له نفسه بالتمرّد

وكانت تعليمات السلطان للولاة بضرورة مكاتبتهم لخاصّته واخبارهم بما يحدث من فتن وتمردات، ومن ذلك ما وصل للسلطان محمّد سنة ٤٩٩هـ/١١٠٦م من والي نهاوند من أخبار تفيد بخروج الملك منكبرس[١]عن طاعة السلطان محمد وجمعه للأمراء والعساكر حوله في نهاوند طالباً للسلطنة[٢]، عندئذٍ كانت سياسة السلطان مع الوالي والأمراء من حوله تقوم على المسايرة والاستدراج لذلك الخارج عن الطاعة، والكيد له لحين الوقوع بالمصيدة ، فطلب من الوالي تعقبّ تحركات منكبرس ، فظهر من تلك التعقبات مكاتبة منكبرس لابناء برسق يطلبهم الاجتماع حول طاعته[٣].

ومن حسن طالع السلطان محمد فإنه وبعد وصول خبر خروج منكبرس، وقع في الأسر لديه في أصفهان زنكي بن برسق[٤]لأسباب لم تشر اليها بعضاً من المصادر التي قمت بالإطلاع عليها،غير أنه ومن المرجحّ أن تكون لأسباب تتعلق بإثار بلبلة أو فتنة تقلق مضجع السلطان،مستغلاً بذلك كونها السنة الأولى التي ينفرد بها السلطان محمّد بالحكم دون منازع.

ومهما يكن من أمر، فمن الملاحظ هنا استخدام السلطان محمّد الحيلة والدهاء في تقويض فتنة ابن ألب أرسلان في نهاوند، وهذا ما يحسب للسطان محمّد في مواجهته للفتن والاضطرابات التي ظهرت أبّان فترة سلطنته، على عكس السلطان بركياروق الذي اعتمد على القوة العسكرية.

ومن تلك الحيل التي مارسها السلطان محمّد في تعامله مع فتنة الأمير منكبرس ،ضغطه على الأسير زنكي بن برسق، حيث أخبره أن الحلّ الوحيد لخروجك من الأسر مكاتبة إخوتك في

---

(١)الأمير منكبرس: هو منكبرس بن الملك بروبرس أو بوري برس بن ألب أرسلان،ابن عم السلطان محمد ، أظهر العصيان والتمرّد على السلطان بسبب ضائقة من المال وانقطاع المواد عنه،سجنه السلطان في أصفهان سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م،ابن الأثير ،الكامل،ج١٠،ص٣٩٨، يذكره النويري باسم بوزي برس،نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٦.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٩٨، النويري، نهاية الأرب ،ج٢٦،ص٢٠٧،انظر كذلك ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٥.

(٤) زكي بن برسق:هو احد الأمراء الأتراك الذين كانوا يعملون تحت إمرة السلطان بركياروق، وبعد وفاته أظهر الخروج عن طاعة السلطان محمد، غير أنه وبعد أن تعاون مع السلطان في القبض على منكبرس أقطعه واخوته مناطق واسعه بين الأهواز وهمذان، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٩.

نهاوند، وإخبارهم بضرورة الاتصال مع منكبرس وإيهامه بالتفافهم حوله، كما طلب منه إخبار إخوته بلقاء منكبرس في نهاوند لتقديم الولاء والطاعة[1] وفي الوقت ذاته طلب السلطان محمّد من والي نهاوند جمع العساكر من اجل إلقاء القبض على الأمير منكبرس[2].

وعندما اجتمع أبناء برسق مع منكبرس تمهيداً لحلفهم على الولاء والطاعة، كان العساكر اتباع الوالي في نهاوند بانتظاره، فألقوا القبض عليه بعد أقل من شهرين وحملوه لمقرّ السلطان في أصفهان ووضع في السجن هناك[3] ولم ينسى السلطان محمد جهود زنكي وإخوته ومساهمتهم بالإمساك بخيوط مؤامرة منكبرس فكافأهم بأن زاد في اقطاعهم مناطق ما بين الأهواز وهمذان،إضافة إلى الدينور [4].

ولم يكن همّ الولاة في نهاوند مقتصراً على تدعيم أركان الدولة وضبط الأمن فيها فحسب، بل أنهم كانوا على اتصالٍ مستمر بالسلطنة في أصفهان، وكانوا يتابعون جميع أنشطة الرعية،فقد انتبه الوالي والحكام الإداريين في نهاوند لرجل من سواد الناس[5] كان قد إدعى النبوة في أرجاء المدينة[6].

وتمكّنت العساكر من إلقاء القبض عليه، خاصة وأن خلقاً كثيراً من الناس اتبعوه[7] بل أنهم ومن شدة تصديقهم له باعوا أملاكهُم ودفعوها له[8]، غير أن أبرز ما يشير إلى حُمق الناس آنذاك هو تصديقهم له وموالاته على السمع والطاعه بعد ان أطلق أسماء الصحابة على أربعة من

---

(1)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٨.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٨، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٧٧.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٨٣، ابن الأثير، الكامل، ١٠، ص٣٩٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٤٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٧ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢،ص١٧٧.

(4) الدينور: مدينة من أعمال الجبل، تبعد عن همذان حوالي عشرون فرسخاً، تكثر فيها الأراضي الزراعية، الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥٤٥ .

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٨٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٩.

(6) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٣٩٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٧، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣،ص١٢٣ .

(7)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٩، النويري،ج٢٦، ص٢٠٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢،ص١٧٧.

(8)ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٣٩٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٨.

أصحابه ورفاقه[1] ومن الطريف في الأمر بأنه وحينما تم ايداعه في السجن[2] تم جمعه مع الأمير منكبرس، حتى أن أهالي نهاوند كانوا يقولون بصيغة من التهكمّ لحال ولايتهم في السنة الأولى من سلطنة محمد طبر[3] بن ملكشاه: "ظهر عندنا في مدة شهرين رجلين أحدهما يدعي النبوة والأخر المملكة فقتلا "[4] كما أورد بعض المؤرخين المعاصرين قولاً جمعته في العبارة التالية: "خرج عندنا في مدة شهرين مدعٍ للنبوة وطالب للملك، واضمحلّ أمرهما أسرع من كل سريع"[5] "فلم يتمّ لواحد منهما أمره[6] "ادّعى رجل النبوة وآخر الملك فما كان بأسرع من زوال دولتهما[7].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ٨٣، ابن الأثير، الكامل،١٠،ص٣٩٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ٥٤٠، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص٢٠٨.

(2) الهمذاني، جامع التواريخ، مج٥، ج٢ ،ص١٣٨،يذكر ابن تغري بان الرجلين قد قتلا، النجوم، ج٥، ص١٨٩ .

(3) Raverty H Major .Tabakat Nasiri A General History OF THE Muhammadan Dynasties OF Asia from A.H.194(810A.D)to A.H.658(1260 A.D)and the Irruption of the Infidel Mughals into Islam .Oriental Books Reprint Corporation, New Delhi.VOL.I. n Pp. 143-144.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٤٠ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٨ .

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٨٣.

(6)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٩ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٨.

(7)ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٧٧.

الفصل الثاني

السياسة الداخلية والخارجية للدولة السلجوقية

ويتكوّن هذا الفصل من الأبواب التالية:

أولاً: السياسة الداخلية للسلطانين بركياروق ومحمّد مع ولاة الأقاليم التابعة للدولة

ثانياً: السياسة الخارجية للسلطانين بركياروق ومحمّد مع القوى المجاورة:

أ- العلاقة مع الإسماعيلية-الباطنية

ب- العلاقة مع (الفرنج) "الصليبين"

ج- العلاقة مع سلاجقة الروم

د- العلاقة مع الدولة الغزنوية

هـ- العلاقة مع البيزنطيين

ز- العلاقة مع مملكة أرمينية الصغرى

أولاً: السياسة الداخلية للسلاطين مع ولاة الأقاليم في الدولة السلجوقية:

قبل الحديث عن طبيعة نمط العلاقات الداخلية التي كانت تربط السلاطين بأمراء الولايات والأقاليم في الدولة السلجوقية لا بد من الإشارة إلى أن ولاة الأقاليم كانوا يتبعون للسلطنة ويأتمرون بأمرها، كما يجب الإشارة إلى نظام ارتبط كثيراً بمفهوم عمل أولئك الحكّام الإداريين المسؤولين عن سير العمل في أقاليمهم، ذلك النظام هو الإقطاع[1] فلقد كان النظام الإقطاعي هو الأساس الذي قامت عليه الملكيه في عهد السلاجقة، فالسلاطين الأوائل ومنذ عهد طغرلبك وابن أخيه ألب أرسلان واستناداً لطبيعتهم البدوية كانوا يعتبرون أنفسهم زعماء لأقوامهم ويرون أن حكمهم يمتدّ حيث ينتشر قومهم التابعين لهم على امتداد مساحة ما[2]، فهو لا يرتبط أو يحددّ بمساحة من الأرض، وعندما أصبحت بلاد فارس تابعه للسلاجقة تأثروا بالنظم القديمة للساسانين فاعتبر السلاجقة المملكة ضيعة للسلطان يمتلكها هو نيابة عن قومه[3]، وتبعاً لذلك أخذ يقطع أراضي تلك الدولة على أقربائه ومؤيديه[4].

ومن أجل تسليط الضوء بصورة أكثر شمولية على طبيعة السياسة والعلاقات الداخليه التي كانت تربط السلطانين: بركياروق ومحمّد بالأمراء حكّام الولايات من حيث الإقطاع وطريقة التعامل سيتّم الحديث عن نماذج مختارة من الولايات والأقاليم وأعمالهما والتي كانت تابعة للدولة:

١) أصفهان

كان السلاطين السلاجقة يختارون لمركز سلطنتهم من الولاة ممن لهم باع طويل في ما يعرف بإدارة الازمات إن جاز التعبير، وذلك لما لمركز السلطنة من أهمية بالغه في اتخاذ القرارات

---

(1) نظام الإقطاع: وهو أن تمنح الدولة بعض الأراضي للأمراء والأجناد أو من رأوا في أقطاعه صلاحاً، والإقطاع قديم في أصله يعني أن السلطان أو الملك إذا فتح بلاداً وأراد استبقاؤها واستغلالها وزعها على قواده من الجنود المحاربين مقابل جهدهم العسكري وكأنها اجرة لهم، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٦٠، للمزيد انظر م، سويرنهايم، مادة إقطاع، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، مج٤، ١٩٨٧، ص١٢٣-١٢٧، انظر كذلك الخرابشة، الإقطاع السلجوقي، ص٣٤١٩-٣٤٢٠.

(2) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٥٩-٦٠ ، حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص١٢٢.

(3) البيهقي، تتمة صوان الحكمة، ص١٣، محمود، العالم الاسلامي ص ٤٤٦-٤٤٧

(4) البيهقي، تتمة صوان الحكمة، ص١٣، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٦٣،.

الهامّة وديناميكية التواصل مع الولايات الأخرى في الدولة عن طريق أمراء الأطراف، فكانوا يختارون ولاةً ممن لهم خبرة طويلة .

وقد لعبت المنازعات دوراً كبيراً في تعيين الحكّام الإداريين في عاصمة الدولة ومركزها أصفهان، ذلك أن كل سلطان قام بتعيين من وقف بجانبه في حروبه ضدّ الأعداء سواءً كانوا من داخل البيت السلجوقي أو خارجه[١]، كما أن عدم قيام ديوان البريد في الدولة أثناء فترة الصراعات بعمله على أكمل وجهٍ[٢] وضع على عاتق الحكّام في الولايات ثقلاً كبيراً في التقاط الأخبار وجمعها للسلطان من أجل تفادي الوقوع في الخسائر، فكان السلطان يقوم بتعيين من يحظى بالثقة الكافيه لملئ هذا الشاغر المهم في الدولة، فنجد أن السلطان بركياروق مثلاً وحينما جلس على كرسي السلطنة في أصفهان، أبقى على أبي عبدالله الثقفي[٣] رئيساً لأصفهان ولم يقم بتغييره، لما رأى فيه من رياسة وأمانة وحسن تصرّف[٤].

وفي ذلك حكمة وذكاء من السلطان حيث أن وجوده مهم للاستعانة به لما يعرفه من خبايا وأسرار تمكنّه من قيادة دفة الدولة لبرّ الأمان لا سيما والأعداء يتربصون بالسلطان بركياروق من كل جانب منذ جلوسه على العرش سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م.

وحينما برزت قوة السلطان محمّد وخرج عن طاعة أخيه السلطان بركياروق سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٥] قام بتعيين أتابكه بلكابك سرمز[١] رئيساً لشحنة أصفهان كذلك ليقوم بحفظ

([١]) الحسيني، زبدة التواريخ، ص٢٢.

([٢]) عن ديوان البريد في عهد السلاطين السلاجقة، انظر ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٤٥، بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تحقيق وترجمة ونقل نبيه فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨، ص٢٨٠ ، وسيشار إليه: بروكلمان، تاريخ الشعوبية .

([٣]) أبو عبدالله الثقفي: هو الشيخ العالم المعمرّ رئيس أصفهان ومعتمدها أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي، ولد سنة ٣٩٧هـ/ ١١٠٧م،روي الحديث عنه وسمع منه أعلام كثر، كتب الفوائد العشرة المعروفة بالثقفيات، توفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٨-٩.

([٤]) الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٦٠.

([٥]) ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٨٧، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق،ص٢٣٩، ابن تغردي بردي، النجوم، ج٥، ص١٦٠ .

الأمن فيها[٢]، وكانت علاقة السلطان معه تقوم على وجوب إظهار الولاء والطاعه بكافة أشكالها خاصة في أخطر مراحلها عندما كان السلطان يتصارع مع أخيه الأكبر بركياروق عبر خمس مواجهات حاسمة، غير أن الأمور استتبت كثيراً بعد وفاة السلطان بركياروق وانفراد السلطان محمدّ بن ملكشاه بالسلطة دونما أي منازع، فاعتمد السلطان الجديد في علاقته مع الحكام الإداريين في أصفهان على المباينة والمصارحه والشفافيه من أجل إطلاعه على الأوضاع في الدولة[٣] ويمكن القول أن تأثير ما خلفه الصراع بين الأخوين على أصفهان وأهلها دفع بأعيان البلد أن يقفوا موقف الحياد تجاه من سيكون سلطاناً، ولم يعنيهم كثيراً لمن ستكون الغلبه، فكان همهمّ الأبرز التخلص من الضغوط وسوء الأحوال التي نتجت عن حصار المدينة، فبذلوا جهوداً كبيرة في سبيل خروج السلطانين من المدينة سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م[٤].

إلاّ أن الأهالي والحكام الإداريين في فارس والعراق، ونتيجة لتزايد الخطر الداخلي المتمثل بالإسماعيليه الباطنية، لا سيما بعد سيطرتهم على القلاع في المدينة، والخطر الخارجي المتمثّل بالحملات الصليبية، جعلهم تحت الضغط وبالتالي تعاونوا مع السلطانين منذ سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م حينما حاربهم السلطان بركياروق[٥] ثم محاولات السلطان محمّد المتكررة في القضاء عليهم واستئصال شأفتهم كلياً من الوجود خاصة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[٦] وسيتمّ الحديث لاحقاً عن علاقة السلاطين السلاجقة مع الإسماعيلية الباطنية، والفرنج" الصليبيين" .

---

(١) بلكابك سرمز: كان صاحب شحنة لمدينة أصفهان منذ سلطنة بركياروق، قتله الشيعة الاسماعيليه الباطنية سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٠ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٥، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٨ .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠١، الذهبي، دول الاسلام، ج٢، ص١٨،.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥١، للمزيد عن ذلك ارجع، عاشور، سعيد، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١،ج١، ٢٠٠٩، ص٤٨٨- ٤٩١، وسيشار إليه: عاشور، الحركة الصليبية.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ص٨٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٠-٣١.

٢) الريّ وهمذان:

كانت سياسة السلطانين بركياروق ومحمّد في تلك النواحي من أقاليم الدولة السلجوقية تعتمد بالدرجة الأولى على ضمان إرساء الأمن والديمومة والاستقرار ليتمتع به السكّان في جميع مناحي الحياة، خاصةً أثناء فترة الصراع على السلطنة، فقد انتقل ذلك الصراع ما بين الأخوين ليشمل صراعاً آخر بين الولاة على تسلّم مقاليد الولاية في الريّ، فقد أرسل السلطان بركياروق في سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م في أعقاب انتصاراته التي حققها على أبناء البيت السلجوقي، الأمير برسق بن برسق[١] لمدينة الريّ ليمنع ينال بن أنوشتكين الحسامي أحد عساكر السلطان محمد من تخريب المدينة ومصادرة أهلها[٢]، وحسناً فعل السلطان فقد استطاع برسق من إحكام سيطرته على المدينة ومُقابل ذلك ولاّه السلطان بركياروق مدينتي الريّ وقزوين[٣].

وكان الإقطاع سمة ظاهرة في مدن وولايات الريّ، خاصة للأمراء المقربين من السلاطين[٤] وغيرهم من الأمراء وكل ذلك كما هو متفق عليه نظير مبالغ مالية سنوية تدفع للخزينة السلطانية، يرافقها وجوب مظاهر الطاعة والولاء للسلطان، وتذكر بعض المصادر التاريخية اقطاع بركياروق مدينة كنجة وأعمالها لأخيه السلطان محمّد سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[٥] كذلك فعل السلطان بركياروق في همذان بتعيين أبو الفتح عبدوس[٦] رئيساً للمدينة، مقابل مبالغ مالية لم تكشف المصادر التاريخية النقاب عنها، غير أن المبالغ المالية المذكورة في تلك السنوات كانت تتراوح ما

---

(١) برسق بن برسق: أحد أكابر الأمراء الأتراك، ولاّه السلطان بركياروق الري نظير مجهوده في حفظ الأمن بها، قتله باطني سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٣٣٤.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم،ج٥،ص ٣٣٢.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٣٣٤، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٦٣.

(٤) حلمي، السلاجقة، ص٩١.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص١١٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤١، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٦٠.

(٦) أبو الفتح عبدوس: هو أبو الفتح علي بن العبدوس، ولاّه السلطان بركياروق رياسة همذان، ليكون عوناً له في ضبط الأمن في المدينة، لا سيما وقد ثارت أكثر من فتنة ضدّه، بالإضافة للنزاعات العسكرية من منافسيه أفراد البيت السلجوقي، ولم تشير ابعض المصادر التاريخية لسنة تعيينه، إلاّ أن الباحث يعتقد بانها لم تكن قبل سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧-٢٨٨.

بين سبعة إلى عشرة آلاف دينار، وذلك على أقل تقدير للاقطاعات الممنوحة للولاة والأمراء سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[1]، كما لم يختلف تعامل السلاطين مع ولاتهم في نواحي الكرج القريبة من خوزستان، كثيراً عن سابقها من نواحي الريّ فاقطع السلطان بركياروق أبو الحسن الكرجي[2] المدينة مقابل مبلغ مالي يعرف بإقطاع ضرائب الأموال ويدفع للخزينة السلطانية سنوياً[3]، ومن الطبيعي أن يفرض السلطان على الوالي شروطاً معينة مقابل الاقطاع وهي في مجملها لا تتعدّى السمع والولاء والطاعة للسلطان هذا أولاً ثم إمداد السلطان بالدعم العسكري اذا ما استدعت الحاجة لذلك، وبقي أبو الحسن الكرجي والياً عليها حتى وافته المنية، وتولى أبناءه من بعده ولاية المدينة واستمروا كذلك حتى وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١٠٠٤م[4]، وعندما استلم السلطان محمّد بن ملكشاه السلطنة قام بتعيين أحد الأمراء من خاصته سنة ٤٩٩هـ/١٠٠٥م[5].

وكان حال الأمراء والولاة في مدينة الريّ كبقية أقاليم ومدن السلجوقية، من حيث وقوفهم ومساندتهم للسلطانين: بركياروق ومحمّد ، فكانوا يميلون لجانب السلطان الأقوى وحيثما اقتضت مصالحهم، وينتقلون من جانب سلطان لآخر وبالمقابل فإنّ السلطانين: السلجوقيين بركياروق ومحمّد لم ينسوا تلك المواقف للأمراء، فيذكر المؤرّخ ابن الأثير: أن السلطان محمّد بن ملكشاه لم ينسى موقف الأمير أُنر ومشاهرته العداء علناً للسلطان بركياروق سنة ٤٩٢هـ/١١٠٠م، فقرّر مكافأته ومكافأة من كان معه، فعندما قتل الإسماعيلية الباطنية أُنر كان معه صاحبه الأصبهبذ

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢، الذهبي،العبر،ج٢، ص ٣٧٧.

(2) أبو الحسن الكرجي: هو مكي بن منصور بن محمد بن علان،الرئيس نائب الكرج ومعتمدها توفي في أصفهان سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م، رحل وسمع من الصيرفي والحيري ،كان وافر الحرمة ومحمود السيرة ، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٦٥، اليافعي، مرآة الجنان،ج٣،ص١٥٤، الحنبلي، شذرات الذهب، مج٣،ص١٠٥-١٠٦.

(3) لم تذكر المصادر التاريخية التي اطلعت عليها قيمة تلك المبالغ، إلا أنّهُ وعطفاً على تقدير قيمة الإقطاعات التي كان يمنحا السلاطين السلاجقة لا يتوقع بأن تقلّ عن خمسة آلاف ولا تزيد عن عشر.

(4) ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠،ص٧٨.

(5) ابو الفداء،المختصر، ج٢، ص١١٢.

صباوو[1] فهرب منهم إلى دمشق ومن ثمّ التقى بالسلطان محمّد بن ملكشاه فأقطعه السلطان محمّد نواحي كنجة تقديراً له ولصاحبه[2].

ولم يتوقف اهتمام السلطان محمّد بكنجة وأعمالها عند تعيين الولاة فيها، بل أنه شمل ارساله العساكر للدفاع عنها عند الحاجة، ففي سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م أرسل جيشاً بلغ تعداده ٢٠٠،٠٠٠ فارس لكفّ أذى أقوام من الكرج هاجموا كنجة ونواحيها[3]، ورغم اهتمام السلطانين بحماية المدن والولايات والدفاع عنها، إلا أن حاجتهم للمال عندما كانت تقوم المواجهات العسكرية بينهم دفعتهم لمدّ أيديهم لأموال الناس في نواحي همذان وجرجان وخوزستان سنة ٤٩٤هـ/١١٠٢م، خاصة اذا ما وقع الغلاء في الدولة وتفرق الجند عنهما[4].

٣) الموصل

عند الحديث عن العلاقة التي ربطت بين السلاطين السلاجقة وولاة الموصل التابعين للسلطنة المركزية في أصفهان، لابد لنا من دراسة تلك العلاقة بشكلّ مفصّل وبلمحات سريعة في أيام الولاة الذين حكموها قبيل سلطنة بركياروق ومحمد ابناء السلطان ملكشاه، إذ أنّ الموصل كانت قبل عهد السلطان بركياروق تخضع لحكم الأمراءالعرب من بني عقيل[5]، ثم ما لبثت ومنذ سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٧م[6] أن أصبحت خاضعة لولاة سلاجقة أتراك، كان أولّهم الأمير قوام الدولة كربوقا[7] وحيث أن لكل فترة تاريخية خصوصية في تعامل السلاطين مع الولاة فيها، نجد أنّه من

---

(1) الأصبهبذ صباوة: هو اصبهبذ بن صباوة بن خمارتكين التركي، حضر الحروب مع السلطان بركياروق في بداية نزاعاته ضد اعداءه ثم تحول عنه سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠ لطرف السلطان محمد،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٩.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٩، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص ٤٣.

(3) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص ١٧٠ .

(4) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٣٠٤، الذهبي، العبر،ج٢،ص٣٦٨-٦٩.

(5) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٢٥٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٢، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٥

(6) ابن الأثير، الكامل، ص٢٥٩، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٣.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٨-٢٥٩، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٩٥، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٦٠، دول الإسلام،ج٢، ص١٣.

الضروري دراسة علاقة السلاجقة مع بني عقيل أولاً ثم مع الولاة الأتراك الذين تعاقبوا على حكمها طيلة فترة الدراسة والتي تمتدمن سنة (٤٨٥-٥١١هـ/١٠٩٢-١١١٧م).

* **علاقة السلاجقة مع بني عقيل**

إن أول علاقة بين بني عقيل والسلاجقة تعود بدايتها إلى سنة٤٤٨هـ/١٠٥٦م[١]حينما أقطع السلطان طغرلبك الموصل وما يجاورها للأمير قريش بن بدران[٢] واستمرت علاقته معه في تطوّر مستمر اثناء نزاع السلطان طغرلبك مع البساسيري، حتى أن العديد من المراسلات الكتابية كانت بين الطرفين[٣] واستمرّ وجود بني عقيل في حكم الموصل حتى عام٤٨٩هـ/١٠٩٧م[٤]، ثمّ استمرت العلاقة في التطوّر والتحسّن أثناء حكم السلطان ألب أرسلان وذلك حينما تزوّج مسلم بن قريش[٥] من أخت السلطان سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[٦]وفي أوائل سنة٤٧٢هـ/١٠٧٩م أذن السلطان

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٨٨-٨٩، ابن الأثير،الكامل،ج٩، ص٦٢٩، للمزيد انظر البيطار، أمينة، موقف الأمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق للنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٠، ص٢٢٠-٢٢٩، للمزيد عن تواجد بني عقيل في الموصل منذ سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م، حمدي، وجدان، الإمارة العقيلية في الموصل ودورها في التصديّ للبويهيين ٣٨٠-٤٤٧هـ/٩٩٠-١٠٥٥م، دراسات موصلية، جامعة الموصل، ع٣٩، ٢٠١٣م، ص٦٧ – ٨٨.

(٢) قريش بن بدران:أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن مقلّد بن المسيّب العقيلي، وليّ الموصل عشاً، قتل عمّه قرواش سنة٤٤٤هـ/١٠٥٢م حينما تولّى الإمارة بعد أبيه بدران صاحب نصيبين، كان فصيحاً شاعراً، بليغاً توفي بمرض الطاعون سنة٤٥٣هـ/ ١٠٦١م، وكان عمره إحدى وخمسين سنة، ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج٥،ص٢٦٧، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٠١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٢٠٢، للإطلاع على الرسائل السلطانية بين السلطان طغرلبك وقريش بن بدران العقيلي انظر،حمادة، محمد، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ٢٤٧-٦٥٦هـ/٨٦١ – ١٢٥٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٩٩،١، ص٤٢١-٤٢٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١٠، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص١٦٩.

(٥) مسلم بن قريش:هو أبوالمكارم بن الملك أبي المعالي مسلم بن قريش بن بدران العقيلي، الملقب بشرف الدولة، صاحب الجزيرة وحلب، كان رافضياً، اتسعّت ممالكه ودانت له كلّ العرب تولّى إمارة بنو عقيل خلفاً لابيه سنة٤٥٣هـ/ ١٠٦١م، وطمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة طغرلبك سنة٤٥٥هـ/١٠٦٣م، قام بإعادة إعمار سور الموصل، كان حسن السيرة عادلاً، شجاعاً ، فاتكاً، مهيباً، داهية ماكر، التقى هو والملك سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب الروم على باب انطاكية،وقتل في سنة٤٧٤هـ/١٠٨٢م، توفي سنة٤٧٨هـ/١٠٨٦م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٩-١٤٠،ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج٥،ص٢٦٧، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٤٠.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩،ص٩٣، سبط ابن الجوزي، مرآةالزمان، ج١٩،ص٤٤٠-٤١.

ملكشاه لمسلم بن قريش بالاستيلاء على حلب(١) وعيّنه أميراً عليها بالاضافة للموصل(٢) واشترط عليه السلطان دفع مبلغ ثلاثمائة ألف دينار سنوياً من ناتج محصول أراضي الشهباء، يدفع للخزينة السلطانية(٣)، غير أن تلك العلاقة الوطيدة لم يكتب لها الاستمرار، ففي سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م، ونتيجة لخوف مسلم بن قريش من تحركات تاج الدولة تتش نحو أنطاكية وما جاورها، قام مسلم بن قريش بجمع العديد من العرب والأكراد، ثمّ قام بمكاتبة الخليفة المستنصر بالله في القاهرة يطلب منه إرسال نجدة إليه من أجل محاصرة دمشق وتخليصها من قبضة السلاجقة والتي يمثّلها تاج الدولة تتش(٤)،الأمر الذي أثار حفيظة السلطان ملكشاه، فأرسل جنوداً لتأديب مسلم العقيلي وحاصره ثم عفا عنه، لخلافات وقعت في خراسان ،فذهب السلطان بنفسه لحلّها(٥) .

وفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م توفيّ مسلم بن قريش(٦) واستولى أخوه ابراهيم بن قريش على الموصل(٧) والذي لم يكن على شاكلة أخيه في التقرّب من السلطان ملكشاه، فسرعان ما دبّت الخلافات بينهما، الأمر الذي دفع السلطان ملكشاه لسجنه في سمرقند(٨) وقد بقي أسيراً فيها لحين

---

(١) ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص١٢٢،اقبال، تاريخ إيران،ص٢٥١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٢، اقبال، تاريخ إيران، ص٢٥١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم،ج٩، ص٥٦٠.

(٤) ابن الأثير، المنتظم ج١٠، ص١٢٦-١٢٧، المعاضيدي، خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ٣٥٩- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م، دار الحرية للطباعة، بغداد ، د.ط ،١٩٧٥، ص٩٥، وسيشار إليه: المعاضيدي، الحياة السياسية، انظر أيضاً، اقبال، تاريخ إيران، ص٢٥١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٧، اقبال، تاريخ إيران،ص٢٥١-٥٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٩-١٤٠ ، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٢٦٨، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٤٠، الحنبلي، شذرات الذهب، مج٤، ص٦٠

(٧) ابراهيم بن قريش:هو ابن قريش بن بدران العقيلي، كان معتقلاً في عهد ملكشاه منذ سنة٤٨٢هـ/١٠٨٩م، استرد الموصل بعد ان اطلق سراحه، إلا انه تحارب مع تتش بن ألب أرسلان وقتل سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م في موقعة المضيع، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج٢٥، ص ٣٤٥.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص٢٢٠، المعاضيدي، خاشع، الموصل في عهد الإمارة العقيلية ٣٨٠-٤٨٩هـ/٩٩٠-١٠٩٥م، موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب، الموصل، ط١، ١٩٩٢، ص١٠٤-١١٩، وسيشار إليه: المعاضيدي، الموصل .

وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[١] ثم أطلقته تركان خاتون زوجة السلطان وعاد إلى الموصل[٢].

وفي أعقاب وفاة السلطان ملكشاه بفترة ليست بوجيزة سارت زوجة ابراهيم مع ولدها علي إلى الموصل وذلك في أواخر سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[٣] والتقت بزوجها ابراهيم بن قريش[٤].

وفي تلك الأثناء كان تاج الدولة تتش يستولي على مدن آمد وميافارقين ونصيبين وديار بكر والرها، فأراد الموصل، وطلب من ابراهيم بن قريش الخطبة له فيها، غير أن الأخير رفض[٥] فوقعت بينهما حرب عرفت بموقعة المضيّع سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، انتصر فيها تاج الدولة تتش[٦]، وعلى أية حال فإنّ مايعنينا هنا هو علاقة كلاً من السلطانين: بركياروق ومحمد خلال فترة الدراسة ببني عقيل والتي اقتصرت خلال فترة سلطنة بركياروق فقط، ذلك أنّ وجودهم في الموصل انتهى باستيلاء قوام الدولة كربوقا على الموصل سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م[٧] فلذلك لم يعاصر بني عقيل السلطان محمّد بن ملكشاه.

وعن علاقة السلطان بركياروق مع بني عقيل فقد اقتصرت على تعامل السلطان معهم اثناء نزاعه مع عمّه تاج الدولة تتش، فبعد وفاة ابراهيم بن قريش في موقعته ضد تتش سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، تولّى حكم الموصل علي بن مسلم بن قريش،الذي التقى مع السلطان

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٠، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٥٠.

(٢) ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن ابو الكرم محمد بن محمد بن عبدالواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ط ، ١٩٦٣، ص١٣، وسيشار إليه : ابن الأثير، التاريخ الباهر، الكامل،ج١٠،ص٢٢٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٥٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢١، ابن تغري بردي،النجوم، ج٥،ص١٣٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٥٢، ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٣٢٩-٣٣٠، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٣.

(٦) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٣- ١٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٠-٢٢١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٥٢، راجع الفصل الأول في هذه الدراسة للتعرفّ على المزيد من صراع تتش مع بني عقيل.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٥٩ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٣٤٥.

بركياروق[1]، شاكياً له سوء صنيعة عمّه تاج الدولة تتش بهم في موقعة المضيّع، فكتب السلطان بركياروق لعمّه تاج الدولة تتش يعاتبه على ما فعله ببنو عقيل[2] ووعدهم السلطان بركياروق بالمساعدة للعودة للموصل وبالفعل سار بني عقيل إلى الموصل، وملك علي بن مسلم الموصل سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥م[3] وبقي بنو عقيل في الموصل حتى سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، إذاستولى عليها قوام الدولة كربوقا[4]، وكان أولّ عملٍ قام به كربوقا هو طرد عليّ بن قريش، الذي فارق الموصل وتوجّه لملك العرب صدقة بن منصور بن مزيد في واسط[5] وبخروج بنو عقيل من الموصل ينتهي وجودهم الذي استمر قرابة مائة عام[6] وتجدرُ الإشارة إلى أن ولاية الموصل قد تعاقب على حكمها خلال سلطنة كلاً من السلطانين: بركياروق ومحمّد من الولاة الأتراك ما بلغ عددهم خمسة بدأً من كربوقا سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م وانتهاءً بجيوش بك سنة٥١١هـ/١١١٧م[7].

*** ولاة الموصل في سلطنة بركياروق بن ملكشاه :**

أ- قوام الدولة أبوسعيد كربوقا(٤٨٩-٤٩٥هـ/١٠٩٧-١١٠١م)[8]

كان أحد أولئك الذين كافأه السلطان بركياروق الجميل جميلاً وأقطعه الموصل وأعمالها، كيف لا وقد سانده في نزاعه أولاً ضد عمّه تاج الدولة تتش[9] منذ بدايته سنة ٤٨٦ هـ/١٠٩٣م

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٦-١٢٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٩، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص١٨٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢١.

(٣) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٩٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٥

(٥) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٥٩، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٣٥.

(٦) الجميلي، رشيد، إمارة الموصل في العصر السلجوقي ٤٨٩-٥٢١هـ، مطبوعات جامعة بغداد، ط١، ١٩٨٠، ص٩١-٩٣، وسيشار إليه: الجميلي، إمارة الموصل .

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥١٤، ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٩، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٧٨-١٩١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٨٩، الجميلي، إمارة الموصل، ص٩٨-١٣٠.

(٨) زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخراج: زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، د.ط،١٩٥١ ،ص ٥٥-٦٠، وسيشار إليه: زامباور، معجم الأنساب.

(٩) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٣٢، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص١٩٦.

حتى انتهاء موقعة الريّ سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥م[١] بل أن كربوقا تعرضّ للسجن في حمص من قبل تاج الدولة تتش، بسبب مساندته للسلطان بركياروق سنة٤٨٧هـ/١٠٩٥م[٢]وبقي أسيراً فيها حتى جاءه الفرج سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م ،حينما أوعز السلطان بركياروق لملك حمص ابن عمه رضوان بن تتش باخلاء سبيل قوام الدين كربوقا وأخوه التونتاش[٣].

وبالفعل قام رضوان بن تتش بإطلاق سراحهما، واللذان قاما بدورهما بالاستيلاء على مدنّ حرّان ونصيبين[٤]، ثم اصطدم كربوقا بآخر أمراء العرب في الموصل وهو علي بن مسلم بن قريش، وذلك بمحاصرته للموصل قرابة تسعة أشهر[٥] ومع خوف أهلها من جرائم ما قام به التونتاش أمر كربوقا بقتله[٦] وعامل أهل الموصل معاملة حسنة وتولىّ إمارة الموصل رسمياً[٧].

ومن خلال تتبعّ سيرة قوام الدولة كربوقا وتحليل مضامين علاقته مع السلطان بركياروق في ولاية الموصل، أمكننا ملاحظة طبيعة تلك العلاقة والتي تقوم في مقامها الأول على ارتباط ذلك الوالي بالسلطان ارتباطاً مباشراً، ومن ثمّ موافقة الوالي على كافةّ شروط السلطان إذا ما أراد الحصول على إقطاع مجزٍ، يتكفلّ من خلاله الوالي بإقامة الخطبة للسلطان السلجوقي في الولاية بدفع مبلغ من المال للخزانه السلطانية[٨]، ثمّ أنّ السلطان بركياروق اشترط على كربوقا استرجاع ما أخذه تاج الدولة تتش من أراضي، وهو بالفعل ما قام به كربوقا في طريق الحصول على

(١) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٤٤-٢٤٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٦٧ ،ابن كثير،البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ص٢٣٣، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٢٩٥، الذهبي، العبر، ج٥، ص٣٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ص ٢٤٤-٢٤٥، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٠ ، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٣.

(٤) ابن الأثير،الكامل،١٠، ص٢٥٨، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٤، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٣٥.

(٥) ابن الأثير،الكامل، ص٢٥٨، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٩-١٠ ، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٦٠، ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢، ص١٦٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ص٢٥٨، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٥٩، ابن تغري بردي،النجوم،ج٥،ص١٨٣.

(٨) الجميلي،إمارة الموصل،ص٩٠-٩٣.

الموصل[1]، كذلك الحال فإن أواصر تلك العلاقة ما بين السلطان والوالي كانت مرهونه بمدى طاعة وولاء الوالي للسلطان وتنفيذ آوامره في المسير لأيٍ من البلاد اذا ما دعت الحاجة لضمهّا أو لإخماد فتنة او ما شابه ذلك من أمور، وهو ما قام به كربوقا بالفعل سنة ٤٩٥هـ/١٠٩٧ حينما أرسله السلطان إلى أذربيجان[2]، كماأنه ومن حقّ السلطان على الوالي طاعته وامداده بالعساكر من أجل اخماد أي فتنة قد تقوم في أرجاء الدولة السلجوقية وتضعف من هيبة السلطان أمام مناصريه،كما فعل كربوقا في أذربيجان[3].

ب- شمس الدولة جكرمش(٤٩٥-٥٠٠هـ/١١٠٢-١١٠٧م)[4]

عاصر شمس الدولة جكرمش في ولايته للموصل السلطان بركياروق لمدة ثلاث سنوات فقط، لإنّ السلطان بركياروق توفيّ سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م)[5]، وقد اعتمدت علاقة السلطان بركياروق بجكرمش في بدايتها على إظهار الولاء والطاعة من قبل الوالي للسلطان مقابل الإقطاع المالي، ثمّ ما لبثت ان تحولّت لمحبة وثقة متبادلة بين الطرفين، دفعت الوالي للقتال ضدّ السلطان محمّد بن ملكشاه سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م مناصرةً للسلطان بركياروق[6]، وتعود بداية علاقة السلطان بركياروق مع جكرمش لسنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، عندما أقطعه السلطان جزيرة ابن عمر[7] وبقي بها حتى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م،عندما مات قوام الدولة كربوقا بالقرب من مدينة خوى في أذربيجان[8]،

([1]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٥٨، ابن خلدون،العبر، ج٥، ص٣٥.

([2]) الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٨.

([3]) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٣٤٢.

([4]) ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٤٢٤، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٤.

([5]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٩، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج٤ ، ص١٧٨، الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٧٦، الحنبلي، شذرات الذهب، مج٤، ص ١٢٤

([6]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢-٣٨٣، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٧٢.

([7]) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل، بينهما مسير ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصّب واسع الخيرات يحيط بها دجلة سوى من ناحية واحدة شبه الهلال، الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ١٣٨. البغدادي، مراصدالاطلاع، مج١، ص٣٣٣.

([8]) ابن الأثير، الكامل،ص٣٤١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٣.

فحلّ مكانه شمس الدولة جكرمش، بعدأن خاض معركة عسيرة ضد كُلٍ من سنقرجه وموسى التركماني[1] ثمّ في نهاية المطاف تسلمها جكرمش بعد ذلك صلحاً[2].

ومن خلال ما تعرضّ له شمس الدولة جكرمش من مواجهات وصراعات للفوز في ولاية الموصل، يلاحظ سكوت السلطان بركياروق عن التدخلّ في فضّ تلك النزاعات، وربما يكون دافعه في ذلك معرفة صاحب العرض الأكبر في الحصول علي إقطاع الموصل من أولئك المتناحرين علي الولاية هذا من جهة، ثمّ أنّه من جهة أخرى لم يكن متفرغاً لأمر الموصل فقط، فهذا أخيه السلطان محمّد ينازعه الفوز بالسلطنة في أصفهان وغيرها من ولايات الدولة السلجوقية المختلفة.

ومهما يكن من أمر، فإنّ علاقة السلطان بركياروق مع شمس الدولة جكرمش اتسمت بتقديم كلّ صور الولاء والطاعة من الوالي للسلطان، وقد ظهر ذلك جلياً وواضحاً سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م ،حينما جاءت الوفاة للسلطان بركياروق، وأراد السلطان محمّد تسلمّ المدينة، بناءً علي ما أسفر عنه الصلح الثاني بين الأخوين سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م[3]، إلاّ أن رفض جكرمش تسليم الموصل للسلطان محمّد بن ملكشاه كان بشدة وقاطعاً، مما اضطرّ السلطان محمّد لمحاصرته في الموصل لمدة طويلة وصلت إلى ثلاثة أشهر بدأ من صفر سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[4] بالمقابل فإننا نجد جكرمش يرمّم أسوار المدينة، كما قامت قواته بالهجوم أكثر من مرة علي عساكر السلطان محمّد[5].

ومع طول فترة الحصار والقتال حتي جمادي الأولي، وصل خبر وفاة السلطان بركياروق لمسامع جكرمش، فاستشار أهل البلد، وجرى الاتفاق علي تسليم المدينة للسلطان محمّد بن

---

(1) موسي التركماني: أحد نواب كربوقا اثناء ولايته للموصل، وكان مقيما في حصن كيفا، راسله أعيان الموصل بعد وفاة كربوقا لتسلّمها، غير أنه اصطدم بسنقرجه التركي قائد العساكر في جيش كربوقا، قتل سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٣.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٤٢١.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص٧٢ ، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٦٩-٣٧٠، سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ج١٩، ص٩٢٨، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٧٥.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٣.

(5)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٣، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٤.

ملكشاه[1] ثم لانشغال السلطان محمّد بموت أخيه وما ينتظره من أمور في دولته، قام بإقرار الموصل واقطاعها لشمس الدولة جكرمش ليكون والياً عليها، ثم رحل السلطان محمّد عنها[2].

***ولاة الموصل في عهد محمّد بن ملكشاه :**

أ- جاولي سقاوة (٥٠٠- ٥٠٢هـ/١١٠٧-١١٠٩م)[3]

أقطعه السلطان محمّد الموصل بدلاً من جكرمش سنة٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، وقد تمكّن جاولي من الاستيلاء على الموصل بعد محاصرته لجكرمش بداخلها، وذلك بمساعدة عددٍ من الأمراء التركمان[4]، وقد كانت علاقة السلطان محمّد مع جاولي قائمة على اثبات الذات والأحقية بالولاية من قبل جاولي ، بالمقابل فقد اشترط السلطان عليه فتح ما يروق له من مناطق مقابل إقطاع مالي محدد، يدفع في وقت متفق عليه أيضاً[5].

وقد أكدّ السلطان محمد للوالي الجديد للموصل أنّ أولى خطوات اثبات الأحقية بتوليّ الموصل التخلصّ من أخطر الشخصيات المنافسه له على تولي المدينة، وعلى رأس اولئك المنافسون قلج أرسلان[6] وبالفعل تمكّن جاولي سقاوة من فعل ماهو مطلوب منه وهزم قلج شرّ

---

(1) ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٣٨٤، ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٦٧.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٤٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٥

(3) ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٤٢٢-٤٥٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص١٤-٢١، ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢، ص١٧٩-١٨٤.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٢٣.

(5) الجميلي،إمارة الموصل،ص١١٣-١١٤

(6) قلج أرسلان: الملك قلج بن أرسلان بن قتلمش السلجوقي،صاحب قونية في بلاد الروم، استداعه أهالي الموصل بعد وفاة جكرمش لتسلمها، وعندما وصلها منطقة الخابور تعارك مع جاولي سقاوة في منطقة ماكسين بجانب رحبة مالك بن عوف بالقرب من الخابور يوم الخميس تاسع شوال سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م،وقصد جاولي قلج أرسلان وضربه بالسيف عدّة ضربات، فسقط في الخابور وغرق، ووجد بعد أيام ميتاً منتفخاً،ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٣٠، يذكره سبط ابن الجوزي، قليج رسلان، مرآة الزمان،ج٢٠،ص١٤، انظر كذلك ابن خلكّان وفيات الأعيان، مج٤،ص٥٤٣، الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٧٩، الحنبلي، شذرات الذهب، مج٤، ص١٢٨.

هزيمة[1] وقضى على البقية الباقية من أصحاب جكرمش في الموصل وصادرهم[2] وأقام الخطبة في البلاد للسلطان محمّد بن ملكشاه[3].

وقد فوّض السلطان محمّد لجاولي مطلق الصلاحية في اتخاذ الاجراءات الإدارية والسياسية في المدينة، شريطة الرجوع إليه وإخباره بتطورات الأحداث أولاً بأولَ[4]، واستمرت العلاقة حسنة بين السلطان والوالي، حتّى سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م[5] حينما ظهر من جاولي العصيان والخيانة للسلطان محمّد على وجه التحديد، فعندما دبّ خلاف بين السلطان محمّد وملك العرب صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، تحالف جاولي مع الملك صدقة ضدّ السلطان محمّد، ورفض الانصياع لأوامر السلطان ورفض القدوم لخدمة السلطان، كما ولم يقم بدفع شيئاً من الأموال التي حصل عليها من إقطاع الموصل للسلطان محمّد[6]، حينها لم يتردد السلطان محمّد كثيراً في أمر عزله،وأرسل إليه مودود بن التونتكين[7] لأخذ الموصل منه بالقوة[8] وتمكّن مودود من هزيمة جاولي سقاوة وأخذ الموصل منه سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م[9]، لتنتهي صفحة علاقة السلطان محمّد بجاولي وتبدأ مرحلة جديدة من الثقة الكبيرة بالوالي الجديد.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٠، سبط ابن الجوزي، الكامل، ج ٢٠، ص-١٦١٤،.

(2) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٣٠، أبو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣١٣ ، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٠.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٠، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٧-١٨.

(4) ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٨٨.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٢.

(6) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٥٧، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٧٩، الجميلي، إمارة الموصل،ص١١٢.

(7) مودود بن طغتكتين التونتكين: أحد أهم أبرز قادة السلطان محمد بن ملكشاه الذين أظهروا مقدرة عالية في تنفيذ المهام المكلّف بها، ومن أبرزها الاستيلاء على الموصل وأخذها من جاولي سقاوة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، ثمّ اخماد العديد من الفتن والاضطرابات التي حدثت في أقاليم الدولة المختلفة، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٧٤، الذهبي، العبر،ج٢ ، ٣٨٩.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٧، ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٨٣.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٧، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣١٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢١٢.

ب- شرف الدين مودود بن التونتكين(٥٠٢-٥٠٧هـ/١١٠٨-١١١٣م)[١]

منذ أن أرسله السلطان محمّد للموصل سنة٥٠٢هـ/١١٠٩م، للاستيلاء عليها، فقد أظهر مودود طاعته وامتثاله لأوامر السلطان ولازمه في خدمته[٢] وتميّزت علاقتهما معاً بالصدق والثقة المتبادلة، التي بسببها أعطاه السلطان الصلاحيات الكاملة لفتح المناطق المجاوره للموصل[٣] وظهرت ثقة السلطان محمّد بالوالي الجديد مودود من خلال اعتماده عليه في تجهيز الجيش وإعداده في الحرب التي خاضها السطان مع ملك العرب سيف الدولة صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م[٤].

وقد أظهر مودود كل صور الولاء والسمع والطاعة للسلطان محمّد، وبالمقابل فإن السلطان أمر أمراء الأطراف والجزيرة بإطاعة مودود والذهاب في القول كلّه فيما يقول، واشترط كذلك عليهم أن تكون إمرة الجهاد لشرف الدين مودود[٥].

وبالنظر للمدة التي تولّى فيها شرف الدين مودود إمرة ولاية الموصل، يتّضحُ مدى الفاعلية التي عمل بها ذلك الوالي خدمة للدولة الإسلامية بشكل عام والسلطان السلجوقي بشكل خاص، كما يظهر لنا مدى اعتماد السلطان عليه في المهام التي أرسل من أجلها، سواءً كانت اخماداً للفتن والاضطرابات والقلائل في الدولة كما فعل سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م في خلاط وميافارقين[٦] وما فعله مودود من عمل بطولي في التصدي للفرنج في أكثر من مرةّ خاصة عندما تعاون مع أتابك دمشق طغتكين في سنوات (٥٠٣-٥٠٤هـ/١١١٠- ١١١١م)[٧]، فقد استطاع مودود ومن خلال تلقيّه

([١]) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٥٧-٥٠٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٦٥-٧٤.

([٢]) النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢١٢، الجميلي، رشيد، ولاية جيوش بك على الموصل (٥٠٩-٥١٥هـ)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة، الموصل،ع ٥، ١٩٧٤، ص٢٥١-٢٥٥، وسيشار إليه: الجميلي، ولاية جيوش بك.

([٣]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٤٥٧.

([٤]) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ،ص٤٤٠-٤٤٤.

([٥]) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠،ص٤٨٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠،ص ٣٦-٣٨.

([٦]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٣٥.

([٧]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٣٦-٣٧.

للأوامر من السلطان محمّد والمتعلقّة بقتال الفرنج، أن يؤسس بذرة فكرة الجهاد الإسلامي المشترك الموحدّ، حينما قام بدمج قوات الموصل مع عساكر الجزيرة[١].

إلا أن الإسماعلية الباطنية، رفضوا أن ينضموا للعصبة الإسلامية المجاهدة في قتال الفرنج وبدلاً من ذلك قاموا بقتل شرف الدين مودود بينماهو في جامع دمشق سنة٥٠٧هـ/١١١٣م[٢].

وبالطبع فإن الإسماعلية-الباطنية لم يكونوا الجهة الوحيدة المستفيدة من موت شرف الدين مودود، فدوائر الشك تحوم حول الفرنج كذلك، رغم تصريح وقول ذكره ملك القدس بلدوين الأولّ في كتاب أرسله لطغتكين في أعقاب وفاة مودود قال فيه: "إن أمةً قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها، لحقيق على الله أن يبيدها"[٣].

ويُعتقد أنّ قول ذلك الملك إنما جاء لإبعاد أصابع الإتهام عن الفرنج في قتل مودود، كما جاء لإخفاء خيوط مؤامرة تحالفهم مع الاسماعيلية في قتل والي الموصل، فالفرنج هم الجهة الوحيدة المستفيدة من قتل مودود لا سيما وقد نجح مراتٍ عديده في الإغارة على مواقعهم وهزيمتهم.

ج-آقسنقر البرسقي(٥٠٨-٥٠٩هـ/١١١٤-١١١٥م)[٤]

عندما علم السلطان محمّد، بوفاة الأمير مودود، كلّف الأمير آقسنقر البرسقي ولاية الموصل والجزيرة وأقطعه إياها سنة٥٠٨هـ/١١١٤م[٥] وأمر أمراء الأطراف بطاعته ومساعدته والوقوف بجانبه لتذليل الصعوبات التي قد تواجهه رغبة من السلطان في إكمال مسيرة الجهاد ضد الفرنج وذلك باتخاذ الموصل قاعدة للجهاد[٦]، وقد اعتمدت علاقة السلطان محمّد بن ملكشاه مع الوالي الجديد للموصل آقسنقر البرسقي، على تنفيذ عدة مطالب كان أبرزها قتال الفرنج واستعادة ما

---

(١) الجميلي، إمارة الموصل، ص١١٨.

(٢) يذكر ابن الجوزي سنة وفاة شرف الدين مودود٥٠٥هـ/١١١١م، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٧٤، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣١٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص٤٩٧، سبط ابن الجوزي، مرآة ا لزمان،ج٢٠، ص٧٥، لمعرفة تفاصيل أكثر حول وفاة مودود انظر ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج٦، ص٣٢١،ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص٣٤٦ ، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٨٩، سير أعلام النبلاء، مج١٩،ص٣٤٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢،ص١٨٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠١-٥٠٨

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٧٦.

(٦) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٥٠١، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٢٠، الجميلي،إمارة الموصل،ص١١٩.

استولوا عليه في الساحل الشامي،إلا أن هذه العلاقة بين السلطان والوالي لم يكتب لها الاستمرارية طويلاً فقد استمرت لعام وبضعة أشهر [١].

وذلك لإن الوالي البرسقي فشل في تحقيق الأهداف المرجوة منه ومنها:

١- فشله في كسب ثقة العديد من الأمراء المتوجهون لقتال الفرنج من أمثال إيلغازي بن أرتق[٢] لدرجة قام معها هذا الأخير بإرسال جيش هزيل القوام بقيادة ابنه إياز بدلاً منه[٣].

٢- تعرضّ آقسنقر البرسقي للهزيمة من الأمير إيلغازي وحليفه الأتابك طغتكين على إثر خلاف دار بينهما حول جهاد الفرنج[٤]جعل من موقفه أمام السلطان محمّد في غاية الضعف.

٣- فشله الذريع الذي مني به أثناء منازلة "روجيل" صاحب أنطاكية، سنة٥٠٩هـ/١١١٥م[٥].

كانت الأسباب السابقة كفيلة باتخاذ قرار يقضي بعزل السلطان محمّد للوالي البرسقي من مهمته وبقاؤه في إقطاعة بمنطقة الرحبة فقط[٦]، كما كانت مؤشراً هاماً لدى السلطان في إعداد حملة قوية لاخضاع أمراء الأطراف، والقضاء على كلّ حركة تهدف الإنفصال عن السلطنة السلجوقية ويعيقها عن مواصلة الجهاد ضد الفرنج [٧].

---

(١) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٥٠٢، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٢٢، الجميلي، إمارة الموصل، ص١٢٩.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٧٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠٣، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل،ص٥١١، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٩٣.

(٦) ابو الفداء، المختصر،ج٢، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٣، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٩٠، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٨٨، ص٣٢٢.

(٧) الجميلي، إمارة الموصل، ص١٢٩.

د- جيوش بك[1] تولى الموصل من سنة (٥٠٩-٥١٥هـ/١١١٥-١١٢١م)[2]

كان آخر ولاة الموصل في عهد السلطان محمّد، حيث أقطعه الموصل وأعمالها بدلاً من البرسقي سنة٥٠٩هـ/١١١٥م[3] ولم تختلف سياسة السلطان معه عن سابقيه من الولاة خاصة فيما يتعلق بزيادة الرغبة في تطهير الساحل الشامي من الوجود الأجنبي المتمثل بالفرنج[4] فقد أمره بالتصديّ لهم بإرساله على رأس قوة عسكرية نحو حلب سنة٥١٠هـ/١١١٦م[5].

بقي جيوش بك والياً على الموصل مطيعاً للسلطان غير عاصٍ لأوامره، ولم تذكر المصادر التاريخية عن عصيانه للسلطان خلال الفترة القصيرة التي تزامنت ولايته للموصل، فقد وافت المنيّة السلطان محمّد بن ملكشاه سنة ٥١١هـ/١١١٧م[6].

٤) واسط والحلة [7].

كان ملك العرب صدقة بن مزيد حاكماً للإمارة المزيدية في عهد سلطنة بركياروق، فقد تولّى الإمارة بعد وفاة أبيه منصور بن دبيس[8] سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وحظي باعتراف الخلافة

---

(١) جيوش بك: هو الأمير الأتابك كان يعمل لدى السلطان محمد بن ملكشاه ،ولاّه ولاية الموصل سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م،بدلاً من آقسنقر البرسقي وبقي على الولاية حتى سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م ،ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٥٠٩-٥١٤.

(٢) ابو الفداء،المختصر،ج٢، ص٣٠٩، الجميلي، ولاية جيوش بك ، ص٢٥١-٢٥٥.

(٣) ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٩، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٣، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٩٢.

(٤) الجميلي، ولاية جيوش بك، ص٢٥٣-٢٥٥.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص٩٧-٩٨.

(٦) ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج٤، ص ٧٣، الحنبلي،شذرات الذهب، مج٤، ص١٦٧.

(٧) الحلةّ: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد، كانت تسمّى الجامعين وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م ، مستغلاً انشغال ابناء السلطان ملكشاة في نزاعاتهم وحروبهم، وقد قصدها التجاّر فصارت أفخم بلاد العراق طيلة حياته، الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٩٤.

(٨) منصور بن دبيس: بهاء الدولة منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي، تملكّ الحلة بعد وفاة والده سنة ٤٧٤هـ، سار لمخيم السلطان ملكشاه فخلع عليه الخلع، كانت أيامه في الحلّة خمس سنوات وقيل ست ،كان شاعراً شجاعاً،نحوياً جيدا، توفي بمرض السلّ، وحينما سمع نظام الملك نبأ وفاته قال: مات أجلّ صاحب عمامة، ابن

العباسية والسلطنة السلجوقية في عهد كلاً من الخليفة المقتدي بأمر الله والسلطان ملكشاه، وولّاه السلطان ما كان لأبيه[1] وبقي على رأس إمارته أميراً عليها حتى وفاته سنة٥٠١هـ/١١٠٧م بعد حربه مع السلطان محمّد بن ملكشاه [2] حيث قضى السلطان محمد عليه وأدار الحلّة وواسط بشكل مباشر بعيداً عن بني مزيد واعتقل دبيس ابن صدقة .

وفي السطور التاليه سأقوم بدراسة علاقة الأمير صدقة مع كلّ من السلطانين بركياورق ومحمّد على حده:

*** علاقة السلطان بركياروق مع الإمارة المزيدية:**

أظهر الأمير صدقة بن مزيد الطاعة والولاء للسلطان بركياروق، ووقف لجانبه طيلة فترة صراعه مع أخيه محمّد بن ملكشاه ولم يباين عليه إطلاقاً[3] ولم يحاول الخروج عليه، رغم تعرضّ واسط للنهب من عساكر السلطان بركياروق سنة ٤٩٣/١٠٩٩م[4] فعندما قام قائد عساكر السلطان بركياروق ينال الحسامي بنهب واسط حينها، لم يغير صدقة من ولائه وطاعته للسلطان بركياروق، بل قام صدقة بالاتصال شخصياً بينال وعاتبه على ما فعله وقام بتهدئة الأمور واعادتها لنصابها[5] والأكثر جمالاً وولاءً للسلطان بركياروق قيام صدقه بالمسير معه لبغداد بنفس السنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م من أجل إعادة الخطبة له بعد أن قطعت إثر هزيمة بركياروق في المواجهة

=الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٥٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٠٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٨، ص٥٥٨.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٥٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩،ص٢٣٤.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩، ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٩٨، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٠-٤٤٨.

(3) حسون، محمد، مقاومة الإمارة المزيدية للاحتلال السلجوقي، مجلّة العلوم الإنسانية،جامعة بابل، مج٩، ع١، ٢٠٠٤ ،ص ١٥٦-١٥٧، وسيشار إليه: حسون ، مقاومة الإمارة .

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤، ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص٢٩٣، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج١٩، ص٥٠٢.

(5) ابن الأثير ،الكامل، ج١٠، ص٢٩٣.

الأولى مع السلطان محمّد[1] كما أنه لم يعارض السلطان بركياروق في ما يطلبه منه، فنجده وحينما كثر النفير من المسلمين في الشام، يتجهّز للذهاب لقتال الفرنج سنة٤٩١هـ/١٠٩٧م[2].

ومقابل تلك العلاقة الحسنة الطيبة مع السلطان بركياروق فقد حظي بتفويض كامل من السلطان بإدارة شؤون بلاده، كما تضمنّت تلك العلاقة حصوله على إقطاع المناطق القريبة من واسط مقابل مبالغ من المال يدفع للخزانة السلطانية سنوياً[3]، ومن ذلك نجد سيف الدولة صدقة يقوم بتضمين بعض الأراضي والمحال التجارية لأشخاص عرفوا بثقتهم وحسن تعاملهم، فقام بتضمين بعضاً من الأراضي لمهذب الدولة مقابل خمسون ألف دينار سنويا[4].

ومع مرور السنوات، بقي الحال بين السلطان بركياروق والملك صدقة، على ما هو من الولاء والطاعة من جانب الأمير المزيدي للسلطان بركياروق حتّى حانت سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م[5] حينما كان السلطان في بغداد محموماً ومريضاً[6]، وكان وقتها عيد الأضحى المبارك[7]، وأرسل الخليفة المستظهر بالله جملاً للسلطان بركياروق من أجل نحره، ولم يأتِ الملك صدقة كما جرت العادة لخدمة السلطان في بغداد[8] غير أن هذا التصرف لم يكن السبب الرئيسي لقطع العلاقة أو توترها على أقل تقدير بين السلطان والملك صدقة.

---

(1)الراوندي،راحة الصدور ،ص٢١٢، انظر كذلك النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص١٩٧ .

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩، ص٤٩٠، ابن تغري بردي، النجوم،ج٥،ص١٦٠.

(3)ابو الفداء،المختصر ،ج٢،ص٣٠٧.

(4)ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٣٥٨.

(5) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠، ص٥٥، ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٣٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٥١٤، ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٥٣

(6) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٥٥.

(7) ابن الجوزي،المنتظم، ج١٠، ص٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٧.

(8) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ص٥١٤.

وحول السبب الرئيسي الذي دفع الملك صدقة لذلك التحول عن السلطان بركياروق بن ملكشاه أمكننا ملاحظة السبب التالي :

تجمع جلّ المصادر التاريخية على أن المتسبب في توتر العلاقة بين السلطان بركياروق والأمير سيف الدولة صدقة وانهيارها هو وزير السلطان بركياروق الأعزّ ابو المحاسن الدهستاني[1]، فقد أرسل ذلك الوزير رسولاً لصدقة يطالبه بدفع أموالاً استحقت عليه منذ وقت طويل، وقد وجب دفعها للخزانة السلطانية[2] وقد حددّها الوزير لصدقة بمبلغ ألف الف دينار[3]، وقد قام الوزير الدهستاني بتهديد الأمير سيف الدولة صدقة، فيذكر المؤرّخ ابن الجوزي قول مبعوث الدهستاني للأمير سيف الدولة على النحو التالي:" فإن أديتها وإلا فبلدك مقصود"[4] ويذكر المؤرّخ ابن الأثير فحوى وتفاصيل التهديد بشكل مختلف قائلا: "وإلا سيرّنا العساكر إلى بلادك وأخذناها منك"[5] فيما يذكرها المؤرّخ سبط ابن الجوزي بصفة تهديد شخصية لصدقة حيث يقول على لسان ما قاله الرسول:"وإلاّ حملتها وإلاّ قصدناك"[6].

ولما عُرف عن ملك العرب صدقة بن منصور من إعتزازٍ واعتداد بنفسه وشخصيته وحلمه وكرمه كما يصفه بعض المؤرخين[7] فلم يقبل تلك الرساله وما جاء فيها، ورفضها جملةً وتفصيلاً[8]، فكانت ردّة فعله الأولية والمباشرة طرد ذلك الرسول، ولم يكتفِ صدقة بطرده فحسب، بل أمر أن تقطع حبال الخيمة التي ينزل بها بالقرب من دار صدقة[9]، وكانت ردّة فعل الرسول

([1]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٨ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٠.

([2]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٨، الذهبي،تاريخ الإسلام،ص٢٦.

([3]) ويقصد بذلك مليون دينار، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٥،ابن الأثير، الكامل،ص٣٠٨.

([4]) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٥٥.

([5])ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٣٠٨.

([6])سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٥١٤.

([7]) ابن الجوزي،المنتظم، ج١٠، ص٥٥،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٩،حسون، محمد،الأمير صدقة بن منصور، مجلة جامعة بابل، العراق ، ع١، ١٩٩٦ ،ص٦٠، وسيشار إليه: حسّون، الأمير صدقة .

([8]) سبط ابن الجوزي،المنتظم، ج١٩، ص٥١٤.

([9]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٥، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١٤.

المبعوث لصدقة الغضب ، فنظم أبياتاًمن الشعر تفوح منها رائحة التهديد والوعيد لسيف الدولة صدقة [١]:

لا ضربت لي بالعراق خيمة ولا علت أناملي على قلم

إن لم أقدها من بلاد فارس شعث النواصي فوقها سوداللمم

ويمكن القول بأنّ خيار قيام السلطان بركياروق بحرب ضد الأمير صدقة، كان خياراً غير متاح، ذلك أنه كان مشغولاً في تأمين الأموال اللازمة للجند والعساكر المشاركين في حروبه ضدّ أخيه محمد، ودليل ذلك أن السلطان وحينماعلم بعدم قبول سيف الدولة صدقة دفع ما طلب منه من أموال، أرسل السلطان بركياروق للخليفة المستظهر بالله يطلبه المال، حيث كتب إليه يقول: "إنّ المطالب قد امتنعت ولا بد من إعانتنا بشيئ نصرفه إلى العساكر"[٢]، وأمام حاجة السلطان بركياروق للأموال، وشخصية الخليفة المستظهر بالله الضعيفة بالوقوف في وجه بركياروق،لم يكن بوسع الخليفة الرفض فدفع مبلغ خمسة آلاف دينار[٣].

وتأكيداً من السلطان بركياروق على رغبته في ابقاء العلاقة مع الملك سيف الدولة صدقه، وحرصه على عدم خسارته كحليف قوي في منطقة العراق، إضافة لرغبته بتشكيل قوة سياسية مناهضة للخلافة العباسية، أرسل إليه مرّة بعد مرّة يدعوه للحضور[٤]، إلا أن ردّ صدقة ورغبته الجدّية باتخاذ موقف يساعده بالتحرر من السلطنة السلجوقية دفعه للرفض[٥] فكان ردّ صدقة لمبعوث السلطان حينما أبلغه برغبة السلطان بركياروق بمقابلته: "لا أحضر ولا أُطيع السلطان إلاّ إذا سلّم وزيره أبو المحاسن الدهستاني إليّ، وإن لم يفعل فلا يتصوّر مني الحضور عنده أبداً، ويكن في ذلك ما يكون"[٦]، حتّى أن الملك صدقة اشترط على السلطان بركياروق شرط تسليم الدهستاني

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص٥٥.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٥.

(٣) ابن الجوزي،المنتظم، ج١٠، ص٥٥.

(٤)ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٣٠٨.

(٥)ناجي،الإمارة المزيدية،ص١٠٣-١٠٤.

(٦)ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٣٠٨.

له، لابقاء الطاعة والولاء للسلطنة السلجوقية، إذ أضاف قائلاً:" فإن سلّمته إليّ فانا العبد المخلص في العبودية والطاعة"[1].

ويبدو بالفعل أن الملك صدقة أصبح غير آبه بثقل السلطان بركياروق ووزنه السياسي لاعتبارات كثيرة منها الأزمات الخانقة التي يمرّ بها جراء نزاعه مع أخويه: محمّد وسنجر، فقام بإظهار العداء الصريح والواضح للسلطان بركياروق، وذلك عندماأرسل سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م جيشاً للكوفة قام بطرد نائب السلطان فيها، وضمها لإمارته[2].

واستمراراً للعداء الواضح الذي أعلنه ملك العرب صدقة ضد السلطان بركياروق، قام كذلك بالاستيلاء على هيت شمالي بغداد وطرد نائب بركياروق منها، مستبدلاً إياه بشخص يدعى ثابت بن كامل[3] وكأنه بذلك يرفع شعار التحديّ ضد بركياروق بتحدٍ سافر،وثقة أكيدة بعدم مقدرة السلطان أن يظهر ردة فعل حقيقية جدية، ربما لمعرفة الملك صدقة المسبقة بكافة الظروف التي يمرّ بها، كذلك فإن عدم صدور أي ردة فعل تعطينا تصوراً عن عجز السلطان بركياروق في ذلك الوقت عن فعل أي شيئ.

***علاقة السلطان محمّد بن ملكشاه بالإمارة المزيدية:**

بدأت علاقة السلطان محمّد بن ملكشاه بملك العرب صدقة بن منصور سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، حينما قطع ملك العرب سيف الدولة الخطبة للسلطان بركياروق وأقامها للسلطان محمّد[4] وأعلن حينها مساندته العلنية للسلطان محمّد[5] ثمّ استغلّ صدقة الظروف السياسية في الدولة السلجوقية، وأخذ يعمل على توسيع نفوذه في مناطق العراق والجزيرة[6].

([1]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص٥٥،ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٣٠٨.

([2]) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٥٥-٣٥٦.

([3]) ثابت بن كامل: أحد ابناء عمومة الأمير صدقة، عينّه نائباً على منطقة هيت بدلاً من نائب السلطان بركياروق، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٥٩، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٨٨

([4]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٨، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٠.

([5]) الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٧٧.

([6]) حسون، الحلّة في العصر العباسي، ص١٥٦.

وبعد وفاة السلطان بركياروق، أظهر ملك العرب صدقة ولائه وطاعته للسلطان محمّد، فقد أعلن مناصرته له ورفضه القاطع لأي محاولات قد يقوم بها الأمير الأتابك إياز، بغية تنصيب ملكشاه الصغير ابن بركياروق على عرش السلطنة[1] فما أن تناهى لمسامعه خبر وصول إياز برفقة الصغير ملشكاه حتىً جمع العساكر والفرسان وأرسل ولديه بدران ودبيسا[2] للموصل حيث كان السلطان محمّد منهمكاً بمحاصرة جكرمش[3] وطلب منه الوصول على جناح السرعه لبغداد لمنع تتويج ملكشاه الثاني سلطاناً[4] بموافقة الخليفة المستظهر بالله التي كانت شكلية آنذاك.

وكخطوة من ردّ الجميل لملك العرب صدقة، فما أن استقامت أمور السلطة للسلطان محمّد، حتّى قام بإقرار صدقة على الحلةّ وواسط[5] كما أذن له سنة٤٩٩هـ/١١٠٥م بأخذ البصرة من نائب بركياروق أرسلانجق. ولم يضيع الملك صدقة الفرصة من بين يديه لاستغلال الظروف المواتية لرضا السلطان محمّد عنه بمنحه الضوء الاخضر بالتوسع فقاد جيشاً بلغ قوامه عشرون ألف فارس[6] سار بهم قاصداً البصرة ، وتمكّن بالفعل من الاستيلاء عليها في أولى سنوات سلطنة محمّد بن ملكشاه الفعلية بعد أن تولىّ الأمراء أخذ اليمين المغلظة للسلطان وحكم الدولة دون منازع[7].

واستمراراً للعلاقة الطيبة بين الجانبين، ولازدياد ثقة السلطان بالأمير صدقة، نجدالسلطان محمد لم يعترض على توسّع نفوذ الملك صدقة، طالما أنّه ملتزم بدفع ضمان الإقطاع بالوقت

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٧٧، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٨٠، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٤،

(2) بدران ودبيس : أبناء ملك العرب صدقة بن منصور، كانا مع والدهما في كثير من الوقائع الحربية،آخرهاالحرب ضدّ السلطان محمد سنة٥٠١هـ/١٠٨٩م ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٠-٤٤٢، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٨٦.

(3)ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٣٨٣،ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٢،ص١٨٣.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٧، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٨٧.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٧، ابو الفداء،المختصر،ج٢،ص٣٠٩.

(6)ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٤٠٢-٤٠٣.

(7) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٧٨.

المحدد[١]، لذلك كلّه نجد الملك صدقه في سنة٥٠٠هـ/١١٠٦م يضم قلعة تكريت[٢] إلى أملاكه التابعة لإمارته في العراق[٣] وهكذا يمكن القول بأن الملك صدقة قد أخضع المناطق الزراعية في وادي الفرات الرسوبي من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه لسلطته، وكانت تلك المرّة الأولى التي يتمتّع بها عرب العراق باستقلال ذاتي في مناطق واسعة آبّان حكم السلاجقة في العراق[٤]، ومع ازدياد مساحة الأملاك التابعة للإمارة المزيدية خلال عهد الملك صدقة،مدح أبو البقاء الحلي فتح المناطق فأنشد قائلاً[٥]:

"ويوم هيت قد حنّت إليه فلم تسكن لغيره نفساً ولم تطبِ

غُداة زجى إليها من عساكرهِ جيشاً يؤمّ به جيش من الرعب"

وقد فوّض السلطان محمّد كافة الصلاحيات لملك العرب صدقه في حلّ المنازعات الداخلية التي تحدث داخل حدود إمارته، دون الرجوع إليه، خاصةً وأنّ المشاحنات بين قبائل عبادة وخفاجة[٦] قد اشتدت في عهد صدقة[٧]، ورغم تلك العلاقة الطيبة بين السلطان محمّد وملك العرب صدقة، فإنّ الخلاف سرعان ما دبّ بينهما سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م،فساءت العلاقة بينهما بشكل

---

(١) ناجي، عبد الجبار ،الإمارة المزيدية " دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي "، دار الطباعة الحديثة ، بغداد ، ط١، ١٩٧٠،ص١٠٨-١٠٩، وسيشار إليه : ناجي، الإمارة المزيدية.

(٢) قلعة تكريت: قلعة تاريخية يعود بنائها للألف الثالث قبل الميلاد، تقع في تكريت على الضفة اليمنى لنهر دجلة، بين بغداد والموصل، وهي أقرب لبغداد،الحموي،معجم البلدان، مج٢،ص٣٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤١٩، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣١١، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص١٧.

(٤) الرفيعي، عبد الأمير، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية ، الفرات للنشر والتوزيع ، بغداد ط١ ، ج١، ٢٠٠٢، ص٦٠، وسيشار إليه : الرفيعي ، العراق .

(٥) هو أحد الشعراء المقربين من سيف الدولة صدقة، كان يجالسه كثيراً ويستمع لرأيه للمزيد في مدح سيف الدولة انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢، ص١٨.

(٦)عبادة وخفاجة: هي من القبائل العربية المنحدرة من عامر بن صعصعة بن مضر العدنانية، والتي سكنت في مناطق واسط والكوفة، وقد نشبت بينهما مشاحنات كثيرة حول غارات بعضها على بعض، وقد تدخّل الأمير صدقة سنوات ٤٩٩ -٥٠٠هـ /١١٠٥- ١١١١م ،في حلّ المشاحنات بينهما، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٤٠٠-٤١٧.

(٧) ابن الأثير ،الكامل، ج١٠، ص٤٠٠-٤٠١.

واضح للعيان[1]، وسبب توتر تلك العلاقة كما رواه أغلب المؤرخين المعاصرين يعود لحماية وإجارة ملك العرب صدقة لـ أبودلف سرخاب الديلمي، حين استجار بـ صدقة من غضب السلطان محمّد بسبب خلاف وقع بينهما، لم تكشف المصادر التاريخية فحواه ، ولسنا هنا بصدد الحديث عنه، لإنّ معرفة تفاصيله لن تغير في مسألة توتر العلاقات التي حدثت.

إنّ اكثر ما أغضب السلطان محمّد من الملك صدقه هو رفض الأخير تسليم أبو دلف للسلطان بعد أن طلب منه ذلك[2]، كما أنه اصبح لدى السلطان شعور قوي بالتخوفّ من التطلعات السياسية لدى صدقة، لا سيمامع ازدياد التفاف الناس من حوله[3]، خاصة بعد تحذير عميد العراق أبو جعفر البلخي[4] للسلطان بأخذ الحيطة والحذر من الملك صدقة بعد ازدياد هيبته وسطوته بين الناس، إذ أخذ يهمس بأذن السلطان محمّد محاولاً إفساد العلاقة قائلاً: "إن صدقة عظم أمره، وزاد حاله وكثر إدلاله، ويبسط في الدولة حمايته على كلّ من ينزل إليه من عند السلطان، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم، ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله"[5].

وقد أعاد السلطان محمّد بطلب ملك العرب صدقة تسليم أبو دلف غير مرّة، إلاّ أن صدقة صمّ أذنيه، ورفض تسليم من استجار به معللاً للسلطان: "أنا لا أمكّنُ منه بل أحامي عنه، وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:

ونسلّمه، حتىّ نصرّع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[6]

---

(1) سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج٢٠،ص٢٥،ابن كثير،البداية والنهاية، ج١٢ ،ص١٨١.

(2) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص ٩٦،ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٤٤٠،سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج٢٠،ص ٢٦،النويري،نهاية الأرب،ج٢٦،ص٢١٠.

(3)الخزرجي، ماجد ، سيف الدولة صدقة بن منصور ودوره في التصديّ للتسلذط السلجوقي على العراق ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ع١ ، مج ١٦، ٢٠٠٨ ،ص٢٢٧، وسيشار إليه : الخزرجي، سيف الدولة صدقة.

(4) أبوجعفر البلخي: هو العميد ابو جعفر محمد بن الحسين البلخي،كان بارعاً في الفقه والعلوم ، تولى عمادة العراق في عهد السلطان محمد بن ملكشاه ٤٩٨-٥١١هـ /١١٠٤- ١١١٧م ، كان محرضاً وعاملاً مؤثراً في اعلان حرب السلطان ضد صدقة،ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٤٤٠.

(5)ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٤٤٠.

(6)ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٤٤١.

وذكرَّ الملك صدقة السلطان محمّد بن ملكشاه بأن عرويته لا تسمح له بفعل مشين يمسّ كرامته فأضاف قائلا: "لا أفعل ولا أسلّم من لجأ إليّ"[1].

أمام هذا الوضع المتأزم بين السلطان محمّد والملك صدقة، لم يكن بوسع السلطان محمّد سوى التوجه للقاء الملك صدقة، رغم أن العديد من الروايات التاريخية تشير إلى تريّث السلطان كثيراً قبل اتخاذ قرار الحرب، فمن ذلك إرسال السلطان أبو سعد الهروي[2] ليطيّب قلب صدقة، ويزيل خوفه ويأمره بالتجهّز لقتال الفرنج معه[3] إلاّ أنه رفض كل المحاولات التي قام بها السلطان محمّد وذلك على ما يبدو بتحريض من قائد جيشه سعيد بن حميد الذي تكفلّ بإيغار قلب الأمير ضدّ السلطان محمّد[4]. كما حاول الخليفة المستظهر بالله، احتواء الأزمة فحذّر الأمير صدقة من مغبّة الخروج عن طاعة السلطان محمّد[5] فأجاب صدقة قائلاً: "إنيّ على طاعة السلطان، لكنّ لا آمن على نفسي الاجتماع به"[6].

إزاء تلك التطورات الخطيرة ومع فشل جميع المساعي الحميدة التي كانت تهدف لاطفاء فتيلة النزاع، قام السلطان بإرسال جيشاً من الأتراك لواسط، حيث أخرجوا منها نائب الملك صدقة[7]، وقد ردّ عليه صدقة بارسال أبناء عمومته لواسط، تمكنوا من طرد أولئك الأتراك[8]، ونتيجة لكل ذلك أصبح القتال بين الطرفين أمراً وشيكاً لا مفرّ منه، فتحركّ سعيد بن حميد لجمع

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٩٧.

(2) أبو سعدالهروي: هومحمد بن نصر بن منصور،أحد أشهر القضاة من قرية هراة، وليّ قضاء الشام، ثم اتصل بخدمة الملوك السلجوقية، قتله الاسماعيلية-الباطنية سنة٥١٨هـ/١١٢٤م، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٥٦.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٢.

(4) سعيد بن حميد: قائد جيش الأمير صدقة، كان له دور كبير في نشوب الحرب سنة٥٠١هـ/١١٠٧م، إذ أوغر قلب الأمير ضد السلطان محمد بن ملكشاه عندما استشاره فيما يجب فعله، حيث قال: لم يبق لنا في صلح السلطان مطمع، ولترون خيولنا بحلوان، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٢.

(5) ابن الأثير،الكامل ،ج١٠،ص٤٤٣، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢١.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٣.

(7)ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٤٤٣

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٣-٤٤٤.

العساكر والفرسان، وتمكّن من حشد عشرون ألف فارس من مناطق العرب والأكراد والأتراك[1]،هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المشاة بلغ عددهم نحو ثلاثون ألف[2]، وفي تلك الأثناء لم يكن مع السلطان محمّد سوى ألفين[3]من الفرسان والعساكر فقط، يتقدمهم البرسقي وعدد من الأمراء وأمام هذا الفارق الكبير في عدد الفرسان، أمر السلطان محمّد أمراء الأطراف والولايات إمداده بالتعزيزات العسكرية اللازمة[4]، وبالقرب من قرية النعمانية[5] التقى الجمعان في التاسع عشر من رجب سنة ٥٠١هـ/١١٠٦م[6] وكان مع صدقة على ميمنته ابنه دبيس وصاحب جيشه سعيد بن حميد وقبائل خفاجة برمتّها[7] ، بينما كان ابنه بدران وقبائل عبادة في ميسرته[8] وتمركز الملك صدقة في القلب يرافقه أبو دلف بن سرخاب[9] وأبو المكارم بن أبي الجبر، الذي بذل جهداً كبيراً في الحرب[10]، أمّا فريق السلطان محمّد، فقد شغل البرسقي والسعدية ميمنة السلطان[11] والأمير أحمد بك ايل أحد أهم

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٩٦-٩٧، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٩، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٤٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٥.

(2) ابن الأثير، الكامل،ص٤٤٤، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص٢١٠، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢١، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢،ص١٨١.

(3) يذكر الحسيني عددهم بألف فقط، زبدة التواريخ،ص ١٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٤.

(4) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٤٤٦-٤٤٨

(5) النعمانية: بليدة بين واسط وبغداد،في نصف الطريق على ضفّة دجلة من أعمال الزاب الأعلى وأهلها شيعة، كثيرة الخيرات وافرة الغلات، بناها النعمان بن المنذر بن قيس ماء السماء، الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٢٩٤، القزويني، أبو عبدالله بن زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، د.ط ، ١٩٦٠، ص٤٦٩ ، وسيشار إليه : القزويني ، آثار البلاد .

(6)ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٤٤٧، ويذكرها الحسيني، زبدة التواريخ، ٢ رجب، ص،١٦٩ ، فيما يذكرها سبط ابن الجوزي، في٦ رجب، مرآة الزمان،ج٢٠، ص٢٦، ويذكرها اليافعي في ٢٩ من رجب،مرآة الجنان ، ج٣، ص١٢٩، ومع هذا الاختلاف في اليوم والإتفاق في الشهر فمن غير المرجّح أن تكون في غيره.

(7) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٩٧ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ص٢٦.

(8)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٠، ص٢٦،.

(9)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٢٦.

(10) حمّاد بن أبي الجبر، أحد قادة العسكر في فريق الأمير صدقة، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٦.

(11)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٢٦.

قادة السلطان محمد العسكريين، وجماعة آخرين من الأمراء ميسرة الجيش السلطاني(١) وتوزّع أمراء الأطراف وبنو برسق وآل كاكوية وغيرهم في مناطق مختلفة(٢).

واشتد القتال بين الطرفين، وقام البرسقي بالهجوم من الميمنة على جيش الملك صدقة(٣) وسقط الكثير منهم جرحى وقتلى، ولم تتمكّن خيل صدقة من النهوض بسبب الوحل الشديد في أرض المعركة(٤) وتفاجئ فريق صدقة ببسالة وشجاعة الأتراك في الجيش السلطاني ، فكلمة السرّ كانت بأيدي النشابة منهم(٥)، فقد أطلقوا وابل من السهام باتجاه جيش صدقة(٦)، ويذكر ابن الأثير في ذلك أن عدد السهام تجاوزت عشرة آلاف سهمٍ(٧)، وعندما شاهدت قبائل العرب في جيش صدقة ذلك تقاعست ولم تحركّ ساكنة وكأنها شارفت على الهلاك(٨) الأمر الذي دفع صدقة للكشف عن رأسه والمناداة بصوت عالٍ: " أنا تاج الملوك، أنا ملك العرب " (٩)واستمر الأتراك يطلقون السهام بشراسة، أصاب منها واحد ظهر صدقة(١٠) فسقط على الأرض، وتبعه غلامٌ يدعى بزغش فقطع رأسه بالسيف(١١).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٧،ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٤٨،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٦،ابن كثير،البداية والنهاية، ج١٢،ص١٨٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٦-٢٧.

(٣)ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص٤٤٧، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج٢٠،ص٢٦.

(٤) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٩٧،الحسيني، زبدة التواريخ،ص١٦٩، ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٤٤٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٦.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩،ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٤٤٧-٤٨.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٦، ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٤٤٧-٤٤٨.

(٧)ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٤٤٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٢٦،

(٨) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٧.

(٩)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٦.

(١٠) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٩.

(١١) بزغش: غلام من عرب السعدية الذين كانوا في صفوف السلطان محمد،وهو أحد أتباع الأتراك الواسطيين، كان أشلّ اليدين، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٨.

وبعد انتصار السلطان محمّد بن ملكشاه في الحرب ضدّ الملك صدقه سنة ٥٠١هـ/١١٠٦م(١)، أطلق سراح دبيس بن صدقة (٢)، كما أرسل الأمان لزوجة صدقة، وأمر بقدومها لبغداد، وجعل دبيس عنده وأقطعه المناطق بعد أن جعل إدارته تابعةً لديوان الإستيفاء بشكل مباشر(٣).

٥) بغداد

شهدت الفترة التاريخية التي تولّى فيها السلطانين: بركياروق ومحمّد الحكم من سنة ٤٨٥هـ-١٠٩٢/٥١١-١١١٧م حكم الخلفاء المقتدي بأمر الله، والمستظهر بالله، وقد حكم الخليفة الأول تسعة عشر سنة وثمانية أشهر(٤) اعترف فيها بسلطنة السلطان بركياروق سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م(٥) فيما حكم الخليفة الثاني خمسة وعشرون سنة(٦) ومنح الاعتراف الرسمي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٩، ابو الفداء، المختصر،ج٢،ص٤٢، ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي ،ج٢،ص٢٧ ، ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٢،ص١٨١.

(٢)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢١١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٨، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٠١.

(٤) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٣ ،ص٢٠١، القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين احمد بن علي بن أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) مآثر الإنافة، تحقيق: عبد الستار فرّاج ، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت ، د. ط ،ج٢، ١٩٦٤، ص٦-٧.

(٥) ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص٢٥٣،سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٥٢،اليافعي،مرآة الجنان، ج٣، ص١٠٩.

(٦) الأربلي، عبدالرحمن سبط قنينو (ت٧١٧هـ/١٣١٧م)خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، وقف على طبعه وتصحيحه: مكي السيّد جاسم، مكتبة المثنى ، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص٢٦٦، وسيشار إليه: الأربلي: خلاصة الذهب، ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢،ص١٥٣.

فيها للسلطان بركياروق سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م[١]، ثم للسلطان محمّد حينما جاهر أخيه بركياروق بالعداء وطلب السلطنة لنفسه سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م[٢].

وستتناول الدراسة سياسة كل سلطان مع من عاصره من الخلفاء العباسيين بشكل منفرد، وذلك لمعاصرة السلطان بركياروق للخليفتين المقتدي بأمر الله والمستظهر بالله، فيما عاصر السلطان محمّد الخليفة المستظهر بالله فقط، كما أن اختلاف الأحداث التاريخية، التي جرت أثناء سلطنتها تحتمّ علينا معالجة العلاقة بشكل مختلف.

أولاً:سياسة السلطان بركياروق بن ملكشاه مع الخلافة العباسية:

في أول سنوات سلطنته، وبعد أن فرغ من نزاعه مع أخيه محمود، ثم خاله اسماعيل ياقوتي ومناوشات عمه تاج الدولة تتش، سار لبغداد في أواخر سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[٣].

وحصل على اعتراف الخليفة المقتدي بأمر الله، وكان للسلطان بركياروق ما أراد من دخوله بغداد، فالخليفة العباسي في وضع متأرجح حيث الضغوط الكبيرة التي أثقلت كاهله، فتركان خاتون كانت تطلب الخطبة لولدها محمود من قبل، ثم تاج الدولة تتش يمارس ضغوطه من بعيد للحصول على الاعتراف الرسمي، وهاهو الأبن الأكبر للسطان ملكشاه يدخل بغداد طالباً للاعتراف الرسمي بالسلطنة، ويحصل عليها في الرابع من محرّم سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٤].

وحمل وزير الخليفة للسلطان بركياروق الخلع من الخليفة فلبسها[٥]وأطلق الخليفة على السلطان لقب ركن الدين والدين والدولة [٦]، كما أمر بقراءة الخطبة باسمه في الرابع عشر من

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٩ ، ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٣٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٤٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص١٩٦، الحنفي، علاء الدين بن قليج (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م) مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق: آسيا كليبان، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط١، ٢٠١٠،ص١٥٤-١٥٥.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٢٣، الراوندي، راحة الصدور،ص ٢٠٠

(٤)الحسيني، زبدة التواريخ،ص٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥ وما بعدها ، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٣٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٩، الذهبي،العبر،ج٢،ص٣٥٣.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٦٤، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٠٩، انظر لوحة رقم (٦).

محرمّ سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[1]ولم يمض وقت طويل بعد ذلك إلا وقد فارق الخليفة الحياة، ليتولّى ابنه المستظهر بالله مقاليد الخلافة، وبقي بها حتّى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م.

ولا يمكن أن نصدر أحكاماً كثيرة على طبيعة سياسة السلطان بركياروق بالخليفة المقتدي بأمر الله،لإن السلطان كان ينظر للخليفة باحترام وتقدير باعتباره خليفة المسلمين السنة والمرجعية الشرعية الفقهية لكافة المسلمين في شتّى البقاع،إلاّ أنه وفي الوقت ذاته يجب أن لا ننكر ضعف شخصية الخليفة وعدم قدرته على الوقوف بوجه السلاطين، نظراً لما تعانية الخلافة برمتّها من أزمات سياسية واقتصادية كما أشرنا سابقاً، ومن جهة أخرى فإن تلك الظروف مجتمعة شجعتهم على الرغبة في الاستئثار بالسلطة وتقييد نفوذ الخليفة[2].

وثمّة أمر يجب التنبّه إليه هنا .. فالبرغم من جميع نقاط الضعف المتركزّة في شخصية الخليفة العباسي، ومنذ أن جلس السلطان بركياروق على عرش السلطنة، فإن أياً من المصادر التاريخية لم تشر إلى تمردّ وعصيان قام به السلطان بركياروق ضد الرمز الروحي الديني للمسلمين، أو محاولة طرده من دار الخلافة، كما فعل من قبله أباه السلطان ملكشاه سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م[3].

وبتوليّ الخليفة المستظهر بالله مقاليد الحكم في الدولة العباسية في الثامن عشر من محرّم سنة٤٨٧هـ/١٠٩٤م[4] تبدأ صفحة جديدة من العلاقات السلجوقية العباسية في عهدي الخليفة المستظهر بالله والسلطان بركياروق، فبالرغم من اعتراف المستظهر بالله بسلطنة السلطان بركياروق ومبايعته رسمياً عبر وزيره ابن جهير[5]، إلا أن العلاقة كانت بين مدّ وجزر، فقد كان لضعف شخصية الخليفة دور مهم في تحديد شكل العلاقة، فنجد أن المستظهر بالله وحينما تسلّم سدّة الخلافة في بغداد بوجود السلطان بركياروق وعساكره، فوّض أمور الحكم للوزير ابن جهير

---

(1) الراوندي، راحة الصدور،ص٢٢٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٩، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٨٩.

(2) الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص١١٢-١١٥.

(3) ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص١٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٤٠٠،

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٥٥،

(5) ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٢٩.

باعتباره وزير تفويض، يقوم بكلّ ما هو وراء باب الخليفة من الأمر والنهي إذ قال له: "الأمور مفوّضة إليك، والتعويل فيها عليك، فدبّرها بما تراه،"[1].

ونجد كذلك أن الوزير ابن جهير يشرح للخليفة المستظهر بالله صعوبة الظروف الحاليه التي تمرّ بها الخلافة في إعطاء السلطان بركياروق مال البيعة بعد موت المقتدي بأمر الله فيقول:"هذا وقت صعب وقد اجتمعت العساكر ببغداد مع هذا السلطان الذي عندنا ولا بد من صرف الأموال التي تستدعي اخلاصهم وطاعتهم، فقال له الخليفة: الخزائن بحكمك، فتصرف فيها من غير محاسبة ولا مراجعة"[2].

إن مخاطبة الخليفة لوزيره بهذه الصورة، تفسّر مدى قلّة الخبرة التي يتمتّع بها الخليفة الناشئ الذي لم يتجاوز السادسة عشر من عمره[3]، وبالتالي حاجته الماسّة لوجود وزير قوي لجانبه يدير دفّة الخلافة، كما أن الحديث الذي جرى بينهما يشير بوضوح لمعرفة الوزير المسبقة بالظروف السياسية المتمثّلة بالنزاع الذي يخوضه السلطان بركياروق مما يستدعي صرف الأموال لابعاده عن بغداد، وربما لتجنبّ شروره.

كما أنّ إعطاء الوزير الأموال للسطان وعساكره قد أطمع السلطان بركياروق في استغلال موقف الخليفة الضعيف، بعيداً عن أي اعتبارات أخرى تتعلّق باحترام السلطان لمركز الخليفة الروحي والديني، فمن ذلك نجد أن السلطان بركياروق واثناء صراعه مع أخويه محمّد وسنجر، كان يركن كثيراً لجانب الخليفة طلباً للمال، فكلمّا ضاقت عليه الأمور طلب مالاً يستعين به[4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ص٤٥٦، للمزيد عن دور وزير الخليفة في إدارة امور الخلافة العباسية ، وبما فيها التعامل مع السلاطين السلاجقة، انظر الزهراني، محمد ، نظام الوزارة في الدولة العباسية ٣٣٤- ٥٩٠هـ" العهدان البويهي والسلجوقي" مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٩٨٦، ص٤٤-٤٥، وسيشار إليه : الزهراني، نظام الوزارة .

(2)ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٥٦.

(3)ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي(ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) مختصر التاريخ من أولّ الزمان إلى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق: مصطفى جواد ، مديرية الثقافة العامة ، بغداد ، د. ط ، ١٩٦٩،ص٢١٥، وسيشار إليه : ابن الكازروني ، مختصر التاريخ .

(4) ابن الجوزي ، المنتظم ، ٤٤- ٥١.

ففي سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م، طلب السلطان بركياروق مالاً يدفعه للأمراء والجند الذين يقاتلون بجانبه، فلم يتوانى المستظهر عن تلبية ذلك الطلب، فتقرّر دفع مبلغ خمسون ألف دينار[١]، ولم يتوقفّ الأمر عند الاستعانة بالمال فقط، بل تعداه إلى ظهور شيئاً من عدم الاحترام أو الاكتراث بهيبة الخليفة، فكلمّا دخل السلطان بركياروق وعساكره بغداد وما حولها اشتغل الجنود بالسلب والنهب للقرى والمدن، لدرجة أن الناس كرهوا وجود السلطان وتمنّوا زواله وعساكره[٢].

وكان ذلك الشعور من الأهالي بسبب سوء عمله وصنيعه، الذي لم يراعي فيه حرمة دولة أو خلافة قائمة، فالخطب بالنسبة له كبير وكبير جداً،غير أن ذلك ليس عذراً للسلطان الذي أقسم على نفسه حماية الدولة ورعاياها[٣].

وتستمر صور التجرؤ والتطاول على الخليفة المستظهر بالله من قبل السلطان بركياروق،إذ تشير بعض المصادر التاريخية لقيام السلطان بركياروق بالتطاول على هيبة الخليفة وبشكل شخصي، حيث أنّ السلطان بركياروق قام بالتعرّض لأحد موظفي البلاط العباسي أثناء وجوده في واسط، متجهاً لبغداد سنة٤٩٥هـ/١١٠١م[٤] وليته لم يفعل سوى ذلك فقط، بل أنه ذكر الخليفة المستظهر بالله بأقبح الصفات وتحدّث عنه بكلمات لم تكشف عنها المصادر، إلاّ أنه ونظراً لردة فعل الخليفة المستظهر بالله جراء ما قيل بحقّه يعتقد أن تكون غير لائقة بحجم وهيبة الخلافة[٥].

إن تفاقم الوضع السياسي سواءً في علاقة السلطان بركياروق والخليفة المستظهر بالله لا يخلو من وجود ضلع للوزراء والحجاب ورجال السياسة ، وأخصّ بالذكر رجال البلاط العباسي الذين ومن المؤكد أن لهم تأثير كبير في تدهور أو تحسّن تلك العلاقة، فنجد أنه وبالرغم من التطاول على هيبة الخلافة، ردةّ فعلٍ للخليفة المستظهر بالله تمثّلت بالغضب للحظات ثم ما لبث

---

(١) أبو الفداء، المختصر،ج٢، ص٣٠٢، النويري، نهايةالأرب، ج٢٦، ص١٩٧-١٩٨،الذهبي،تاريخ الإسلام،ص٢٧.

(٢)ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٣٠٧-٣٠٨، ابوالفداء، المختصر، ج٢، ص٣٠٢، ابن خلدون، العبر،ج٥، ص٥٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٠٨، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٥٢.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩،ص٤٧٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٩.

أن هذا وكأن شيئاً لم يحدث، وبالرغم من استدعاء الخليفة للأخوين: محمّد وسنجر ، فإن ذلك الإجراء لم يكن كافياً لاسترداد هيبة الخلافة وإيقاف السلطان عند حدّه، كما أن الخليفة لم يعمل على استغلال تدهور الأوضاع الداخلية في الدولة السلجوقية وماكانت تشهده من تطاحن وتناحر على السلطنة لصالحه وتعزيز موقفه.

والمتتبّع عن قرب لسير الأحداث في الدولة السلجوقية وما شهده النزاع بين العائلة السلجوقية وما له من انعكاسات على علاقة السلاجقة بالخلافة ، يرى وبوضوح بعضاً من التفاصيل الصغيرة التي تشهد استهزاء وعدم مبالاة السلطان بركياروق بوجود الخليفة المستظهر بالله، وأكثر ما لفت الأنظار أثناء البحث والتمحيص هو ضرب السلطان بركياروق عرض الحائط لكافة اعتبارات الاحترام والهيبة الخاصّة بالخليفة العباسي، ذلك وأنه بعد دخوله لبغداد سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م[1] قام الخليفة بإرسال وزيره ابن جهير لتهنئته[2] فكانت مكافأة الخليفة ووزيره اعتقال السلطان بركياروق للوزير عميد الدولة ابن جهير وسجنه[3]،وقد أسندالسلطان بركياروق تلك المهمّة لوزيره آنذاك الأعزّ أبو المحاسن الدهستاني والذي بدوره أرسل من يقوم بتنفيذ تلك المهمّة على أكمل وجه[4]

وحول الأسباب الكامنة وراء اعتقال السلطان بركياروق للوزير عميد الدولة ابن جهير ، يقول الدهستاني أثناء شرحه للمنفذين: "إن السلطان يقول لكم: قدعرفتم ما نحن فيه من الإضاقة ومطالبة العسكر، وهذا الوزير –ابن جهير– قد تصرّف هو وأبوه في ديار بكر والجزيرة والموصل في أموال تلك البلاد من أيام ملكشاه وأخذوا ارتفاعها"[5]، ويختتم الوزير الدهستاني نقل توجيهات

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠،ص٤٣،ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٦٣.

(2) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٤٣–٤٤ ، ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٠٢.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٣–٤٤ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٠٢، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٨.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤.

(5) يقصد بالارتفاعات وجوه الجباية والضرائب والرسوم والأعشار المفروضة على الأراضي وغيرها، ابراهيم، حسن، النظم الإسلامية، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص٣٤، وسيشار إليه: ابراهيم ، النظم الإسلامية.

وأوامر السلطان بركياروق لهم في القبض على عميد الدولة ابن جهير قائلا: " وينبغي أن يعاد كل حقّ إلى حقّه"[١]، وحينما اعتقل ابن جهير، جرى طرح الأسئلة عليه حول مصير الأموال التي تحدثّ عنها السلطان بركياروق فردّ بكل برود: أنا مملوك ولا يمكنني الكلام إلا بإذن مولاي"[٢]

وعندما بلغ الخبر للخليفة المستظهر بالله، ظهرت عليه ولأول مرّة ملامح الحدّة والشخصية القوية للخلفاء العباسيين الأقوياء، وإن لم تكن ردةّ الفعل لفترة طويلة، إلاّ أنها أظهرت لنا وجود الخليفة العباسي، حيث غضب غضباً شديداً وأرسل للسلطان بركياروق رسالة قال فيها: "لا يغرنّك إمساكنا عن مقابلة الفلتات، فوحقّ من سلف من آبائنا لئن لم يعد الوزير شاكراً لنفعلّن ولنفعلّن"[٣] أو كما قال حالفاً بالله: "فوحقّ السالف من الأباء المتقدمين بحكم رب السماء لئن لم يعد الوزير شاكراً وبالحباء موفوراً لنفعلّن"[٤] ولم يذكر ابن الجوزي ما هو إجراء الخليفة إن لم يُطلق السلطان سراح وزيره ابن جهير .

وقد كان غضب الخليفة المستظهر بالله لا يتعدّى حدود الانفعال المؤقتّ، وقد تميّزت شخصية المستظهر بالله باللين و حسن المعاشرة [٥] إضافة إلى أنه كان صبوراً على الشدائد منتجاً للفوائد[٦] معطياً للعطاء والإحسان، كريما للأخلاق[٧] وعلى ذلك نجده وافق على دفع مائة ألف وستون دينار، وقيل مائة وخمسون ألف دينار [٨].

إن ضعف شخصية الخليفة المستظهر بالله ،كانت سبباً في تمادي السلطانين: بركياروق ومحمد في فرض نفوذهما وسلب كل ما يمكن أن يؤخذ من شخصية الخليفة، وإن كان تعامل

---

(١) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٤٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٩٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤.

(٣)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٥٠٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤.

(٥) الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر(ت٦١٣هـ/١٢١٧م) أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام هزايمة وآخرون ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، اربد، ١٩٩٩، ط١،ج٢،ص٤٣٧.

(٦) الأربلي، خلاصة الذهب، ص٢٧٠-٢٧١.

(٧) الأربلي، خلاصة الذهب ، ص٢٧١، ابن الكازوني، مختصر التاريخ، ص١٢٣.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٩٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٠، فيما يذكره سبط ابن الجوزي، ب١٥٠ ألف ، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥٠٣.

السلطان محمّد بن ملكشاه مع الخلافة يختلف كلياً عن أخيه بركياروق، كما سيرد الحديث عنه بشكل مفصّل.

ثانياً: سياسة السلطان محمّد بن ملكشاه مع الخلافة العباسية:

عند النظر في العلاقة التي كانت تربط السلطان محمّد بن ملكشاه بالخلافة العباسية، نجد أنّها اختلفت في تفاصيلها عن علاقة أخيه السلطان بركياروق معها، وفي ضوء ما اطّلعَ عليه الباحث من بعض المصادر التاريخية المتاحة، فإن الأحداث لم تشهد تعديّ السلطان محمّد بن ملكشاه على الخليفة المستظهر بالله، أو التطاول على أحدٍ من خاصتّه، سواءً كان ذلك وزيراً أو موظفاً في البلاط العباسي، وتعود بداية العلاقة مع الخلافة العباسيةإلى خلافة المقتدي بأمرالله، حيث أن السلطان محمّد كان قد قدم حينها بصحبة أخيه بركياروق سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[١]، وذلك بغية الحصول على الاعتراف الشرعي والرسمي من الخلافة العباسية بسلطنة أخيه بركياروق[٢].

وبعد ذلك فإن تسليط الضوء على العلاقة السلجوقية العباسية كان مقتصراً على السلطان بركياروق فقط، على أن ذلك الضوء عاد من جديد ليكون مسلطاً على السلطان محمد عندما خرج عن طاعة أخيه سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م[٣]، إذ أصبح على علاقة مباشرة مع الخليفة المستظهر بالله نظراً لطلبه الخطبة والحصول على اعتراف شرعي ،وقد حصل له ذلك بمساعدة كل من الأمراء سرخاب بن بدر صاحب كنكور وشمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر وقوام الدولة كربوقا صاحب الموصل بالإضافة لسعد الدولة كوهرائين متوليّ شحنة بغداد[٤].

وكانت تلك هي المرّة الأولى التي يلتقي فيها السلطان محمّد بن ملكشاه بالخليفة المستظهر بالله[٥]، وحينما تمّ اللقاء شعر الخليفة المستظهر بقوة نفوذ السلطان محمّد، لما كان له من أنصار

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم،ج٩، ص٣٨٥،الحسيني، زبدةالتواريخ، ص١٦١.

(٢)ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص٢٣٥،ابن خلدون ، العبر،ج٥، ص٣٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠ ،ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢،ص١٦٧.

(٤) ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٢٨٩، النويري، نهايةالأرب، ج٢٦، ص١٩٧.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٤٠

وأتباعٌ كثر من الوزراء والعامة، خاصةٌ من أتباع النظامية[1]،عندها فإن المستظهر بالله لم يتردد كثيراً بالموافقة على الخطبة للسلطان محمّد، فأقيمت الخطبة له في السابع عشر من ذي الحجة سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م[2] ثم قام الخليفة المستظهر بالله بالإنعام على السلطان وأطلق عليه لقب "غياث الدنيا والدين"[3]..

ومن الاشياء الملفتة للانتباه، والمتعلقة بالخلافة العباسية هو ضعفها بحسم الجدل حول هوية السلطان الرسمي والمعترف به من قبلها، فللمرّة الثانية تعترف الخلافة بوجود سلطانين بوقت واحد ،كانت المرة الأولى حينما خطب المقتدي لمحمود بن ملكشاه ومن ثم لأخيه بركياروق سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[4]، ويبدو أن الهدف من ذلك هو تخفيف الضغط على الخليفة العباسي والمُمارس من السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه .

إن أمر اعتراف الخلافة العباسية بأكثر من سلطان سلجوقي بوقت واحد يعتبر دليأ على سلب الإرادة وضعفٍ في تقرير المصير، فكما ذكرنا سابقاً فالخليفة العباسي كان يؤيد كل من تصل يده لدار الخلافة قبل الآخر، كما أن قطع الخطبة لسلطان وإقامتها لسلطان آخر اثناء صراعهما فهو تخبطٌ ومجاراة للواقع دون معرفة المصير المحتوم، فنجد أنّ الخطبة قد قطعت للسلطان بركياروق بعد هزيمته الأولى مثلاً سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م والتي تبعها دخول السلطان محمّد بن ملكشاه لبغداد[5].

ورغم اعتراف الخليفة المستظهر بالله بسلطنة بركياروق ومحمّد في وقت واحد ،إلا أننا يمكننا ملاحظة ميله اتجاه السلطان محمّد بشكل وديّ أخوي أكثر من السلطان بركياروق ، ومن ذلك شكواه للسلطان محمّد عما اقترفه بركياروق وجنود بواسط وغيرها من مدن العراق سنة

---

(1) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص٩٥.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٩،ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٤٦.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٩، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص١٩٧ ، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢١، العبر، ج٢، ص٢٨١، فيما يذكره ابن خلدون بلقب"حياة الدين والدنيا، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٦، والأقرب انها غياث الدنيا والدين، انظر ملحق رقم (٩).

(4) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص٢٨٩.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٩، ابو الفداء، المختصر،ج٢،ص٣٠٢.

٤٩٤هـ/١١٠٠م[١]، وحتىّ في طبيعة مراسم تقديم الخلع الخليفية وإعطاء السلطان محمّد القدر الكافي من الهيبة والاحترام، فإن علاقة الخليفة المستظهر بالله بالسلطان محمّد اختلفت عنها مع السلطان بركياروق، صحيحٌ أنّ الخليفة قدّم للسلطان بركياروق سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م الهدايا والخلع الخليفية[٢] وأعطى ملشكاه الثاني الصغير آيات قرآنية من الذهب والمصحف الجامع[٣] إلا أنّنا نشعر باختلاف صيغة وطبيعة المشاعر القلبية من الخليفة المستظهر بالله للسلطان بركياروق .

فعندما دخل السلطان محمّد يرافقه أخوه السلطان سنجر بغداد سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م[٤] قدمّ لهما الخليفة مراكب بحريه خاصّة لعبور نهر دجلة وشهد موكبهما أمراء الأجناد وحشد كبير ولفيف من رجال الدولة وأرباب المناصب[٥]، وعندما وصلا للخليفة، جلس لهما في قبة التاج[٦] وقبّلا الأرض بين يديه[٧] وأفاض عليهما بالخيول والخلع السلطانية الأخرى[٨]، وكل ذلك كان من الممكن أن يعطى لأي سلطان أو ملك آخر،غير أن أكثر ما يفسرّ تقارب العلاقة بين الخليفة والسلطان هو ما قام به الخليفة المستظهر بالله عندما ألبس السلطان محمد وسنجر الطوق والسوار وقرأ عليهم "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تتفرقوا"[*] وحثّه لهما على مواصلة قتال السلطان بركياروق[٩].

وهذا دليل واضح على عدم رغبته لسلطنة بركياروق ،إلاّ أنّه كان مغلوباً على أمره ،وغير قادر على مواجهته ومجابهته ،في الوقت الذي كان فيه السلطان محمد يحاول بشتّى الوسائل التخلصّ من ازعاج أخيه وكسب الخليفة لجانبه، وترد في بعض المصادر التاريخية إشارات أخرى تشير لحسن علاقة السلطان محمّد بالخليفة المستظهربالله والتي نتجت بسبب رباط المصاهرة

---

(١)ابن الأثير ،الكامل،ج١٠،ص٣٠٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٥١-٥٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤.

(٣)ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١٢،ص١٦٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦١-٦١،ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٣.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠ ص٦١.

(٦)ابن خلّكان،وفيات الأعيان، مج٥،ص٧٢.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٦١.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٢،ابن كثير،البداية والنهاية، ج١٢،ص١٧٣.

(*) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٣.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٢،ابن تغري بردي، النجوم،ج٥،ص١٦٧.

بينهما، ولربما أراد الخليفة من خلال ذلك تقوية جانب دولته وحمايتها بوجود سلطان قوي حقّق للدولة الإسلامية منعتها وعزّها بتغلبه على الاسماعيلية– الباطنية.

ففي يوم الجمعه الثاني والعشرون[1] من سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م عقد للخليفة المستظهر بالله القران على أخت السلطان محمّد بن ملكشاه عصمت خاتون، وتمّ العقد في مدينة أصفهان[2] على صداق مقداره مائة ألف دينار[3]، وابتهاجاً بتلك المناسبة العظيمة نثر الذهب[4] ورميت الدنانير والجواهر على الحضور[5] وبقيت العروس أخت السلطان في أصفهان لمدة سنتين لحين حلول موعد الزواج[6] وهي المدة التي استغرقت التجهيز والإعداد للزواج، حيث أن الخليفة تزوج بنت السلطان ملكشاه كزوجة ثانية على زوجته الأصليه ست السادة نزهه[7]، وفي سنة٥٠٤هـ/١١١٠م تم زفاف الخليفة لزوجته بعد أن وصلت لبغداد تصحبها الجواري والمزينات والنجائب اللواتي أرسلهن الخليفة لإحضارها من أصفهان[8] وبعد سنة أنجبت له مولودها الأول[9] وبقيت معه ثمانية سنوات ،حتى وفاته سنة ٥١٢هـ/١١١٨م[10].

وأخيراً فإنه ومن جميل صورة العلاقة التي كانت بين الخليفة والسلطان، نجد أن السلطان محمّد وأثناء خروجه للصيد، وقد كان مغرماً به كما كان والده جلال الدولة ملكشاه من قبله، نقول أنه واثناء صيده بالقرب من بغداد سنة٥٠١هـ/١١٠٧م[11] صاد صيداً كثيراً، فقرّر إعطاء الخليفة

---

(1) ابن الأثير ،الكامل، ج١٠،ص٤٧١، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان،ج٢٠،ص٢٨،

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٨ ،اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٠، ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٢،ص١٨٢.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧١ ،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٨.

(4) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٧١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٢.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧١ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٨.

(6) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧١، جواد، مصطفى، سيدات البلاط العباسي، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٩٣، ط١، ص١٤٧، وسيشار إليه:جواد ، سيدات البلاط .

(7) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٣، جواد ، سيدات البلاط، ص١٤٧.

(8)الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٧١.

(9) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص١١٣.

(10) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٩٨، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤١.

(11) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٩٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢١.

مما صاد وجلب وكان صيده وافراً ضمّ قرابة أربعين ظبياً وسمت باسم السلطان ملكشاه ، فقد كان يصيد الغزلان فيسمها ويطلقها[1]، وعندما وصلت لدار الخلافة، بعث الخليفة وزيره ابو المعالي يحمل هدية للسطان اشتملت على ملابس للخليفة ومجلداً بخط الخليفة يشمل أدعية جدّه العباس بن عبد المطلب رواه عن النبي محمد صلّى الله عليه وسلمّ[2]، ثمّ في سنة ٥١١هـ/١١١٧م حانت ساعة المنيه للسلطان محمّد ، فتوفي عن عمرٍ يناهز السابعة والثلاثين عاماً[3] قضى منها خمسة سنوات في نزاع أخيه بركياروق، حتّى استقامت له السلطنة بعد وفاة أخيه، فبدأ بتطهير البلاد من خطر الإسماعيلية – الباطنية، كما حاول جاهداً عبر ولاته في الموصل التصديّ لخطر الفرنج في بلاد الشام، ومن مشيئة الأقدار أن يتوفى الخليفة المستظهر بالله بعد السلطان محمّد بسنة واحدة، كما مات الخليفة المقتدي بأمر بعد سنتان من موت السلطان ملكشاه.

٦) دمشق

إن الحديث عن سياسة السلطانين بركياروق ومحمد مع أبناء عمومتهم في دمشق رضوان ودقاق بن تتش تحتم علينا العودة إلى ما حدث في معركة الريّ الشهيرة والتي جمعت السلطان بركياروق بعمّه تاج الدولة تتش سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وانتهت بانتصار السلطان بركياروق[4] وبعدها فإننا لم نقرأ عن محاولة اصطدام الملك رضوان بن تتش بالسلطان بركياروق، بل أنه عاد لحلب بعد مقتل والده ليبقى تحت رعاية من زوج أمه جناح الدولة حسين بن ايتكين، أما دقاق فقد راسله الأمير ساوتكين الخادم سراً وقرّر له ملك دمشق[5].

ورغم الانقسامات الداخلية التي كانت بين الأخوين رضوان ودقاق أبناء تاج الدولة تتش إلاّ أن أياً منهم كان قد أعلن تبعيته وولائه للسلطانين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه والتي يعبّر عنها

---

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢١.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢١.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٥٢٥، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٧٢-٧٣، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٩، ص٥٠٦، العبر، ج٢، ص٣٩٧.

(4) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٢ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٤-٢٤٥، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٠.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٦.

عادةً بإقامة الخطبة في مساجد دمشق، بل أننا نجد الملك رضوان بن تتش يخطب للخليفة الفاطمي المستعلي بأمر الله ثم سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م ثم عودته عنها بالخطبة للخليفة العباسي(١).

ومع انشغال السلطانين بركياروق ومحمّد بالحروب والمنازعات على السلطنة فإننا نفهم عدم وجود اتصال كبير وهام مع أبناء عمومتهم في الشام إلاّ أن ذلك لا يعني عدم وجود اتصال وعلاقة مع ملك دمشق أبو منصور طغتكين الأتابك فقد كان طغتكين في خدمة السلطان محمّد بن ملكشاه، لدرجة وصلت بالسلطان إلى احترامه والمبالغة فيه(٢).

فقد بدأت علاقة السلطان محمّد بالأتابك طغتكين منذ أن تحكّم طغتكين بدمشق وتملّكها سنة ٤٩٧/١١٠٣م بعد وفاة الملك شمس الدين دقاق بن تتش(٣)، وكان الأتابك طغتكين حريصاً على الاستمرار في حرب الفرنج في الساحل الشامي لتخليص أراضيه منهم ونشر الأمن والاستقرار في ربوع بلاده، وتنشيط حركة التجارة بين العراق والشام، لذا كله فقد اهتم طغتكين بإظهار الولاء والطاعة للسلطان محمّد بن ملكشاه(٤) وبذل جهداً كبيراً في قتال الفرنج في عدة مناسبات منها سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م عندما أغار بعساكره على الفرنج في طبرية(٥) كذلك الحال سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م عندما تزايد فساد الفرنج في أعمال السواد وحوران وجبل عوف وانتهت الأخبار بذلك وشكوا أهلها للأتابك طغتكين فجمع العساكر ونهض بهم القتال الفرنج(٦).

إلا أن أبرز ما يمكن قوله عن علاقة السلطان محمّد بن ملكشاه وسياسته مع حكم دمشق الأتابك طغتكين، ما فعله السلطان سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م من تكريم كبير وتقدير جزيل لطغتكين

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٩، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٣.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٩٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥١٤، الذهبي، أسير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٥١٩.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٠.

(٤) الخرابشة، محاولات التقارب السلجوقي الفاطمية، مؤتمر بلاد الشام في فترة النزاع الإسلامي الفرنجي ٤٩١-٦٩٠هـ، جامعة اليرموك، كلية الآداب، ١٩٩٠، ص ٢٠٢، وسيشار إليه: الخرابشة، محاولات التقارب السلجوقية الفاطمية.

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٩، ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٠٠.

(٦) ابن الفلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٥١.

حيث سار الأتابك طغتكين إلى بغداد بهدف زيارة السلطان وتطييب خاطره لمّا تناهى لمسامع السلطان محمّد من أخبار تشير لتورط الأتابك طغتكين بقتل الأمير مودود ، ولم يسر الأتابك طغتكين وحده بل سار معه خواصه وحمولة كبيرة من الهدايا شملت التحف والثياب الفاخرة والخيول العربية[١] وكانت ردة فعل السلطان محمّد والخليفة المستظهر بالله أن قاما باستقباله بحفاوة بالغة، حيث كان أعيان الدولة أجمعهم في استقباله وتكريمه[٢]، و عندما وصل بغداد سأل الأتابك طغتكين الرضا من السلطان، فرضي عنه السلطان محمّد ووضع حداً لسوء العلاقة وتدهورها بينهما لا سيما وقد نُسِبَ لطغتكين محاولات التقرب من الفاطميين[٣] بل وكان رضا السلطان محمد عن الأتابك طغتكين كبيراً عندما خلع عليه الخلع السلطانية وكتب له منشوراً سلطانياً ممهوراً بخاتمة يتضمّن ولاية الشام كلها حرباً وخراجاً وإطلاق يده في الإيرادات والخراج والأعشار وسائر وجوه الضرائب والعروض والنفقة في الأولياء والمظالم والأحكام[٤].

ومما لا شكّ فيه أنّ إقرار السلطان محمّد بن ملكشاه بولاية الشام بأسرها للأتابك طغنكين كان بمثابة إقرارا من السلطنة السلجوقية بالمكانة الراسخة التي حظي بها طغتكين في بلاد الشام.

ثانياً: السياسة الخارجية للسلطانين بركياروق ومحمد مع القوى المجاورة

أ- العلاقة مع الإسماعيلية

*** نشأة الإسماعيلية:**

الإسماعيلية فرقة من فرق الشيعة سميت بهذا الاسم لأنها قالت بإمامة إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق[٥]، وعند الحديث عن النشأة لهذه الفرقة فإنّ رواية عند الاثناعشرية تظهر

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨٣.

(٢) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٩٣.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٩٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥١٤، الخرابشة، محاولات التقارب السلجوقية الفاطمية، ص ٢٠٢.

(٤) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٩٣ – ١٩٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨٣، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ٢٧.

(٥) جعفر الصادق: أبوعبدالله بن محمد الباقر، راوية من رواة الأحاديث،وهو آخر إمام معترف به من الإثناعشرية، والشيعة الإسماعيلية، ولد عام٨٠هـ(٦٩٩-٧٠٠م)، في المدينة المنورة، توفي عام١٤٨هـ/٧٥٦م مسموماً، ويعدّ

وتشير إلى أن فكرة الإمامة لإسماعيل نشأت عندما عزل جعفر الصادق ابنه اسماعيل من الإمامة بعد أن كان قد أعطاه إياها خلفاً له، وعيّن بدلاً منه ابنه الآخر موسى بسبب العثور على إسماعيل ثملاً[١] فلم يرضى أتباع إسماعيل بذلك الأمر، وسعوا لإثبات الإمامة له بكلّ الطرق والسبل الممكنة معتمدين في ذلك على أن الخمر لا يفسد الإمامة[٢]، كما أن أتباع إسماعيل هذا نادوا بإمامته لأنه أكبر الأبناء: موسى، محمد الديباج، عبدالله[٣]، ويدعّي أتباع إسماعيل بن جعفر الصادق أنهم من شيعة آل علي الذين يعتقدون بدورهم بوجود سبعة أئمة آخرهم إسماعيل[٤] ويزعمون كذلك بعدم موت إسماعيل الذي تذكر بعض المصادر التاريخية بوفاته سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م في المدينةالمنورة[٥] ويجزمون بظهوره من جديد وفي الوقت المناسب لإصلاح الدنيا[٦].

=جعفر من أعظم الأئمة عند الشيعة، والمعلم المثالي للفقه، انظر النوبختي، أبو الحسن محمد بن موسى (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، فرق الشيعة، تصحيح: هـ. ريتر،جمعية المستشرقين الألمانية، استانبول،١٩٣١، ص٥٣-٥٤، وسيشار إليه، النوبختي، فرق الشيعة .

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٣، الكليني، الشيخ ،(ت ٣٢٩هـ/٩٤١م)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ج١، ١٩٤٤، ص٣٠٧، ايوار "Cl Huart"، الإسماعيلية، دائرة المعارف الإسلامية، مج٣، ص٣٧٦، دواود، نبيلة ، نشأة الشيعة الإمامية ، دار المؤرّخ العربي، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤، ص ٢٤٣، وسيشار إليه : داوود، نشاة الشيعة .

(٢) النوبختي، فرق الشيعة، ص٥٣-٦١، للمزيد انظر المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر(ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الشيال،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، مج١، ١٩٩٦، إيوار، دائرة المعارف الإسلامية، ص٣٧٦ .

(٣) الكليني، الكافي، ج١،ص٣٠٩، الزهاوي، عباس، الإسماعيلية النزارية ونهاية وجودهم في إيران (٤٨٧-٦٥٤هـ/١٠٩٤-١٢٥٦م)، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، ع٤٨، ٢٠٠٤، ص٢٣٥-٢٤١، وسيشار إليه، الزهاوي، الإسماعيلية النزارية .

(٤) النوبختي، فرق الشيعة ،ص٥٥-٦١، لويس، برنارد ، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب: محمد العزب، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط٢، ٢٠٠٦، ص٥٧، وسيشار إليه ، لويس ، الحشاشون ، حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص٧٠-٧١.

(٥) إيوار، الإسماعيلية، ص٣٧٦، دواود، نشأة الشيعة، ص٢٤٢.

(٦) اقبال، تاريخ ايران ، ص٢٥٣، لويس، الحشاشون، ص٥٨، لويس، أصول الإسماعيلية ، ص٨٢ ، للمزيد انظر دفتري، فرهاد، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسماعيلية، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

* الأسماء التي اتخذتها الإسماعيلية:

والاسماعيلية المراد دراستها كفرقة دينية هي مزيج من فِرق غالبيتها من الشيعة،اتخذت مع مرور الوقت أسماءً عديدة وأشكالاً مختلفة[1] تطورت بإختلاف المؤسس لها[2]، ومن هذه الاسماء التي أُطلقت على تلك الفرقة الدينية اسم "التعليمية" وذلك لحاجتهم لإمام ومعلم يرشدهم لطريق الخير دائماً بحكم قصور العقل البشري عن الاستدلال بمفرده[3]، وأما اسم "الباطنية" فهو إسم اطلقوه على أنفسهم للدلالة على أن الإيمان بالعقيدة له معنيان ظاهر وباطن ولكلِ تنزيل تأويل وجعلوا الظاهر بمنزلة القشور والباطن بمنزلة اللبّ، إذ إنّ من أهم مبادئهم تأويل الظاهر بالباطن، فالعقيدة في نظرهم ظاهر وباطن، والراسخون في العلم هم وحدهم الذين يدركون كنه الباطن، الأمر الذي حدى بهم على خلفية هذا الاعتقاد إلى تأويل أحكام الشريعة الإسلامية[4].

واعتبروا الشخص المدرك لحقيقة الباطن من العقيدة ويتبعه فإنه لايستحق العقاب[5]، ومع مرور الوقت واتباع الناس لهم و تزايد أعدادهم أدى ذلك لتأويل أحكام الشريعة، حتى أن التأويل وصل عندهم لجعل كل نوع من أنواع العبادة باطناً[6].

ومن الأسماء الأخرى التي أُطلقت عليهم "الملاحدة"، وذلك لأن بدعهم في تطبيق العقيدة كُلها إلحاد، كما وصفهم ابن خلدون[7]، كذلك فإن تسمية أنفسهم بالإسماعيلية السبعية جاء لقولهم بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ثمّ بإمامة نزار بن المستنصر عقب وفاة الخليفة سنة

---

(1) النوبختي، فرق الشيعة، ص٧٢، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الشافعي (ت٥٠٥هـ/١١١٢م)، فضائح الباطنية، تحقيق: إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩،ص٣٨-٤١، وسيشار إليه: الغزالي، فضائح الباطنية.

(2) النوبختي، فرق الشيعة ، ص٧٢.

(3) الغزالي، فضائح الباطنية، ص٣٩، اقبال ، تاريخ ايران، ص١٦٤، حسنين، ايران والعراق،ص٧٧.

(4) لويس، أصول الإسماعيلية، ص٩٩،حسنين، إيران والعراق، ص٧٨.

(5) ابراهيم، رمضان، فرق الشيعة، دارالفكر للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠، ص ٤٥.

(6) حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص٧١.

(7) ابن خلدون، العبر ،ج٥، ص٥٤.

٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وهو بذلك تأكيد على إيمانهم بوجود سبعة أئمة كان أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم إسماعيل بن جعفر الصادق[١].

إلا أن أبرز الأسماء التي أطلقت عليهم فكان أثناء ظهورهم في الدولة السلجوقية، في المشرق، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم الفدائيين "الباطنية الملاحدة" بسبب مفادتهم لأنفسهم بالمال على قتل من يسلّطون عليه[٢] ومثال ذلك ما فعلوه بالوزير نظام الملك عندما قاموا باغتياله في العاشر من رمضان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٣] وقد كان أسلوب التصفية الجديد أبرز أساليبهم[٤]، إلا أنّ أهم الاسماء التي أُطلقت عليهم وكان لها أثرٌ واضح في تشكيل الخطر على أمن واستقرار الدولة السلجوقية هو اسم "الحشاشون "[٥].

وتفسير تسميتهم بالحشاشين عائد الى أن مقدمّهم في بلاد فارس الحسن بن الصباح[٦] جمع حوله عدد من الشباب المستعد للتضحية في سبيل الحصول على ما يشبع شهواته وملذّاته،

---

(١) الزهاوي، الإسماعيلية النزارية، ص٢٣٦.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم،ج٩، ص ٦٤٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٠، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٤٩.

(٤) لويس ، الحشاشون ، ص٢٧٤، الزهاوي، الإسماعيلية النزارية ،ص٢٣٧.

(٥) اقبال، تاريخ إيران، ص٢٥٤، حلمي، السلاجقة، ص ١٦٩.

(٦) الحسن بن الصبّاح: هو الحسن بن محمد بن علي بن جعفر ابن الحسين بن الصباح الحميري، هناك اختلاف كبير في مكان نسبه ومولده، نشأ الحسن الصباح وترعرع في بلاد فارس، وتعلّم فيها تعاليم الباطنية، ثم سافر لمصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ) وكان ذلك عام ٤٧١هـ/١٠٧٩م، وسبب سفره لمصر للتفقّه في مذهب الباطنية بصورة أكبر ،وأقام في القاهرة سنة ونصف ثم عاد لبلاد فارس للدعوة بمذهب الإسماعيلية،وبعد مدّة قصير ،أصبح كبير الدعاة ومقدمّ الاسماعيلية في خراسان وأخذ يطوف على الناس ويدعو للمستنصر وابنه نزار من بعده،كما أخذ بنشر الدعوة في بلاد الجبال وقزوين وأصفهان والريّ ومنها إلى دامغان وقزوين ، وأقرّ أنواع الخرافات التي كانت ظاهرها حبائل الخلط والتلبيس وباطنها غوائل إبليس ،حتّى شاعت دعوته بشكل كبير، واستولى على القلاع الواحدة تلو الاخرى، وأهم تلك القلاع ألموت واتخذها مراكز لدعوته، وقد أقام الإسماعيلية دولتهم الشيعية في مصر وهي ما يعرف بالدولة الفاطمية والتي شملت سلطتها الزمنية من أواخر القرن الثالث ومنتصف القرن الرابع الهجريين/ التاسع والحادي عشر الميلاديين، وقد وصلت حدود دولتهم شمال افريقيا كلّها وبلاد الشام والحجاز واليمن، ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٥٢، ابن إسفنديار ، بهاء الدين محمد بن حسن(ت ٦١٣هـ/١٢١٧م)، تاريخ طبرستان، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ترجمة : أحمد نادي، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٣٣، وسيشار إليه : ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٣١٦-٣١٧، للمزيد

وكان الصبّاح يعطيهم شراب مخدر من نبات الحشيشة، وقد عودهم على تعاطيه وأدمنوه فكان يطلب منهم القيام بمهّام الاغتيال والقتل، فإذا ما نفذوا ما طُلب منهم أعطاهم ذلك الشراب المخدّر[1]، كما أن الحسن الصبّاح ونقلاً عما ذكره الرحالة الإيطالي ماركو بولو حينما زار قلاع الإسماعيلية المختلفة في أصفهان، إذ يذكر أن الحسن الصبّاح أنشأ بستاناً مليئاً بالثمرات حول القلعة التي زيّنها بأفخم الزخارف الذهبية وملئها بأفخم انواع الأثاث ،ووضع في بستان القلعة أنابيب من الماء الفرات واللبن والعسل التي كانت تفيض في كل اتجاه عبر أنابيب صّممت لهذه الغاية، كما جمع حوله عددٌ كبير من أجمل الفتيات اللواتي استطاع الحصول عليهن من سوق النخاسة، وكنّ يتدربن على العزف والغناء بجميع الآلات الموسيقية ،وكُنّ يتقنَ فنّ الإغراء والرقص والغزل، وكان الهدف الذي رمى إليه الحسن الصباح أن يفهم أتباعه من الرجال أن لديه القدره إدخال من يشاء إلى الجنة ، كما كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم يوعد أصحابه بالرضوان والجنان إذا ما اتبعوا كتاب الله و سننه كان يأخذ الشباب الفدائيين من أتباعه وأثناء تناولهم للشراب المخدِّر إلى جزء من قلاعهم المليئة حينها بالنساء الفاتنات ،ليكون في ذلك ما يدفعهم لتنفيذ إرادة زعيمهم الحسن الصبّاح، بعد أن يتذوقوا طعم اللذات التي تنتظرهم في العالم الآخر حيث يتبدلون بما فعلوه بالجنان الخالدة والحور العين اللواتي ينتظرونهم[2].كما أن تسمية حشاشون(Assassins)، بهذا الاسم تعني اغتيال، وهو نفس الاسم الذي أُطلق عليهم[3] .

=حول ذلك بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٨١، انظر ايضاً، لويس، الحشاشون ص٦٧، وقدعرف بالكيّال لمعرفته بالحساب والهندسة والنجوم وغير ذلك، المقريزي، تقي الدين محمد (ت٨٥٤هـ/١٤٤١م)، المقفّى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٣٢٧-٣٢٨.

(1) محمد، كامل، طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣،ص٧٤، وسيشار إليه: كامل، طائفة الإسماعيلية .

(2) بولو ، ماركو ، رحلات ماركو بولو، ترجمة : عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ج١، ٢٠٠٢، ص٨٨-٩٢، بروكلمان، تاريخ الشعوبية الإسلامية ، ص٢٨٢، سيد، أيمن ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، مكتبة الأسرة، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧، ص١٨٨-١٩٦

(3)بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٨٢، لويس ، برنارد، الدعوة الإسلامية الجديدة (الحشيشية)، ترجمة سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت ، ط١، ١٩٧١، ص١١- ١٣.

ومن مرادفات الكلمة التي تعني الاغتيال بالعنف كلمة (Assassination) وهي ما طبقه الاسماعيلية – الباطنية في اغتيالهم للوزير السلجوقي نظام الملك الذي اغتالوه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[١].

***ضحاياهم من الوزراء والقادة والعلماء:**

لقد كان الإيمان بالعقيدة الإسماعيلية والرغبة في التضحية من أجل نشر مبادئهم هو الغاية التي استخدمها فدائيو الإسماعيلية في تنفيذ مهامهم وقد كان سيد العلوي أحدهم، فالبرغم من قتله هو وغيره من فدائييهم فقد حظي ذلك العلوي بكلمات مديح ووصف بالشجاعة والإقدام من قبل شعراء الإسماعيلية[٢]، كما أن حيلهم وأساليبهم لم تقف على قتل العامة من الناس فقد قام الفدائيين المتخصصين بـ قتل الأمراء والوزراء والقواد ورجال السلاطين المقربين في أصفهان، والأمثلة في تاريخ الدولة السلجوقية كثيرة جداً، فعلى سبيل المثال قاموا بقتل الوزير نظام الملك عبد أحد أتباعهم ويدعى أبو طاهر الأراني حينما تخفىّ بزيّ صوفي يطلب المساعدة وطعن نظام الملك سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، كذلك قيامهم سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م بقتل وزير السلطان بركياروق " أبو المحاسن الدهستاني"[٣].

ومن الأمثلة الأخرى على آذاهم قتلهم أميراً في دار الوزير فخر الملك بن نظام الملك، إذ لم يكترثوا لأمر حرمة بيته واعتباره وزيراً مهاب الجانب، وعندما سألهم فخر الملك عن إذا ما كان هو من ضمن أجندتهم ومخططاتهم في التصفية والقتل، أجابوه: بأنك أقلّ شأناً من أن نلوث أيدينا بقتلك[٤]،حتى أن الوزير فخر الملك نفسه لم يسلم من آذاهم فقتلوه سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م[٥] كما قتلوا العديد من الأمراء، نذكر منهم أرغش النظامي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[٦] والأمير مودود صاحب

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٦٤، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠،ص٢٠٤،الذهبي،العبر،ج٢،ص٣٤٩.

(٢) لويس،الحشاشون ، ص٢٠٧.

(٣) ابن إسفنديار، تاريخ طبرستان، ص٣٣٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٥، حسنين، سلاجقة ايران والعراق ،ص٧٤.

(٤)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٠٣–٥٠٤.

(٥)ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٤١٨، ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٧٨، الذهبي، تاريخ الإسلام،ص٧٥.

(٦) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٧١، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص١٠.

الموصل سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م[1] أثناء وجوده لمساعدة طغتكين صاحب دمشق في محاربة الفرنج.

وكان من المعروف عنهم مدى ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على القتل في أي وقت وأي مكان يريدون، حتى وإن كان ذلك المكان دار السلطان السلجوقي نفسه! إذ وصلت أياديهم في القتل لمجلس السلطان محمّد بن ملكشاه سنة ٥١٠هـ/١١١٦م حيث قتلوا الأمير أحمد إيل[2] عندما جاءه رجل باطني يشكو الظلم لأحمد ومعه سكين كان قد أخفاها، وعلى حين غفلة تناول الباطني السكين وضربه في معدته .

وامتدت أياديهم السوداء في القتل والفتك لتشمل الفقهاء والوعاظ والعلماء والأجلّاء المسلمين السنة، حيث تمكنوا من قتل كل من يدعو للحق ومحاربة البدع والخرافات فكان العالم أبو المظفر الخجندي من أبرز ضحاياهم سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م[3]، كما أن الإسماعيلية كانوا يهدفون لإشاعة الفوضى وعدم والاستقرار، فقد حظي القضاة النوابغ في مؤسسات الدولة السلجوقية على نصيب من القتل والتعذيب فقد قتل الإسماعيلية سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، قاضي القضاة عبدالله بن

([1]) يرجع ابن الجوزي في كتابه المنتظم،ج١٠،ص١١٣ وفاة الأمير مودود إلى سنة ٥٠٥هـ/١١١٢م ،ابن الأثير، الكامل ،ص٤٩٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص ٧٤ ، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٤٧، وهناك بعض الآراء التي تشير لتورّط وتآمر طغتكين أتابك دمشق في قتل الأمير مودود، إلاّ أنه يعتقد وجود تعاون مبطّن ما بين الإسماعيلية الشيعة والفرنج للتخلصّ من قوة الأمير مودود في مقاومة الغزو الصليبي .

([2]) أحمد إيل: أحمد بن إبراهيم صاحب مراغة ، قيل كان إقطاعه في كلّ سنة أربعمائة ألف دينار، وجنده خمسة آلاف فارس، سيّره السلطان محمد بن ملكشاه إلى الشام مع سكمان القطبي سنة ٥٠٥هـ/١٠١١م، قتله الباطنية في محرّم سنة ٥١٠هـ/١١١٦م ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٣٢، ابن العديم ، بغية الطلب ،ج٢، ص٢٣٤، لويس، الحشيشية ،ص٣٦١.

([3]) ابو المظفّر الخجندي: يعود نسبه إلى المهلّب بن أبي صُفرة كان واعظاً شافعياً في المدرسة النظامية في أصفهان، قتلهاالإسماعيلية بعد فتنة وقعت في الريّ، حينما خرج الخجندي ليصلح بين الفريقين، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٦، الذهبي، تاريخ الإسلام،ص٦٧.

علي الخطيبي[1] وأبو العلاء البخاري[2] كما قتلوا النيسابوري الحنفي[3] وأبو المحاسن الروياني[4] وغيرهم الكثير.. الكثير....

وأمام تلك الممارسات اللامسؤولة من الإسماعيلية النزارية، وازدياد خطرهم في تفتيت الدولة السلجوقية ووحدتها وانتهاك حرمتها، والتي كانت منهكة في الأساس بسبب النزاعات بين أبناء ملكشاه، كان لا بد من تعامل من نوع آخر معهم من قبل السلطانين: بركياروق ومحمّد ،إذ كان لكلٍ منهما ظروفه السياسية الخاصة التي غلفت علاقته معهم بشكل مختلف، كما سنرى:

- علاقة السلطان بركياروق بن ملكشاه مع الإسماعيلية:

لا شك في أن الإسماعيلية –الباطنية قد استغلوا فرصة اشتغال السلطان بركياروق بالحروب الداخلية ،التي منعته من ملاحقتهم وتعقّبهم، إلا أن علاقته معهم وخاصة في بدايات عهده كان يشوبها بعض الشكوك وذلك بأطماعهم بالانتشار والتزايد والسكوت عنهم بادئ الأمر، نظراً لانشغاله بالنزاع على السلطة مع إخوته محمود ومحمّد وسنجر.

---

(1) عبدالله بن علي الخطيبي: هو قاضي أصفهان، قتله الإسماعيلية الباطنية في همذان سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م،بعد أن تجردّ في أمر الباطنية تجرداً عظيماً،وصار يلبس درعاً حذراً منهم ويحتاط ويحترز، فقصده إنسان عجمي،يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله، ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٤٧١-٧٢، اليافعي، مرآة الجنان،ج٣،ص١٣٠.

(2) أبوالعلاء البخاري: هو صاعد بن محمد بن عبدالرحمن،قاضي نيسابور حنفي المذهب ولد سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م سمع الحديث عن شيوخ كثر، قتله الباطنية يوم عيد الفطر سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م،وقتل ذلك الباطني،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٢،اليافعي،مرآة الجنان ، ج٣، ص١٣٠ ،الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج١٩، ص٥٢٢، دول الإسلام،ج٢،ص٢٢.

(3) النيسابوري الحنفي: هوالمفتي الحنفي،أحد الأئمة المهمين في نيسابور، قتله الباطنية غدراً سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٠.

(4) أبو المحاسن الروياني: فخر الإسلام القاضي، أبا المحاسن عبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد الفقيه الإمام، الشافعي مذهباً أحد الرؤوس الأكابر في أيامه،شيخ الشافعية فروعاً وأصولاً وخلافاً صاحب التصانيف المنيّة، سمع عن شيوخ جهابذه في الفقه امثال أبا الحسن الفارسي، روى عنه شيوخ كثر كذلك، كان الوزير نظام الملك كثير التعظيم له بكمال فضله، رحل إلى بخارى ودخل غزنة ونيسابور ،بنى مدرسة في طبرستان، ثم التحق بالريّ للتدريس بالنظامية هناك،ثم قدم في أواخر آيامه إلى أصفهان وملأ جامعها بالكتب والتصانيف المفيدة منها " بحر المذهب والكافي وكتاب حيلة المؤمن وغيرها،قتله الباطنية بجامع آمد يوم الجمعه في شهر الله المحرم سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، ابن خلكّان، وفيات الأعيان، ص٢٦٢، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣،ص١٣١.

وقد بنى ذلك على ما ورد من تعاون قام به السلطان بركياروق مع المحتشم رئيس إسماعيلية طبس وقاين[١] يقتضي بمساعدته له بالوقوف معه في النزاعات الداخليه، الأمر الذي أعطاهم دافعية بالتقرب من السلطان بركياروق، بل والتغلغل في أجهزة الدولة السلجوقية[٢]، إلا أن الأخطر من ذلك هو وجود أفراد منهم داخل صفوف جيش السلطان بركياروق[٣] حتى أن جيش السلطان محمّد أخذ يسخر من مقابليه في صفوف السلطان بركياروق بهتافات تحمل أنهم باطنية[٤].

والأكيد في الأمر معرفة السلطان بركياروق المسبّقة بخدعهم وعدم صفاء نيتهم للدولة، كما أنه لم يشأ أن يصطدم بهم ويوسع دائرة الصراع معهم، فيكفيه ما هو فيه من صراع داخلي هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه أخذ بالاستفادة منهم في حروبه سعياً لتحقيق أهدافه ومآربه.

ومع مرور الوقت ازداد قتل الإسماعيلية وإرهابهم للناس في أصفهان وغيرها من المدن والقرى، كما توسّعوا بالسيطرة على القلاع شرقي جبال البوريز[٥] ومن ثمّ محاولتهم الاعتداء على السلطان بركياروق واغتياله سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[٦]على يد أحد أهالي سجستان، إلا أن السلطان لم يصب بأذى بالغ سوى جرح في عضده[٧]، حيث تمّ إلقاء القبض على الفاعل بعد أن استخدم السلاجقة عدة طرق في ذلك منها إعطاء المتهم جرعات من الكحول ليقرّ ويعترف[٨] أو وضع أصابع يده تحت أرجل الفيل لتضغط عليه فلا يحتمل الألم فيُدلي بكلّ التفاصيل[٩].

---

(١) طبس وقاين: بلاد قريبة من نيسابور وأصفهان وكرمان، الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ١٢٣، ١٣٥، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج٢، ص٨٧٩، مج٣،ص١٠٦٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٢٢-٣٢٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥١، سبط ابن الجوزي،ج١٩، ص٥١٢-٥١٤، حلمي، السلاجقة، ص١٨٠.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٤-٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٢، حلمي، السلاجقة، ص١٨٠.

(٥)جبال البوريز: سلسلة جبلية مرتفعة في شمال طهران حالياً، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج٢،ص٤٣٥.

(٦) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٠، ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٢٥٢، اليزدي، العراضة، ص٧٦.

(٧) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٢٥٢، حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ص٤٠.

(٨) النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٣، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢،ص١٨٣.

(٩) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٥٢.

كلّ تلك التصرفات من الإسماعيلية جعلت من أمر محاربة السلطان بركياروق لهم أمراً في غاية الأهمية، لا سيما بعد ظهور أخبار وأقاويل بين الناس في الدولة السلجوقية تشير لميل السلطان بركياروق لمذهبهم[1]؛ ومما جعل مزاعمهم في موضع تصديق بالنسبة للعامة من الناس في الدولة، ما كان الإسماعيلية يقومون به من اغتيال وتصفية لجميع من وقف ضدّ السلطان بركياروق في نزاعاته[2]، فكانت الأسباب السابقة كفيلة بأن يعلن السلطان بركياروق الحرب عليهم.

وكانت سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م شاهدة على فتك السلطان بركياروق بالإسماعيلية[3]، فقد توجّه السلطان بركياروق مع عددٍ كبيرة من العسكر لمحاصرة خيامهم وملاحقة كل من يتبعهم[4]، فقام السلطان بالمهمة على أكمل وجه، فكان عدد من قتله السلطان منهم كبيراً تجاوز الثلاثمائة[5] وقد أباح السلطان بركياروق ديارهم وأموالهم للعامة ونودي فيهم: "أن كل ما قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذوا ماله"[6]، ولتوسيع دائرة الملاحقة والتتبّع لهم، كتب السلطان بركياروق للخليفة المستظهر بالله يدعوه للقبض على كل من يتّهم منهم ويشك في أمره وقد يتواجد في بغداد[7]، وقد طلب السلطان بركياروق من الخليفة إلقاء القبض على أحد الأشخاص الفارين من أصفهان إلى بغداد ويدعى إبراهيم الأسداباذي ، كما أوعز السلطان لأمراء الولايات بملاحقة وقتل الإسماعيلية النزارية حيثما وجدوا، فتحرك الأمير جاولي سقاوه لقلتلهم سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م[8]، كذلك فعل السلطان سنجر بهم

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠، ص٥٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٢-٣٢٣.

(2) ابن الأثير، المنتظم ، ج١٠، ص٣٢٣ ،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥١١-٥١٢،

(3) ابن الجوزي،المنتظم، ج١٠،ص٥١، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٣١٣،سبط ابن الجوزي، مرآةالزمان، ج١٩، ص٥١١-٥١٣، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٢- ٢٠٣

(4) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٢٣، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣٤-٣٥.

(5) يذكر ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص٥١،أن العدد قد تجاوز ٨٠٠ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١١.

(6) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٢٢، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢،ص١٧٠

(7) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ص٥١١،ابن تغري بردي، النجوم،ج٥،ص١٦٥.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١٩-٣٢٠

بنفس السنة أيضاً، حيث أرسل الأمير بزغش أحد كبار أمرائه لمحاصرة قلعة طبس[1]، فقام بالتضييق عليها ورميها بالمنجنيق وتخريب أسوارها وهدمها[2]، ثم عاد السلطان سنجر بعد ثلاث سنوات سنة٤٩٧هـ/١١٠٣م[3] ليعيد الهجوم عليهم من جديد، إلا أن الإسماعيلية النزارية وفي محاولة لاستخدام الخديعة والمكر طلبوا منه الأمان فأعطاهم بعد التشاور مع أصحابه، إلاّ أن السلطان سنجر اشترط عليهم عدة شروط منها: عدم بناء الحصون، وشراء الأسلحة، وأن لا يدعوا أحداً إلى عقائدهم مقابل ذلك[4] وبقي السلطان بركياروق في عداء مستمر للإسماعلية حتى وافته المنية سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[5] ليتسلّم السلطان محمّد عرش السلطنة بدلاً منه، ويمكن القول بأنّ السلطان بركياروق لم ينجح في القضاء على الباطنية بالكُلّية ؛ بسبب عدم تفرغه الكامل لهم، حيث كان في صراعات سياسية مع أخيه محمّد على السلطنة.

ويصف بعض المؤرخين ومنهم النويري على سبيل المثال أن أفضل مافعله السلطان بركياروق خلال سلطنته هو قتاله للباطنية[6] ، على أن الزهاوي يصف محاربة السلطان للإسماعيلية بالجهود الفاشلة التي لم يكتب لها النجاح؛ معللاً ذلك بوجود القلاع الحصينة التي تحصّن بها الإسماعيلية الملاعين، ولجوؤهم إلى أسلوب الاغتيالات السياسية ودبّ الخوف والرعب في نفوس المهاجمين للقلاع[7]، ولا أتفق مع ما جاء به الزهاوي، فالسلطان لم يكن متفرغاً لذلك ، فعلى الأقلّ يحسب له محاولاته المستمرة وسعيه المستمر إلى تقويض قوتهم .

---

(1) قلعة طبس: قلعة حصينة بناهاالاسماعيلية في مدينة برية بين نيسابور وأصبهان وكرمان، وتحصنوا بها وأخذوا بوضع الأسلحة والذخائر بها لمهاجمة الامراء والوزراء السلاجقة، الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ١٣٤، النويري ، نهاية الأرب،ج٢٦،ص٢٠٣.

(2)ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٣٢٤.

(3) ابن الأثير ، الكامل، ج١٠،ص٣٧٨.

(4) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٣٧٨- ٣٧٩.

(5) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج١، ص٢٦٥، الذهبي، العبر،ج٢، ص ٣٧٦ ، سير أعلام النبلاء، مج١٩، ص١٩٦، الحنبلي، شذرات الذهب، مج ٤،ص١٢٤.

(6) النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٤

(7) الزهاوي، الإسماعيلية النزارية، ص٢٣٨-٢٣٩.

وملخّص القول بأن الظروف المحيطة بالسلطان بركياروق وانشغاله بحروب إخوته للفوز بعرش السلطنة، واستغلال الأمراء في الولايات للظروف وزيادة نصيبهم من الإقطاعات كانت سبباً في عدم تفرّغ السلطان للإسماعيلية الباطنية، ومع ذلك فإن انقلاب السلطان عليهم بعد أن استفاد منهم خلال سنوات حروبه، مواقف تسجلّ للسلطان بركياروق، فقد قام بتأسيس جذور المواجهة الإسلامية السنّية للإسماعيليةالشيعة، والتي أكمل مسيرتها السلطان محمّد بن ملكشاه.

- علاقة السلطان محمّد بن ملكشاه بالاسماعيلية:

لم يضطر السلطان محمّد للتعاون معهم أو التقرب منهم كما كان سابقه بركياروق، بل كان يكن لهم الكره والحقد منطلقاً من حرصه على نصرة الدين ومجاهدة الكفار واقتلاع الشرك والبدعة[١]، فحتّى أثناء خلافاته مع أخيه بركياروق لم يركن إليهم إطلاقاً ولم يستعن بأي مشورة من ذويهم، بل إن تعامله معهم كان صارماً منذ البداية، ولم يكن متفرغاً لإبادتهم نهائياً بل اقتصرت أمور متابعته لهم بملاحقتهم، ومراقبة تحركاتهم على فترات، ومن ذلك نجده يرسل ينال بن أنوشتكين الحسامي سنة ٤٩٤/١١٠٠م لمحاصرة نائب قلعة ألموت في أصفهان[٢]، كما أنه كان يهتمّ بأمر ملاحقة كل من يظهر عليه علامات التشيّع في الدولة السلجوقية، فقد أمر سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م بالقبض على أبي الحسن الطبري[٣] لسريان شائعة مفادها تورطه بالتعامل مع الإسماعيلية الباطنية[٤]، وكتب بذلك للخلفية المستظهر بالله يأمره بالقبض عليه إذا ما دخل بغداد، إلا أنه تم تبرئته بعد حين لعدم ثبوت مايدينه[٥].

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٥، ص ٦٨، حلمي، السلاجقة، ص٥٢-٥٣.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام،ص٣٣.

(٣) أبو الحسن الطبري :علي بن محمد بن علي، من أعيان الفقهاء الشافعية، درس على يد إمام الحرمين الجويني، عمل مدرساً في نظامية بغداد، وبقي فيها حتى توفي سنة ٥٠٤هـ/١١١١م، ابن الأثير، الكامل، ص٤٨٤

(٤) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٦٣، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٢٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٢١ ، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٥٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص٦١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٤.

وعندما فرغ السلطان محمّد لأمور السلطنة وجلس على كرسي الحكم دون منازع سنة٤٩٨هـ/١١٠٤م[1]كان عليه مواجهة خطر الإسماعيلية الذين كانوا يعملون في الخفاء بالاستيلاءعلى القلاع والحصون مستغلين حالة عدم الاستقرار التي تمرّ بها الدولة السلجوقية، كما وحين علم الإسماعيلية بتوجيه أنظار السلطان نحوهم اتخذوا مسلكاً كان له من التأثير ما كان في صرف انظار السلطان محمّد عنهم وتوجيهه لمنحى آخر، ذلك أنهم سربوا الشائعات حول قلج أرسلان وعزمه على الاستيلاء على خراسان وبغداد، هادفين من ذلك أبعاده عن مركز السلطنة بأصفهان، ليتسنى لهم التوسّع والانتشار[2]، ترقب خطر الفرنج الذين كانوا قد دخلوا ديار الإسلام منذ سنة ٤٩١هـ /١٠٩٨م[3]، وكان السلطان محمّد يتطلّع للقضاء عليهم من خلال الهجوم على هدفين هامين وهما :

١) قلعة شاه دز

كان زعيمها أحمد بن عطاش مصدر خطر وإزعاجٍ للدولة السلجوقية برمّتها كيف لا وهو من كان يسلط أصحابه لقطع الطرقات والسلب والنهب من المارة في أصفهان، ناهيك عن الضرائب التي كان يتفنن بفرضها على العامة الضعاف من الناس[4]، فكان القرار نهائياً وموجباً بملاحقتهم وقتلهم بالرغم من صعوبة ذلك نظراً لحصانة القلعة وشراسة الفدائيين فيها[5].

وفي سنة ٥٠٠ هـ/١١٠٦م قرّر السلطان محمّد شنّ الحرب والهجوم على الإسماعيلية[6]، حيث قام بحصار القلعة في أصفهان حصاراً شديداً[7]، وعندما شعر الإسماعيلية بخطورة الموقف وشدّة الحصار، طلبوا من السلطان إرسال من يناظرهم ويحاججهم في أمرهم، ونظراً لما عرف عن

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٧٧-٧٨، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٣٨٥-٣٨٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٣، ابن خلدون،العبر،ص٧٣.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٩٢.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٥٩، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٢٩٧.

(4) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٣٠-٤٣٢.

(5) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥

(6) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٨٩ ، الرواندي، راحة الصدور، ص٢٣٩ ، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٤٣٠، سبط ابن الجوزي، ج٢٠،ص٨.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣١-٤٣٢، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٣.

السلطان محمد من عدلٍ وتسامح، لزم مشاورة الفقهاء والعلماء والشيوخ الذين أشاروا عليه بالحوارمعهم ومناظرتهم ؛ لكيلا يقال عن السلطان أنه حارب أمة تقول لاإله إلا الله محمد رسولالله[1] فأرسل السلطان محمد الفقهاء لقلاعهم ليناظروهم فيها،إذ كانت المناظرة إحدى أساليبهم في الدعوة، كما كان لديهم مثقفيهم وعلماؤهم ممن يتطوعون التصدي للمناظرات[2].

ومع فشل المناظرات معهم، كان غدرهم لا يفارق تخطيطهم وتنظيمهم فقد خططوا للوصول للسلطان وقتله ؛ وذلك عبر مراسلات بين وزير السلطان سعد الملك الآبي وأحمد بن عطاش، حيث تروي بعض المصادر التاريخية عن مكاتبات جرت بينهما، وفيها يخبر ابن عطاش وزير السلطان محمد سعد الملك عدم قدرته على تحمل الحصار المفروض عليه في قلعة أصفهان، إلا أن وزير السلطان المتآمر مع الإسماعيلية النزارية[3] كان يقول له دائماً: "أصبر طوعاً حتى يهلك هذا الكلب مشيراً للسلطان محمّد[4]، وكانت خطة الوزير سعد الملك تقوم على الاتفاق مع الفصّاد الذي يقوم بعمل الحجامة للسلطان تسميم جسده من خلال وضع السم على الشفرة التي يستخدمها في الحجامة والتي اعتاد السلطان محمّد الذهاب لعمل الحجامة مرّة كل شهر[5]، فوصل الخبر لحاجب السلطان محمّد فأخبره بتفاصيل ذلك التآمر[6] ومماعجّل في القضاءعلى الإسماعيلية، ما قاموا به من قتل لوزير السلطان سنجر وهو فخر الملك في نيسابور سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[7] لا سيما بعد أن كتب السلطان سنجر لأخية محمّد كتاباً يشدد فيه على ضرورة محاربتهم حيث يشير سبط أبن الجوزي لذلك مثلاً: "أن هؤلاء لا يبقون علي ولا عليك والواجب قلعهم من الأرض ومحاربتهم"[8].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠، ص٨٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٢.

(2)حلمي، السلاجقة، ص١٨١، الزهاوي، الإسماعيلية النزارية، ص٢٣٩.

(3)انظر عن تشيّع سعد الملك الآبي، الراوندي، راحة الصدور ،ص٢٣٥-٢٤٠.

(4)الراوندي، راحة الصدور،ص٢٤٢-٢٤٥، اليزدي، العراضة، ص٩٠.

(5) الرواندي، راحة الصدور، ص٢٤٤، اليزدي، العراضة،ص٨٩-٩٠.

(6) للمزيد عن القصة الكاملة التي جرت بين وزير السلطان محمد واحمد بن عطاش وتفاصيل المؤامرة التي حاكها الوزير المتشيّع ارجع الرواندي، راحة الصدور، ص٢٤٠-٢٤٥.

(7) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٨٧، ص٤١٨، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤١٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص١٤.

(8) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص١٤.

فلما قرأ السلطان محمّد كتاب أخيه شدد حصاره على قلعة شاد دز التي مكث فيها ابن عطاش ورجاله مدة طويلة، وشددت عساكر السلطان حصارها عليهم بالإحاطة بكافة أنحاء الجبل الذي تربض عليه القلعة[1] الأمر الذي أدّى إلى نفاذ الأقوات[2]، وكان عدد العساكر مع السلطان محمّد كبيراً[3] وانتهج السلطان في تعامله في حصارهم بأن وضع على كل بابٍ من أبواب القلعة أميراً يحاصرها[4].

وأثناء الحصار الذي بدأ ثاني يوم ذي القعدة سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م[5]ساعد أحد الباطنية الإسماعيلية الذي استأمن لجانب السلطان محمّد وجيشه، الجيش السلطاني في التسلّل لإحدى ممرات القلعة، وكان الاسماعيلية قد ملؤا ذلك الممر بعددٍ كبير من "الكزاغندات"[6] بقصد التمويه على عساكر الجيش السلطاني[7]، فعبر الجنود ذلك الممرّ واستولوا على القلعة بعد أن أحكموا سيطرتهم على المداخل[8]، وأخذ جيش السلطان القلعة من ابن عطاش بكثرتهم العددية حيث كان من بقي من رجال القلعة ثمانون رجلاً فقط[9]من أصل عدد كبير من الرجال كانوا قد سئموا الانتظار والحصار وقد يكونوا سلّموا أنفسهم للجيش السلطاني، ولربما هربوا من مخارج أخرى للقلعة

---

(1) ابن إسفنديار ، تاريخ طبرستان ، ص٣٣٥، ابوالفداء، المختصر،ج٢، ص٣١٤، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٨.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٣.

(3) اليزدي، العراضة،ص٨٩.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص١٤-١٥.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص٨٩.الحسيني، زبدة التواريخ، ص٦٨، الهمذاني، جامع التواريخ ، مج٢،ج٥، ص٦٩.

(6) لم أعثر على معنى الكلمة إلاّ أنّه يفهم من سياق الحوار الذي دار بين عساكر الجيش السلطاني والإسماعيلي المنضمّ لجيش السلطان، بأن الإسماعيلية ولإيهام العساكر بوجود رجالاً في القلعة وضعوا مجسمات حربية على هيئة تماثيل تلبس درع او قميص من الجلد مثبتّ به حلقات أو رقائق من شئ صلب، وقد ذكرها ابن الأثير بالكزاغندات، وأغلب الظنّ انها كلمة فارسية، وتوحي هذه التماثيل لمن يريد أن يقتحم القلعة بأن هناك عدد من الرجال بداخلها يدافع عنها.

(7)ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٣٣-٤٣٤.

(8) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص١٤،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٩، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٣٧.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢، ص١٧٨.

لم تذكرها بعض المصادر التاريخية التي اطّلعت عليها، وليس ذلك بمغيرٍ لتفاصيل قصة الاستيلاء على قلعة شاه دز، فما يهمنا هنا مصير المقدم الخاص بها وهو ابن عطاش، حيث قبض عليه ووضع في الأسر [١] وربطت يداه بحبال وأركبوه على جمل وحملوه وتنقلوا به في شوارع أصفهان ونكّلوا به أشد تنكيل[٢]، وبعد أن مات ابن عطاش،أمر السلطان محمّد بحشي جلده تبناً وقتل ولدهِ[٣] وحُمل رأسه ورأس ولدهِ للخليفة العباسي المستظهر بالله[٤] ولئلا تكون القلعة مكاناً يتجمع فيه الباطنية أو أن يستفيدوا منه أمر السلطان محمّد بن ملكشاة بهدم القلعة[٥] ، ويصف المؤرّخ ابن كثير طريقة هدمها حيث يقول: بأن جنود السلطان محمّد هدموها حجراً حجراً[٦]، وبهدم قلعة شاه دز"أصفهان" أراح السلطان محمد الدولة السلجوقية على وجه الخصوص والدولة الإسلامية بالعموم من خطر الإسماعيلية– الملاحدة، بعدأن أمضى ابن عطاش اثني عشرة سنة مقيماً في القلعة عائثاً للفساد،مروعاً للعباد[٧]، ولم يغفل السلطان محمّد كذلك عن معاقبة وزيره سعد الملك المتواطئ مع الإسماعيلية فكان جزاؤه أن عُلّق على باب أصفهان وتم صلبه حتى مات[٨].

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥، الحسيني، زبدة التواريخ، ص٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٤.

(٢) الراوندي، راحة الصدور،ص٢٤٢-٢٤٥، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٨-١٦٩، اليزدي، العراضة، ص٨٩-٩٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٣٤ ، ابوالفداء، المختصر،ج٢،ص٣١٤، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦، ص٢٠٩، اليزدي، العراضة، ص٩٠

(٤) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٨ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٤، ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٩٠.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٤٥، ابن إسفنديار ، تاريخ طبرستان، ص٣٣٦- ٣٣٨، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٨

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢،ص١٧٨.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٩، الذهبي، العبر،ج٢،ص٣٧٩، دول الإسلام، ج٢، ص٢١، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٢٤

(٨) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٤٥، ابن الاثير، الكامل،ج١٠، ص٤٣٧، ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٩٠.

٢) قلعة ألموت:

انطلاقاً من علم السلطان المسبق، بضرورة القضاء على الإسماعيلية تماماً من الوجود في كافةِ أرجاءالدولة السلجوقية، كان السلطان محمد يعلم أيضاً أن مصالح البلاد والعباد منوطة بقتل الإسماعيلية؛ ولأجل تلك المهمة فقد أوكل المهمّة إلى وزيره أحمد بن نظام الملك[١] وأمره بمحاصرة قلعة ألموت سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م[٢]وبالفعل فقد حاصرها الوزير مدة من الوقت إلا أنه لم يعد منها بطائل بسبب برودة الشتاء القارص الذي أوقف حصاره لها[٣]، ورغم ذلك فقد أبى الإسماعيلية إلاّ أن يلوّثوا أياديهم بالدماء فحاولوا اغتيال الوزير أحمد بن نظام الملك،إلا أن الطعنة كانت في رقبته غير مميتة[٤]، وعلى ضوء ما تعرّض له الوزير من محاولة اغتيال على يد الإسماعيلية، تم إعفاؤه بعدها من تلك المهمة، ولكن السلطان محمّد كان لا يزال مصمماًعلى محاربتهم حتى النهاية، فأرسل عدداً من قواد الجيش السلطاني إلا أنهم لم ينجحوا بسبب برودة الشتاء هناك[٥].

ومع كلّ هذا فقد نشط الإسماعيلة من جديد في نشر دعوتهم وفي تثبيت أقدامهم في المناطق التي كان لهم نفوذ بها، وأخذوا يغيرون بشكل مكثف على المناطق المجاورة لقلعة ألموت ويكثرون من السلب والنهب والقتل ويأسرون الرجال ويسبون النساء[٦]، الأمر الذي دفع السلطان

---

(١)أحمد بن نظام الملك: هو قوام الدين أبي نصر أحمد بن خواجه نظام الملك الطوسي، ولد في مدينة بلخ وتربّى في أصفهان، استوزره السلطان محمد سنة٥٠١هـ/١١٠٨م وبقي في الوزارة حتّى سنة ٥٠٤هـ/١١١١م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٧، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٤، وسيتمّ الحديث عن دوره في الوزارة خلال الفصل الثالث من هذه الأطروحه بحول الله.

(٢) ابن الجوزي،المنتظم، ج١٠، ص١٠٥، ويذكر الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧٠، أن السلطان حاصر قلعة ألموت سنة٥٠١هـ/١١٠٨م، وذلك خطأ لإن السلطان محمد كان وقتها مشغولاً بحربه مع سيف الدولة صدقة، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٧ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠، ص ٣٥.

(٣) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٧٠، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٧٧، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢١٢، المقريزي، المقفى الكبير،ص٣٢١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص١٠٥، ابن الأثير، الكامل،ص٤٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الجنان،ج٢٠، ص٣٥،

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٨، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٩٦.

(٦) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠،ص٣١٥-٣١٧،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥١١-٥١٣، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص٢٠٣.

محمد للاستعانة بقوة أكبر للنيل منهم[١] ، وهنا نجده استعان بالأتابك الأسفهسلار أنوشتكين شيركير[٢] واستطاع هذا الأمير بالسيطرة على بعض القلاع المجاورة[٣]، وكاد الأمير أنوشتكين يستولي على قلعة لمسر[٤] وقلعة ألموت طيلة الست سنوات التي قضاها يحاصر الإسماعيلية[٥] وبقي مضايقاً للإسماعيلية، مضيقاً للخناق عليهم،حتى ضاق على الحسن الصباح،الأمر وقلت الأقوات عنده حتى أنه يقدّم لكُلٍ من أصحابه رغيفاً وثلاث جوزات في اليوم[٦]، وأمام ذلك الوضع كان الجيش السلجوقي بقيادة أنوشتكين قريباً من أخذ قلعة ألموت[٧] لولا وصول خبر وفاة السلطان للجنود والعساكر المحاصرين للقلعة ٥١١هـ/١١١٧م[٨] فرحل الجميع وفَتُرَ الحماس لديهم[٩] فأنقذ موت السلطان محمّد قلعة ألموت من السقوط[١٠].

وبوفاة السلطان محمّد بن ملكشاه يسدل الستار على فصل من فصول علاقة السلاجقة بالقوى المجاورة والتي كان أمر محاربتها له الأثر الكبير في توجيه قاعدة البناء والإعمار واستمرارية الحياة في الدولة، كما أنه وجه الطاقات نحو الجيش وتجهيزه وإعداده بما يلزم لمواجهة

---

(١) اقبال، تاريخ إيران، ص٢٩١،حسنين، إيران والعراق، ص١٠٨.

(٢) انوشتكين شيركير: هو الأمير الأسفهسلار صاحب آبة وساوة، سيرّه السلطان محمد لقتال الباطنية في ألموت منذ سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م ، بعد أن فشل الوزير أحمد بن نظام الملك معهم، وتمكّن الاسفهسلار من تملّك عدة قلاع منهم، وبقي يحاصرهم حتى وفاة السلطان محمد سنة٥١١هـ/١١١٧م، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٧١، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٥٢٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٥٢٧ ، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٢،ص٦٩-٧٠.

(٤) قلعة لمسر أو لنبسر كما يذكرها المؤرخون الفارسيين ومنهم حمد الله المستوفي في كتابه نزهة القلوب،إحدى القلاع التي تقع بالقرب من ألموت، حاول معها الاسفهسلار أنوشتكين كثيراً، غير انه لم ينجح، ابن الأثير،الكامل،ج١٠، ص٥٢٧، إيوار، الإسماعيلية، مج٣، ص٣٧٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٥٢٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل ،ص ٥٢٨،المقريزي، المقفى الكبير،ص٣٣١.

(٧)الراوندي، راحة الصدور،ص٢٤٨.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٢٨.

(٩)ابن الأثير، الكامل ،ص٥٢٨، المقريزي، المقفى الكبير، ص٣٣١.

(١٠) يذكر الراوندي، راحة الصدور،ص٢٤٦ ان الإسماعيلية ربما يكونوا متورطين بدسّ السمّ للسلطان محمد، الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٨، بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٤٨.

ذلك الخطر الداهم، ولم يتمكّن خلفاء السلطان محمّد الذين جاءوا بعده من القضاء على الإسماعيلية ، إلى أن تمّكن المغول من القضاء عليهم .

ب- علاقة السلاجقة بـ الفرنج " الصليبيين"

كماهو معروف لدارسي التاريخ بشكل عام أن مصطلح الصليبيين أو الفرنج يطلق على الجنود الذين قدموا من أوروبا للإغارة على البلاد الإسلامية في آواخر القرن الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، طلباً لاستخلاص الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين، وسمّوا بذلك لاتخاذهم الصليب شعاراً لهم في راياتهم وعلى ملابسهم[١].

ولقد كانت تلك الحروب على حد تعبير المؤرخين المحدثين بمثابة حلقة من الصراعات بين الشرق والغرب[٢]كما أن فريقاً آخر من المؤرخين يرون أن الحروب الصليبية والتي بدأت الدعوة لها سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٥م[٣] ليست سوى استمراراً لحركة الحج الجماعي لبيت المقدس، مع حدوث تغير في تطبيق مفهوم الحج فقد صار حربياً بعدأن كان سلمياً[٤]وبغض النظر عن ماهية تلك الحروب وتفصيلاتها فمن المؤكد أنها جاءت في وقت كان فيه العالم الإسلامي يشهد تفككاً وضعفاً، وأقصد بذلك الخلافتين الفاطمية والعباسية[٥] فقدكانت أراضي الخلافة العباسية في نهاية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الميلادي تخضع لقوى متعددة متناحرة وقع بينها خلاف وعملت كل واحدة منها على التوسع على حساب الأخرى، سواء كان ذلك من قبل الخلفاء العباسيين الضعاف

---

(١) عمران، محمود، تاريخ الحروب الصليبية، دار النهضة العربية ، بيروت، ط٢، ١٩٩٩، ص١٥، هاردنج، الحروب الصليبية، دائرة المعارف الإسلامية ، مج١١، ص١٣.

(٢) للمزيد عن أسباب الحروب الصليبية انظر الصوري، وليم ، الحروب الصليبية ، ترجمة: حسين حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط١، ١٩٩١،عاشور، الحركة الصليبية ص٢٤،٣٠- ٤١ .

(٣) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ج١، ط١، ١٩٦٧،ص١٥٩، وسيشار إليه: رنسيمان، تاريخ الحروب .

(٤)عاشور، الحركة الصليبية ، ج١، ص٢٦.

(٥)البيطار،أمينة، رؤيا معاصرة للحملة الصليبية الأولى، مجلة دراسات، جامعة دمشق، ع٢١، ١٩٨٩، ص١٨٣-١٨٧، وسيشار إليه : البيطار ، رؤيا معاصرة .

الذين رضوا من الحكم بالاسم فقط بينما الأمر كله فقد كان عائداً للسلاجقة أو من قبل الفاطميين[1].

وبعد وفاة السلطان ملكشاه، أصبح واضحاً للعيان ما كانت تعانية الدولة من انشقاق ومنازعات طلباً للسلطنة، منشغلين بتحقيق أهوائهم ومآربهم الشخصية دون التنبه للخطر الخارجي المحيط بالعالم الإسلامي[2]، وإذا كان ذلك الصراع قد انفك بموت السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[3] فإن التماسك والوحدة بين أفراد البيت السلجوقي ذهبت ريحه وتفرق فقد أصبحوا شيعاً وأحزاب انقسموا على أثره إلى أقسام في الشام وآسيا الصغرى والعراق وفارس وكرمان وخراسان[4]،أما سلاجقة الشام فقد كانوا في وضعية انقسام لا تقل أهمية عن أبناء عمومتهم في فارس والعراق فلم تكن لهم زعامة موحدة خاصة بعد وفاة السلطان تاج الدولة تتش[5]أثناء نزاعه مع ابن أخيه السلطان بركياروق في موقعة الريّ المشهورة سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[6] فبعد وفاته انقسمت أملاكه بين ولديه دقاق الذي تسلم حكم دمشق (٤٨٨ – ٥٠٨ هـ/ ١٠٩٥-١١١٤م) ورضوان بن تتش الذي تسلم حلب (٤٨٨ -٥٠٧ هـ/ ١٩٥١-١١١٣م)[7].

فوقعت بينهما حروب كثيرة[8] وانقسمت بلاد الشام إلى عدة دويلات ومدن مهدت الطريق أمام الفرنج لاحتلال بلادالشام بلا هوادة ورحمة وكان من نتيجة تلك الحروب التي جاءت على

---

(1)البيطار ، رؤيا معاصرة ،ص١٨٤.

(2)حسنين، إيران والعراق ،ص١٠٢، زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط١ ،١٩٨٣، ص١٠-١٣، عاشور، فايد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية "العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤ ، ١٩٨٨، ص٦٥- ٦٧.

(3)ابن خلكّان، وفيات الأعيان، مج١،ص٢٦٨، الذهبي،سير أعلام النبلاء، مج١٩،ص١٩٥.

(4)حلمي، السلاجقة، ص١٧٦،حسنين، إيران والعراق ،ص٧٦.

(5)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٦٨-٤٦٩.

(6) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص١١، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٤٤-٢٤٥، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٦٧.

(7)ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٣-١٣٤.

(8)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٩ ،ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ،ص١٣٤.

شكل حملات عديدة تأسيس عدّة إمارات في: الرها وأنطاكية وطرابلس ومملكة في بيت المقدس(1)، فلقد حرّض الفرنج الأوربيون كل مسيحيي أوروباعلى مهاجمة العالم الإسلامي وذلك بإذكاء وإشعال الفتنة والكذب وتهويل ما يتعرض له المسيحيون في بيت المقدس من اضطهاد وذلٍ وهوان، فبذل أولئك الفرنج النفس والمال في حروبهم ضد المسلمين(2)، وقد بذل والي انطاكية جهداً في الاستغاثة بالقوى الإسلامية لإنقاذ انطاكية، فقد أرسل ياغي سيان ابنه لطلب المساعدة من رضوان بن تتش وسقمان بن أرتق وامير حماة وقات أخرى في إقليم الجزيرة إلا أنّ تلك الجموع لم تفلح في انقاذ أنطاكية(*).

وسأقوم ما في يلي من سطور بدراسة علاقة السلطانين: بركياروق ومحمد مع الفرنج، وماقاما به من حملات عسكرية هدفت لمحاربة الفرنج وتحرير مدن الساحل الشامي، والحصون الفراتية التي تمكّن الفرنج من احتلالها مثل أنطاكية ومعرة النعمان، ثم بيت المقدس وطرابلس وغيرها(3)مستغلّين بذلك حالة الضعف التي كانت تعاني منها الخلافة العباسية وانشغال السلاطين السلاجقة بالمنازعات فيما بينهم للوصول إلى السلطنة، الأمر الذي أدىّ إلى إضعاف السلطة المركزية السلجوقية(4).

أولاً: علاقة السلطان بركياروق بن ملكشاه مع الفرنج:

مما لا شك فيه أن غيرة السلطان بركياروق على دينه والذود عنه والدفاع عن الحمى كانت قائمة في نفسه، إلا أن ما كان يشغل باله وتفكيره قد سيطر عليه ولم يسعفه للتحرك بالشكل الكافي لمقاومة الفرنج، وذلك بسبب ما كان يواجه من نزاعات داخلية تمثلت بأبناء العمومة والأشقاء من البيت السلجوقي هذا من جهة،والخطر الآخر المتمثل بالإسماعيلية الباطنية من جهة

---

(1) W.B.Stevenson:The Crusaders in The East, Press,London,2010,Pp233

(2) عاشور، الحركة الصليبية ، ص٣١.

(*) ابن العديم: زبدة الحلب، ص١٢٣، عاشور ، الحركة الصليبية، ص١٨١.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦- ١٣٧، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠ ، ص٣٥، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٢٧٨- ٢٨٢، عاشور ، الحركة الصليبية ، ص ٢٣٩.

(4) بارتولد، فاسيلي ، تاريخ الترك، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، د. ط، ١٩٩٦، ص١٠٩، الزهراني، نفوذ السلاجقة السياسي، ص١٢٠، حسنين، إيران والعراق، ص٨٨.

أخرى،كما أنه لم يدرك مدى خطورة الخطر القادم من الغرب، ربمالاعتقاده بأنها مجرد غارات سيتكفل بها جيش الخليفة العباسي المستظهر بالله، ويمكن وصف العلاقة التي ربطت السلطان بركياروق بالفرنج بالعدائية، إذ كانوا غير مرحّب بهم لدى السلطان إلا أن ردة الفعل المطلوبة من سلطان يمتلك القوة والجلد في القتال لم تتوفر لديه في محاربتهم نظراً للأسباب التي ذكرناها.

ومع هذا فقد قام السلطان بركياروق بما هو مطلوبٌ منه ، وحسب الظروف التي عاشتها دولته فعندما عَلِمَ السلطان بركياروق بخبر وصول الفرنج لأنطاكية، ونظراً لكثرة الشكاوى من الناس في بلاد الشام[1]، كان تحركه متمثلاً بالإيعاز لجميع الأمراء في الولايات التابعة لدولته[2] يأمرهم بالخروج للشام بالتنسيق والترتيب مع وزير الخليفة المستظهر بالله، وهو عميد الدولة ابن جهير [3] وجاء ذلك التنسيق بغية ترتيب آلية خروج العساكر، ووضع السلطان بركياروق والي الجزيرة المقيم بالموصل قوام الدولة كربوقا قائداً لأولئك الأمراء المتجهون للشام[4]، ليبدأ بذلك دور ولاة الموصل في التصديّ للفرنج ، خاصة وأنّهم قد احتلوا مدن الرها ومعرّة النعمان سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، واتخذوها مركزاً لإماراتهم في بلاد الشام[5].

***دور والي الموصل كربوقا في محاربة الفرنج (*):**

وبدوره كان كربوقا هو الآخر قد كاتب أمراء الشام لمساعدته، فاجتمع إليه دقاق بن تتش صاحب دمشق وطغتكين الأتابك[6]، وسقمان بن أرتق صاحب ماردين وسروج[1] وأرسلان تاش[2]

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٣٥-٣٧،ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٨٤،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٩٠ ، الذهبي، تاريخ الإسلام،ص٩-١٠، ابن تغري، النجوم،ج٥،ص١٦٠

(2) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠، ص٣٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩،ص٤٩٠،.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام،ص٩ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٥، ابن تغري بردي، النجوم ،ج٥، ص١٦٠.

(4)ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٢٧٨.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤-١٣٥، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٧٨.

(*) للتعرفّ على تفاصيل أكثر عن جهود ولاة الموصل في محاربة الصليبيين، انظر، عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٠- ١٩٥، انظر ايضاً، زكّار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، بيروت، ط ٣ ١٩٧٥، ص٢٣٠- ٢٤٠، خليل، عماد الدين، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي "عصر ولاة السلاجقة في الموصل ٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ، ١٩٨١، ص٣٣- ٥٣.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩١.

فيما رفض رضوان بن تتش ملك حلب الإنضمام لهم وظلّ معادياً لأخيه دقاق في تلك الأوقات الحرجة التي شهدت تقرير مصير الشام الإسلامية، ولإنقاذ الموقف قام كربوقا بالطلب من الأمير العربي جناح الدولة حسين صاحب حمص الإنضمام إليه(٣) وتوجهوا جميعهم لمنطقة مرج دابق ومن ثمّ نازلوا جميعهم أنطاكيَة لمحاصرتها واخراج الفرنج منها(٤) كما انضم إلى جيش كربوقا العرب والترك من بلاد الشام(٥).

وأخذ الجيش السلجوقي بقيادة كربوقا الزحف على أنطاكية عن طريق نهر العاصي، وكان الفرنج قد تركوا حامية عسكرية صغيرة عند جسر الحديد (إلى الشمال الشرقي من أنطاكية)، فقتل المسلمون رجالها جميعهم(٦)، حاول بعد ذلك المسلمون اقتحام أنطاكية عن طريق قلعتها بمساعدة من ابن ياغي سيان ويدعى شمس الدولة، غير أنهم لم يتمكّنوا من ذلك(٧).

ثم أخذ المسلمون بمحاصرة أنطاكية والفرنج بداخلها(٨) لمدة اثنى عشر يوماً(٩) وضيّق المسلمون عليهم أيّما تضييق، فعدمت الأقوات عندهم حتى أن الأمر وصل بالضعفاءمنهم بأكل

---

(١) سروج: بلدة قريبة من حرّان،من ديار مضر، بينها وبين البيرة مرحلة من الجبال، وهي التي قال فيها الحريري في مقاماته: ولمّا رأى أجبال سنجار أعرضت .... يميناً وأجبالاً وبهنّ سروج، الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٣٤، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج٢، ص٧١٠.

(٢) أرسلان تاش: هو أحد الأمراء الأتراك، صاحب سنجار من نواحي الموصل، قدم من ولايته للاجتماع بكربوقا سنة ٤٩١هـ،حينما أخذ الفرنج أنطاكية، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٦.

(٣) صاحب حمص:جناح الدولة حسين من قبيلة بني ملاعب، كان قد تزوّج أم رضوان أرملة تتش، كان ضمن مجموعة امراء الشام الذين خاطبهم كربوقا بالاجتماع به والتوجه لمحاربة الفرنج سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م،ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٧٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٩١، عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ص٢٧٦، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢، ص١٠، الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص١٤-١٥، انظر عاشور، الحركة الصليبية ،ج١، ص١٨٦-١٨٧.

(٦) ابن العديم، زبدة الحلب،ج١، ص١٣٦.

(٧) عاشور، الحركة الصليبية،ج١، ص١٨٧.

(٨)ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص٢٧٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٩٢، أبوالفداء، المختصر، ج٢،ص٢٩٧-٩٨.

(٩)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٦-٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩٢.

الميتة وورق الشجر[1]وحاول المسلمون بقيادة كربوقا إخراج الفرنج من أنطاكية[2] ووصل الأمر كذلك بالأقوياء منهم لطلب الأمان من كربوقا غير أنه رفض ذلك قائلاً: "لا تخرجوا إلا بالسيف"[3]، وأمام هذا الحصار العنيف من المسلمين للفرنج في أنطاكية وقع الوهن في نفوسهم، غير أن مقدم الفرنج وقائدهم ويدعى ريموند الصنجيلي، كان له راي آخر فاستعمل الدهاء والمكر والخبث، فرتب مع راهب مسيحي حيلة يقوي بها عزيمة الضعفاء من الفرنج[4]، فقال ريموند للراهب: "اذهب فادفن هذه الحربة في مكان كذا"، بينما توجّه هو لجموع العساكر من الفرنج وقال لهم: "رأيت المسيح في منامي وهو يقول: في المكان الفلاني حربةٌ مدفونة فاطلبوها، فإن وجدتموها فالظفر لكم، وهي حربتي، فصوموا ثلاثة أيام، وصلّوا وتصدّقوا، وجاء معهم إلى المكان فنبشوه، فظهرت الحربة، فصاحوا، وتصدّقوا، وخرجوا إلى المسلمين، فدفعوهم عن البلد[5]وقد أدت تلك الحيلة إلى قلب موازين القوى، فكأنما انقلب السحر على الساحر فتحول ذلك الوهن والضعف لعزيمة وإصرار قوي في نفوس العساكر من الفرنج، وهجموا على قوات المسلمين فهزموهم وواصلوا مطاردتهم بمساعدة السريان والأرمن سكان انطاكية ، وظلوا يتعقبونهم ويقتلوا منهم ما يقع في أيديهم ، ونهبوا من المسلمين الآلات والخيام والغلات التي لا تعدّ ولا تحصى[6]، إلاّ أنّ ذلك لم يكن السبب الوحيد لخسارة المسلمين فلقد نفرت قلوب الأمراءالمجتمعون مع كربوقامن سوء تصرفاته معهم ولتكبره عليهم[7]مما سبب تخاذلاً في صفوف المسلمين[8]

---

(1)ابن الأثير، الكامل، ج١٠ ، ص٢٧٧-٢٧٨.

(2)ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٧٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٩٢.

(3) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٣٥.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦، ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص٢٧٨، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ص٩٦، عاشور ، الحركة الصليبية، ج١، ص١٨٩.

(5) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٧٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩، ص٤٩١-٤٩٢.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص١١-١٥، ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٢،ص١٥١،ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٤١، عاشور، الحركة الصليبية ، ج١، ص١٩١.

(7)ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٢٧٦،أبو الفداء، المختصر،ج٢،ص٢٩٨، ابن خلدون، العبر،ج٥،ص٤١.

(8) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٧٧-٢٧٨ ، الذهبي،العبر،ج٢،ص٣٦٤.

كذلك فإن انشغال السلطان بركياروق بنصرة مجد الملك القميّ البلاساني جراء ثورة العساكر في جيشه ضد مجد الملك، لتحكمّه بدولة السلطان بركياروق ولإساءة السيرة في التعامل معهم، ولتضييقه على أرزاقهم ، فكان عاملاً مضاعفاً لأسباب الهزيمة[١].

يتضح مما سبق أن السلطان بركياروق لم يكن متخاذلاً في الدفاع عن بلاد المسلمين وإنما قام بما في وسعه في ذلك الوقت، غير أن سوء توقيت الظروف والنزاعات الداخلية هي السبب وراء ذلك الضعف في مواجهة الفرنج، ولا يعتقد الباحث أن ذلك جاء عن إهمال أو إضمارٍ لسوء النية،وليس كما يحمله بعض الكتاب والمؤرخين المحدثين مسؤولية احتلال الفرنج لمدن الساحل الشاميّ ، هذا بالإضافة إلى أن المسؤولية واللوم يقع كذلك على خلفاء الدولة الفاطمية، وولاة بلاد الشام فقد ظهر منهم الخذلان للشعوب الإسلامية .

ونتطرق هنا لمثال آخر يشير إلى مانع قوي غلب على أمر السلطان بركياروق ولم يسعفه من نجدة البلاد الإسلامية ومقاتلة الفرنج، ذلك المانع متمثلٌ بالنزاع مع أخيه محمد على السلطنة، ففي أواخر شعبان سنة٤٩٢هـ/١٠٩٨م وبعدما أخذ الفرنج بيت المقدس[٢] قدمت جموع المسلمين بأسرها من بلاد الشام لبغداد[٣] وكان الناس صيام لحلول شهر رمضان المبارك[٤] وكان ذلك الجمع القادم من دمشق وماحولها بإمرة القاضي أبو سعد الهروي وحينما وصلوا بغداد توجهوا للديوان في بغداد[٥] والتقوا بالخليفة المستظهر[٦].

وعندما أتاح الخليفة للقاضي الهروي فرصة الكلام بدأ يشرح ما جرى للمسلمين في الشام باسرها من ذُلٍ وهوان، وأورد كلاماً فيه من الاستغاثة ما فيه، راجياً الله أولاً ثم من الخليفة والسلطان

---

(١)سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩،ص٤٩٢،ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٨٩.

(٢)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩٧، الذهبي، العبر، ج٢،ص٣٦٥.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٣٩-٤٠،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٤، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٩٩

(٤)ابن الأثير، الكامل ، ج١٠،ص٢٨٤، ابو الفداء، المختصر،ج٢، ص٢٩٩

(٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص٤٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٩٩ ، ابن تغري بري، النجوم،ج٥،ص١٤٧.

(٦)ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٨٤.

بالتحرك ومساعدة إخوانهم في الشام[١] وقد تأثر الناس في الديوان كثيراً ولم يتمالكوا أنفسهم وأجهشوا بالبكاء وقطّعوا شعورهم[٢] فتحرك الخليفة المستظهر بالله من مكانه وأمر على الفور القضاة التحركّ وملاقاة السلطان بركياروق وإعلامه بضرورة التحرك لإنقاذ بيت المقدس والشام[٣]،كما ندب الخليفة الفقهاء للخروج والدعوة من على المنابر في المساجد للجهاد آملين في تحريض الملوك والسلاطين على الجهاد[٤].

وهاجت الناس في بغداد وماجت، وكسروا منبر جامع السلطان[٥] وكان حينها السلطان بركياروق متواجداً في الريّ، وقد أتاه ما يشغله ويعكرّ صفوه، فقد خرج أخيه السلطان محمد بن ملكشاه عن طاعته، وأخذ يطالب بالسلطنة[٦].

وفيما وقع تقاعد الخليفة والسلطان تجاه ذلك المصاب الأليم لم يتمالك الأبيوردي الشاعر[٧] نفسه فنظم أبياتاً من الشعر تعبيراً عن حزنه وخيبة أمله مما جرى يقول فيها:

مزجنا دماءً بالدموع السواجـم   فلم يبق منّا عرضة للمراحم

وكيف تنام العين ملء جفونها   على هفوات أيقظن كل نائم

ثانياً: علاقة السلطان محمد بن ملكشاه بـ الفرنج :

إنّ من أبرز مناقب السلطان محمد بن ملكشاه سيرته الحسنة والعادلة وذوده عن الدين والنظر في أمور الرعية من المسلمين[١]، فقد وصف بفحل آل سلجوق نظراً لحمايته الرعية من المسلمين[٢].

---

[١]ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٨٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٩، ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٤٤.

[٢]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠ ، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠،ص٢٨٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩٩ .

[٣]ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٤ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩٩،.

[٤]ابو الفداء، المختصر ، ج٢، ص٢٩٩، ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٢،ص ١٦٦-١٦٧.

[٥]ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٧

[٦] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٤٩٩.

[٧] ارتجل أبياتاً من الشعر، كتبها على البحر البسيط ، عبرّ فيها عن حزنه العميق لحالة المسلمين في بغداد ومدن الدولة السلجوقية، وما وصلوا إليه من العجز عن مساعدة اخوانهم في بلاد الشام، ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٣٩،ابن الأثير،الكامل، ج١٠،ص٢٨٥.

كل تلك المزايا في شخصه تمدنا بفكرة وجود رغبة قوية لديه في التصدي للفرنج وذلك من خلال قوات الولايات التابعة للسلطنةالسلجوقية(٣)وأكثر الولايات لعباً لذلك الدور الهام في التصدي للفرنج ومنذ سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م(٤) هي الموصل وذلك لأن موقعها حتّم عليها مهمة التصدي لهم، فموقعها الاستراتيجي وقربها من بلاد الشام جعل منها محط أنظار السلطان محمد بن ملكشاه، لتشكل فيما بعد ومع مرور الوقت القاعدة التي انطلق منها الولاة وعساكرهم لمحاربة الفرنج (٥)، فقد بدأت محاولات التصدي التي كانت بإيعاز من السلطان محمد سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م، حينما قام والي الموصل آنذاك جكرمش بالإغارة على مواقع الفرنج في حران(٦)وآثر شمس الدولة جكرمش الاستعانة بمعين الدولة سقمان في غزو الفرنج (٧)وكان مع سقمان سبعة آلاف من التركمان(٨)ومع جكرمش قرابة ثلاثة آلاف فارس من العرب والأكراد(٩)والتقوا مع الفرنج على نهر البليخ(١٠)وكان النصر يومها حليفاً للمسلمين إذ قتلوا منهم عشرة آلاف ما بين راجل وفارس(١١)،وكان لهذا الإنتصار أثره البالغ على مستقبل الفرنج في محاولة وضع حداً لأطماعهم في الجزيرة الفراتية، كما أنه كان آخر نشاط لإمارة الموصل في عهد جكرمش ذلك أنه توفي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٧م(١٢)، وحتى وبعد

---

(١)ابن خلكّان، وفيات الأعيان،ج٥، ص٧٢.

(٢)الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٩،ص٥٠٦.

(٣)خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي، ص٢٧.

(٤) خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي ،ص٢٨.

(٥) بيات، فاضل ، السياسة السلجوقية في العراق، مجلّة المؤرّخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ن القاهرة ، ع١٧، ١٩٨١ ،ص١١٥، وسيشار إليه: بيات ، السياسة السلجوقية .

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٤،ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٥٩

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٥٢٩ ،

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٤،ابن خلدون،العبر،ج٥،ص٧٠.

(٩) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٧٤.

(١٠) نهر البليخ: الخاء معجمة، اسم نهر بالرقّة يجتمع فيه الماء من عيون،وأعظم تلك العيون،عين يقال لها الذهبانية، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج١، ص٢٢١.

(١١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٥٢٩، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٧٤،الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٦٠، ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٨٥.

(١٢) ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٤٢٤.

وفاة جكرمش فإن الولاة الذين جاءوا بعده كان لهم شرف التصدي للفرنج من أمثال جاولي سقاوة وشرف الدين مودود وآقسنقر البرسقي وغيرهم، فقد سهل لهم السلطان محمد مهمة محاربة الفرنج بكل ما أوتي من قوة، فدعمهم بالفرسان والعتاد[1] لا سيما وقد صفت له السلطة بأسرها سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م[2].

ولما بلغ فخر الملك أبو علي بن عمار[3] انتظام أمور السلطنة للسلطان محمد وزوال كل من ينازعه في أمر السلطنة لم يتردد كثيراً في القدوم إلى بغداد سنة ٥٠١هـ/ ١١١٨م مستنفراً ضدّ الفرنج طالباً مساعدته وإنقاذ طرابلس بعد أن طال حصارها[4] لمعرفته الأكيدة حرص السلطان على حماية أرض الإسلام والدفاع عنها ضد أي غاشم معتدي، فما كان من السلطان إلا أن استبقله بوافر الإكرام والاحترام والتقدير، وكذلك أرسل اليه الخليفة المستظهر بالله الهدايا الثمينة ، وفعل السلطان والخليفة ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله[5]،من جانبه شرح ابن عمّار للسلطان حاله وما وصل إليه الأمر في طرابلس من مجاهدة للكفار.

فأرسل السلطان محمد بن ملكشاه على الفور لأحد الأمراء التابعين له وهو الأمير قتلغ تكين[6] يأمره بالتوجه للموصل أولاً لأنهاء بعض المشاكل الداخلية والمتمثلة بعزل جاولي سقاوة[7] ثم

---

(1) خليل،المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي ،ص٢٧-٢٨.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠ ،ص٨٣،ابن الأثير ،الكامل،ج١٠ ،ص٣٨٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩ ،ص٥٣٣.

(3) فخر الملك ابن عمّار:صاحب طرابلس كان من دهاة الرجال وأفراد الزمان شجاعة وإقداماً وحزماً، ابتلي بلده بحصار الفرنج خمسة أعوام وهو يقاومهم ويجاهد العدو ويستظهر عليهم ويراسل ملوك الأطراف ويتحفهم بالهدايا وهم حائرون في أنفسهم ولم ينجده أحد، الذهبي، سير أعلام،ج١٩، ص١٤٥.

(4) ابن الأثير، الكامل ،ج١٠ ،ص٤٥٢، سبط ابن الجوزي ،مرآة الزمان ،ج٢٠، ص٢٣، أبو الفداء، المختصر، ج٢ ،ص٣١٥.

(5) ابن الأثير، الكامل،ج١٠ ،ص٤٥٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج٢٠، ص٢٣-٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢ ،ص١٨١.

(6) قتلغ تكين: هو الأمير حسين بن أتابك قتلغ تكين، قائد أحد الفيالق العسكرية في جيش السلطان محمد،أمره بالتوجه مع ابن عمار للموصل لقتال جاولي،ثم التوجه للشام سنة٥٠١هـ/١١٠٧م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٣.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٣.

المسير مع فخر الملك وأنجاده، إلا أن فخر الملك سئم من الانتظار وذلك لإن القوة العسكرية الضخمة التي وعد بها السلطان محمد لم تصل، فعاد لدمشق[1] طالباً الدعم والمساعدة من الأفضل الجمالي[2]، ورغم ذلك لم يتوقف السلطان محمد عن متابعة المحاولات للتصدي للفرنج ، ففي سنة٥٠٣هـ/١١٠٩م وبعد ما فعله الفرنج من فساد في البلاد وإضرار بالعباد وسيطرتهم على الحصون في طرابلس[3] وسيطرتهم على المدينة بعد حصار دام سبع سنوات كتب السلطان محمد بن ملكشاه في جمادى الأولى من سنة ٥٠٣ هـ/١١٠٩م لأمراء الأطراف[4] يعلمهم عزمه واستعداده للجهاد[5] وأمرهم بالاجتماع تحت إمرة شرف الدين مودود صاحب الموصل[6]،وكتب لأتابك دمشق طغتكين أن يقيم بمكانه حتى يأتيه المدد إلا أن ثمة عوائق منعت السلطان محمد من ذلك الأمر[7].

ويمكننا التوصل لحقيقة تخص طبيعة علاقة السلطان محمّد بالصليبيين من جهة وطبيعة علاقته مع أمراء الأقاليم والولايات التابعة له من جهة أخرى، فمن المؤكد أنه كان يحرص حرصاً دؤوباً على إزالة وجود الفرنج من البلاد وتطهيرها منهم عطفاً على ما اتسمت به شخصيته من حب للإسلام والرعية والعمل على خدمة مصالحهم،خاصة إذا ما ثار الناس غضباً على تدهور الأوضاع في البلاد الإسلامية فإننا نجد حميته قد ظهرت وأمر بجمع العسكر والتوجه للقتال ومثال ذلك عندما ملك الفرنج معظم بلاد الشام سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م[8] وأعملوا السيف في رقاب الناس في بيروت[9] وصيدا وغيرها قام التجار وغيرهم من المتطوعة بالسير إلى بغداد لطلب النجدة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج٢٠، ص٢٤، رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٠٥.

(2) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٥٤، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٢٤،.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٣٦.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٥، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٢.

(5) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان،ج٢٠، ص٣٦-٣٧.

(6) ابن تغري بردي، النجوم،ج٥، ص١٩٦-١٩٧.

(7) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٥٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج٢٠،ص٣٦-٣٧.

(8) ابن الأثير،الكامل ،ج١٠،ص٤٨٢.

(9) اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٢.

من السلطان محمد والخليفة المستظهر بالله فكلاهما موضع مسؤولية وملاذ للمستصرخين[1] وعندما وصلوا إلى بغداد وكان يوم الجمعة وأجتمعوا مع الفقهاء الأئمة وتعبيراً عن هول ما أحدثه الفرنج في الشام، قاموا بكسر منبر الإمام في جامع السلطان[2] واعترضوا إقامة الخطبة[3] فقال السلطان لخاصته مالهم؟ فقالوا: قد استولى الفرنج على الشام وقتلوا وأسروا وسبوا، فقال السلطان لا تعارضوهم[4].

ومن أجل تهدئة الموقف واحتواءً لتفاقم الأمر وعد السلطان محمّد التجّار والثائرين من الناس تسيير الجيوش الإسلامية لمحاربة الفرنج، ومع مرور الوقت لم يحدث شيئاً مما وعد به السلطان محمد، فحاولت جموع العامّة من الناس ببغداد مقابلة السلطان، إلاّ أن الحاجب منعهم، فقاموا برشق الحجارة على نوافذ القصر السلطاني، احتجاجاً منهم على فعل الحاجب وعدم الشعور معهم[5]،وعلى ضوء ذلك أرسل الخليفة المستظهر بالله للسلطان محمد بن ملكشاه يطالبه بالتدخل لاحتواء الأزمة[6] عندها كاتب السلطان محمد بن ملكشاه الأمراء في الأقاليم وأمرهم بالتوجه لبلاد الشام، واضعاً الأمير مودود والي الموصل قائداً عليهم[7]، ولتأكيد رغبته القوية بالوقوف بوجه المد الفرنجي في بلاد الشام وإيقافه فقد أرسل السلطان محمّد ابنه مسعود[8] مع أولئك الأمراء المتوجهين للشام[9] وكان من أولئك الأمراء سكمان القبطي حاكم ديار بكر والأمير أحمد أيل حاكم مراغة

---

(1) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص١٠٩،ابن الأثير، الكامل ،ج١٠،ص٤٨٢.

(2) ابن الجوزي، المنتظم ،ص١٠٩، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٤٨٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٤٢-٤٣،الذهبي،العبر، ج٢، ص٣٨٥، دول الإسلام،ج٢، ص٢٣-٢٤. اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص١٣٢.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٠٩، ابن الأثير،الكامل، ص٤٨٣.سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،ص٤٣.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٠٩.سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٣.

(5)ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص١٠٩ ،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠،ص٤٣،اليافعي، مرآة الجنان، ج٣،ص١٣٣.

(6)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٣، الذهبي،العبر،ج٢،ص٣٨٥، دول الإسلام،ج٢،ص٢٤.

(7)ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٤٨٣، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦ ،ص٢١٤.

(8) مسعود بن محمد: هو الملك مسعود بن محمد بن ملكشاه، أرسله السلطان محمد مع الأمير مودود سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م ، للجهاد ضد الفرنج، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٤٨٣.

(9)ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٨٣ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج٢٠،ص٤٤.

والأمير أياز إيلغازي نجم لدين[1] ويتضح من إرسال السلطان محمد للحملات المقاتلة للفرنج، اعتماده على الولاة في الموصل في تلك المهمة،كما نجده يقوم بالتنويع في إرسال أمراء الأقاليم اعتماداً على طبيعة المكان وقربه من الولاية التي يرأسها الأمير.

*** دور والي الموصل شمس الدين مودود بن التونتكين في جهاد الفرنج:**

عرف عنه أنه مجاهد من الطراز الأول ضدّ الأعداء، فقد صبّ كل تفكيره وقواه في ميدان الجهاد[2] وكانت معظم غزواته ضدّ الفرنج بأمر من السلطان محمد بن ملكشاه الذي وثق به كثيراً ومنحه الثقه الكاملة في الجهاد [3]ويبد وأن شجاعة الأمير مودود وحكمته وقربه من السلطان محمد هي من دفعت السلطان الاعتماد عليه كثيراً في قتال الفرنج والتي استمرت منذ سنة٥٠٢هـ/١١٠٩م حتى سنة ٥٠٧ هـ/١١١٤م[4]، والتي أبلى خلالها مودود بلاءً حسناً لا سيما في آخر سنوات حياته، ثم أخذ مودود بتكوين علاقة قوية مع طغتكين أمير دمشق بهدف تعزيز الجبهة الإسلامية ضد الفرنج، فالتقى به وبرفقتهما عدد كبير من العساكر[5] من حمص وحماة ودمشق والموصل[6]وزاد ذلك العدد بانضمام الأرمن لصفوفهما[7] وسار مودود وطغتكين سوياً وعبرا الفرات[8] ووصلوا للأردن[9] فيما تجمع الفرنج بقيادة بلدوين ملك القدس عند جسر الصبرة " أو الصنبرة"[10]، ووقعت بين الطرفين موقعة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين[11] وبعد ذلك الانتصار

([1])سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٤٤،ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ج٢،ص١٩٩.

([2]) خليل، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي ، ص٤٧-٤٨، عاشور، جهاد المسلمين، ص١٥٤.

([3]) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٦٩-١٧١.

([4]) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٣٧٣.

([5]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٥ ،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٥٨.

([6]) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٧٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٥.

([7]) قداوي، علاء، العلاقات السياسية بين مملكة أرمينية الصغرى والكيانات الإسلامية المجاورة، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع ٤٦، ٢٠٠٧، ص١٣٧-١٤٥.

([8]) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٩٦، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان ،ج٢٠، ص٥٨-٥٩.

([9]) يقصد بذلك نهر الأردن والمنطقة المحيطة بطبرية، ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٤٩٦.

([10]) الصنبرة: موضع بالقرب من طبرية يبعد عنها ثلاثة أميال،الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٤٢٥.

([11]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٢١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٥٩ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢،ص١٩٢،الذهبي، العبر،ج٢،ص٣٨٩.

المؤزرّ الذي حققه المسلمون على الفرنج أرسل مودود وطغتكين أسرى الفرنج ورؤوس من قتل منهم وخيولهم وسلاحهم للسلطان في بغداد[1].

وفي أعقاب ذلك الانتصار توجه مودود لدمشق،وفي يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة٥٠٧هـ/١١١٣[2] قام الإسماعيلية الباطنية بقتله بأربع طعنات مميتة[3] وتمّ حمله لدار طغتكين وكان صائماً من يومه رحمه الله ، وحاول المسلمون وممن تواجد في الدار حثّه على أن يفطر ولكنه أبى إلا أن يلاقي وجه ربه وهو صائم فقال: "لا لقيت الله إلا صائماً"[4] وأشار المؤرّخ سبط ابن الجوزي وغيره من المؤرخين إلى حزن أتابك دمشق طغتكين لمقتل الأمير مودود[5]، وحملت جثّة مودود إلى بغداد، وتفرّق جنده وأصحابه عائدين إلى بلادهم[6] ، واتهم طغتكين بقتل مودود، حينما أشار ابن الأثير لذلك بقوله:" وقيل بل خافه طغتكين ،فوضع عليه من قتله "[7]، بينما نجد ان المؤرّخ ابن القلانسي يدافع عن طغتكين وينكر الصاق التهمه به، معللاً ذلك بما بدر من طغتكين وسائر الأجناد على وفاة حليفته الأمير مودود[8]، وحتى بعد وفاة الأمير مودود فقد استمر السلطان محمّد بن ملكشاه بمحاربته للفرنج عبر ولاة الموصل آقسنقر البرسقي وجيوش بك على التوالي، حيث أصدر السلطان أوامره لأقسنقر البرسقي بمواصلة الجهاد ضد الفرنج، وكتب إلى سائر امراء الجزيرة وديار بكر يدعوهم إلى الإنضمام للبرسقي، وطلب منهم إمداده بقوات حاشدة لقتال الفرنج [9] وتوجّه بالفعل البرسقي على رأس جيش كبير نحو جزيرة ابن عمر، يصحبه

---

(1) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٥٩،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٦.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٦.

(3) يذكر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٧ ، فيما يذكر سبط ابن الجوزي، مرآة ا لزمان، ج٢٠، ص٧٤ أن عدد تلك الطعنات اثنتان، ويشير ابن تغري بردي ، النجوم، ج٥، ص٣٠٢ أن عدد الطعنات كان أربع.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق،ص١٨٧، ابنالأثير، الكامل ،ج١٠،ص٤٩٧، ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص١٩.

(5) عاشور،جهاد المسلمين،ص١٥٨.

(6) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠،ص٧٤.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٩٧.

(8) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ، ص١٨٧.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٩، ابو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣٢٠.

الملك مسعود ابن السلطان محمد، ثمّ توجّه منها صوب ديار بكر لإرغام الأراتقة على إمداده بقواتهم قبل لقاءه الفرنج ، وبالفعل أمدّ بنو أرتق الأمير البرسقي بعددٍ من العساكر، غير أن أسلوبه الاستفزازي أشعل نار الحرب بينه وبينهم، دارت على أثرها معركة حامية الوطيس، تمكّن فيها إيلغازي بن أرتق من ايقاع الهزيمة سنة ٥٠٨هـ/١١١٥م[١].

وفي سنة ٥٠٩هـ/١١١٦م أعدّ السلطان محمّد بن ملكشاه جيشاً كثيفاً، جعل على مقدمته الأمير برسق بن برسق،صاحب همذان، وأمر جيوش بك، والي الموصل الجديد بمصاحبته، وقد تمكّن المسلمون في هذه الحملة من الاستيلاء على كفر طاب، ومنها عادوا لمعرّة النعمان، وهناك فارقهم جيوش بك إلى منطقة وادي بزاغة فملكه، ثم عاد للموصل[٢].

ج- العلاقة مع سلاجقة الروم[٣]:

كانت علاقة السلطانين : بركياروق ومحمّد في بلاد فارس والعراق مع سلاجقة الروم تتمحور عبر شخصية قليج أرسلان الأول حيث قام السلطان بركياروق بن ملكشاه بإطلاق سراحه بعد أن كان مسجوناً[٤].

إلاّ أن العلاقة الأبرز كانت ما بين السلطان محمّد بن ملكشاه وقليج أرسلان، ويمكن وصف تلك العلاقة بالعدائية نظراً لما أفصح عنه قليج أرسلان من تحدٍ سافر للسلطان محمد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م إذ قام أصحاب جكرمش والي الموصل بمكاتبة قليج أرسلان يستدعونه لتسلم

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠٢-٥٠٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٧٦، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥١٠.

(٣) فرع من فروع الدولة السلجوقية الكبرى التي انقسمت بعد وفاة السلطان ملكشاه إلى عدة دول مستقلة، سميت كل واحدة منها باسم المنطقة التي تسيطر عليها، وقد أطلق المؤرخين المعاصرين عليها هذا الاسم عندما أقام سلاجقة الروم دولتهم بالقرب من روما بعيد انتصار السلاجقة على الروم في معركة ملاذكرد ، وكان سليمان بن قتلمش بن أرسلان بيغو بن سلجوق أول حكام هذه الدولة ٤٧٠-٤٧٩هـ/١٠٧٧-١٠٨٦م ، مؤلف مجهول (القرن السابع)، أخبار سلاجقة الروم"مختصر سلجوقنامه"، ترجمة : محمد السعيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧،ص٤، رايس، تمارا تالبوت ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة : لطفي خوري وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، د. ط ، ١٩٦٨، ص٤٣.

(٤) رايس، السلاجقة، ص ٥٤.

الموصل بدلاً من جاولي سقاوة الذي أخذها عنوة من جكرمش بناءً على طلب السلطان محمّد بن ملكشاه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[١]، فسار قليج أرسلان في عسكر كثيرة من بلاد الروم نحو تصبين ومنها رحل إلى الموصل وخطب فيها لنفسه بعد الخليفة وأسقط خطبة السلطان محمد بن ملكشاه[٢].

أمّا جاولي سقاوة فعندما علم بقدوم قليج أرسلان تحرك من الموصل بغية جمع العساكر والمزيد من المؤيدين نحو سنجار ومنها إلى الرحبة وكاتب رضوان بن تتش يطلبه المساعدة على قليج [٣]، وبلغت عدة قليج أرسلان نحو خمسة الآف جمعها من أصحاب جكرمش ومن بلاد الروم فيما كان مع جاولي نحو أربعة الآف من جملتهم الملك رضوان بن تتش[٤].

والتقيا في العشرين من ذي القعدة سنة ٥٠٠هـ/الثاني عشر من شهر تموز ١١٠٦م[٥] واقتتلا قتالاً شديداً، تمكن فيه أصحاب جاولي سقاوة من هزيمة ومحاصرة أصحاب قليج أرسلان وأحاطو بهم[٦] ولما رأى قليج أرسلان تدهور الموقف لصالح جاولي سقاوة وصعوبة تبرير ما قام به من تحدٍ للسلطان محمّد بن ملكشاه ألقى بنفسه في الماء (نهر الخابور) فغرق ومات من يومه[٧].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٦، ابن سبط الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٦، أبوالفداء، المختصر، ج٢، ص ٣١٣.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٦، رايس، السلاجقة، ص ٦٥، ومنها الي الرحبة، وكاتب رضوان بن تتش يطلبه المساعدة على قلج.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٩، سبط، مرآة، ج٢٠، ص ١٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٩.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٦.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٠، سبط، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٦، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣١٣، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٩.

د- العلاقة مع الدولة الغزنوية:

كغيرها من دول الجوار التي تسكن بالقرب من الدولة السلجوقية كان الغزنويين على علاقة مع سلاطين الدولة السلجوقية منذ أيام السلطان محمود الغزنوي[١]، وكان تلك العلاقة عدائية إذ أسفر عنها مقاتله السلاجقة للغزنويون في معركة نسا سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨[٢]، وعندما تولى السلطان مسعود الغزنوي[٣] مقاليد السلطنة خلفاً لوالده تقابل مع السلاجقة في معركتين حاسمتين كانت الأولى قرب منطقة نسا سنة ٤٢٦هـ/١٠٣٥م وانتهت بهزيمة جيش مسعود هزيمة منكرة إذ استولى السلاجقة على ما قيمته عشرة ملايين من الدنانير من الألبسة والأسلحة والأمتعه والدواب[٤].

والثانية كانت سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م عرفت باسم داندنقان[٥] إلا أن تلك العلاقة العدائية سرعان ما تبدلت في عهود خلفاء السلطان طغرلبك وأسلافه ألب أرسلان وملكشاه، فيذكر إقبال في كتابه تاريخ إيران عن وقوع المصاهرة بين السلطان ألب أرسلان والسلطان إبراهيم الغزنوي، حيث قام بخطبة أرسلان شاه لابنه إبراهيم الغزنوي[٦].

---

(١) يمين الدولة محمود بن سبكتكين المعروف باسم محمود الغزنوي (٣٨٨/٩٩٨م – ٤٢١-١٠٣٠م) هو مؤسس الدولة الغزنوية منذ أن ملك غزنة سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م كان عاقلاً، ديناً، خيراً صاحب علم ومعرفة، ومنّع حدود دولته في شملت مساحات واسعة امتدت من آسيا الوسطى شرقاً حتى العراق غرباً ومن بلاد فارس شمالاً حتى الهند جنوباً، توفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م وملك بعده ابنه محمد ثم أخذها ابنه الآخر مسعود بن محمود، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣٩٨-٤٠١.

(٢) البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين (ت٤٧٠هـ/١٨٧٠م) تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشّاب، دار النهضة العربية ، بيروت، د. ط، ١٩٨٢، ص ٥١٥، وسيشار إليه : البيهقي، تاريخ البيهقي، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٤.

(٣) مسعود بن محمود بن سكبتكين ولد في غزنة بين خراسان والهند، ونشأ بين سلطنة وجهاد وعدل، تولى الحكم بعد والده سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م، توفي سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٥م، وملك بعده ابنه مودود، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٧٥٨، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٨٤.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٥٦.

(٥) معركة جرت بين السلاجقة والغزنويين في الثامن من رمضان سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م وانتهت هذه المعركة بهزيمة ساحقة للغزنويين، نتجم عنها انسحابهم من إيران وبلاد ما وراء النهر واجتماع عدد كبير من الجند ليكونوا فيما بعد أتباعاً للسلاجقة؛ البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٦٦٣ وما بعدها، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٣.

(٦) إقبال، تاريخ إيران، ص ٢٤٥.

وفي عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه فقد كانت بواكير تلك العلاقة مع إبراهيم الغزنوي[1] ويمكن وصفها بالمتوترة والعدائية فقد قتل عثمان وكيل دار نظام الملك بسبب مكاتبته لصاحب غزنة بالأخبار من قبل السلطان بركياروق فأخذ وحبس ثم قتل[2] ، ثم أن المصادر التاريخية تشير لتعاون معلن ما بين محمد بن سليمان والمعروف بأمير أميران والسلطان إبراهيم بن محمود الغزنوي، حيث طلب أمير اميران المساعدة من صاحب غزنة بإمداده بالفيلة للاستيلاء على خراسان وأخذها من الملك سنجر أخ السلطان بركياروق[3].

إلاّ أن ثمة تحوّلاً في العلاقة ما بين السلطان بركياروق والسلطان إبراهيم الغزنوي قبل وفاة السلطان إبراهيم الغزنوي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩، إذ تشير بعض المصادر التاريخية لإرسال السلطان بركياروق أبو الحسن الطبري الفقيه الشافعي المعروف حاملاً رسالة إلى السلطان الغزنوي، ويذكر ابن الجوزي تفاصيل تلك الرسالة على لسان أبو الحسن الطبري فيقول: " أرسلني إليه السلطان بركياروق فرأيت في مملكته مالاً يتأتى وصفة فدخلت عليه وهو جالس في طارمة عظيمة بقدر رواق المدرسة النظامية وباب فضة بطول قامة الرجل وفوق ذلك إلى السقف صفائح الذهب الأحمر وعلى باب الطارمة الستور التنيسي، وللمكان شعاع يأخذ بالبصر عند طلوع الشمس عليه وكان تحته سريرٌ ملبس بصفائح الذهب وحواليه التماثيل المرصعة من الجوهر واليواقيت، فسلّمت عليه وتركت بين يديه هدية كانت معي، فقال: نتبرّكُ بما يهديه العلماء، ثم أمر خادمه أن يطوف بي في داره، فدخلنا إلى خركاه عظيمة قد ألبست قوائمها من الذهب وفيها من الجواهر والياقوت شيء كثير وفي وسطها سرير من العود الهندي وتمثال طيور بحركات إذا جلس الملك صفقت

---

(1) السلطان الكبير، أبو المظفّر إبراهيم ابن السلطان مسعود ابن السلطان فاتح الهند محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، ملكاً عادلاً منصفاً سائساً شجاعاً مقداماً جواداً، واسع الممالك، ملك أربعين سنة، توفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، عن عمر يناهز السبعين عاماً، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ١٥٦.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٧٠.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٦، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٣٨.

بأجنحتها، إلى غير ذلك من العجائب[1]، وقد يكون حاجة السلطان بركياروق للمال هي من دفعته لإرسال أبو الحسن الطبري للسلطان إبراهيم الغزنوي، لا سيما إذا ما علمنا أن تلك الفترة كانت تهد صراعات كبيرة دال البيت السلجوقي.

وفي عهد السلطان محمد بن ملكشاه فقد كان لرباط المصاهرة دور كبير في تطوّر العلاقة بين الجانبين، إذ تزوّج السلطان مسعود بن إبراهيم الغزنوي من شقيقة السلطان محمّد وسنجر ابني ملكشاه وتدعى جوهر خاتون وذلك في حدود عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م [2].

هـ- العلاقة مع البيزنطينيين (الروم)

عند تفصيل علاقة الدولة السلجوقية بالروم فإنه يمكن أن يخمّن للقارئ والمتخصص في التاريخ الإسلامي ومن خلال وجود نص تاريخي يذكره ابن الأثير ضمن حوادث سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م، وجود نوع من المراسلات بين الجانبين، ففي ظل الغزو الفرنجي لبلاد الشام ورد رسول ملك الروم إلى السلطان محمّد بن ملكشاه يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد، وعندما سمع أهل حلب برسالة ملك الروم أخذوا يقولون للسلطان: "أما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر منك حمية للإسلام"[3].

يستفاد مما سبق التأكيد على وجود مراسلات وتواصل بين السلطان محمّد بن ملكشاه وملك الروم، والذي يشكل ربمّا خطة للتحالف ربما بين الجانبين، لا سيما وأن خطر الفرنج كان يهدد البيزنطيين والمسلمين.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠-٤١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٠-٥٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٦٢. للمزيد عن العلاقات السلجوقية الغزنوية انظر حتاملة، عبدالكريم، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية (٥٣١-٥٨٢هـ/٩٦١-١١٨٦م) دائرة المطبوعات والنشر، عمان، ط١، ٢٠٠١.

(2) البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين (ت٥٦٥هـ/١١٧٠م) تاريخ بيهق، دار اقرأ، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م، ص٧ ، وسيشار إليه : البيهقي، تاريخ بيهق .

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٣.

و- العلاقة مع مملكة أرمينية الصغرى

كانت علاقة الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق مع شعوب الأرمن في قيليقيا، لا سيما خلال فترات الحروب الصليبية، علاقة سياسية مرنة ومتغيرة، حيث لعب موقع مملكة أرمينية الواصل بين بلاد الشام والجزيرة الفراتية دوراً كبيراً في تشكيل معالم الصراع بين الجبهة الإسلامية والفرنج.

وكانت تلك العلاقة في عموميتها عدائية، إذا ما استثنينا فترات معينة خلال فترة الغزو الفرنجي لبلاد الشام اضطر فيها بعض ملوك وأمراء الأرمن التحالف مع القوى الإسلامية لمجابهة جشع وطمع أمراء الفرنج [1].

ولنأخذ مثالاً تاريخياً حيّاً على ذلك، ففي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م خرج الملك رضوان بن تتش صاحب حلب وجمع خلقاً كثيراً وعزم على قصد طرابلس لمساعدة ابن عمار على الفرنج النازلين في طرابلس، وكان الأرمن الذين في حصن ارتاح قد سلموا إليه الحصن لما شاهدوه من ظلم وجور وتعسّف الفرنج، الأمر الذي أدى لطلب الفرنج الصلح مع الملك رضوان[2].

إلاّ أن العلاقة بين السلاجقة والأرمن عادت لطابعها العدائي مع تولي الأمير توروس الأول سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، حيث مارس سياسة عدائية ضد السلاجقة، غير أنه قرر تغيير سياسته والتعامل بحذر شديد لا سيما بعد أن أدرك ضعف موقفه بسبب الحملات الكثيفة التي قادها أمراء الموصل وبلاد الشام ضد بلادهم خلال السنوات ٥٠٤، ١١١٠م و٥٠٥هـ/١١١١م[3].

وكان للحملة الإسلامية التي أرسلها السلطان محمد بن ملكشاه لمقاتلة الفرنج بقيادة الأمير أقسنقر البرسقي سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م وما نجم عنها من حصار لمدينة الرها والغارات المتكررة على قرى الأرمن، أثر كبير في إعلان بعض أمراء الأرمن الولاء والخضوع للسلاجقة[4].

---

(1) قداوي، العلاقات السياسية، ص ١٣٧.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٣.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج١، ص ١٩٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٥.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠١، قداوي، العلاقات السياسية، ص ١٤٥.

ويمكن القول من خلال ما تم استعراضه من شواهد تاريخية سابقة للعلاقة بين الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق ومملكة أرمينية، أن تلك العلاقة ك أنت غير ودية بحكم اختلاف الدين واختلاف الرؤى السياسية لكلا الجانبين.

الفصل الثالث

النظم السياسية والإدارية في الدولة السلجوقية

١- النظام السياسي :

أولاً: السلطنة

ثانياً: الوزارة.

٢- النظم الإدارية:

أولاً- التقسيمات الإدارية

ثانياً- الوظائف الإدارية في العاصمة وتقسم إلى:

أ- الوظائف السلطانية الموجودة بحضرة السلطان

ب- الوظائف الإدارية الأُخرى في العاصمة

ج- الوظائف الإدارية خارج العاصمة

٣- الجيش السلجوقي.

٤- القضاء عند السلاجقة.

٥- الحسبة وعلاقتها بالقضاء

١ -النظام السياسي

أولاً: السلطنة:

إن دراسة النظم الحضارية لدولة ما، من الأهمية بمكان أن تظهر لنا شخصية الأمة الإسلامية على وجه العموم والدولة السلجوقية على وجه الخصوص، فالنظم الحضارية من سلطنة وزارة وحجابة وغيرها تبرز لنا كيفية مواجهة ومجابهة تلك الدولة للتحديات السياسية والأحداث الداخلية التي عصفت بها، كما تبرز لنا الحلول التي وضعتها الأمة الإسلامية وسارت عليها بقية الدول لتدبر شؤونها كما أنها مهمة جداً لفهم التغيرات والأحداث التي أثرت في المجتمعات الإسلامية[١] ومنها الدولة السلجوقية، وإحدى تلك النظم هي النظام السياسي.

فمن المعروف بأن السلطة العليا في الدولة السلجوقية تخضع للسلطان، وهو أعلى سلطة في البلاد، وكلمة سلطان تطلق على الشخص صاحب الحجة والقهر والسلطة [٢] ويورد القرآن الكريم شيئاً من هذا المدلول فيقول الحق في محكم التنزيل: **(وما كان عليهم من سلطان)**[٣].

وعن قدمه في الوثائق والمصادر التاريخية يذكر المؤرّخ القلشقندي ورود كلمة سلطان في جمل لها مدلول واضح مثل خراج السلطان أو بيت مال السلطان والتي وردت في أوراق البردي العربية منذ القرن الأول الهجري، وهذا يعني أن السلطان هو صاحب النفوذ والجاه والمال والمتمكّن من السلطة الدنيوية[٤].

وقد جاء وصول السلطانين: بركياروق ومحمد للسلطنة جاء بعد مخاض عسير، تغلب فيه الأول على منافسين كثر داخل البيت السلجوقي، فيما لم يكن هناك منافسة كبيرة للسلطان محمّد سوى من ابن أخيه ملكشاه وأتابكه الأمير إياز[٥].

---

(١) الدوري، عبدالعزيز، النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ١٩٥٠، ص٢.

(٢) الباشا، الألقاب الإسلامية ص ٣٢٣.

(٣) سورة سبأ: آية رقم (٢١).

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى ،ج٥، ص ٤٤٧ – ٤٤٨.

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩، ص٥٣٧.

لقد كان لعدة فئات مقرّبة من السلاطين دور كبير في وصول السلطانين: بركياروق ومحمد لعرش السلطنة، يمكن تقديم إيجاز حول ماهية ذلك التأثير على النحو التالي:

١) الأتابك:

لعب الأتابك أو المربّي للأمراء دورٌ كبير في تشكيل الهيئة العامة لشخصية السلاطين السلاجقة أو حتى الأبناء الصغار داخل أورقة البيت السلجوقي، فكانوا بمثابة أمراء وآباء لأبناء السلاطين[١]، ويرجع الفضل للسلاجقة في إدخال الأتابك للقصور السلطانية من جديد بعد أن كانت قد توقفت عبر التاريخ منذ أن استعملها التركمان القدماء ومنذ سلطنة ملكشاه أصبح وجود الأتابك من التقاليد المتبعة في البيت السلجوقي إذ يقوم المربي برعاية الأمراء السلاجقة وتربيتهم وتعليمهم، إلا أن التغيرات الجذرية التي جرت في أعقاب وفاة السلطان ملكشاه دفعت بكثير من الأتابكة إلى استغلال الفرصة، حيث اشتعل النزاع بين أبناءه على الحكم وبالتالي فقد حانت فرصهم المواتية للحصول على الإقطاعات العسكرية التي تطورت مع مرور الوقت لتؤدي لانقسام الدولة إلى دويلات يشتغل بحكمها الأتابكة وأسرهم[٢] ومن ثم تحولت لإمارات وراثية يتوارثها أبناء الأتابك[٣]،كما أن نظام الأتابكيات وفي أعقاب وفاة السلطان ملكشاه الحق أضراراً اقتصادية جمّة بالأراضي التي استولى عليها أولئك الأتابكة بالإضافة إلى سعي الأتابك للتوسع على حساب أتابكة آخرين وتزايد عددهم مستغلين انشغال أبناء السلطان ملكشاه على السلطة[٤].

أما عن دور الأتابك في سلطنة بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه، فما تذكره بعض المصادر التاريخية ، أن أتابك السلطان بركباروق والذي عينه له والده السلطان ملكشاه، ويدعى الاسفهسلار

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨، المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح: محمد مصطفى زيادة ، دار النهضة ، القاهرة ، ط١، ج١، ق١، ١٩٦٥، ص ١٤٦، وسيشار إليه : المقريزي ، السلوك .

(٢)الباشا، الألقاب الإسلامية ، ص ١٢٣، الجالودي، عليان، تطوّر السلطنة وعلاقتها بالخلافة العباسية خلال العصر السلجوقي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٦، ص ٨٥، وسيشار إليه : الجالودي، تطوّر السلطنة .

(٣)ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ٧١-٧٢، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٠.

(٤) الجالودي، تطوّر السلطنة، ص ٨٥.

كمشتكين الجاندار[1] كان يعمل بوظيفة حامل سلاح في الدولة السلجوقية، قد لعب دوراً كبيراً في رسم ملامح شخصية السلطان بركياروق فعلى الصعيد الشخصي كان صاحب شراب[2]،الأمر الذي أثّر على تكوين شخصية السلطان بركياروق وأثّر كذلك على الدافعية لدى السلطان بالانشغال على أمور السلطنة بمعاقرة الخمر وهو ما يعلّله بعض المؤرخين من أسباب انشغال السلطان بركياروق عن متابعة محاربة عمه السلطان تاج الدولة تتش، وتخليه عن مساعدة ونجدة الأميرين آقسنقر وبوزان[3].

إلا أنه وبالمقابل فقد قاتل كمشكين الجاندار في صفوف السلطان بركياروق ضد صفّ السلطان محمود بن ملكشاه وأمه تركان خاتون في موقعه بروجرد الشهيرة سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[4]. وكان له دورٌ كبير في اعتلاء السلطان بركياروق عرش السلطنة في الريّ بنفس السنة المذكورة[5].

وحظي ذلك الأتابك بمنزله رفيعة لدى بلاط السلطان بركياروق مدعماً بالإقطاعات المجزية التي مكنته من التوسع والوصول لمكان رفيع في السلطنة السلجوقية[6]، كما ساهم الاتابك قماج مع السلطان بركياروق في تولي السلطان سنجر ولاية خراسان سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧[7]، حيث سار السلطان بركياروق في تلك السنة إلى بلخ وترمذ ونيسابور وغيرها من نواحي خراسان وعندما تخلص من عمه أرسلان ارغون عين الأتابك قماج اتابكاً لأخيه من والده سنجر حيث كان صغيراً آنذاك وولاه خراسان[8].

ولا يقتصر ذكر الأتابكة ودورهم المحوري في وصول السلاطين للحكم خلال سلطنة بركياروق فحسب، بل أن الأمر ينطبق على السلطان محمّد بن ملكشاه أيضاً، إذ كان أتابكه منذ

([1]) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٩.

([2]) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٩.

([3]) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٠.

([4]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٠،.

([5]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥.

([6])حسنين، إيران والعراق، ص ١٨٠.

([7]) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٥٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٥.

([8]) الراوندي ، راحة الصدور، ص ٢٥٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٥

أيام صغره يدعى قتلغ تكين كما أشارت الدراسة إلى ذلك سابقاً، وهو الذي عينه له أخاه بركياروق[١]، وجعله ملازماً له، وحاول ذلك الأتابك على ما يبدو الإشراف على تربية السلطان محمد، واطلاع السلطان بركياروق على خطوات تلك الرعاية أولاً بأول، وكان يُطلع السلطان على كل صغيرة وكبيرة، الأمر الذي على ما يبدو لم يرُق للسلطان محمد وأزعجه كثيراً ، فقرر التخلص منه سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩[٢].

وكان التخلص من الأتابك أولى الخطوات التي دفعته للتطلع إلى مدّ نفوذه لأبعد من مجرد إقطاع على آران بالقرب من أذربيجان ، فراح يتصل بمؤيد الملك الذي كان له دور هو الآخر لا يقل أهمية عن دور الأتابك. واستمر دور الأتابكة في إيصال السلاطين السلاجقة لعرش السلطنة وهذه المرة مع ابن السلطان بركياروق ملكشاه الثاني، فحينما شعر السلطان بركياروق بمرضه سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م خلع على ولده الصغير ملكشاه بولاية العهد وعيّن له أتابكاً يدعى الأمير إياز وأمر الأمراء والخواص والمقربون منه بطاعة الأمير الوالد إياز[٣]، وأمره بالتوجه لبغداد لإقامة الخطبة لملكشاه الصغير ورعايته وتدبير أموره وحفظه وإقامة سلطنته[٤] وبالفعل قام الأمير الأتابك إياز بتنفيذ الوصية وأوصل ملكشاه ذو الأربعة سنوات وعشرة أشهر لدار المملكة ببغداد[٥]، وهناك تمت قراءة الخطبة لملكشاه بن بركياروق في ذي الحجة من سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م ولقب بجلال

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٧،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٩٣ يذكره باسم محمد، الهمذاني، جامع التواريخ، مج ٢، ج٥، ص ٧٦-٧٧.

(٢) ابن الجوزي المنتظم ١٠، ص ٤٠ ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٠ - ٣٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٩٣، النويري، نهاية الأرب ،ج ٢٦، ص ١٩٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم ،ج ١٠، ص ٧٧ ، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٦، ابن الأثير، الكامل ،ج ١٠، ص٣٨٠ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص ٥٣٦ .

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٠.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم،ج ١٠، ص ٧٧، يذكره ابن الأثير بـ ٤ سنوات و٨ ثمانية أشهر، الكامل، ص٣٨٠، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٦ ، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٥، ص٧٨-٧٩.

الدولة[1].ويبدو أن السلطان محمّد بن ملكشاه كان يهوى التخلص من الأتابك فللمرة الثانية نجده يقوم بعمل حيلة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م تمكن من خلالها التخلصّ من الأتابك الأمير إياز[2].

وهكذا نجد أن الأتابكة لا سيما في العاصمة أصفهان قد لعبوا دوراً كبيراً في تربية أبناء السلاطين والعناية بهم، كما كانت للأتابكة في ولايات الدولة الاخرى بصماتهم الواضحة والقوية في إيصال ولاة العهد لعرش السلطنة، بالإضافة للاستفادة منهم في الجيش السلجوقي لما عرف عنهم من قوة الأبدان والصلابة بسبب طبيعة حياتهم البدوية التي كانوا يعيشونها[3].

٢) الأمراء:

نظراً لما اتصف به السلاجقة من بداوة وخشونة في حياتهم ، يضاف إلى ذلك افتقارهم لأساسيات نظام الحكم والإدارة وبخاصة الناحية السياسية، لذا فقد احتاجوا إلى من يعاونهم في الإدارة ، فكان اعتمادهم على أولئك الأمراء الأتراك وغيرهم[4] فقد استخدموهم في امور الحرب والإدارة والحراسة وغيرها ، وكان هؤلاء الأمراء كذلك يكلّفون بمهام داخل البلاط السلطاني وفي كثير من الأحيان كانوا يقومون بمساعدة أفراد أسرة السلطان السلجوقي في إدارة ولايات الدولة[5].

خاصة حين اتّبع السلاطين السلاجقة نظام اللامركزية في إدارة الولايات فعينوا أميراً على رأس كل ولاية من أفراد البيت السلجوقي[6]،ومع تزايد الاقطاعات في زمن السلطانين: بركياروق ومحمّد واهتمام كل سلطان بحاشيته من الأفراد لا سيما بسبب حاجة السلاطين الماسّة لهم في

([1])ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠، ص٧٧ ، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص٣٨٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩ ،ص ٥٣٦، النويري،نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٥.

([2])الراوندي، راحة الصدور ، ص ٢٣٥ ،ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص ٧٨ ، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠،ص ٣٨٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩،ص ٥٣٦.

([3])أمين، تاريخ العراق ، ص ٢٠٩.

([4]) السيد، أمراء السلاجقة، ص ١٥.

([5]) الباشا، حسن ، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، دار النهضة ،القاهرة ، د.ط ،ج٢، ١٩٦٠ ، ص١٣٧-١٣٨،وسيشار إليه : الباشا ، الفنون الإسلامية.

([6]) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٧م.

المساندة أثناء الصراعات والحروب، أصبح الأمير أشبه بسلطان مصغّر إذ كان له قصره الخاص وحرسه ومماليكه وجنده واقطاعاته[1].

وخلال حكم السلطانين: بركياروق ومحمد ابنيّ السلطان ملكشاة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م – ٥١١هـ/١١١٧م) وما شهدته الدولة السلجوقية من نزاعات وتفكك في آواخرها بين أبناء ملكشاه برز صراع مرير بين الأمراء والمؤيدون للسلاطين وصار الواحد يبحث عن زيادة إقطاعاته على حساب الآخرين، رافق ذلك جملة من الفتن الداخلية حتى غدت السلطنة كأنها مجموعة دويلات متنافرة والأمراء يميلون بجانب سلطان على حساب الآخر ويتمتعون بالإقطاعات مستغلين حالة انعدام الاستقرار في الدولة، حتى أن الأمر وصل بهم للتصرف في إدارة شؤون أقاليمهم دون الرجوع للسلطان[2]، ومن الإشارات الواجب ذكرها هنا في طموحات الأمراء في الوصول إلى السلطنة ما تطلّع لتحقيقه الأمير الإسفهسلار أنر وهو أبرز مقدمي السلطان بركياروق فتذكر بعض الروايات التاريخية: " أن الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك قام بتحريض الأمير أنّر للانقلاب على السلطان بركيارق قائلاً له: "أنت مدعو للسلطنة: ومكانتك بين الجند ليست أقل من الآخرين، والسلطنة بالقوة في القتال وليس للحسب والنسب دخل بها"[3].

الأمر الذي أثار حفيظة الأمير أنر وجعله يعتدّ بنفسه للوصول إلى مبتغاه فما كان منه إلاّ أن أعلن نفسه سلطاناً، ولتهيئة المناخ العام لذلك اتخذ سرادقاً أو خيمة ذات لون أحمر وطبولاً ملكية، ولم يكتفي بذلك بل نقش الألقاب الخاصة به [4]، وهو بذلك يضيف للسلطان بركياروق معاناة جديدة زادت عليه أوجاعه وآلامه، فبالإضافة لمنازعة أخوته وعمه وخاله له نجد أحداً آخر يطلب السلطنة لنفسه منازعاً السلطان بركياروق متحدياً له وهذه المرّة من الأمراء،وكانت تلك حالة الأمراء أثناء ضعف السلطنة وما شهدته من انشقاق داخل البيت السلجوقي، ولا أجد وصفاً دقيقاً أفضل مما وصفهم بها ابن الأثير حيث يقول:

---

(1) السيد، أمراء السلاجقة، ص ١٦.

(2) حسنين، إيران والعراق ، ص ١٦١.

(3) اليزدي، العراضة ، ص ٧٧.

(4) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٣.

"...وكان الأمراء الكبار يؤثرون انقسام السلطنة والطمع فيها فيختارون الانقسام ليدوم حكمهم وانبساطهم"[1]، وعن دور الأمراء في توجيه بوصلة السلطنة باتجاه سلطان معيّن فمنذ بداية سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وفي أعقاب وفاة السلطان ملكشاه دفعت تركان خاتون الأموال للأمراء من أجل كسبهم لصفها، ومساندة ابنها محمود كما ذكرت سابقاً، كما أن الأمراء ساندوا السلطان بركياروق في حربه مع تركان خاتون في موقعة بروجرد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وبعد انتصار بركياروق قبلوا الأرض بين يديه وأعلنوا له الطاعة[2].

ويمكن القول أيضاً أن الأمراء كانوا يفتقرون لمبدأ الولاء والإخلاص لسلطان بحد ذاته، بالرغم من إقطاعات السلاطين المجزية لهم، ونكاد نلمس وفائهم للسلاطين، فهذا الأمير أنر يقطعه السلطان بركياروق فارس ثم العراق، وفجأة ينقلب على السلطان ويتحوّل لأخيه محمد مقابل مائة ألف دينار[3]، ومثال آخر لأمير آخر نجده يطمع بمزيد من الإقطاعات حتى ولو كان ذلك على حساب مبادئه والتزامه بعهد قطعه على نفسه لمساندة سلطان معين، ففي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢قام الأمير ينال بن أنوشتكين الحسامي بطرد نواب السلطان بركياروق من الريّ من أجل إقامة الخطبة للسلطان محمد طمعاً في إقطاعات مجزية اكثر من التي نالها سابقاً[4].

وحتى وبعد وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وهدوء الأحوال داخل البيت السلجوقي وإن كان لفترة مؤقتة، لم يرغب الأمراء بحدوث مصالحة بين السلطان محمد والأمير أياز أتابك ملكشاه بن بركياروق، فلم يتوقف الأمراء أصبهبذ صباوة وينال الحسامي عن تحريض الامير إياز بقبول الصلح مع السلطان وقاما بحثّه على مواصلة قتاله له حتى النهاية[5].

كما كان لبعض الأمراء دور هام أيضاً في إيصال السلطان لعرش السلطنة، فكما ذكرت سابقاً دورالأتابك إياز في المسير مع السلطان ملكشاه بن بركياروق لبغداد والخطبة له فيها سنة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٩

(2)ابن الجوزي، المنتظم،ج١٠،ص٦٤٤ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ،ج١٩،ص٤٥٠،

(3) ابن الجوزي،المنتظم،ج١٠،ص٤١.

(4) ابن الاثير، الكامل، ج١٠ ص ٣٥٣، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٦.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٥.

٤٩٨ هـ/١١٠٤م ، بالمقابل كان لبعض الأمراء دور هام في تثبيت أركان سلطنة السلاطين السلاجقة وحمايتهم من الأخطار الداخلية والخارجية على حد سواء، فنجد أمراء بني برسق سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م يقفون لمساندة السلطان محمد بن ملكشاة والإيقاع بعمّه منكبرس ابن الملك بوربرس بن ألب أرسلان عندما حاول طلب السلطنة وإثارة الفتن في نهاوند[١].

كذلك نجد أمراء الموصل يقاتلون في ساحات الوغى والجهاد دفاعاً عن أركان السلطنة وحماية ممتلكات السلطان، ففي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م، وعندما أدرك السلطان محمد خطورة السلطان قلج أرسلان صاحب قونية وبلاد الروم على الموصل، قاوم الأمير جاولي سقاوة ذلك السلطان وتمكن من الدفاع عن الموصل[٢].

ومن خلال ما سبق، يمكن إدراك أهمية دور الأمراء في تسيير الأحداث الداخلية في الدولة بتأثيرهم في إثارة الفتن والقلاقل واستغلال الأوضاع السياسية الداخلية لتحقيق مطامعهم الشخصية لا سيما أثناء ضعف السلاطين وانشغالهم. بالحروب فيما بينهم .

كما أنه ونظراً لقربهم من السلاطين وصلوا لمراتب عليا في الدولة من خلال الدواوين أو قيادات هامة في الجيش ،الأمر الذي ادى لاستفادتهم مادياً ، غير انه ومن الملاحظ عدم مطالبتهم بالسلطة بعد مصرع الأمير أنر سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م.

٣) الخواتين[٣]:

ارتبط لقب خاتون بنساء الأسر الحاكمة في الدولة السلجوقية، وبما أن النساء زوجات السلاطين السلاجقة، من أصول تركية، وجدت أنه من المهم الحديث ولو بصورة مختصرة عن

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم ،ج ١٠، ص ٨٣، ابن الأثير، الكامل،ج١٠ ص ٣٩٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج١٩، ص ٥٤٠، ابن خلدون ، العبر ،ج٥، ص ٧٧ – ٧٨.

(٢)ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٦ – ٤٢٩،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٠، ص ١٤–١٥، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٢٧٩.

(٣) جمع خاتون وهو لفظ تركي معناه السيدة وقد راج استعماله داخل العالم الإسلامي عن طريق الأتراك، وقد استعمل في النقوش والمؤلفات بهذا المعنى، كمايرد الاسم بمعنى المرأة الشريفة، الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ١٧٥، مادة ختن، الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٦٤.

طبيعة ومكانة المرأة السلجوقية منذ أن كانت تعيش في موطنها الأصلي في آواسط آسيا، فقد كانت تعيش حياة تفتقر للتقدير والاحترام فهي تعيش داخل أقوام بدوية غير متحضرة، تعمل بـ حرفة الرعي وأعمال أخرى، غير أنه وبانتقال السلاجقة لديار الإسلام وتأثرهم بمبادئه تنوعت الأدوار التي لعبتها على مسرح الأحداث ما بين السياسية والعسكرية والإدارية[١].وبتزعم السلاجقة مناطق واسعة من العالم الإسلامي منذ عهد السلطان طغرلبك (٤٣١ - ٤٥٥هـ/١٠٣٩/١٠٦٣م) أصبح للمرأة السلجوقية دوراً هاماً في إدارة شؤون الدولة السلجوقية لا سيما من الناحيتين السياسية والعسكرية، وما نتج عن هذا الدور من ظهور إدارة خاصة بزوجات السلاطين السلاجقة لمساعدتهن على القيام بالأدوار الرسمية الموكلة لهن[٢].

فقد كان لهنّ دور كبير في تدوير عجلة السياسة في الدولة وذلك عن طريق التدخّل في شؤون الحكم والسلطة، رغم أن الوزير نظام الملك ومن خلال كتابة سياسة نامة ركز على ضرورة إقصاء النساء (الخواتين) عن ميدان السياسة، مشدداً ضرورة عدم سماع السلطان لنصائحهن أو حتى طلب المشورة[٣].

ومع ذلك نجد أن بعض الخواتين تدخلن في شؤون السياسة منذ عهد السلطان طغرلبك فقد كان لزوجته الترنجان[٤] دور كبير في المحافظة على سلطة زوجها والدفاع عنه ضد أعدائه،

---

(١)الحسيني، زهراء، الأميرات السلجوقيات ودورهن السياسي والعسكري سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، مجلة كلية التربية – جامعة المثنى، العراق، ع ٥، ٢٠٠٧، ص ٥٠٩، وسيشار إليه: الحسيني، الأميرات السلجوقيات.

(٢) عقلة، عصام، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقيات (٤٤٧-٥١١هـ/١٠٥٥ - ١١١٧م) أنموذجاً، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٤، ٢٠٠٧، ص ٧٩٣، وسيشار إليه:عقلة، المرأة والسلطة.

(٣) عقلة ، المرأة والسلطة، ص٧٩٣-٧٩٤، الجالودي، عليان، قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق من خلال كتاب سياسة نامة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، مج٥ ، ع ١، ٢٠٠٩، ص ٢٣٠، وسيشار إليه : الجالودي، قواعد الحكم .

(٤) الترنجان: زوجة السلطان طغرلبك، أم انوشروان: زوجة خوارزم شاه سابقاً، كانت أم ولد وفيها دين وافر ومعروف ظاهر، متصدقة صاحبة رأي وحزم وعزم، توقيت بمدينة جرجان و دفنت بمدينة الريّ سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م ،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٨،ص٤٣٢.

لما عرف عن السلطان طغرلبك من سماعه لها وإطاعتها في كثير من الأمور [١]،كذلك كان لخاتون السفرية[٢] دور لا يقل أهمية عن سابقتها، فنجدها تقدمّ كل أنواع المساندة والدعم لزوجها السلطان ألب أرسلان، وتصفها بعض المصادر التاريخية بالمرأة القوية ذات النفوذ الواسع على زوجها وسلطتها القوية على زوجها[٣].

ورغم ذكر بعض المصادر التاريخية الخاتونتين السابقتين وإبراز دورهنّ المحوري في دعم أركان الدولة السلجوقية إلا أن تركان خاتون تبقى أبرز زوجات السلاطين السلاجقة بسبب نفوذها الواسع الذي أخذته أولاً من نسبها وحسبها وسلالة عائلتها الملكية ثم للنفوذ الواسع الذي حظيت به أثناء سلطنة زوجها السلطان ملكشاه، فقد وصفها بعض المؤرخون بعدة مزايا تشير لقوة نفوذها، فيذكرها البنداري: " بالمستولية في أيام ملكشاه، المحكمة في الدولة المقدمة[٤]، ووصفها الحسيني بقوله: "كانت مستولية على الأمور أيام ملكشاه مسيطرة على الأجناد كذلك[٥]حتى أنها ومن شدة حزمها تمكنت من قيادة الجيوش ومباشرة الحروب بنفسها[٦].

كما ذكرت بعض المصادر التاريخية السلجوقية زبيدة خاتون والدة السلطان بركياروق ،حيث كان لها دور كبير في مساندة ولدها وحمايته قدر المستطاع من منافسيه الأعداء[٧]، وفيما يلي توضيح لدور أولئك الخواتين في السلطنة والحكم في الدولة السلجوقية خلال فترة موضوع البحث من تاريخ الدولة السلجوقية والتي تمتد من سنة (٤٨٥-٥١١هـ / ١٠٩٢ – ١١١٧م) .

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٣٨١، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص ١٢، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩، ص ١١٠، الصفدي، الوافي بالوفيات ، ص٣٥٢ ، انظر كذلك كحالة، عمر رضا، أعلام النساء، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٥ أجزاء، ج١، ط١، ١٩٨٢، ص ١٧١، وسيشار إليه : كحاله، أعلام النساء.

(٢) خاتون السفرية: زوجة السلطان ألب أرسلان، تميزت بنفوذها الواسع وجبروتها الواضح ، كحالة، أعلام النساء ، ص٢١٢.

(٣) عقلة ، المرأة والسلطة ، ص ٧٩٨ – ٧٩٩.

(٤)عقلة، المرأة والسلطة ، ص ٧٩٩.

(٥) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٥.

(٦) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ١٩، ص ٤٥٩.

(٧) ابن الاثير، الكامل، ١٠، ص ٢١٥، البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩ ، ص ٤٥٠.

أ- دور تركان خاتون:

نظراً لما تمتعت به تركان خاتون من نفوذ وسلطة، على نطاق واسع لقوة شخصيتها واستيلائها على الأمور أولاً[1] ثم لامتلاكها الأموال الكثيرة وتفريقها اياها على الجنود دائماً[2]، كذلك لرفعة قدرها ومنزلتها بين الناس كونه من نسل الملوك الأتراك[3] وطيلة فترة حياتها مع زوجها السلطان ملكشاه فقد كانت صاحبة شخصية قوية تمكنت معها من اتخاذ المستشارين والوزراء، كما كانت لها الأيادي البيضاء في مساعدة أهالي بلاد فارس بالعطايا والإقطاعات[4].

وكان لها وزيرها الخاص بها، إذا اتخذت سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) تاج الملك الشيرازي وزيراً متصرفاً في أمورها[5]، وبدا تدخلها في إدارة شؤون الدولة في آواخر أيام ملكشاه واضحاً إذا أرادت أن يكون ابنها الصغير محمود ذو الأربع سنوات ولياً للعهد[6]، وكانت سبباً في خلاف وقع بين زوجها السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك الذي كان يرى أن ابن السلطان بركياروق هو الأنسب لولاية العهد بينما كان لتركان رأي آخر فحرّضت زوجها على نظام الملك بتعيين محمود ولياً للعهد لا سيما بعد أن مات كلاً من داود ابن السلطان ملكشاه سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[7] وابنه الآخر أحمد سنة (٤٨١هـ/١٠٨٨م) بعمر لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره[8] وحينما فرغ منصب ولاية العهد من وجودٍ لأحد من أبناء السلطان ملكشاه فقد خاطب السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك

---

(1) الحسيني زبدة التواريخ، ص ١٥٥.

(2)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤٩.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٧ - ٢١٩، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٤٠.

(4) عزايزة، وجدان، المرأة في العصر العباسي (٤٤٧ - ٦٥٦هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤، ص٦٥، وسيشار إليه: عزايزة ، المرأة في العصر العباسي.

(5) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٦٣-٦٥.

(6) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٣٤، حسنين ، إيران والعراق ، ص ٨٢.

(7) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٥٧٠، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ١٢٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٣٦١.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٦٩.

بتعيين ابنه محمود إلا أن الوزير الطوسي رد عليه قائلاً: "بأي وجه تلقى الله غداً وقد وليت على المسلمين امرأة وصبياً ولك أولاد كبار" [١].

وجاءت معارضة نظام الملك لتعيين ما طلبته تركان خاتون لمعرفته المسبقة بأن ذلك الأمر سيؤول لفساد الدولة بتخطيط من وزيرها تاج الملك الشيرازي كما أنّه جميع ما سينجم عن تخطيطهما سوياً ليس من صلاح الدول السلجوقية[٢].

ومع استمرار تأثير تركان خاتون على زوجها وتصميمها على تعيين ابنها محمود ولياً للعهد، وإقناعها لزوجها بذلك، بدأ الخلاف يزيد بين السلطان ملكشاه وبين وزيره نظام الملك وأخذ السلطان ملكشاه يتحيّن الفرصة المناسبة لعزله، فعزله بالفعل سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م من منصب الوزارة[٣]، وبعد وفاة زوجها نفذت تركان خاتون ما خططت له بالتعاون مع وزيرها تاج الملك الشيرازي، وتمكنت من إيصال ابنها محمود للسلطة والخطبة له على منابر بغداد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م باعتراف الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله [٤].

وحفاظاً على بقاء ولدها بالسلطة عينت تركان خاتون له الوزير تاج الملك وزيراً خاصاً[٥] وخوفاً من منافسة السلطان بركياروق لإبنها محمود قامت بسجن السلطان بركياروق في أصفهان[٦]، وبقيت تدافع عن ولدها محمود بكل ما أوتيت من عزم وقوة حتى أنها قادت الجيوش متوجهة إلى أصفهان لقتال بركياروق وما معه من اتباع خاصة النظامية، وهناك نجح الجيش

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم ،ج٩، ص٥٧٠، ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص١٢٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٣٦١ .

(٢) القعايدة ، عبدالهادي، ولاية العهد عند السلاجقة العظام وسلاطين فارس والعراق (٤٣١- ٥١١هـ/١٠٣٩-١١١٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورةالجامعة الأردنية، ٢٠١٣، ص ٤٩، وسيشار إليه: القعايدة، ولاية العهد.

(٣) لمعرفة الأسباب الكاملة الأخرى التي كانت وراء توتر العلاقة بين الوزير والسلطات ملكشاه انظر٤٣٩، انظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص ٢٠٤-٢٠٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٨.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم ،ج٩، ص ٦٤٣ ابن الأثير، الكامل ،ج١٠ ص ٢١٤ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤٩.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٧، خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٥٧، عقلة ، المرأة والسلطة، ص ٨٠٠.

(٦)الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص ٢١٥.

الخاتوني باحتلال أصفهان والسيطرة على قلعتها[1] إلا أنها انهزمت من النظامين وبركياروق في موقعه بروجرد سنة (٤٨٥/١٠٩٢م)[2] ثم استقرت في أصفهان وحافظت على ولدها حتّى وفاتها سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)[3].

ويبدو أنّ الدور الذي لعبته تركان خاتون في تغيير هيئة وشكل السلطنة والمنافسة عليها في الدولة السلجوقية كان مهماً وحاسماً في ازدياد التنافس بين أبناء ملكشاه، كما أنه أفسح المجال للوزراء والأمراء في محاولة استغلال الظروف السياسية التي تمر بها الدولة من حالة عدم استقرار لتحقيق مآربهم وأهدافهم الشخصية ولولا أن السمّ الذي دسّ لتركان خاتون كما يذكر المؤرخ سبط ابن الجوزي [4] لربما تمكنت بقوة نفوذها واتصالاتها الكبيرة، من تهدئة الأوضاع المليئة بالتنافس خصوصاً وأن الأجناد كانوا يطيعونها نظراً لإحسانها إليهم.

ب- دور زبيدة خاتون:

لعبت دوراً كبيراً في رسم الملامح السياسية للسلطنة السلجوقية بشكلٍ لا يقل أهمية عن دور سابقيها، فقد كانت ذات نفوذ وحنكة شديدين، كما كان لزبيدة خاتون دورها الكبير في حماية ابنها بركياروق وسلطنته ، حيث كانت مستولية على دولة ابنها السلطان بركياروق، لا يصدر شيء صغير ولا كبير إلا عن رأيها [5]، فقد اتخذت من الوزير مجد الملك القمّي البلاساييني وزيراً لها لمساعدتها في تدبير شؤون البلاد[6]، وكان لها دور كبير بحفظ السلطنة لولدها بركياروق وساعدته في تولي السلطنة[7].

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥.

(2)الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٥٦، ابن الأثير، الكامل ،ج١٠، ص٢١٥.

(3) ابن الأثير، الكامل،ج ١٠، ص ٢٤٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج ١٩، ص ٤٥٩.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٩.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨١.

(6) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٤، إقبال، الوزارة ، ص ١٦٧-١٦٨.

(7) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١.

إلا أنها وبعد ذلك كانت عامل ضغط سبب الضرر لسلطة ولدها بركياروق وذلك لعدة أسباب منها:

١. انشغالها بالشراب واللهو والإساءة لرجال دولتها[١].

٢. هيامها بالآتابك كمشتكين الجاندار أتابك ولدها بركياروق، الأمر الذي صرفه عن الاهتمام بأمور أبنها ورعايته، خاصة أثناء نزاعه ضد عمه السلطان تاج الدولة تتش، وما نجم عن قتله للأمرين: آقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها[٢] سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)[٣].

٣. تحريضها المستمر لابنها بركياروق بعزل الوزير صاحب الكفاية العالية والخبرة العظيمة وأقصد هنا مؤيد الملك بن نظام الملك سنة(٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[٤]، وتنصيب أخاه فخر الملك بن نظام الملك بدلاً منه، الأمر الذي أضرّ بولدها بركياروق وأدى لحقد مؤيد الملك والانتقام منه لاحقاً، فكان أولّ ما قام به مؤيد الملك هو تحريض الأمراء على عصيان السلطان بركياروق ومنهم الأمير أنر ثم تحريضه السلطان محمد وتشجيعه على الخروج على طاعة أخيه سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٧).[٥]

٤. كانت سبباً في نشوب المعارك بين الأخوين والتي بلغ عددها خمسة، منذ سنة (٤٩٣هـ-٤٩٧هـ/١١٠٠-١١٠٤م)، الأمر الذي أدى إلى انهاك القوى العسكرية للأخوين وانشغالهما بالحروب فيما بينهما عن مواجهة خطر الإسماعيلية – الباطنية.

إن إصدار آوامرها لإبنها السلطان بركياروق بسجن الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك بعد أن عرفت رغبته بإبقائها في أصفهان وعدم لحاقها بابنها بركياروق سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[٦]، أدّى لحقد مؤيد الملك أثناء وجوده بالسجن، فمن سجنه بأصفهان أرسل الوزير المعزول مؤيد الملك

---

(١) عقلة، المرأة والسلطة، ص ٨٠٠.

(٢) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٠.

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص ٤٥٨،

(٤) اليزدي، العراضة، ص ٨١، إقبال، الوزارة، ص ١٦٨.

(٥)ابن الجوزي المنتظم، ج١٠، ص ٤٠ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٧،البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٦.

(٦) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص ١٦١.

رسالة لزبيدة خاتون يعاتبها على فعلتها بعزله أولاً ثم بسجنه يقول فيها: "لا تذليّ من أعززته وتبعدي من قربته ولا تضعي من رفعته ولا تأخذيني بغير ذنب، فيحملني على الذنب"[1]، وتمخّضت نتائج ذلك الحقد الذي أخفاه مؤيد الملك لزبيدة عن قرار أودى بحياتها في الريّ سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٩م) بعد سجنها في القلعة ثم شنقها[2] وفي رواية أخرى يتوجبّ عليَ أن أذكرها وتشير لتورّط السلطان محمد بقتلها وذلك اثناء اشتباكه مع اخيه السلطان بركياروق في المواجهة الأولى سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م)[3].

ج – دور كوهر خاتون[4]:

لعبت كوهر خاتون دوراً كبيراً في الحياة السياسية داخل الدولة السلجوقية، فقد كانت تمارس دوراً سياسياً وعسكرياً مطلوباً منها ضمن الهدف السياسي والعسكري السلجوقي[5].

وكانت شخصيتها القوية تساعدها في تحقيق مآربها وتطلعاتها دائماً فقد وصفت بأنها (جليلة القدر، كريمة الأصل، عظيمة الشأن)[6]، كما كان لها قدرها واحترامها الكبير لدى السلطان محمّد بن ملكشاه [7].

ففي الحياة السياسية ومسألة وصول أبناء الخواتين للسلطة كان لكوهر خاتون دور بارز في توليه ابنها محمود بن محمّد بن ملكشاه ولاية عهد السلطنة على الرغم من أنه لم يتجاوز الرابعة

---

(1) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ،ص ٨٥، عقلة، المرأة والسلطة، ص ٨٠٠.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٤٢ ، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢١١، إقبال ، الوزارة ، ص ١٩٤.

(3) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٠ – ١٦٥.

(4) كوهر بنت مودود بن إسماعيل بن ياقوتي البغاني من ملوك أذربيجان، وهي زوجة السلطان محمد بن ملكشاه أنجبت منه أولاد أكبرهم محمود، وزر لها ثلاثة وزراء هم خمقص الملك الكاشي والأمير الجوزقاني وأعمال الملك السميرمي، توفيت كوهر خاتون سنة ٥١١هـ/١١١٧م البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٧، عقلة، المرأة والسلطة ، ص ٧٩٧.

(5) عقلة، المرأة والسلطة ، ص ٧٩٣-٨٠٠.

(6) عقلة، المرأة والسلطة ، ص ٧٩٩.

(7) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٨.

عشرة من عمره[١]، إذ سعت بكل ما أوتيت من قوة لتنفيذ كلمتها رغم معارضة عدد من كبار رجال الدولة بسبب خوفهم من زيادة نفوذها في الدولة إذا ما تولى محمود الصغير مقاليد الحكم، ورغم ذلك فقد جلس محمود بن محمد بن ملكشاه على التخت بالتاج والسواريين وخطب له بالسلطنة[٢].

وعندما فشل معارضوا كوهر خاتون في مسألة وصول ابنها لولاته العهد وشوا بها لدى السلطان محمد لحظة احتضاره بأنها كانت سبباً في مرضه بالسحر، فأمر بسجل عيونها وحبسها وقتل حاشيتها وجواريها وقتلها هي الأخرى[٣].

ثانياً: الوزارة في عهد السلطانين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه :

تأتي الوزارة في المرتبة الثانية أهمية في النظام السياسي في الدولة السلجوقية نظراً لأن صاحبها هو أكبر الموظفين الذين يساعدون السلطان وأكثرهم أهمية[٤].

والوزارة هي المنصب الذي يتولاه ذلك الشخص المعاون للسلطان، وهي اسم مشتق من معناها، فقد جاء هذا المعنى على ثلاثة أوجه لا رابع لهما، وتلك الوجوه هي: من الوزر (بكسر الواو وسكون الزاي) وهو الثقل ذلك لأن صاحبها يحمل الثقل عن السلطان أو الملك الموزور[٥].

كما أن الوجه الثاني للمفهوم هو الأزر ويقصد به المعونة والمساعدة والظهر القوي الذي يسند الملك والسلطان[٦]، ويرى الدوري كذلك أن العباسيين أخذوا الكلمة عندما استعملوا منصب

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٢٥.

(٢) الحسيني، زبدة التواريخ، ص١٦٣ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٢٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤٣.

(٣) عقلة، المرأة والسلطة، ص ٨٠٠.

(٤) قوصي، عطية، الحضارة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٧ ، أمين، نظم الحكم، ص ٢١٢، إقبال، الوزارة، ص ٤٣.

(٥) الثعالبي، أبو منصور، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨ م) تحفة الوزراء، تحقيق :حبيب علي الروادي ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦، ص ٣٩، وسيشار إليه: الثعالبي، تحفة الوزراء.

(٦) الماردي، علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد مبارك ، دار ابن قتيبة ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٩، ص ٢٣، وسيشار إليه : الماوردي، الأحكام السلطانية ، الدوري، النظم الإسلامية، ص ٢١٠.

وزير للمرة الأولى[1] من الآية القرآنية (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري)[2]،وتشيرُ بعض المصادر التاريخية أن العباسيين هم أول من استخدم لقب وزير حينما لقب الخليفة العباسي، أبو عبدالله السفاح وزيره أبو سلمة الخلال بهذا اللقب[3].

كانت مهامّ الوزراة عند السلاجقة إدارة مجموعة من المؤسسات التي تختص كل منها بتسهيل أمور الدواوين أو المؤسسات في الدولة والتي اقتبسها السلاجقة عن الغزنويين[4] ويبلغ عدد تلك الدووابن خمسة، يرأس كل واحد منها قائم بأعمال يطلق عليه اسم خواجه بزرك[5] أو الصدر أو الدستور أو الوزير[6]، وكانت تلك الدووابن أكبر وأهم المناصب والوظائف الحكومية في الدولة السلجوقية[7]،ويعمل في تلك الدووابن التي يرأسها الوزير السلجوقي برمتها، عددٌ من الموظفين الإداريين من كتّاب ونسآخ وغيرهم ممن أمضوا جل حياتهم في خدمة السامانيين والغزنويين والخلفاء العباسيين[8]، فقد استعان بهم السلاجقة بشكل كبير نظراً لعدم معرفتهم بشؤون الإدارة فقد كانوا قبائل بدوية متنقلة لا يعرفون سوى الغزو والحرب[9].لذا فإنه ومن غير المستغرب أن يكون

---

(1) الدوري، النظم الإسلامية ، ص ٢١٠.

(2)سورة طه، الآية رقم ٢٩.

(3) ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد ، دار القلم العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧،ص ١٦٣.

(4) إقبال، الوزارة ، ص ٤٣.

(5) خواجه: لفظ فارسي بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو السيد، وكان هذا اللقب يطلق أحياناً على من يمت بصلة إلى الأصل الفارسي، الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٧٩.

(6) خواندمير، غياث الدين محمّد بن همام الدين (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٤م) دستور الوزراء، ترجمة وتعليق : حربي سليمان ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨١، ص ٢٠١، وسيشار إليه : خواندمير، دستور الوزراء ، إقبال، الوزارة، ص ٤٣.

(7) إقبال، الوزارة، ص ٤٣، شلبي، أحمد، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ج٤، ١٩٦٩، ص ٦١-٦٢، وسيشار إليه : شلبي، التاريخ الإسلامي .

(8) أبو النصر، محمد ، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٣، ص ١٨٩، وسيشار إليه : أبو النصر ، السلاجقة .

(9) كلاوستر، كارلا ، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي، ترجمة : عبد الجبار ناجي، بيت الحكمة ، بغداد، د. ط، ٢٠٠١، ص ٨١، وسيشار إليه : كلاوستر ، دراسة في الإدارة .

أولئك الموظفون الذين استعان بهم السلاجقة ووزرائهم يعملون بنفس الكيفية والحيثية التي كانت عليها دواوين الغزنويين و السامانيين من قبلهم[1].

وفيما يلي دراسة لأهم الوزراء الذين شغلوا منصب الوزارة في عهد السلطانين بركياروق ومحمّد منذ سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م – ٥١١هـ/١١١٧م) ، وقد راعينا التسلسل التاريخي في توليهم الوزارة :

*** أولاً: وزراء السلطان بركياروق:**

أ. عزّ الملك بن نظام الملك[2]، وهو أول وزير للسلطان بركياروق بعد مقتل تاج الملك أبو الغنائم الشيرازي على أيدي النظامية، استوزره السلطان ارضاءً للنظامية الذين كان لهم الفضل في توليته السلطنة، رغم أن عزّ الملك لم يكن كفوءاً للوزارة [3]

ب. مؤيد الملك بن نظام الملك:

كان من المعروفين بالذكاء والكفاية والخبرة الواسعة التي ورثها عن أبيه نظام الملك، يذكره سبط ابن الجوزي باسم مؤيد الدولة، وقد اختاره السلطان بركياروق لوزارته بعد مقتل أخيه فخر الملك في ذي الحجة من عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وبقي في الوزارة سنة واحدة فقط، ثم عزله السلطان بركياروق سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، بعد أن تخلص من شرور عمه تاج الدولة تتش في معركة الريّ، ثمّ قتله السلطان بركياروق سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م ، لتطاوله وقتله لوالدته زبيدة خاتون بعد أن انحاز لجانب السلطان محمّد ضد بركياروق، كان فاضلاً جواد سمحاً له شعر منه:

---

(1) إقبال، الوزارة، ص ٣٨.

(2) عزّ الملك: هو أبو عبدالله حسين عز الملك بن خواجه نظام الملك، استوزره السلطان بركياروق ارضاءً للنظامية الذين وقفوا بجانبه وأخرجوه من أصفهان واجلسوه على العرش في الريّ سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، لم يكن ذا همة عالية، ولم يلتفت لأمر وزارته، فقد كان منصرفاً عن ذلك بشرب الخمر، رغم أنه اتخذ من أحمد الله وأشكره علامة وتوقيع له، بقي في وزارة السلطان بركياروق منذ أوائل عام ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، حتى ذو الحجة من سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م حيث توفي في الموصل ودفن في النظامية، البنداري،مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٢، إقبال، الوزارة، ص ١٦٣-١٦٤.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٧٧، زامباور، معجم الأنساب، ص٣٣٨.

قالوا أني العبد مفتر الثغور فخذ حظ السرور فهذا موسم الطرب

فقلت والقلب في أيدي الفراق لعا ومقلة العين تبكي من دم سربب[١]

وكان أيضاً أكثر وزراء السلطان بركياروق تأثيراً في منصب الوزارة منذ أن عينة السلطان بركياروق وزيراً، فقد ساهم وبشكل كبير في مساعدة السلطان بركياروق على التخلص من أشد منافسيه عداءً آنذاك عمه السلطان تاج الدولة تتش سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م [٢]، كما كان له دور كبير في اشتعال النزاعات بين أفراد البيت السلجوقي ضد بركياروق [٣] .

ج. فخر الملك بن نظام الملك[٤].

أبوالفتح المظفّر علي بن نظام الملك، كان وزيراً للسلطان تاج الدولة تتش لفترة طويلة، وبعد هزيمة تتش من ابن أخيه بركياروق سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، استوزره السلطان بركياروق ،كان باحثاً على إقامة العدل والإنصاف ورفع آثار الظلم والعدوان، بذل جهوداً طيبة لتسهيل مهمة أصحاب العلم والتقوى،عزله السلطان بركياروق سنة٤٩٢هـ/١٠٩٩م لفشله في اخماد ثورات في خراسان وغيرها، وكان قد عيّنه السلطان بركياروق في منصب الوزارة بعد أن عزل أخيه مؤيد الملك مباشرة، وكان راغباً بالوزارة منذ فترة طويلة، بذل الأموال الجزيلة والعطايا للسلطان بركياروق لتولي هذا المنصب، وقد استجاب له السلطان بركياروق وولاّه الوزارة سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[٥].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج ١٩، ص ٥١٦، اليزدي، العراضة، ص ٨١.

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٦٧-٢٦٨، اقبال، تاريخ إيران، ص ٢٦٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص٢٦٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩،ص٤٣٢ .

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٥،ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٧، كرماني، ناصر الدين نشي(ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) نسائم الأسحار من لطائم الأخبار، تحقيق: مير جلال الدين أرموي ، دار تاريخ وزراء ، أصفهان ، ط١ ، ١٩٦٩، ص ٥٧-٥٨ن وسيشار إليه: كرماني، نسائم الأسحار .

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٠ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٣، زامباور، معجم الانساب، ص ٣٣٨، ص ٢٦، الزهراني، نظام الوزارة ، ص١٤٠ .

د. مجدِ الملك القمّي[1]:

عُرف بذلك الاسم نسبة إلى ناحية براوستان قرب همذان،وزر للسلطان سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، نسب إليه تعاونه مع الباطنية، كان متحكماً في دولة السلطان بركياروق طيلة وزارة فخر الملك، قتله قادة جيش السلطان بركياروق سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ، وكان يتصرف في كل شؤون المملكة بالاتفاق مع والدة السلطان زبيدة خاتون، كان حافظاً للقوانين ومدبراً بارعاً في الحسابات[2].

هـ. أبو المحاسن الدهستاني[3]:

نظام الدين أبو المحاسن عبدالجليل الأعزّ بن محمّد الدهستاني ،أستوزره السلطان بركياروق من صفر سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، بعد مقتل مجد الملك القمّي وبقي في الوزارة سنتان حتى قتله غلام أبو سعيد الحداد الذي كان الدهستاني قد نكّل به سابقاً، وكان السلطان بركياروق قد انتظر طويلاً قبل أن يعينه ، ولكن بتوصيات من الأمراء المقربين من السلطان ونظراً لسمعة أخيه كمال الملك الدهستاني الطيبة طوال عمله عميداً للعراق من طرف السلطان ملكشاه وافق على تعيينه في الوزارة، يلقب بالأعزّ أو أعزّ الملك ، أعطاه السلطان بركياروق الصلاحيات، الواسعة للنظر بالوزارة وأمور دار المملكة (بغداد)، كان متنفذاً في وزارة السلطان ولا يرجع اليه في كثير من الأمور، ومن تلك الأمور التي كان صاحب كلمة فيها قتله وفتكه لأحد أتباع الباطنية الذي كان يبث دعوته بين الناس في أصفهان ويدعى (كيا فخر آور الأسد الآبادي) وكان هذا قد صادق السلطان بركياروق وشكلّ خطراً على حياته، عندئذٍ أمر الوزير الدهستاني بقتله دون إذن من السلطان بركياروق [4].

([1]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص، ٢٨٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٩، ص١٨٠، اقبال، الوزارة ، ص١٦٧-١٦٩.

([2]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨-٢٨٩، إقبال، الوزارة ،ص ١٦٧-١٧٥.

([3]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤ ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٢-٥٠٣، النويري نهاية الأرب، ج ٢٦، ص١٩٨،الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢٥، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٩٦،إقبال، الوزارة ، ص ١٧٦-١٧٧، زامباور، معجم الانساب، ص ٣٣٨.

([4]) خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٦٨، اقبال، الوزارة، ص ١٧٦.

و. أبو منصور الميبذي: خطير الملك محمد بن الحسين الميبذي، وميبذ بليدة من نواحي أصفهان، وقيل أنها من نواحي يزد، ويذكره خواندمير باسم اليزدي، وزر للسلطان بركياروق من ذي الحجة سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م حتى ربيع الآخر سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م ، كان خالياً من الفضائل والكمالات، غافلاً عن تدبير أمور السلطنة أحد وزراء السلطان بركياروق،الذين لم يكن لهم باع طويل بالوزارة [١].

كان لتحريض الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك وقع كبير على مسامع السلطان محمد بن ملكشاه، حينما خرج عن طاعة أخيه السلطان بركياروق بن ملكشاه ، فاتخذ السلطان محمد مؤيد الملك وزيراً له، وفيما يلي دراسة للادوار التي قام بها الوزراء الآخرين طيلة سنوات حكم السلطان محمد بن ملكشاه:

*** ثانياً وزراء السلطان محمد بن ملكشاه:**

أ. مؤيد الملك بن نظام الملك[٢]:

وهو الوحيد من أبناء نظام الملك الطوسي الذي وزر للسلطانين بركياروق ومحمد فقد عينه السلطان بركياروق مرة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، ثم عزله من وزارته سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، واستوزره السلطان محمد بن ملكشاه عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩[٣]. وبقي معه يسانده في كل أموره حتى سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١م، كان مؤيد الملك يشارك في الحرب مع السلطان محمد ضد أخيه بركياروق في همذان سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، وعندما هزم جيش محمد في تلك المواجهة حاول مؤيد الملك الهرب فلحق به أحد غلمان مجد الملك القمّي البلاسيني وزير بركياروق السابق، والذي قتل على يدي مؤيد الملك كما ذكرت سابقا، فما كان من ذلك الغلام إلا أن يلحق بمؤيد الملك ويحضره أسيراً بين

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٤٥،خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٩٠، إقبال، الوزارة ، ص ٢٢١-٢٢٣، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٨،

(٢) تمت الإشارة لترجمته سابقاً في وزراء بركياروق من هذا الفصل.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٣٤،الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢١٣، اليزدي، العراضة ، ص ٩٤، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٨، إقبال، الوزارة، ص ١٩٣.

يدي السلطان بركياروق، الذي بذوره قتل مؤيد الملك لعدة أسباب منها تطاول مؤيد الملك على السلطان بركياروق بالكلام المشين، وقتله لوالدة السلطان زبيدة خاتون[١].

ب. محمد بن مؤيد الملك:

محمد بن مؤيد الملك: نصير الملك محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك، بعد أن قتل والده في مواجهة السلطان محمد مع أخيه بركياروق سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، ورعاية لحق مؤيد الملك وما قدمه للسلطان محمد استوزره السلطان محمد سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[٢]، كان بخيلاً يفتقر للكفاءة، يقضي معظم وقته مشتغلاً في الكيمياء والنجوم، اعتمد عليه السلطان محمد في وزارته لمساعدته في أمور الدولة، إلا أن انشغاله بالكيمياء والنجوم والفلك ،كان سبباً في عزله عن الوزارة سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م[٣].

ج. خطير الملك الميبذي:

كان في غاية الجهل والسمنة المفرطة، قال فيه الشاعر أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح الهبارية:

وزير غاص في شحم ولحم	ولم ينسب إلى عقل وفهم
إذا لبس البياض فعدل قطن	وإن لبس السواد فتل فحم[٤]

وقد تولىّ خطير الملك أبو منصور الوزارة في الدولة السلجوقية للسلطانين: محمد بن ملكشاه أولاً ثم للسلطان بركياروق ثانياً، عزله السلطان محمد في المرة الأولى واعتقله، ثم بعد ذلك عيّنهُ رئيساً لديون الطغراء ثم أصبح بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١هـ/١١١٧م

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٦، إقبال، الوزارة، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٩٣، إقبال، الوزارة ، ص ٢١٩، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٨ .

(٣) إقبال، الوزارة، ص ٢١٩.

(٤) تمت الإشارة لترجمته أثناء الحديث عن وزراء بركياروق، في صفحات هذا الفصل، انظر الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٣٤، انظر كذلك ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٣، كرماني، نسائم الأسحار، ص ٥٥، اقبال، الوزارة، ص ٢٢١.

وزيراً عند ابن السلطان محمد سلجوق بن محمّد بن ملكشاه، [١] وبقي فيها حتىّ توفي سنة ٥١٥هـ/١١٢٢م[٢].

د. سعد الملك الآبي:

نصير الدين أبو المحاسن سعد بن محمد الآبي، وزر للسلطان محمد من سنة ٤٩٨هـ-٥٠٠هـ/١١٠٤- ١١٠٦م، ظهرت كفاءته للسلطان محمد منذ حصار بركياروق أصفهان سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، حيث كان مقيماً فيها وأظهر حسن التدبير في المحافظة على المدينة، عمل مستوفياً للسلطان محمد ومدبراً لشئونه وكاتبه فيما بعد، ثم عين في الوزارة وبقي فيها سنتتان، إلا أن سعد الملك أُتُهِمَ بـ الإساءة للسلطان محمد وذلك بتراسله مع أحمد بن عبدالملك بن عطاش زعيم الاسماعيلية الباطنية في القلاع، وتآمره معه للإطاحة بالسلطان محمد، فقتله السلطان محمّد صلباً على باب أصفهان سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[٣].

ويعتبر الوزير سعد الملك الآبي أو الأوجي كما يطلق بعض المؤرخين[٤] أول وزيراً للسلطان محمد فبعد وفاة أخاه السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤، تطلع السلطان محمد لشخص يستطيع أن يقود دفّة القيادة في تسير أمور الوزارة لمدة طويلة، لا سيما وأن السلطان محمد ينوي التفرغ لشؤون الاسماعيلية والفرنج الذين كان خطرهم يحدق بالدولة، إلا أن أهم الأسباب التي دفعت السلطان محمد لاختيار سعد الملك هو ما عرف عنه من كفاءة وتدين وحب للخير وخلق كريم[٥] .

([١]) الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٦، خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٩٠-٢٩١.

([٢]) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٦.

([٣]) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٤٤.

([٤]) ابن الجوزي، المنتظم، ١٠، ص ٨٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٢، ص ٤٣٧، سبط ابن الجوزي، مرآ ة الزمان ، ج ٢٠ـ ص ١٣،النويري، نهاية الأرب،ج ٢٦، ص ٢١٣، اليزدي، العراضة، ص ٩٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٧٦، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٩١، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٧١، إقبال، الوزارة، ص ٢٢٧.

([٥]) ابن الجوزي المنتظم ، ج١٠، ص ٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٠، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٨٨،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٥، خواندمير، دستور الوزراء ، ص٢٧١.

هـ- أحمد بن نظام الملك:

هو الخواجة الكبير ضياء الملك أحمد بن خواجه نظام الملك، تولّى الوزارة للسلطان محمد منذ سنة ٥٠٠هـ - ٥٠٤هـ/١١٠٦-١١٠٨م ، لقب بألقاب أبيه ومنها قوام الدين، نظام الملك، صدر الإسلام، وزر كذلك للخليفة المسترشد من عام ٥١٦هـ - ٥١٧هـ/١١٢٢-١١٢٣م [١] وقد اختاره السلطان محمّد بن ملكشاة وزيراً له ، تقديراً منه لدور أسرة نظام الملك في خدمة الدولة السلجوقية، فبعد ما قتل السلطان محمّد الوزير سعد الملك ، استشار السلطان محمّد خاصتّه من المقربين والندماء فيمن يرونه ليكون رجل المرحلة المقبلة في الوزارة ، وبعد طرح أكثر من اسم على مسامع السلطان محمّد قال لهم: "إن لآبائنا على نظام الملك حق النعمة، وقد رأوا في عهده البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذياء نعمتنا، وليس من المروءة أن نحيد عنهم"[٢].

وبالفعل فقد اختاره السلطان محمّد وزيراً له، لمدة أربع سنوات، استقل فيها بتدبير أمور السلطنة، وفي نهاية فترة وزارته عجز من مقاتلة الاسماعيلية الباطنية في قلعة ألموت سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م، وفشل في احتلال القلعة، وتعرض للطعن منهم[٣]، زد على ذلك الخلاف الذي وقع بينه وبين أحد الأمراء المقربين للسلطان وهو رئيس همذان أبو هاشم المدني، فتحدّث الوزير أبو نصر عن ذلك الرجل كلاماً قبيحاً وكان دائماً يغتابه، فتعاون غلمان السلطان محمّد مع أبي هاشم الهمذاني المدني في إلقاء القبض على الوزير[٤].

([١]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٨ ،الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٣٤، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٣٧، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص١٣ ،الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٧٦، العبر، ج٢، ص ٣٧٠،ابن تغري بردي، النجوم ، ج٥، ص ١٩١، خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٧٢، كرماني، نسائم الأسحار، ص ٥٣، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٨، إقبال، الوزارة، ص ٢٣٥.

([٢]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٤٧، إقبال، الوزارة، ص ٢٣٥.

([٣]) النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢١٢-٢١٣.

([٤]) كرماني، نسائم الأسحار، ص ٥٣، خواندمير، دستور الوزراء، ص ٢٧٢-٢٧٣.

و- عماد الملك ربيب الدولة:

عماد الملك أو عماد الدين أبو منصور ربيب الدولة ابن ظهير الدين أبي شجاع محمد بن حسين الهمذاني، يذكره الراوندي أبو منصور القراطي، كانت وزارته لمدة ٤٥ يوماً فقط، توفي في مدينة همذان سنة ٥١٧هـ / ١١٢٣م [1]، تولىّ الوزارة في آواخر أيام السلطان محمّد بن ملكشاه، خلفاً لخطير الملك الميبذي، وعندما اشتد المرض بالسلطان محمد أواخر ذو الحجة سنة ٥١١هـ/١١١٧م، فكّر في اسناد الوزارة لرجل قوي، فوقع الاختيار على عماد الملك فاستدعاه السلطان للوزارة، وبقي بها إلى ما بعد جلوس السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه على العرش[2].

*** مميزات منصب الوزارة في الدولة السلجوقية خلال حكم السلطانين: بركياروق ومحمد:**

آل منصب الوزارة السلجوقية بعد وفاة الوزير نظام الملك الطوسي إلى وزراء كان معظمهم غير مؤهلين لمنصب الوزارة، لا سيما وقد مرّت الدولة بفترات عصيبة نتيجةً لقيام الحروب بين أمراء وسلاطين السلاجقة وصار السلطان السلجوقي يختار للوزارة من يحقق للسلطان مصالحه ومربه الشخصيه بعيداً عن المصلحة العليا للدولة ، فمثلاً استوزر السلطان بركياروق سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م فخر الملك بن نظام الملك لانه قدمّ مبلغاً كبيراً من المال للسلطان ، رغم أنّ وكان فخر الملك هذا كما يصفه البنداري خالياً من الكفاية والفضل والأدب (٢) .

إن حدوث مثل تلك السابقة في الدولة السلجوقية، فيما يتعلق بمنصب الوزير وحصول فخر الملك عليه مقابل دفع أموال للسلطان، يعتبر مؤشر تدهور وانعدام للمواصفات التي سار عليها السلاطين السلاجقة، فلم يشهد منصب الوزارة بحسب ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع تاريخية عن السلاجقة أن يدفع وزير الأموال مقابل الفوز بمنصب الوزارة منذ سلطنة طغرلبك وألب أرسلان وخليفتهما ملكشاه، إلا أنه وعلى ما يبدو فإن للظروف السياسية التي تمثلت بالنزاعات الدموية داخل البيت السلجوقي الأثر الكبير الذي دعا السلطان بركياروق لقبول الأموال من فخر الملك وذلك لحاجته الماسّة لها ليتمكن من دفعها للجنود والعساكر والأفراد الذين كانوا يساندونه في

---

(١)ابن العمراني، الأنباء، ص ٢٠٧-٢٠٨، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٣٤ ،النويري، نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٢١٣،اليزدي، العراضة، ص ٩٤، إقبال، الوزارة ، ص ٢٤٢.

(٢) اقبال، الوزارة، ص ٢٤٤.

نزاعاته، رغم قناعته الكاملة بحمق وجهل فخر الملك وتبذيره الواضح كما وصفه سبط ابن الجوزي ، ولم يكن السلطان محمّد أحسن حالاً من أخيه السلطان بركياروق في ذلك ، فقد استوزر سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م مؤيد الملك ليساعده في جمع مزيداً من الحشود التي تمكّنه من الانتصار على السلطان بركياروق والفوز بالسلطنة[1].

كما بلغ من نفوذ الوزراء في العصر السلجوقي خلال سلطنة بركياروق ومحمد نتيجة تمتعهم بكافة الصلاحيات المطلقة من السلاطين، مجاهرة العداء لوزراء الخليفة، بل والأدهى من ذلك كله التدخل في العزل والتعيين، فنجد أن مؤيد الملك بن نظام الملك وزير السلطان محمد في سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م يبعث برسالة للخليفة المستظهر يطلب منه عزل وزيره عميد الدولة ابن جهير، ففعل الخليفة العباسي ما طلب منه الوزير السلجوقي[2]، وهذا يظهر من جانب آخر سطوة الوزراء وضعف الخليفة في ذلك الوقت.

كذلك الحال فإن وزير السلطان بركياروق أبو المحاسن الدهستاني وحينما تولّى الوزارة للسلطان بركياروق سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، قام وبناءً على تعليمات وأوامر السلطان بحجز وزير الخليفة ابن جهير وسجنه[3] إلاّ أنه ومن الملاحظ ازدياد نفوذ الوزراء في عصر سلطنة بركياروق ومحمّد وتجرؤهم على الإساءة لوزراء الخلفاء العباسيين وذاك لم يكن بجديد، فقد كان أول تدخل من وزير سلجوقي في عزل وزير للخليفة العباسي سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م، حيث عزل وزير السلطان طغرلبك "عميد الملك الكندري" وزير الخليفة القائم بأمر الله.

كما امتازت الوزارة في عصر سلطنة محمّد بن ملكشاه بظهور منصب جديد لم تعهده الوزارة السلجوقية من قبل، وهو منصب نائب الوزير، وذلك بهدف عدم تعطّل أعمال الديوان

---

(1) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٧٩-٨٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٩٢، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٦٠.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٨ – ٢٩٩، الزهراني، نظام الوزارة في الدولة العباسية، ص ١٢١، لمعرفة المزيد عن دور أسرة ابن جهير في الوزارة العباسية انظر الربيدي ، بنو جهير ودورهم في الخلافة العباسية، ص١١١ وما بعدها .

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٤ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٢

الإدارية والمالية عند عزل السلطان السلجوقي لوزيرٍ ما، فبالرغم من عدم كونه منصب ثابت ضمن وظائف الدولة[1]. إلا أنه كان منصباً ذا أهمية كبيرة ولو بصورة مؤقته، ففي عام ٥١١هـ/١١١٧م وبعد عزل السلطان محمّد لخطير الملك من منصبة أسند السلطان محمّد مهمة نيابة الوزارة لشرف الدين أنوشروان ابن خالد من أجل تسير شؤون الديوان[2] .

٢- النظم الإدارية في الدولة السلجوقية :

ورث السلاجقة أنظمة إدارية عن سابقيهم من الغزنويين والسامانيين الذين عاشوا في نفس المنطقة الجغرافية التي ظهر فيها السلاجقة[3]، وقد كان سبب وراثتهم لتلك النظم الإدارية ما تميزوا به من بداوة مفرطة رافقها عدم معرفة في مجال الإدارة والقوانين، على الرغم من مهارة رؤسائهم "سلاطينهم" منذ عهد أبناء سلجوق أرسلان وميكائيل وموسى، إلا أن تلك المهارة كانت في فنون الحرب والقتال[4].

كما أن معايشة السلاجقة الأوائل للسامانيين ومن بعدهم الغزنويين[5] جعلهم يتعرفون إلى مهارتهم في الأعمال الإدارية التي تساعدهم في المحافظة على سير الأعمال والمحافظة على ممالكهم الواسعة، فلما أصبحوا القوة الإسلامية العظمى في المشرق الإسلامي أدرك السلاجقة حاجتهم الماسة إلى إقرار نظم إدارية تساعدهم في العمل ، فاعتمدوا على طبقة الكتاب وعمال الدواوين ممن أمضوا أعوام طويلة في خدمة السامانيين والغرنويين والديالمة الفرس وممن تمرّس في العمل الإداري عند خلفاء بني العباس، وقد أبقى هؤلاء الموظفين على نفس الترتيب الإداري الذي كان سائداً عند السامانيين والغزنويين مع بعض التغيرات البسيطة التي فرضها طبيعة العصر السلجوقي[6].

---

(١) الزهراني، نظام الوزارة ، ص ١٣٦.

(٢) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٤-١٠٥، إقبال، الوزارة ،ص ٢٤٤.

(٣)كلاوستر ، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٢، حلمي، السلاجقة، ص ١٢١.

(٤) ابن الجوزي المنتظم، ج٩، ص ٣٠١،ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٤،

(٥) إقبال ،الوزارة ، ص٣٨ ،أبو النصر ، السلاجقة ، ص٢٥٢.

(٦) إقبال، الوزارة ، ص ٣٨، ابو النصر، السلاجقة، ص ٢٥٢.

ورغم اعتماد السلاجقة في أنظمتهم الإدارية على أسلافهم من السامانيين والغزنويين إلا أنهم لم يكونوا مقلدين لهم بصفة خالصة، بل أضافوا إليها ما رأوه مناسباً، فقد كان لإضافات الوزير نظام الملك وأفكاره وإنشاءه لنظام الدواوين الحكومية في مختلف أقاليم الدولة بدأ من العاصمة أصفهان مروراً بمدن فارس وانتهاءً بمدن العراق المختلفة، الأثر الكبير في تطور النظم الإدارية في العصر السلجوقي تطوراً مهولاً[1]، وجاءت إسهامات الوزير نظام الملك من خلال إرسائه لنظام الإدارة في الدولة السلجوقية والمتمثل بتقسيم العمل في الدواوين الإدارية، وتشديد الرقابة والحزم في إدارتها لأنها تتعامل مع مختلف المؤسسات الحكومية الأخرى في الدولة[2].

*** التقسيمات الإدارية في الدولة السلجوقية:**

منذ نشأة الدولة السلجوقية وقيامها سنة ٤٢٩هـ/١٠٧٣م على يد السلطان طغرلبك عمد السلاجقة إلى تقسيم دولتهم إلى ولايات و"أقاليم" إدارية[3] توسعت مساحتها أيام السلاطين العظماء "طغرلبك، ألب أرسلان، ملكشاه"، ومن أشهرها : خراسان وما وراء النهر وأذربيجان والري وأصفهان وهمذان وبلاد فارس والعراق إلى جانب أرمينية وبعض الأقاليم الأخرى[4].

وقد تميزت الإدارة السلجوقية لتلك الأقاليم الإدارية بغلبة الصفة القبلية أو الأسرية "العائلية"، إذ ظهر ذلك وبشكل جليّ وواضح منذ أن اختار السلطان السلجوقي أمراءً ليكونوا حكاماً للأقاليم التابعة لهم، فقد حرصوا على اختيار أمراء سلاجقة داخل إطار أسرتهم السلجوقية[5].

فأعطوا أقاليم الدولة لحكام من أفراد البيت السلجوقي، وأطلقوا عليهم لقب (شاه)[6] إلا أنه ونظراً لاتساع مساحة الدولة السلجوقية في فترات لاحقة فقد عين السلاطين السلاجقة حكاماً

([1])كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٢.

([2]) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٢، بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٨٠.

([3]) أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٥٢، حسنين، إيران والعراق، ص ١٦١، حلمي، السلاجقة، ص ٢١٥.

([4]) حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص ١٦٩.

([5]) بيات، السياسة السلجوقية، ص ١٠٧-١٦٩.

([6]) لقب شاه: لقب قديم أطلقه السلطان المؤسس طغرلبك على حكام الأقاليم السلاجقة ويعني الملك، وهو أقل شأناً من لقب سلطان، وكانوا هؤلاء الملوك يدينون بالولاء والطاعة للسلطان السلجوقي والذي كان هو من يقررّ عزلهم أو بقائهم حكاماً على الأقاليم. انظر الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٨ شلبي، التاريخ الإسلامي، ص٦٤.

للأقاليم من خارج البيت السلجوقي تمتعوا بأحقية تصريف أمور أقاليمهم وفتح ما يرونه مناسباً من بلاد مجاورة وضمّها لحوزتهم شرط الولاء والطاعة للسلطان السلجوقي[١].

وكانت تلك التقسيمات الإدارية للسلطنة السلجوقية تعتمد في تنظيمها على أساس نظام الولايات المرتبطة بالعاصمة المركزية للسلطنة وتخضع لها[٢] وكان حكام الأقاليم يعينون عدداً من الموظفين لمساعدتهم، كما أن السلطان يصدر فرماناً بتعيين كبار الموظفين في العاصمة ونواباً عن إدارات الدواوين وكبار الموظفين في الولايات[٣].

وبقي ذلك النظام متبعاً أثناء فترة قوة الدولة وتماسكها طيلة عهد السلاطين العظام ووصل إلى مراحل متقدمة خلال سلطنة ملكشاه بن ألب أرسلان، الذي اعتمد على وزيره الشهير نظام الملك الطوسي إيما اعتمادٍ في رسم الاصلاحات الإدارية والاقتصادية في الأقاليم التابعة للدولة السلجوقية مما أعطى الدولة القوة والتماسك، ونجد الطوسي يستعمل الأمراء الأكفياء الأمناء فمن صلح منهم بنظره ولاّه ولاية أو إقليماً، ومن رأى فيه الضعف جنبه وأبعده، ولما كانت مقاليد الأمور بيده نراه كان يولي على الأقاليم أفراداً من آل سلجوق أو من أولاده أو أقاربه بعد أن يرى فيه القوة والمقدرة لإدارة شؤون البلاد[٤]، وبالسير على خطى السلاطين العظام في الدولة السلجوقية ثم بسياسة نظام الملك وزير السلطان ملكشاه يلاحظ أن السلاجقة اعتبروا المساحة الشاسعة التي صارت من نصيبهم جراء الفتوحات اعتبروها ملكاً لهم ومن حقهم إقطاع أجزاء منها لمن يشاؤون من أقاربهم وأمرائهم، وهذا ما تم بالفعل خلال عهود السلطنة الأولى[٥].

وقد أشار نظام الملك على السلطان ملكشاه بتطبيق نظام الإقطاع بسبب اتساع أملاك السلاجقة، ووجود عدد كبير من الجند الذي يخدم في الجيش السلجوقي، فقصد توزيع الأراضي على الجنود لاستغلالها بدلاً من إعطائهم مرتبات قد ترهق ميزانية الدولة مع الإبقاء على ملكية

---

(١) حسنين، إيران والعراق، ص ١٦١.

(٢) حسنين،إيران والعراق ، ص ١٤٦.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٥.

(٤) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٥، حلمي، السلاجقة، ص ٢١٥.

(٥) نظام الملك، سياسة نامة، ص ٣٤، بيات، السياسة السلجوقية، ص ٤٢.

الأراضي لأصحابها الأصليين، الأمر الذي أدى إلى زيادة خزينة الدولة والخزينة السلطانية على وجه التحديد[1]، وبعد موت السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[2]، وما نجم عنها من تنازع بين أبناؤه على السلطة، صار حكام الأقاليم مستقلين في إدارة الأقاليم وتصريف الأمور، وصاروا ينحازون للسلاطين بناءً على مصالحهم الشخصية أو ما يحقق لهم زيادة في إقطاعهم[3].

*الوظائف الإدارية في الدولة السلجوقية في العاصمة أصفهان:

أن توافر عدد من الوظائف في الدولة السلجوقية فهو مؤشر هام على وجود أسلوب متبع في العمل الإداري يميزها عن أقرانها من الدول السابقة، وهو بالوقت ذاته مؤشر حقيقي على تقدم الدولة ورقيها ، كما يعتبر مؤشر هام لاستمرارية الحياة الإدارية في الدولة السلجوقية خلال عهود السلطانين بركياروق أخاه محمد أبناء ملكشاة، فالبرغم من الحروب والمنازعات الطويلة التي جرت بينهما ،وجدت وظائف إدارية تتبع لمؤسسات الدولة لم تحظى بالنصيب الكافي من الشرح والإسهاب في الدراسات الحديثة التي تناولت الجانب الإداري في الدولة السلجوقية خلال السنوات ٤٨٥هـ/١٠٩٢م – ٥١١هـ/١١١٧م ،وهو ما ارتأى الباحث ذكره في الصفحات القادمة.

فمع التأكيد مرة أخرى على اعتماد السلاجقة في طبيعة عملهم الإداري سواءً كان ذلك في الوظائف المتعلقة بالدواوين أو غيرها من الوظائف المستقلة على طبقة الكتّاب وعمال الدواوين الذين كان لهم باع طويل في العمل الإداري في دواوين السامانيين والغزنويين والديالمة والبويهيين والخلفاء العباسيين،الأمر الذي اكسبهم الخبرة الكافية ،إلا أن السلاجقة ومن خلال تمرسهم بالعمل الإداري في مراحل لاحقة، وسيطرتهم على بقاع واسعة في شرقي العالم الإسلامي، فإنهم اكسبوا تلك المؤسسات الإدارية معنى جديد فقد تبلور التطور الذي بدأ في أساسيات العمل ما قبل عهد السلاجقة، كما أضافوا بعض عوامل الإثراء الجديدة إلى الموروث الإسلامي والتقاليد ذات المزيج التركي الفارسي في الإدارة، فالسلاجقة الأتراك هم السبب الرئيسي في إضفاء الروح الجديدة للنظام

---

(1) بيات، السياسة السلجوقية ، ص ٤٣-٤٤.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٣، ابن الأثير،الكامل،ج١٠،ص٢١٠،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٥، النويري، نهاية الأرب،ج٢٦،ص١٩٢.

(3) حسنين، إيران والعراق، ص ١٠٠-١١٥.

الإداري[١]، وذلك لأنهم ورغم مذهبهم الإسلامي السني، إلا أنهم كانوا على استعداد دائماً لاقتباس التقاليد والعادات المحلية طالما أنها لا تتعارض ومعتقداتهم الأساسية[٢]، كما أن المساحة الشاسعة التي ضمتها الدولة السلجوقية وما تحتاج إليها مؤسساتها من إدارة ووجود أشخاص مؤهلين ذوو كفاءة عالية أدى إلى ظهور عدد من الوظائف الإدارية في عهد السلطانين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه.

ويمكن دراسة أهم الدواوين التي ضمتها الدولة السلجوقية خلال فترة حكم السلطانين: بركياروق ومحمد على النحو التالي:

أولاً: ديوان الصدارة

أو ما يعرف بـ الوزارة أو الديوان الأعلى وهو أعلى المناصب الحكومية التابعة للدولة، وقد كانت الحكمة من إنشاء الوزارة أن يكون الوزير عوناً للسلطان السلجوقي في ذكر الله تعالى، ونشر العدل والإنصاف بين الرعية في الدولة[٣] ولم تقتصر جهود الوزير في الدولة السلجوقية على النواحي السياسية والعسكرية ففط، بل تجاوزتها إلى النواحي الإدارية والمالية، فقد كان للوزير السلجوقي عدة اختصاصات منها تعيين الولاة في أقاليم الدولة المختلفة وعزلهم منها إذا ما أساء الوالي التصرف، هذا بالإضافة لإشرافهم المباشر على واردات الدولة المالية نفقاتها وتعيين المحتسبين في أسواق الدولة، بالإضافة إلى العمل على الحدّ من استغلال الموظفين والعمال لسطاتهم حتى لا يرهقوا الرعية بالضرائب الفادحة[٤]، وقد تحدثت عنه وعن الوزراء الذين تقلدوا المناصب الرفيعه في سلطنتي كلاً من بركياروق ومحمد.

---

(١) اقبال، تاريخ إيران، ص ٣٩٣.

(٢) رايس، السلاجقة، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٢، إقبال ، الوزارة ، ص٤٧.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص٢٧، نظام الملك، سياسة نامة، ص٥١-٥٢، الزهراني، نظام الوزارة ، ص١٦٧.

ثانياً: ديوان الاستيفاء:

ويشبه في عمله إلى حد كبير وزارة المالية في عصرنا الحالي[1]، و تأتي أهمية هذا الديوان من خلال طبيعة عمله في الجوانب المالية التي تخص الدولة السلجوقية، والمتعلقة بالضرائب وحسابات الدولة بأكملها في جميع الولايات التابعة لها، وما يلزم من تدقيق وإشراف على الامور المالية وبشكل دقيق[2].

ويعيّن صاحب هذا الديوان بمرسوم سلطاني رفيع المستوى يحمل توقيع السلطان[3] ويطلق على الشخص المناط به ديوان الاستيفاء اسم المستوفي[4]، وهو أشبه ما يكون بمنصب المدير المالي للسلطنة برمتها، ونظراً لحساسية موقعه فإنه الرجل الثاني في الدولة السلجوقية إدارياً بعد الوزير، ويتبع للوزير في كل الأحوال[5]، ولا يخرج عن فلكه في ما يخصّ اتخاذ القرارات أو ما شابه ذلك، إلا أنه ونظراً لأهمية الموقع الذي يشغله المستوفي في الدولة يعتقد أنه حظي بأهمية كبيرة خلال عصر السلاطين بركياروق ومحمد نظراً، للالتزامات المالية التي ترتبت على الدولة أثناء النزاعات التي قامت بينهما، أو حتى لمقاومة الخطرين الداخلي والخارجي والمتمثل بالإسماعيلية والفرنج على التوالي.

ولأن المستوفي مناط به نجاح عمل الديوان، واستقرار الدولة واستقامة حالة الجنود[6]، فقد راعى السلاطين السلاجقة منذ نشأة دولتهم أن تتوافر مجموعة من الصفات والمزايا في المستوفي، وقد أخذ بها السلطانين بركياروق ومحمّد في تعيينهم للمستوفي وهي :

أ- حسن السمعة والخلق والتي لا يتم اكتسابها إلا من خلال مخالطته للناس على اختلاف مراتبهم.

---

(1) حلمي، السلاجقة ، ص ٢١٠، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٧.

(2) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٣، أمين، تاريخ العراق، ص ١٩٧، أمين، حسين ، نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر ن مج٢٠ ، ج١، ١٩٦٤، ص ٢١٧-١٨، وسيشار إليه : أمين ، نظام الحكم.

(3) أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٨.

(4) إقبال، الوزارة ، ص ٤٤، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٣، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٦٧.

(5) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٣، إقبال، الوزارة ، ص ٤٤.

(6) إقبال، الوزارة ، ص ٤٨.

ب-أن يكون على قدر كافٍ من الالتزام بأخلاق الدين الإسلامي ومنها الورع، والتقوى.

ج- أن لا تقل خبرته في هذا المجال عن الحد المسموح به، وهو ما يعني الدراية التامة بأسرار الكشوفات والمعاملات والحسابات في الدولة[1].

د- كما اشترط السلاطين فيمن يتولى هذا الديوان أن يكون على قدر عالٍ من الأخلاق الرفيعة في تعامله مع السلاطين بما يحفظ لهم الانقياد والطاعة وموفور الاحترام[2].

ومن أبرز مهام المستوفي (إدارة جميع أموال الديوان، ضبط الدخل المنصرف والحسابات المتعلقة بالجيش السلجوقي، والإشراف على موظفو الديوان بدون استثناء)[3].

ومن الطبيعي أن ينوب عن المستوفي أشخاص يتوزعون في الولايات التابعة للدولة السلجوقية، يطلق عليهم "نواب المستوفي" أو وكلاء المستوفي [4].

ومن أبرز مهام هؤلاء النواب:

١) ضبط أوراق المدخولات والمصروفات.

٢) ضبط الخراج والضرائب والزيادات والعلاوات وإرسال نسخة مهنية إلى الديوان.

٣) إن تتطابق كشوفات هذا النائب عن أعمال الولاية المكلف بها مع أوراق العمال الذين يعملون تحت أمرته، وفق ما تمّ تسجيله في دفاتر الديوان[5].

---

(1) إقبال، الوزارة ، ص ٤٨، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٨، الشياب، عبدالله ، محاولات الإصلاح في العصر العباسي، فترة السيطرة البويهية والسلجوقية (٣٣٤ – ٥٩٠ هـ/٤٩٠ – ١١٩٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠١٠، ص ٧٦، أمين، نظام الحكم، ص ٢١٨.

(2) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٢- ٨٨، إقبال، الوزارة، ص ٤٨-٤٩، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٨.

(3) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٢-١٠١،أمين، تاريخ العراق، ص ١٩٨، إقبال، الوزارة ، ص ٢٠.

(4) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٢-١٠٢، إقبال، الوزارة ، ص٥٠، عاشور، ذهبية ، إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي ٤٢٩- ٥٥٨هـ/ ١٠٣٧- ١١٦٢، رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٧ ، ص ١٢٤، وسيشار إليه : عاشور، إقليم ما وراء النهر .

(5) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٢-١٠٤، إقبال، الوزارة، ص ٥٠.

وقد جاءت تأكيدات مستمرة من الديوان السلطاني في الدولة السلجوقية على أهمية عمل العمال والنواب في الولايات، فيذكر أحد النصوص السلطانية والذي يعود لسنة ٥٣٧هـ/ ١١٧٦م مايلي:

".... فلا ينبغي أن يخفى عنهم شيئاً كثير كان أم قليل من أموال المملكة، فيطلعونه على النفير والقطمير ويفصّل المحاسبات ويراجعها"[١].

كما كان السلاطين السلاجقة يوصون المستوفين ونوابهم وعمالهم في كافة الولايات أن يحسنوا معاملة الناس، وعدم ظلمهم، كما أصدر السلاطين تعليماتهم الواضحة للمستوفين بضرورة الاستفسار الدائم والمتابعة الحثيثة عن سير عمل العمال في المناطق التابعة للدولة تاركين لهم حرية عزلهم في حال التقصير[٢].

ويمكن القول بإنّ الأموال التي يقوم المستوفي بتحصيلها توضع في خزينة خاصة للمال تعرف "بخزينة بيت المال الرئيسي أو بيت مال العاصمة[٣]، أما إذا أرادت الدولة الإنفاق على دفع أرزاق الجنود مثلاً، أو المكافآت والهدايا السلطانية فإن ذلك المال يصرف من خزينة مخصصة للإنفاق تعرف بـ "بيت مال النفقات"[٤].

ديوان الاستيفاء في عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه وأهم المستوفين في عهده :

بما أن المستوفي يتبع رسمياً للوزير، فإنه ومن خلال القراءة في أسماء من تولى الوزارة للسلطان بركياروق منذ سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م فإن الوزير عز الملك بن نظام الملك كان قد أسند منصب المستوفي إلى الأستاذ علي القمي[٥]، الذي تولّى ديوان الاستيفاء وكان ملازماً لوزير السلطان بركياروق عز الملك، وحقق إنجازات مثالية في الإشراف على الديوان وتحصيل الأموال اللازمة للسلطان، لا سيما وحاجته الماسة لها لصراعه مع أخوه محمود وعمه تاج الدولة تتش بدءً

---

(١)إقبال، الوزارة، ص ٤٩، أمين ، نظام الحكم ، ص٢١٧-٢١٨.

(٢) نظام الملك، سياسة نامة، ص٥٨، إقبال ، الوزارة ، ص٤٩-٥٠.

(٣) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٢-١٠٥، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٤.

(٤) كلاوستر ، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٤.

(٥)علي القمّي: هو علي بن أبي علي القمي، شغل وظيفة مربّي للسلطان بركياروق لفترة من الوقت ،وقد تمتع الأستاذ علي بكفاءة عالية في عمله ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤، إقبال، الوزارة، ص ١٦٣.

منذ سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وحتى نهاية سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م [١]،ومع زوال الوزارة لعز الملك وتولي مؤيد الملك الوزارة بدلاً من أخيه في ذي الحجة من سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤[٢]، كان أول قرار اتخذه الوزير الجديد مؤيد الملك تعيين مجد الملك القمّي رئيساً لديوان الاستيفاء[٣] لكفاءته وصلاحه وخبرته في العمل، إذ كان هذا القمي نائباً لرئيس ديوان الاستيفاء أيام السلطان ملكشاه[٤].

إلا أن شراكة مؤيد الملك ومجد الملك القمّي البلاسيني لم تستمر طويلاً ذلك أن مجد الملك القمي شعر بعدم ارتياح في العمل مع مؤيد الملك، هذا من جانب. ومن جانب آخر فإن بقاءه بجانب وزير محنك قوي بحجم مؤيد الملك بن نظام الملك لن يحقق أطماعه في الوصول لمنصب الوزارة الذي كان يطمح إليه[٥] ومن الأسباب الهامة الأخرى التي أدت لفتور العلاقة بينهما أن والدة السلطان بركياروق، قد حرضت ابنها على عزل مؤيد الملك من الوزارة، وعندما عرف مؤيد الملك بذلك تيقنّ من وجود دورٌ كبير لمجد الملك القمي بعزله[٦]، وعندها بدأت العداوة والبغضاء بينهما واضحة للعيان، فتوجه مجد الملك القمي لتولي وزارة زبيدة خاتون والدةالسلطان بركياروق [٧].

وعندما آلت الوزارة في سلطنة بركياروق لفخر الملك بن نظام الملك من سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥حتّى (٤٩٠هـ/١٠٩٧)[٨]، كان فخر الملك وزيراً شكلياً ليس له من الأمر والنهي أي شيء ذلك أن مجد الملك كان بمثابة الوزير الفعلي للسلطان بركياروق وهو في الوقت ذاته يشغل

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦١٠ ، ج١٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٦٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٦، إقبال، الوزارة، ص ١٦٨، حسنين ،سلاجقة إيران والعراق، ص ٩١.

(٤) إقبال، الوزارة ، ص ١٦٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٢، إقبال، الوزارة ، ص ١٦٨

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٢، إقبال، الوزارة، ص ١٦٨.

(٧) عقلة، المرأة والسلطة، ص ٧٩٧، إقبال، الوزارة ، ص ١٦٨.

(٨) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٤ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٢، إقبال، الوزارة، ص ١٦٨.

منصب وزير أم السلطان زبيدة خاتون ومنصب الرئاسة في ديوان الاستيفاء[1].ثم تولّى مجد الملك القمي الوزارة للسلطان بركياروق وعمل بها لمدة عامين، استولى فيها على كل شؤون السلطنة، وبقي على قيد الحياة إلى أن تمكن مؤيد الملك من الانتقام منه وقتله في الثامن عشر من سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[2]، أما عن ديوان الاستيفاء في عهد مؤيد الملك فيذكر أنوشروان بن خالد القاشاني أن مجد الملك القميّ كان من أفضل المستوفين وأمهرهم في زمن السلطان بركياروق وقام بعمل جبّار في حفظ القوانين وتدبير الدواوين وضبط الحسابات التي عادت بالنفع على ديوان الاستيفاء ويصفه بكلمات في غاية الدقة، حيث يقول: " لم يكن لأحدٍ من السلاطين مستوفٍ كأبي الفضل في الضبط والتحفّظ ، والذكر والتيقّظ وحفظ القوانين وتدبير الدواوين، وكان أيضاً ملجأ لفضلاء الزمان، وموسعاً عليهم بالإحسان[3].

وخلال توليّ الوزارة لكلٍ من الدهستاني والميبذي في سلطنة بركياروق لم تذكر المصادر التاريخية وجود مستوفي يقوم بالأعمال المالية في الديوان، وإنما تذكر تلك المصادر تعيين السلطان بركياروق سديد الملك أبو المعالي[4]، مشرفاً على كافة أعماله في الدولة السلجوقية من حيث متابعة تحصيل الأموال والضرائب والنفقات وغير ذلك من أمور مالية[5]، ويبدو أن تلك المهام تحولّت لموظف ىخر يقوم بنفس أعمال المستوفي ، وبقي سديد الملك في منصبه مشرفاً على كافة الدواوين حتى وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م.

يتضح من خلال ما ذكرناه من حديث حول ديوان الاستيفاء في عهد السلطان بركياروق، أن الديوان ومنذ بداية عمله في الدولة خلال سلطنة بركياروق كان منشغلاً بجمع الأموال والضرائب

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٩، إقبال، الوزارة ، ص ١٦٨، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٦٢.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٠، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج٤، ص ١٣٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ١٨٠.

(3) ابن البلخي، فارس نامه ، ص٥، إقبال، الوزارة ، ص ١٦٩ – ١٧٠.

(4) سديد الملك: هو سديد الملك أبو المعالي بن عبدالرزاق، تولى الوزارة في عهد الخليفة المستظهر بالله سنة٤٩٢هـ/١٠٩٨م وعزل منها سنة ٤٩٦هـ/ ١٠٩٨م، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٢، ص ٣٧٧.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٧، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٦٢.

من الناس ليضاف ذلك المال المجموع إلى ما كان يتحصل عليه السلطان من مساعدات مالية من دار الخلافة، ناهيك عن ما كان يستولي عليه جنود السلطان بركياروق من خلال السلب والنهب من سكان المناطق التي كان يتواجد بها السلطان بركياروق ما بين العراق و بلاد فارس أثناء نزاعه مع أخويه محمد وسنجر، ونضرب مثالاً حياً على ذلك ما ذكرته بعض المصادر التاريخية في أخبار سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م عمّا فعله جنود السلطان بركياروق من مد أيديهم لأموال الناس وسلبهم ونهبهم لهم في بغداد. واستيلائهم على أموال الخاصة وعلية القوم في بغداد حتّى أن قاضي جبلة ابن صليحة[١] لم يسلم من أذاهم .

ديوان الاستيفاء في عهد السلطان محمّد بن ملكشاه وأهم المستوفين في عهده:

كان أول مستوفٍ في ديوان الاستيفاء خلال حكم السلطان محمّد بن ملكشاه هو الوزير سعد الملك أبو المحاسن "الآبي"[٢]، وكانت كفاءة هذا الأخير قد ظهرت أثناء عمله في الديوان السلطاني، إذ عمل مع الوزير تاج الملك أبو الغنائم الشيرازي[٣]، وعندما آلت الوزارة لمؤيد الملك بن نظام الملك في شوال سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩[٤]، اختاره رئيساً لديوان الاستيفاء برضا السلطان [٥].

وخلال عمله في ديوان الاستيفاء استمر عمل سعد الملك الآبي على نفس الوتيرة والثبات في الأداء التي كان يعمل فيها مع تاج الملك في الديوان السلطاني ونال على مديح عدد من الشعراء السلاجقة منهم المعزي[٦]، إذ يقول:

لقد أضاف مدح الأجل سعد الملك إلى صفاتك الرفعة والتقدم والسؤدد[٧]

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٧-٣٠٨،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٥.

(٢)ابن الأثير، الكامل ، ج ١٠، ص ٤٣٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٧.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٠، ابن الأ ثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧-٢٨٨ ، إقبال، الوزارة، ص ١٩٦.

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٧، كلاوستر، دراسة في إدارة المدينة، ص ٢٦٢، إقبال، الوزارة ، ص ٢٢٧.

(٦) المعزّي: أحد شعراء السلاجقة الذين كانوا مقربين من السلطان محمد بن ملكشاه ، وكان يتردد كثيراً على الدووايين السلطانية، اقبال، الوزارة، ص٢٢٨

(٧)إقبال، الوزارة ، ص ٢٣٢.

ونظير جهوده الواضحة وأعماله الجليلة في رفعة الدولة وتقدمها ولما يمتاز به من الكفاية وحسن التفكير والدراية اختاره السلطان محمد للوزارة في محرم سنة٤٩٨هـ/١١٠٤م .[١].

وخلال توليّ الوزارة كلٌ من نصير الملك محمد بن مؤيد الملك[٢] وخطير الملك الميبذي وسعد الملك أبو المحاسن الآبي، بين سنتي ٤٩٤/١١٠١ – ٥٠٠هـ/١١٠٧م أسند ديوان الاستيفاء لزين الملك أبو سعد بن هندو[٣] الذي عمل به حتى وزارة ضياء الملك أحمد بن نظام الملك[٤].

وعندما تسلم أحمد بن نظام الملك الوزارة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م ارتأى بثاقب نظره وحنكته إسناد ديوان الاستيفاء لخطير الملك الميبذي[٥]، والذي تشير إليه بعض المصادر التاريخية بصاحب الوزارة في عهد السلطانين محمد وبركياروق، فقد وزر لهما في فترات تاريخية مختلفة[٦].

ورغم استيزار السلطانين السلجوقيين بركياروق ومحمد لخطير الملك أثناء فترات صراعهما، إلاّ أن أنوشروان بن خالد أحد المقربين للسلطان محمد وعامله الخاص على خزينته يصفه بالجهل وعدم الكفاية الكاملة[٧].

لدرجة أن أحد الشعراء الفرس وهو أبوطاهر الخاتوني[١] نظم أبياتاً شعرية هجى فيها في ذلك الوزير المستوفي خطير الملك منذ أن كان وزيراً في السابق وبعد عمله مستوفياً، حيث يقول الشاعر الخاتوني:

([١])ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١١،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص٥٣٤ ، إقبال، الوزارة ، ص ٢٢٧.

([٢]) يذكره الحسيني باسم نصر بن مؤيد الملك، زبدة التواريخ، ص ١٦٠، ويذكره البنداري بنفس الاسم، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٠، فيما يذكره إقبال وفي معرض حديثه عن الوزارة في عهد السلطان محمد باسم نصير الملك، إقبال، الوزارة، ص ٢١٩.

([٣]) زين الملك أبوسعد بن هندو: صاحب ديوان الاستيفاء في عهد الوزراء الثلاثة نصير الملك وخطير الملك وسعد الملك لم يكن ذو أصل ثابت في الحسب والنسب، أخذ الأموال جزافاً تم إلقاء القبض عليه ونهبت دوره، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٠.

([٤])كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٢٦.

([٥]) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٩٠، إقبال، الوزارة، ص ٢٣٢، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٢٢٧.

([٦])ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص، إقبال، الوزارة ، ص ٢٢١.

([٧]) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٠٠، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٩٠.

كان حماراً وزيرنا ومضى	فما يملك السلطان من خلل
لكنما في صدور دولتنا	ليس لهذا الحمار من بدل[٢]

ومن الملاحظ هنا عدم اعتماد السلطان محمد بن ملكشاه على عمل خطير الملك في ديوان الاستيفاء بمفرده لما لهذا الديوان من أهمية بالغة في تحصيل الأموال وتدقيق الحسابات ومتابعة المدخولات والنفقات التي تحتاجها الدولة.

لذا فقد كان الصفي القمي[٣] مساعداً لخطير الملك كما أن السلطان محمد كان لا يركن كثيراً لعمل خطير الملك ومساعده، يمكن أن يستشف ذلك من خلال نص تاريخي يوضح تعيين السلطان محمد لموظف مسؤول عن الخزانة السلطانية، وهو تقليد سار عليه سلاطين السلاجقة منذ سلطنة طغرلبك، حيث يذكر ابن الأثير قصة إرسال السلطان محمد لانوشروان بن خالد إلى همذان لاستلام مبلغاً مالياً ضخماً بلغ حوالي ٧٠٠,٠٠٠ دينار وذلك كنوع من الدعم والمساندة للتصدي للمؤامرات التي حيكت ضد السلطان محمد بعد صفاء السلطنة له سنة ٤٩٨هـ /١١٠٤م [٤].

وخلال السنوات السبع الأخيرة من حياة السلطان محمد بن ملكشاه والتي تعاقب فيها على منصب الصدارة أو الوزارة خطير الملك الميبذي وأنوشروان بن خالد فقد كانت مهمة الاستيفاء من نصيب معين الدين مختص الملك[٥]، ثم تبعه سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م كمال الملك[٦].

---

(١) أبو طاهر الخاتوني: هو أحد الأدباء والشعراء السلاجقة، كان مقرباً في الديوان السلطاني، وله اتصال وعلاقة بصاحب السلطان محمد خالد أنوشروان، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٩٠-٩١ إقبال، الوزارة ، ص ٢٢٤.

(٢) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٩-١٠٠،إقبال، الوزارة ، ص ٢٢٤.

(٣) الصفي القمي: هو أبو الحسن الصفي القمي أبوالفضل، يعتقد أن يكون من نفس بلدة براوستان التي خرج منها وزير السلطان بركياروق مجد الملك أبوالفضل أسعد، عمل الصفي القمي نائباً لخطير الملك حتى سنة ٥٠٤هـ/١١١١م، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٥، ص٧٠، كلاوستر، دراسة في إدارة المدينة، ص ٢٢٧.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٥، البنداري ،مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٤-٩٥،كلاوستر، دراسة في إدارة المدينة ، ص ٤٤.

(٥) معين الدين مختص الملك: هو أبو النصر الفاشي عمل في ديوان الاستيفاء خلال آخر سنوات حكم السلطان محمد، البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٢.

(٦) كمال الملك: علي بن أحمد السميرمي ، يعرف بذلك الاسم نسبة لمدينة سميرم قرب أصفهان، تولى ديوان الإشراف في وزارة خطير الملك من سنة ٥٠٤هـ-٥١١هـ، وعمل مستوفياً في وزارة ربيب الدولة أبو منصور سنة

ورغم أهمية ديوان الاستيفاء في عهد السلطان محمّد بن ملكشاه وحرصه، على اختيار الرجال أصحاب الكفاية لرعاية الدولة وأموالها إلا أن بعضاً من المؤرخين ومنهم أنو شروان بن خالد القاشاني يصف وصفاً لرجال دولة السلطان في هذا الديوان يشير إلى افتقارهم للكفاءة المطلوبة لتوليّ هكذا مهمة، حتى نجده يبالغ في وصف ذلك بالقول :

"قد كثر تعجّبي من السلطان محمد تراه يتأنق في تخيّر كلاب الصيد وفهوده فيقتني منها ما يراه موافقاً لمقصوده فيسأل عن فروعه وأصوله، فما باله لا يتخيّر لديوانه ومراتب سلطانه من الكفاءة الأفاضل والصدور الأماثل"[1].

ثالثاً: ديوان الطغراء[2]:

لا يقل ديوان الطغراء أهمية عن غيره من الدواوين في الدولة السلجوقية نظراً لارتباط صاحبه أو من يقوم بالإشراف عليه بالسلطان[3]، ويطلق على ذلك الشخص لقب الطغرائي[4].

وتتلخص أهمية ذلك الطغرائي باعتباره وزيراً خاصاً للسلطان يرافقه في حله وترحاله أثناء الصيد وغيره، حيث يطلب السلطان وجوده معه دونما حضور للوزير (خواجه بزرك) رئيس ديوان

٥١١هـ/١١١٧م ، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ١٠٦، ١٠٧، إقبال، الوزارة ، ص ٢٢٦، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٢٢٧.

(١) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٤.

(٢) الطغراء: كلمة أصلها تركي جاء بها السلاجقة إلى بلاد فارس حينما استولوا عليها وتعني الخط المقوس الذي يعلو البسملة، وقد تبناه الأتراك كنوع من الختم المميز لهم في أوراق الفرمانات والمنشورات الخاصة بالسلطان، كما وتذكر بعض المصادر التاريخية أن أصل الكلمة فارسي وترسم على مناشير السلطان ومسكوكاته وتدل الطغراء على السيادة للسلطان السلجوقي، وصانع تلك الإشارة أو الرسم يعرف بطغراء حكمت، ويختلف تصميم تلك الطغراء باختلاف السلاطين السلاجقة، المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، تحقيق : خليل المنصور، دار الكتب العلمية ن بيروت ، ط١، ج٢، ٢٠٠٣، ص٢٢٦، وسيشار إليه : المقريزي ، الخطط ، إقبال، الوزارة، ص ٥٢، رايس، السلاجقة، ص ١٥٥، بارتولد، تاريخ الترك، ص ١١٩، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص٤٥.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص٢٢٦،إقبال، الوزارة، ص ٤٤، أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٧٣.

(٤) إقبال، الوزارة ، ص ٥٢، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٥، أمين، نظام الحكم ، ص ٢١٦.

الصدارة[1]، كما أنه يحظى بامتيازات أخرى هامة، إذ تنتقل إليه صلاحيات الوزير (خواجه) إذا ما حدث طارئ معين وغاب ذلك الخواجه عن عاصمة السلطنة لأي سبب كان[2]،كما أن ذلك الطغرائي وبحكم موقعه الهام في الديوان السلطاني يتعامل مع السلطان ومع الوزير بصورة مباشرة فهو الشخص المختص وحصرياً بتوصيل الرسائل للسلطان وهو من يصدر الأوامر الموقعة بتوقيعه والممهورة بخاتمة والمزينة بشعاره[3]، ونظراً لأهمية المنصب الذي تمتع به الطغرائي، فقد جعل له نائباً ينوب عنه في تصريف أعمال وظيفته في عاصمة الدولة السلجوقية، في حالات معينة منها تواجد الطغرائي في رحلة قنص أو ما شابه ذلك من أمور[4].

ولما كان لموقع الطغرائي من حساسية بقربه من الحضرة السلطانية كان من الطبيعي أن يلتفت السلاطين السلاجقة لتوفر خصائص معينة في شخصية صاحب الديوان، يمكن استخلاصها على هيئة نقاط فيما يلي:

أ. أن يكون على درجة عالية من الثقافة والمعرفة.

ب. أن تتوافر صفة الدقة والحنكة فيه، فلا يصدر عنه فكرة تعليق أو إضافة شيء على منشور سلطاني دونما تفكير صائب يوصله للرأي الذي يعجب السلطان[5].

ج. التفرغ التام لعمله لعدم وجود معوقات تحول دون إتمام عمله على الوجه الأكمل والأنجع[6].

د. توافر أعلى درجات الكتمان والسرية والأمانة في شخصه لما لموقعه من أهمية بالغة في الاطلاع على المراسيم والشروط التي تتضمنها تقاليد الإدارة السلجوقية [7].

---

(1) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٢، باشا، عزام ، النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي ٤٣٢- ٤٨٥هـ/١٠٤٠ -١٠٩٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة ام القرى ، ١٩٨٧، ص١٦٢، وسيشار إليه : باشا ، النظام الإداري .

(2) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٢،إقبال، الوزارة ، ص ٤٤.

(3) حلمي، السلاجقة، ص ٢١٠ – ٢١١، ابو النصر ، السلاجقة، ص٢٧٣.

(4) المقريزي، الخطط ، ج٢، ص٢٢٦، إقبال، الوزارة، ص٥٣-٥٤.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤٣-٤٤،أمين، تاريخ العراق، ص ١٩٥.

(6) المقريزي، الخطط، ج٢، ٢٢٦-٢٢٧، أمين، نظام الحكم، ص ٢١٧-٢١٨.

(7) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٦، حلمي، السلاجقة ، ص٢١١، أمين، تاريخ العراق، ص ١٩٥.

ومن أبرز مهامّ الطغرائي أيضاً حمل أختام السلطنة واستصدار الأوامر السلطانية التي تصدر عن حضرة السلطان السلجوقي بكتابتها على الورق المعدّ لتلك الغاية، كما أنه قد حظي بإسناد مهمة تعيين وجوه الأرزاق ورواتب الخدم والحشم في الديوان(١).

ديوان الطغراء في عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه:

كما كان تعيين صاحب الديوان مرتبطاً بالوزير الخادم للسلطان في ديوان الاستيفاء، فإن تعيين صاحب ديوان الطغراء ارتبط كذلك بوزير السلطان، وقد أشارت بعض المصادر إلى وزير السلطان بركياروق عز الملك بن نظام الملك تعيين أخاه عبدالرحيم رئيساً لديوان الطغراء(٢).

ولم تشر بعض المصادر التاريخية إلى ذكر رئيس الديوان التالي لعبد الرحيم، إلا أن كلاوستر تقترح تسمية مجد الملك القمّي البلاسيني لذلك المنصب في وزارة مؤيد الملك، وذلك بناءً على ما تمتّع به مجد الملك الملك القمي من نفوذ وتحكمّ في دولة السلطان بركياروق، كما أن بعضاً من المصادر يشير لعمل أنوشروان بن خالد القاشاني في ديوان الرسائل التابع لهذا الديوان لا سيما أثناء وزارة مؤيد الملك للسلطان بركياروق (٣).

وأؤيد ما جاءت به كلاوستر، وذلك لأن ابن الأثير وفي معرض حديثه عن الأحداث في الدولة السلجوقية سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، يصف حال مجد الملك بالمستولي على كافة الأمور في الدولة السلجوقية في عهد السلطان بركياروق(٤).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص٤٤، إقبال، الوزارة، ص ٥٢ -٥٣، أمين، نظام الحكم، ص ٢١٧.

(٢) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٢، إقبال، الوزارة، ص ١٦٣، تذكره كلاوستر بإسم عبدالرحمن، انظر كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٢٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٩، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٢٦، إقبال ، الوزارة ،ص٢٥٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٩، ص ٢٦٣.

ديوان الطغراء في عهد السلطان محمد بن ملكشاه :

تولىّ رئاسة ديوان الطغراء خلال فترة حكم السلطان محمد بن ملكشاة (٤٩٢هـ/١٠٩٩م – ٥١١هـ/١١١٧م) عدد من الأشخاص يمكن إجمالهم فيما يلي:

١) مؤيد الملك بن نظام الملك الذي استولى على الأمور في عهد السلطان فلم يجد السلطان محمد اكفأ وأفصح من مؤيد الملك ليتولّى هذا الجهاز الإداري[1].

٢) مؤيد الدين الطغرائي وقد تولىّ هذا المنصب خلال وزارة نصير الملك محمد بن مؤيد الملك منذ سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م – ٤٩٥هـ/١١٠٢م[2].

٣) معين الدين مختص الملك أبو النصر أحمد ابن فضل الكاشي[3].

٤) الأمير العميد[4]، وقد تولى رئاسة ديوان الطغراء بدأً من سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩ م وبقي بها حتى سنة (٥٠٤هـ-٥١١هـ)[5].

٥) أبو إسماعيل الطغرائي، وقد تولىّ ديوان الطغراء منذ سنة٥٠٩هـ/١١١٥م وبقي فيه حتى وفاة السلطان محمّد سنة ٥١١هـ/١١١٧م[6].

وبما أن ديوان الطغراء قد تفرّع عنه ديوان الإنشاء، فإن كلا الديوانين كان لهما بصمات واضحة خلال عهد السلطان محمد بن ملكشاه، يمكن ملاحظتها وعلى سبيل المثال في أعقاب انتصار السلطان محمّد على الإسماعيلية – الباطنية واستخلاص قلعة شاهدز – أصفهان منهم سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م[7]، فبعدما هدم السلطان محمّد القلعة وأراح العالم منها ومن شرّ الإسماعيلية

---

(١) إقبال، الوزارة، ص ١٩٨.

(٢) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٠ إقبال، الوزارة، ص ٢٥٣.

(٣) إقبال، الوزارة، ص ٢٢٠، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٢٠.

(٤) الأمير العميد: هو محمد الجوزاني كان صادقاً، أميناً في رئاسته للديوان، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩١، .

(٥)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٩-١٠٣، إقبال، الوزارة ، ص ٢٢١-٢٢٤، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٢٢٧.

(٦) كلاوستر، دراسة في إدارة المدينة، ص ٢٢٧.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٨٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٠-٤٣٤، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٨ – ٨٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨.

الباطنية الشيعة أمر موظفو الديوان بإنشاء كتاباً أرسله لكافة أعماله وولاياته في الدولة ليقرأ على المنابر[1] كما أرسل نسخة للخليفة المستظهر يزفّ له البشارة بانتهاء خطر قلعة شاهدز[2].

وقد جاءت صيغة الكتاب الذي صدر عن الديوان على النحو التالي:

"وفتحنا قلعة شاه دز الذي شمخ بها الباطل وبذخ، وباض فيها الشيطان وأفرخ، وكانت قذى في عيون الممالك وسبباً إلى التورط بالمسلمين في المهاوي والمهالك..."[3].

رابعاً: ديوان الإشراف

حرصاً من السلاجقة على ضبط الحسابات على أكمل وجه، خاصة في وجوه المعاملات المالية وفصل النفقات التي تدفعها الدولة عن غيرها، وتدقيق مجاميع الواردات والمصروفات، أو بصيغة أخرى عمل موازنة بينهما[4]، من أجل ضبط الحسابات وإثبات الداخل عن الخارج[5].

أنشأ السلاجقة ديواناً عرف بديوان الإشراف، يمكنني القول عنه ومن خلال القراءة في طبيعة عمله أن العلاقة بينه وبين ديوان الاستيفاء ترابطية تكميلية،أو تكاملية فهو يتمم عمل ديوان الاستيفاء من حيث المبدأ وطبيعة العمل والتنفيذ[6].

وقد أسند السلاجقة رئاسة هذا الديوان لشخص موثوق في البلاد يطلق عليه اسم المشرف[7]، وقد أسس السلاجقة هذا الديوان ليكون مقرّه الدائم في العاصمة (مركز السلطنة) والتي اختلفت بإختلاف السلاطين وتعاقبهم فكانت ومنذ سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م أصبهان[8]. ولهذا الديوان فروع في كافة ولايات الدولة السلجوقية تتبع له من حيث تنفيذ الأوامر والقيام بالواجبات المالية الموكلة إليهم، ويطلق على اسم الشخص الذي يتولّى رئاسة فرع ديوان الإشراف في الولايات اسم

---

(١)سبط ابن الجوزي، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ج٢٠، ص ٩.

(٢)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٤، حمادة، الوثائق السياسية والإدارية ، ص ٤٣١.

(٣)ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٤٥-٢٥٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠، ص٩.

(٤)أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٩، أمين، نظام الحكم ، ص ٢١٨.

(٥) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٠٤-١٠٥ ، إقبال، الوزارة ، ص ٥٥.

(٦)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٦٢-٦٣، أمين، نظم الحكم، ص ٢١٨.

(٧)إقبال، الوزارة ، ص ٥٥، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٩، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ص ٤٦.

(٨)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٦٥.

نائب المشرف[١]، وعمله أشبه ما يكون بمثابة رئيس التفتيش المالي، وهو أشبه ما يكون بمدير الرقابة والتفتيش المالي في عصرنا الحالي .

أما عن طبيعة عمل المشرف ونائبه، فهما يعتبران مسؤولان عن كل ما يدخل ويخرج من الدركاه[٢]، او ما يعرف بالقصور السلطانية من أجل تحقيق الهدف المنشود وهو التوازن بين النفقات والواردات[٣]، كما أنه يطّلع على جميع الأمور التي ترد البلاط السلطاني ويقوم بإعداد التقارير المالية، بالإضافة إلى تولّيه مهمة الإشراف على الزراعة والأحوال العامة لكافة ولايات الدولة[٤]، فيما يكون النواب في الولايات بمثابة وكلاء في تحصيل الأموال والضرائب بالإضافة لبقية الأعمال الأخرى المتعلقة بالرقابة المالية[٥].

وكغيره من الدواوين فقد اشترط على من يتولى مهمة رئاسة ديوان الإشراف عدة شروط يمكن إيجازها ب:

أ. الإحاطة التامة بأمور المعاملات المالية ومقتضاياتها.

ب. الشهامة والكفاءة في عمله لكسب ثقة السلاطين السلاجقة [٦].

ج. حفظه للمال بأمانته وصدقه، لما للمال من أهمية في بقاء السلطنة والملك، فقد قيل المال حسن السلطان ومادة الملك[٧].

أما بالنسبة لرئاسة ديوان الإشراف في عهود السلاطين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه وبدأً من سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) حتى (٥١١هـ/١١١٧م) فإن بعضاً من المصادر والمراجع التاريخية لا

---

(١)إقبال، الوزارة، ص ٥٥، أمين، نظام الحكم، ص ٢١٨.

(٢) دركاه: لفظ أطلقه السلاجقة على القصور السلطانية التي يقيم بها السلاطين وزوجاتهم، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٦.

(٣) أبو النصر، السلاجقة، ص ٣٧٦، عبدالفتاح، مواهب، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأتراك، ص ٨٧.

(٤) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٠٤، كلاوستر: دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٦.

(٥) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٦، باشا، النظام الإداري، ص ٢٤٦، إقبال، الوزارة، ص ٥٥.

(٦)إقبال، الوزارة ، ص ٥٥.

(٧) ابن الأزرق، أبوعبدالله محمد (ت ٨٩٦هـ/١٤٩١ م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي الشناق، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ج١، ١٩٧٧، ص ٢٠٥، إقبال، الوزارة ، ص ٥٥.

تشير إلى اسماء من تولّى رئاسة الديوان في بدايات سلطنتهم، ومن المحتمل أن يكون هذا الديوان وما يتبع له من موظفين قد ألحق بديوان آخر لا سيما أثناء فترات الصراع بين الأخوين بركياروق ومحمّد ، لإنه ومن غير المعقول أن تنشئ الدولة دواوينها في العاصمة والأقاليم الأخرى دون أن توكل أمر الإشراف عليها لموظفين يعينهم السلطان السلجوقي أو من ينوب عنه، إلا أنّ بعض المصادر جاءت لتشير فيما بعد ومنذ بداية سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م تولّي سديد الملك أبو المعالي منصب رئاسة الديوان[١] فقد كان مختاراً من قبل الوزير خطير الملك الميبذي أثناء وزارته للسلطان بركياروق في آواخر عام ٤٩٥هـ/١١٠٢م حتى ربيع الآخر من سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م.[٢].

كما أن المعلومات المتوفرة لدينا حول رؤساء هذا الديوان خلال عهد سلطنة بركياروق ومحمد تشير كذلك لاختيار خطير الملك المبيذي عندما تسلم وزارة السلطان محمد للمرة الثانية (٥٠٤هـ/١١١١م – ٥١١هـ/ ١١١٧م) لكمال الملك السميرمي ليكون رئيساً لديوان الإشراف[٣].

وبقي كمال الملك في منصبه حتى وفاة السلطان محمد سنة ٥١١هـ/١١١٧م[٤] وحتى وبعد أن مات السلطان وأسندت الوزارة لربيب الدولة أبو منصور لمدة عام (٥١١ – ٥١٢هـ/ ١١١٧ – ١١١٨م) فإنّ كمال الملك السميرمي أصبح رئيساً لديوان الاستيفاء، ولا عجب في ذلك إذا ما علمنا أن كمال الملك قد تمتع بالكفاية والأمانة منذ أن عمل في وزارة كهر خاتون، وتولّى جميع أمورها في الديوان[٥]، كما أن اختيار الوزير خطير الملك الميبذي لكمال الملك ليساعده في ديوان الإشراف مرّتين يقودنا للبحث في شخصية هذا الوزير،ومن خلال ما نقله لنا المؤرّخ البنداري المتخصص في تاريخ الدولة السلجوقية، أمكنني أن استشف ضعفه وعدم مقدرته على إدارة أمور

---

(١) سديد الملك: أبوالمعالي عضد الدين مفضّل بن عبدالرزاق بن عمر، عارض جند ملكشاه ورئيس ديوان إشراف السلطان بركياروق سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص١٠٨، إقبال، الوزارة ، ص ١٤٢، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ،ص ٢٢٦.

(٢) إقبال، الوزارة، ص٢٢٣.

(٣)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٦، إقبال، الوزارة، ص ٢٥٦، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدينة، ص ٢٢٧.

(٤) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٨.

(٥)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٠٦–١٠٧، إقبال، الوزراة ، ص ٢٥٦–٢٥٧.

وزارته والدواوين التابعة لها،إذ يصفه بالرجل السمين مليئ الجسم كالتابوت ذو العقل الوهن، إضافة إلى جهله وغباءة[١].

ومع تلك الصفات التي تمتع بها الوزير الميبذي، يخلص للقول بأنه كان غير قادراً على إدارة وقيادة مؤسسة الوزارة والمؤسسات التابعة لها لذا فقد استعان بمن يساعده في العمل الإداري.

خامساً: ديوان عرض الجيش:

منذ تأسيس الدولة السلجوقية على يد السلطان طغرلبك سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ونظراً لبداوتهم وتأثرهم بالنظام القبلي فقد حرص السلاجقة على الاهتمام بالجيش الذي اعتبروه سبب قوتهم في مشرق العالم الإسلامي من خلال ما تم لهم من انتصارات مؤزرة على الغزنويين[٢].

ولتأكيد اهتمامهم بالجيش فقد أسس السلاجقة ديواناً يعنى بالجيش بكافة تفصيلاته أطلق عليه اسم ديوان عرض الجيش[٣] تولّى رئاسته موظف سلجوقي يشرف عليه إشرافاً مباشراً أطلق عليه اسم العارض[٤]،وكان ذلك العارض هو القائد للجيش، والذي يترأس عملية عرض الجند والوقوف على جهوزيتهم والتأكد من سلامتهم وإخلاصهم واستكمال عدتهم وأسلحتهم[٥]، فيما كانت قيادة الجيش في المعارك والمواجهات التي خاضها السلاطين بجيوشهم تتبع لشخص يعرف بالإسفهسلار [٦]، حيث يتولى صاحب هذا المنصب مهمة تقدم الجيش في وقت الحرب وكان تواجدهذا الاسفهسلار في كل ولاية من ولايات الدولة السلجوقية من أجل القيام بعملية التعبئة

---

(١) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٩-١٠٠، انظر كذلك تفاصيل قصصه ونوادره التي تشير لجهله وحمقه، ص ١٠٠-١٠١.

(٢) البيهقي ، تاريخ البيهقي، ص٦٨٤، الراوندي ، راحة الصدور ، ص١٦٣، ابو النصر، السلاجقة، ص ٢٧٦، حلمي، السلاجقة، ص ٢٢-٢٥.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٥٣٦، إقبال، الوزارة، ص ٤٤.

(٤) الروذراواري، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ذيل تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدّن الصناعية ، القاهرة، د.ط، ج٣، ١٩١٦، ص ٤٠-٤٣، أمين ، تاريخ العراق ، ص٢٠٥، اقبال، الوزارة، ص ٥٧، أمين، نظام الحكم ، ص ٢٢١، حلمي، السلاجقة، ص ٢١١.

(٥) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٦، السلومي، عبدالعزيز، ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٦م، ص ٢١٧ - ٢٢٠.

(٦)الاسفهسلار، كلمة فارسية معناها قائد الجيش، مكونة من لفظين فارسي وتركي فأسفه معناها بالفارسية مقدم وسلار بالتركية معناها العسكر،اليزدي، العراضة، ص ٧٧، الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ١٤٥.

العسكرية في وقت الأزمات عندما يطلبه السلطان، ومن أجل التغطية الكاملة وإتمام المهمة على أكمل وجه فإن للعارض نائب يقيم معظم الوقت في المدن، ويسيّر دفة إدارة هذا الديوان في حالة غياب العارض الذي كان يقيم جلّ الوقت في المعسكرات الحربية[1].

عارضو الجيش في عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه :

لم تذكر أي من المصادر التاريخية المعاصرة لفترة سلطنة السلطان بركياروق والتي تمكّنت من الاطّلاع عليها أية معلومات عن عارضي الجيش في سلطنته، إلا أنه وعطفاً على قراءة الأحداث التاريخية وتحليلها وما جرى خلال سلطنته من حروب ونزاعات ،فإنّه لا بد من وجود مقدم للعساكر ليكون مسؤولاً عن إعداد للجيوش التي قاتلت مع السلطان بركياروق بدءاً من موقعه بروجرد ضد خاتون زوجة ابيه ملكشاه ووالدة أخوه محمود سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢[2]، ثم حربه ضد عمه تاج الدولة تتش منذ عام ٤٨٦هـ/١٠٩٥م[3]، حتّى نهايتها في موقعة الريّ سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٩م وانتهاءٍ بحروبه مع أخيه محمد عبر خمسة سنوات، والتي انتهت بعقد صلح بينهما سنة ٤٩٧هـ/١٠٩٣م ، ومن المفترض في هذه الحاله من وجود عارض للجيش، لإنه لا يمكن أن يوجد جيش بدون قائد له يشرف عليه ويسيّر أعماله، ولربما أنه كان ذلك العارض أحد أفراد النظامية، فقد كانت لهم الأيادي البيضاء في مساندة السلطان بركياروق منذ أن كان أسيراً في أصفهان وما فعلوه من إجلاس له على سرير السلطنة سنة ٤٨٥هـ في الري[4] ومساندتهم له في منازعاته مع أخيه محمّد، والبقاء معه حتى توفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م.

---

(1) البيهقي ، تاريخ البيهقي، ص٥٣٦، إقبال، الوزارة ، ص ٥٧.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥ ،البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١،

(3) ابن الجوزي، المنتظم ج١٠، ص ١٣-١٤،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤ – ٢٤٥،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٧.

(4)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤١.

ورغم أن الشرمان[1] وبالاعتماد على الراوندي يذكر اسم أبو المحاسن كمال أبو الرضا عارضاً للجيش في سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، فإنني لا اتفق بالكلية معه في ما ذهب إليه لأن ذلك التاريخ الذي ذكره كان بعد وفاة السلطان بركياروق بأربعة عشر عاماً، حيث توفي السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م.

أما عن الأشخاص الذين تولوا منصب الاسفهسلار خلال عهد السلطان بركياروق، فقد كان منهم اسم الأمير أنر الذي كان مدبراً للجيش مع السلطان بركياروق بدأ من سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م حينما حدث نزاع بين السلطان وخاله إسماعيل بن ياقوتي[2]،و الأمير الاسفهسلار إياز مقدم العساكر منذ سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م حتى وفاة السلطان بركياروق[3]،وقد حظي الاسفهسلار أنر بأهمية كبيرة أثناء سلطنة بركياروق فكان هو الآمر الناهي لمختلف قطاعات الجيش طمعاً في الوصول إلى السلطة بعد تحريض مؤيد الملك له[4]،ومما أعطاه مكانة هامة خلال سلطنة بركياروق تلك المزايا التي تمتّع بها من إسداءٍ للرأي والمشورة للسلطان حول القيام بالعمليات الحربية وتوجيه تحركات الجيش لاسيما وأن السلطان بركياروق خاض حروباً ونزاعات مع أخوه محمود وعمه تاج الدولة تتش في غضون ثلاثة أعوام قضاها في السلطة،كذلك تولّى ينال بن أنوشتكين الحسامي منصب الاسفسهلار سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م وكان قائداً للتحضيرات العسكرية ما قبل المواجهة الأولى مع أخيه محمد[5].

وكانت مهمة قيادة الجيوش نيابة عن السلطان من أهم واجبات الاسفهسلار، إلا أن أياً من أمراء وقادة الجيش في عهد بركياروق قاموا بذلك، مما يشير إلى حرص السلطان بركياروق على فعل ذلك بنفسه، ولربما يشيرّ أيضاً لعدم ثقته بمن حوله خاصة وأن المصالح الشخصية لقادة الجيش بدأت تتزايد مع وجود خلافات داخل البيت السلجوقي،وربما الطمع في الأموال والإقطاعات.

---

(١) الشرمان، أحمد، الجيش السلجوقي، رسالة ماجستير، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠١، ص٨٢، وسيشار إليه : الشرمان ، الجيش السلجوقي .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤،

(٣) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٨.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨١.

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٣.

***عارضو الجيش في عهد السلطان محمّد بن ملكشاه:**

وفيما يخصّ عارضي الجيش في سلطنة محمّد بن ملكشاه فتتوافر لدينا معلومات عن أربعة من الأشخاص الذين تولوا منصب رئيس ديوان عرض الجيش وهم على النحو التالي:

أ- أبو المفاخر القمّي:هو ناصر الدين محمد بن علي من مدينة قمّ، تولىّ منصب عارض الجيش أثناء وزارة سعد الملك الآبي من سنة ٤٩٨ - ٥٠٠هـ/١١٠٤-١١٠٦م، غلب عليه في اصطلاح الخاصة والعامة اسم طرطنبيل[١]، لم يمكث طويلاً في منصبه لعدم ظهور كفاءته واستبدل على الفور لأن الظروف السياسية في دولة السلطان محمد بن ملكشاة من حروب ضد الإسماعيلية الباطنية من جهة والفرنج من جهة أخرى لم تكن تسمح بارتكاب الهفوات والأخطاء، هذا بالإضافة إلى أنه استلم السلطنة بعد مخاض عسير مع أخيه بركياروق، فعزل القمّي من الديوان واستبدله بغيره[٢].

ب-عزّ الملك الأصفهاني: هو عز الملك بن الكافي الأصفهاني، من مدينة أصفهان، تولى رئاسة ديوان عرض الجيش لمدة أشهر فقط[٣] ، لم يختلف حاله عن سابقه من حيث العزل ، غير أن سبب عزله هنا كان مشيناً، إذ تعاون وخطط وتآمر مع سعد الملك الآبي وزير السلطان، للإيقاع بالسلطان محمّد بن ملكشاه وتلسيمه للإسماعيلية الباطنية ، إلاّ أن السلطان محمد قتلهما سوياً بالإضافة إلى ثلاثة من عمال الديوان شنقاً أثناء محاصرته لقلعة شاه دز سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[٤].

ج- شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشاني: غياث الدولة أبو نصر شرف الدين أنوشروان بن خالد ، ويعرف بلقب " سديد الحضرة" ، من أهالي قرية فين بكاشان ، ولد في مدينة الريّ وبها نشأ وترعرع وتلقى علومه الأولى، كان يعمل في شبابه كاتباً من كتّاب الرسائل ومحرراً

---

(١) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩١، إقبال، الوزارة ، ص ٢٥٨.

(٢)البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٢.

(٣) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩١، إقبال، الوزارة، ص ٢٥٨.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٧-٨٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣١-٤٣٣، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٢، إقبال ، الوزارة، ص٢٥٨.

من محرري ديوان السلطان ملكشاه ، ثم عمل في الديوان السلجوقي أثناء سلطنة بركياروق ، وشارك في المعركة التي دارت بين السلطان بركياروق وعمّه تاج الدولة تتش في الريّ سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، كان وثيق الارتباط بالوزير مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مؤيد الملك يثق فيه كلّ الثقة ، وككان بالمقابل يكيل المديح لمؤيد الملك ، وجعله أفضل أبناء نظام الملك ، وبسبب عمق الصلة بينهما غادر انوشروان صفوف السلطان بركياروق متوجهاً لصفوف السلطان محمد على إثر انضمام مؤيد الملك للسلطان محمد ، وبعد مقتل صديقه مؤيد الملك سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م ذهب إلى البصرة وانشغل بقراءة الأدب والشعر مبتعداً عن الشغب والفتن المرتبطة بشؤون الحكم ، وبعد موت السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٦م ، استدعاه السلطان محمّد بن ملكشاه ليكون قريباً منه ،وتولّى مهمة عارض الجيش السلجوقي خلال فترة وزارة قوام الدين أحمد بن نظام الملك[١]، ولم يمكث طويلاً في منصب عارض الجيش وذلك بسبب كثرة الوشيات ضدّه من القوى المتنفّذه في الدولة، كما أن الوزير أحمد بن نظام الملك أعطى منصب عارض الجيش لأخيه شمس الملك بن نظام الملك بدلاً من أنو شروان[٢]، وقد تولذى أنوشروان الخزانة السلطانية وأصبح مسؤولاً عن خزائن ممالك السلطان، وحظي بكرامة خاصة من السلطان إلى جانب الخلوة المميزة كما يصفها البنداري[٣].

د- شمس الملك بن خواجة نظام الملك: وقد تولى منصب عارض الجيش سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م مكان شرف الدين أنو شروان بن خالد [٤].

---

(١) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٤ – ١٠٥، إقبال، الوزارة، ص ٢٥٨-٢٥٩، عقله، عصام، أنوشروان بن خالد القاشاني(ت٥٣٢هـ/١١٣٧م) وكتابه نفثة المصدور ، المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية، الجمعية الفلسطينية للدراسات التاريخية ،رام الله ، مج١، ع٣، ٢٠٠٣ ، ص ٩٨- ٩٩، وسيشار إليه: عقله، أنوشروان .

(٢) شمس الملك: عثمان بن نظام الملك، أحد أبناء الوزير الشهير نظام الملك الطوسي، تولّى حكم مدينة مرو آبان وزارة أبيه، ثم في سنة ٥٠٤هـ/١١١٠ تولّة منصب عارض الجيش السلجوقي ،البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٧، إقبال، الوزارة، ص ٢٦١.

(٣)البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٩٤-٩٥، عقلة ، انوشروان، ص ١٠١.

(٤)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٧، إقبال، الوزارة، ص ٢٦١.

وقد نال عارض الجيش منزلة كبيرة في عهد السلطان محمد بن ملكشاه، (٤٩٨ – ٥١١هـ/١١٠٤ – ١١١٧م) ، ذلك أن الدولة السلجوقية في عهده كانت تواجه خطرين وهما: خطر الإسماعيلية النزارية الباطنية في الداخل والفرنج في الخارج، لذلك فقد كان عارضو الجيش يقومون بمهام جسام تمثلت بمعرفة العسكر وحفظ أرزاقهم، وعرض الجنود على السلطان، وتفقد الأسلحة[١].

كما قام عارضو الجيش باختيار الأكفاء من الجنود والعسكر ممن يظهر على محياهم الجلد والقوة في أعمال الحرب، ففي سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م مثلاً وأثناء محاصرة السلطان لقلعة أصفهان، صعد السلطان محمد جبلاً مقابل للقلعة من جهة الغرب، ونصب تخته هناك، وأصدر آوامره لأمراء الجيش (الاسفهسلارية) بنشر الجنود حول جبل القلعة، ورتب الأمراء لقتالهم، فكان يقاتلهم كل يوم أمير، وظهر ذلك الجلد والتحمّل للعسكر مع صمود القلعة واشتداد الحصار وقلّة الأقوات[٢]، أما فيما يخصّ الاسفهسلارية في عهد السلطان محمد، فتشير بعضاً من المصادر إلى تسلّم (الأمير أنر) منصب اسفهسلار السلطان محمد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٣]، وقيادته نحو عشرة آلاف فارس، جمعهم أثناء لقائه بالسلطان محمد في كنجة وسار بهم من أصفهان للريّ[٤] وقد حظي أنر في منصب عارض الجيش الذي تسلّمه للمرة الثانية في حياته[٥] حظي بأهمية كبيرة فقد كان الآمر الناهي لمختلف قطاعات الجيش في عهد السلطان محمد، كما كان صاحب فكرة الخروج عن السلطان بركياروق قبل أن يقتله الأتراك في خوارزم سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[٦].

---

(١) ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمّد البغدادي(ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، تحقيق: كوركيس عواد ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، د. ط، ١٩٦٢ ، ص ٨٣.

(٢)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٢.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨١،

(٤)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٢.

(٥) كان قد تولىّ منصب الاسفهسلار للسلطان ملكشاه، حيث تولى اسفهسلارية الجيش المركزي السلجوقي، الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦- ١٦٥.

(٦)ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠، ص ٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٢.

ومن الأشخاص الذين تولّوا منصب الاسفهسلار في عهد السلطان محمّد الأمير شيركير والذي ولاّه السلطان محمد سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وكلّفه السلطان بمهمة محاصرة قلعة ألموت[١]، وأثناء حصاره لها كاد أن يستولي عليها ، لولا أن الإسماعيلية الباطنية قد تحصنّوا جيداً داخل القلعة، وعندما وصل خبر وفاة السلطان محمد للجنود المرافقين للأمير شيركير ضعفت عزائمهم وفترت همتهم في القتال، فعادوا عنها[٢]،وقد كان للاسفهسلار بوجه عام دور كبير في إبداء الرأي والمشورة للسلطان محمد فيما يتعلق بالعمليات والخطط العسكرية التي يجب اتخاذها في المعركة، فهنا نجد أن الأمير الاسفهسلار مودود وخلال المعركة التي جرت بين السلطان والأمير صدقه بن مزيد سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ، أشار على السلطان بضرورة محاربه الأمير صدقه وعدم النكوص بسبب قلة ما كان مع السلطان محمد من عدد وعدّة آنذاك [٣].

ويلاحظ مما سبق أهمية منصب الاسفهسلار في عهد السلطانين: بركياروق ومحمد، وما حازه من مهمة تدبير أمور الحروب وإدارة قطاعات الجيش، لا سيما إذا ما علمنا أن تلك الفترة التاريخية من الدولة السلجوقية هي فترة نزاعات مواجهات في سبيل وصول السلاطين إلى السلطة.

*** الوظائف السلطانية الموجودة بحضرة السلطان:**

١- وكيل دار السلطان[٤]:

تعتبر هذه الوظيفة من الوظائف المهمة في الدولة السلجوقية، ذلك أن صاحبها يقف في موقف قريب من السلطان فهو وكيل بابه أو بلاطه[٥]، وهو مرتبط بأمور دار السلطان، وهو

---

(١) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٣.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٨،الحسيني، زبدة التواريخ ، ص١٦٢- ١٦٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٤٠-٤٤٣.

(٤) وردت هذه الصيغة من الوظائف في الدول الإسلامية على نحو منفرد تحت مسمّى(وكيل) أو على هيئة صيغة مركبة، والوكيل هو الذي ينوب عن آخر للقيام ببعض أعماله، ومن الأمثلة على الصيغ المركبة لكلمة وكيل (وكيل الزوج أو الزوجة في عقد القران، أو وكيل المتقاضي في المحكمة) ،البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٨٠٥، الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ١٣٤٣-١٣٤٤.

(٥)أمين، تاريخ العراق ، ص ١٨٦، حلمي، السلاجقة، ص ٢١٢، أبو النصر، السلاجقة.

بمثابة وسيط بين السلطان والوزير[١]، وفي تقديمي لهذا الوصف ربما يختلط الأمر على القارئ في التمييز بينه وبين الحاجب، إلا أن وكيل دار السلطان يحظى بمرتبة أخصّ من الحاجب الكبير[٢]، ويأتي تفضيل أهمية وكيل دار السلطان على الحاجب بسبب قرب وكيل دار من السلطان، قرباً يجعله يعرف أخلاقه ومزاجه ويقف على ما يرضيه ويغضبه، حتى لا يحدثه بأمر دون اختيار الوقت المناسب للحديث[٣]، خاصة إذا كانت طبيعة الموضوع الذي سيحدثه فيه وكيلدار تخص الممالك والدول المجاورة أو حتى أقاليم الدولة نفسها[٤]،ويجب أن تتوافر مجموعة من الشروط في الشخص الذي يشغل هذه الوظيفة من أهمها الفصاحة والمعرفة الواسعة جنباً إلى جنب مع اللباقة[٥]، بالإضافة إلى تمتعه بالحجة القوية التي تجعل من السلطان إبداء الموافقة حول أمر ما[٦]، وعلى الرغم من عدم توفّر أسماء من تولّوا هذا المنصب في الدولة السلجوقية خلال الفترات السابقة، إلاّ أنّ ذلك ربما يعني أنه لم يكن موجوداً ، ولم توجد شواهد تاريخية حول من تولّاه ، إذ يمكن ملاحظة ولادة هذا المنصب ووجوده في الدولة السلجوقية منذ أن صفت السلطنة للسلطان محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[٧]، حيث يشير البنداري لذلك صراحة بتولي أميري القزويني[٨] ذلك المنصب ولأول مرة في تاريخ الدولة السلجوقية[٩].

ويضيف البنداري في حديثه عن وكيلدار السلطان محمّد "القزويني" بأنه كان فظاً، غليظاً، غير سمحاً، يخلو من حسن الحجّة والخطاب وإنما كان تعيينه في هذا المنصب لغايات ومآرب

---

(١) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٧، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٨٦.

(٢) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩١، حلمي، السلاجقة، ص ٢١٢.

(٣) أمين، نظام الحكم، ص ١٨٦، حلمي، السلاجقة، ص ٢١٢، أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٧٨.

(٤) الباشا، الألقاب الإسلامية ، ص ١٣٤٤.

(٥) البندراي ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩١-٩٢.

(٦) حلمي، السلاجقة، ص ٢١٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص٣٨٧ ،سبط ابن الجوزي ،مرآة الزمان،ج١٩،ص٥٣٦، أمين، تاريخ العراق ، ص١٨٨

(٨) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩١.

(٩) أميري القزويني: هو أميري بن مسعود من قزوين، يلقب بالزكي وهو من جملة التجار، كان قد هرب من رئيس الريّ والتجأ بسعد الملك الآبي ، فأراد الوزير أن يكون بينه وبين السلطان وسيط يسهل عمله، فعيّنه لدى السلطان، انظر البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩١ .

في نفس الوزير سعد الملك الآبي[١]، وقد دفعه جِهلة برسوم البلاط السلطاني للعزل، إذ أنه أصبح مثار غضب السلطان ورجال البلاط ، وبفضاضته وعدم كفاءته كان مصدر أذى، فقرر السلطان محمد بن ملكشاة عزله، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقط بل أن وظيفة وكيل دار السلطان قد ألغيت من الوظائف السلطانية وحلّ محلها أمير الحاجب الكبير[٢]، وأخيراً فإن وجود هذا المنصب في وظائف الدولة السلجوقية خلال سلطنة محمّد بن ملكشاه، يشير لتدخل الوزراء في استحداث مناصب جديدة تسهل طبيعة عملهم، كما فعل سعد الملك الآبي.

إلا أنه ومن المهم أيضاً الإشارة إلى نقطة في غاية الأهمية في هذا المجال تتلخص بوجود وظيفة مشابهة لوكيل دار السلطان خلال سلطنة بركياروق وإن لم تكن بنفس المسمّى، تجسدت ولربما بالمقربين من أفراد النظامية أو الأمراء أو غيرهم، لتسهيل عمل السلطان، خاصة وأن الفترة التاريخية التي عاشها السلطان بركياروق كانت مليئة بالحروب والمنازعات.

٢-أمير الحاجب الكبير:

أو ما اصطلح على تسميته بالحاجب ويقصد به الموظف الذي يقف بباب السلطان في (دركاه) قصور السلاطين السلاجقة، فقد عين السلاجقة الحجاب في قصورهم، وأطلقوا على اسم صاحبها "حاجب بزرك" وكان لهم مكانة مرموقة عند السلاطين السلاجقة[٣] ، كما أن وظيفته من الوظائف الهامة في الدولة السلجوقية إذا أن صاحبها أو متوليها كان يحظى بثقة كبيرة من لدن السلطان[٤]، ومن أهم اختصاصاته تلقي آوامر السلطان شفاهية وبشكل مباشر دون أي وسيط، فيقوم ذلك الحاجب بإيصالها بدوره للوزير[٥] وبعدها يقوم الوزير بتنفيذ آوامر السلطان كما وردت دون زيادة أو نقصان، وكانت وظيفة الأمير الحاجب وما حظي صاحبها من مكانةٍ رفيعة لدى

---

(١) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩١.

(٢) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٧.

(٣) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٧-١٠٨، حسنين، إيران والعراق ، ص ١٦٤، أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٤٦.

(٤)إقبال، الوزارة ، ص ٦٦-٦٧، حسنين، إيران والعراق، ص ١٦٤.

(٥)الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٠، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٨٣، أمين، نظام الحكم، ص ٢١٢، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٤٧.

السلطان السلجوقي ممّا جعل هذا المنصب مجال غيرةٍ وتنافس دائم من بقية الموظفين في بلاط السلطان، كما أنه أي "الحاجب" كان يتكفّل بمهمة نقل آوامر السلطان لبقية أعيان وكبار رجال الدولة، بالإضافة لإشرافه المباشر والتام على دركاه السلطان من حيث تنظيم مكان وقوف العبيد والخدم والأصاغر حينما يتواجد السلطان(١)، أمّا عن آلية تعيين ذلك الأمير الحاجب فإن السلطان وحده فقط من يملك الحق في إصدار فرمان أو قرار يقضي بتعيين أحد الأشخاص الثقات ليكون حاجباً(٢)، وعندما يقع الاختيار على شخص ليكون أمير حاجباً لدركاه السلطان فإن البيهقي يقدم وصفاً دقيقاً لذلك يتمثل بارتداء الحاجب للخلع السلطانية الفاخرة المكونة من قباء أسود اللون، وقلنسوة ذات ركنين والعديد من الرايات والشارات ثم يدخل على حضرة السلطان ليحظى بمباركته له(٣)، ومن المواصفات التي يختار على أساسها السلطان السلجوقي الأمير الحاجب أن يكون في مقتبل العمر شاباً نشيطاً بعيداً عن الكهولة، حازماً، عاقلاً، مطيعاً للسلطان غير عاصٍ له، عارفاً بمن يرغب السلطان بمقابلته عمّن سواه(٤).

وإلى جانب كل ما ذكرت عن أهمية ومواصفات وتفاصيل مهام الحاجب فإن تلك الوظيفة كانت مصدر ثراء كثير من الحجاب وطريقاً لجمع الأموال الطائلة، بسبب ما كان يقدّمه طالبوا الحاجات من السلطان للحاجب لقاء توسّطه لهم عند السلطان السلجوقي في تحقيق مبتغاهم وأهدافهم(٥)، ويعتبر السلطان طغرلبك أول من استخدم الأمير الحاجب في سلطنته وقرّبهم إليه وذلك باتخاذه عبدالرحمن اليزن(٦) حاجباً مقرباً ، ثم سار بعد ذلك على نهجة بقية السلاطين ألب

---

(١) نظام الملك، سياسة نامه، ص ١٦٢.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٦٧.

(٣)البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ١٧٠

(٤)الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٠.

(٥)أمين، تاريخ العراق ، ص ١٨٥، الكردي، إبراهيم سليمان، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩، ط١، ص ٣٥.

(٦) عبدالرحمن اليزن: هو أول أمير حاجب للسلطان طغرلبك أطلق عليه السلطان لقب الأغاجي، وهي كلمة تركية معناها الحاجب أو خادم السلاطين، وهو الواسطة في إبلاغ المطالب من السلطان لأعيان الدولة، ساعد السلطان طغرلبك في حروبه ضد أخيه إبراهيم ينال عندما أعلن عصيانه لأخيه سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، فحظي بمبلغ ثقة

أرسلان وملكشاه باتخاذهم وتقريبهم الحجاب إليهم[1]، وكسابقيهم من السلاطين السلاجقة اتخذ السلطانين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه الحجاب في الدركاه الخاصّة بهم.

حجّاب السلطان بركياروق بن ملكشاه:

عند تتبعنا لسير الأحداث في الدولة السلجوقية ، نجد أن السلطان بركياروق قد اتخذ من طغايرك[2]، حاجباً مقرباً مرافقاً له [3]، وكان طغايرك من جملة الأشخاص الذين طالبوا السلطان بركياروق بقتل مجد الملك القميّ البلاساني سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[4]، وكان وفياً للسلطان بركياروق بعد وفاته سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م حينما كان من جملة الذين حضروا للديوان في دار الخلافة يطلبون إقامة الخطبة لملكشاه بن بركياروق[5].

كذلك فإن المصادر تذكر اتخاذ السلطان بركياروق للأمير قماج حاجباً لباب داره[6]، وكان هذا الحاجب لا يقل أهمية وشأناً عن طغايرك حيث قاد جيش السلطان بركياروق الذي توجه لخراسان لمحاربة السلطان أرسلان أرغون عمّ السلطان بركياروق[7] وذلك سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[8]، كذلك فإن الأمير قماج تولّى مهمة الإشراف على رعاية الأخ غير الشقيق للسلطان بركياروق وأعني بذلك السلطان سنجر وذلك لصغر سنّه آنذاك، وذلك دليل واضح على مدى الثقة الكبيرة التي أعطاها السلطان بركياروق للأمير الحاجب قماج، لاسيما وأن السلطان بركياروق كان مهتماً

=السلطان طغرلبك، الراوندي، راحة الصدور، ص ١٦٠، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٣٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٧-٦٢، أمين، تاريخ العراق ، ص ٣٣٤.

(1) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٦-٨٠، أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٥٠، أمين، تاريخ العراق، ص٣٣٥.

(2) طغرلبك ابن اليزن: حاجب السلطان بركياروق منذ توليه السلطنة رسمياً سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وربما يكون ذو صلة وقرابة من حاجب السلطان طغرلبك.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٤، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢،ج٥، ص ٦٧.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٠.

(5) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٣٨٢.

(6) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٤، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢،ج٥، ص ٦٧.

(7) الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢١.

(8) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٢-٢٦٣،النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٥،ابن خلدون ، العبر، ج٥، ص ٣٧.

باستقرار خراسان واحتواء الموقف خوفاً من حدوث أي فتنة قد تحدث فيها كالتي حدثت قبل سنوات من تمرد وعصيان من قبل عمه أرسلان أرغون.

حجّاب السلطان محمّد بن ملكشاه :

منذ توليه السلطنة دون منازع سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م تعاقب على منصب الحاجب كلاً من:

أ. الحاجب عبدالملك

ب. الحاجب علي بار ابن عمر ابن سرمة.

ج. الحاجب عمر قراتكين[١].

وقد كان الحاجب عبدالملك مسموع الكلمة لدى السلطان محمد، قريب منه، موثوق الجانب خاصة في فترة صراع السلطان محمّد ضد الإسماعيلية الباطنية، حيث يشير البنداري إلى مساعدته للسلطان محمّد بإلقاء القبض على من كانت تشير أصابع الاتهام بتورطه في التخطيط لمحاولة اغتيال وقتل السلطان ، وشملت دائرة الشكّ والإتهام كلاً من الوزير سعد الملك الآبي وعبدالله الخطيبي[٢] ومجموعة من الموظفين في ديوان الاستيفاء [٣].

أما الحاجب علي بار فكان من الأشخاص القلائل الذين وثق بهم السلطان محمد بن ملكشاة ويتجلّى ذلك عندما أرسله لمصادرة أموال الوزير خطير الملك الميبذي عند عزله من الوزارة سنة ٥١١هـ/١١١٧م (في الوزارة الثانية)[٤]، وقيامه بتسليم الوزير المعزول للحاجب علي بار ليتصرف في أمره[٥].

---

(١)الراوندي، راحة الصدور ، ص ٢٣٤، الهمذاني، جامع التواريخ، مج٢، ج٥، ص ٧٨.

(٢)عبدالله الخطيبي: رئيس أصفهان ومستولي رئاستها، منذ سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م – ٥٠٠هـ/١١٠٦م ، كان يتظاهر بالزهد والورع والتقوى أمام الناس بما يحمله من لحية كثيفة إلاّ أنه في واقع الأمر محتال دجّال للمزيد انظر البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٩.

(٣)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٦.

(٤) وزر الميبذي للسلطان محمد مرتيّن، كانت الأولى من ذي الحجة ٤٩٤هـ/١١٠١م– ذي الحجة ٤٩٥هـ/١١٠٢م والثانية ٥٠٤هـ/١١١١ – ٥١١هـ/١١١٧م ،. قبل وفاة السلطان محمد بـ ٤٥ يوماً، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٣، إقبال، الوزارة، ص ٢٢١.

(٥)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٨.

وكان الحاجب علي بار قد رافق السلطان في مرضه واشتداد أزمته لاسيما في الشهر الأخير من حياته وأعني بذلك ذي القعدة سنة ٥١١هـ/١١١٧م حيث أمر السلطان محمد وهو على فراشه يعاني المرض بأقصى درجاته، أمر خاصته في الدركاه بمنع دخول الأمراء ودخول الحجاب فقط، ولم يكن يدخل عليه إلا الأمير الحاجب على بار بن عمر بن سرمه[١]،وكانت آخر كلمات السلطان لابن سرمة وصيّته برعاية ابن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، كما أوصاه بالوقوف بجانبه وإيصاله للسلطنة بعد وفاته[٢].

يتضح مما سبق أن منصب الحجابة قد تطور كثيراً في عهد السلاطين السلاجقة بشكلٍ عام وأيام السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاة بشكلٍ خاص، كما أن حجّاب السلاطين السلاجقة قد نالوا ثقة الوزراء وساعدوهم في حفظ أموال وجواهر السلاطين عند وفاتهم، كما فعل الحاجب علي بار حينما مات السلطان محمّد بن ملكشاة ودخل إلى خزانته وأخذ الأموال وسلمها لوزيره الدركزيني[٣].

٣- أمير الباركاه "بلاط السلطان":

ويقصد بالباركاه بلاط السلطان[٤] ويقال لصاحبها أمير البار أي أمير الإذن بالدخول على السلطان فهو الآذن بدخول الناس إلى السلطان إذا اجتمع عنده أكابر الدولة[٥]، والفرق بينه وبين الأمير الحاجب أن أمير البار هو المخوّل بترتيب الاجتماع بين السلطان وكبار رجال دولته من

---

(١) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٢٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١١١.

(٣)الدركزيني: أبو القاسم زين الدين الدركزيني، وزير الأمير الحاجب علي بار بن سرمة، تسلم أموال السلطان محمد وأمر العسكر بمبايعة ولي العهد محمود بن محمد، وأعطاهم من المال، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١٢.

(٤)المحبي، محمد بن فضل الله (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩ م) قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق عثمان الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ج١، ط١ ، ١٩٩٧، ص ٢٤١.

(٥) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١١١.

رؤساء الدواوين وأرباب الوظائف الأخرى، بينما تكون مهمة الأمير الحاجب الكبير سماع مشافهة السلطان وإيصالها للوزير فقط، فهو الناهي والآمر(١).

وعلى الرغم من عدم وجود شواهدِ تاريخية تشير لمن تولّى هذا المنصب أيام السلطان بركياروق، فربما يدلّ ذلك على عدم وجود هذه الوظيفة في أيامه ، وأنها استحدثت أيام السلطان محمد بن ملكشاه، لا سيما إذا ما تاملنا جيداً في اسم علي بار وهو من شغل منصب الحاجب لدى السلطان محمد كما أشرت إلى ذلك سابقاً ، ومن المحتمل أن يكون هو من اقترح على السلطان محمد استحداث وإنشاء هذه الوظيفه ونسبت إلى إسمه بار كاه ، مما يشير إلى جدّة السلطان في استحداث المناصب الإدارية في الدولة.

٤- صاحب الخزانة السلطانية " بيت مال السلطان "

يشرف صاحب هذا المنصب على مال السلطان الخاص، وهو ليس من الموظفين العسكريين، بل هو موظف مدني لا يتبع لمؤسسات الدولة "الدواوين" السلجوقية"، وإنما يختص بالسلطان فقط(٢)، وعلى الرغم من عدم توفّر شواهد تاريخية عن من تولّى هذا المنصب أيام سلطنة كلٍ من طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه أو حتى بركياروق،إلاّ أنّ ذلك يعني إمّا أن تكون هذه الوظيفة غير موجودة في أيامهم ، وأنها استحدثت أيام السلطان محمّد بن ملكشاة، فمن خلال القراءة في تفاصيل وزارة الأمير ضياء الملك أبو نصر أحمد بن نظام الملك للسلطان محمد بن ملكشاه ما بين السنوات (٥٠٠-٥٠٤هـ/١١٠٦-١١١٠م)(٣).

وجدتُ أن البنداري يشير إلى تولي شرف الدين أنوشروان ابن خالد لخزانة السلطان كما يشير إلى تمتع أنوشروان بأحقية الجلوس إلى السلطان محمد والحديث معه عن كافة أمور الدولة، وإطلاعه على خفايا الأمور دون بقية أكابر الدولة، ومن شدة ثقة السلطان بأنوشروان فقد أمره بالمسير لهمذان لاستيفاء أموال من صاحبها السيد أبو هاشم كما أشارت الدراسة سابقاً.

---

(١) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص١١١.

(٢)البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٩٣-٩٥، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية، ص ٤٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص ٤٣٧، ٤٨٣، إقبال، الوزارة ، ص ٢٣٥.

٥- الطشت دار:

وهي وظيفة عرفت في العصر السلجوقي جاء اسمها من خلال اسم متوليها فهو الخادم الذي يتولى الإشراف على عملية غسيل أيدي السلطان ووجهه بالماء صباحاً ومساءً وبعد الانتهاء من طعامه وكذلك فور انتهاء السلطان من دخول الحمام[١]،وإذا ما دققنا النظر في أصل التسمية وجدنا أن الكلمة مكونة من لفظين فارسيين هما (الطشت) الإناء المصنوع من النحاس المستخدم لغسل اليد، تمّ تعريبه وحرف فيما بعد (لـ تشت) واللفظ الآخر هو (دار) بمعنى ممسك، وعليه يكون المعنى الكلي (ممسك الطشت)[٢]،وأياً كان الأمر، فمن المؤكد أن يكون ذلك الشخص الذي يتولى تلك المهمة من الأشخاص الثقات والمقربين للسلطان والمخلصين له، لأنه وحسب ما تقتضيه طبيعة عمله فإنه ينفرد بالسلطان لوحده في مكان وجود السلطان[٣].

ولم تذكر المصادر التاريخية ، هوية الطشت دار الذي تولّى تلك الوظيفة خلال حكم السلطان بركياروق، عمّا إذا كان سلجوقي أو غير ذلك، يتضح ذلك من خلال ما أشار إليه الراوندي واليزدي إلى وجود هذه الوظيفة عند السلطان بركياروق، حيث ذكروا أخبار سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م وعندما كان السلطان بركياروق يستريح في خيمته وقت القيلولة، قال الطشت دار لزميل له: "السلاجقة قوم عظماء ولكن بدون حمية"[٤].

إذ إنّه لو كان سلجوقياً لما قال عنهم (السلاجقة) لقال نحن السلاجقة، ثم أنه ولمجرد حديثه عن قضية أسر مؤيد الملك وضرورة التخلص منه لما قام به من تمرد على السلطان بركياروق، لهو دليل على اطلاعه على أمور الحكم والسياسة في الدولة، كما أن الطشت دار أذكى نار الانتقام والغضب في نفس السلطان بركياروق عندما قال بصفة التعجب: كيف يعتمد

---

(١)القلشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٩، أمين، تاريخ العراق ، ص ٢٠٤.

(٢)ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ٧٩،القلشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٩.

(٣)أمين، نظام الحكم ، ص ٢٠٤، إدريس، محمد ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٣، ص ١١٠، وسيشار إليه : إدريس ، رسوم السلاجقة .

(٤)الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٩ ، اليزدي، العراضة ، ص ٨٠ – ٨١.

السلاجقة على مؤيد الملك ويريدون استرجاعه للوزارة بعدما فعل كذا وكذا .... فما كان من السلطان وقتها إلا أن خرج من خيمته واستدعى مؤيد الملك وقتله بيده سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م[١].

٦- الساقي:

وظيفة يختصّ متولّيها بالقيام بغسل يد السلطان وخدمته بعد الأكل، ولا تقل أهمية عن سابقتها بل أنها مرتبطة بها، فالساقي هو الشخص الذي يشرف على إقامة مائدة الطعام في المناسبات والأعياد والمواسم، أو عندما يقوم السلطان باستقبال الملوك وأعيان الدولة والسفراء[٢]، كما يشرف ذلك الساقي على تقطيع اللحوم وتقديم المشروبات في أثناء تناول الطعام وبعده[٣] ويطلق على اسم الشخص الذي يقوم بالأعمال سابقة الذكر اسم ساقي السلطان[٤].

وبالعودة لكتاب الراوندي راحة الصدور وما ورد فيه من حديثٍ في الفصل المخصص للحديث عن الشراب[٥] أمكننا الاستدلال على وجوب توافر مجموعة من الشروط في الساقي لعل أبرزها أن يكون كتوماً، ذو ثقة حريصاً على عدم إفشاء أي سرّ من الأسرار قد يقع على مسامعه أثناء تقديمه للشراب والطعام على مائدة السلاطين والملوك ومن ذلك نتبين مدى وأهمية وخطورة هذه الوظيفة في الإدارة السلجوقية.

٧- آخوربك:

وهي اختصار لكلمة "أخوربك" كلمة تركية مؤلفة من لفظين أخور بمعنى إسطبل وبك بمعنى أمير، والمعنى الكلي للكلمة هو أمير الإسطبل أو أمير الخيل والفرسان[٦]،وقد عرفت هذه الوظيفة عند السلاجقة، وأبرز من شغلها في عهد السلطان بركياروق هو الأمير اينانغ بيغو، إذ

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤،البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٦ اليزدي، العراضة، ص ٨٠،

(٢)القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٩، أمين، نظام الحكم ، ص ٢٢١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٤٦٩.

(٤)إدريس، رسوم السلاجقة، ص ١١٠.

(٥)الراوندي، راحة الصدور، ص ٥٧٨-٥٩١.

(٦)الباشا، الفنون الإسلامية ،ج١، ص ٢٧.

كان مسؤولاً عن خيل السلطان بركياروق[1]،كما أن السلطان محمد كان محباً للصيد، طالباً له متمكناً منه، مختاراً لأفضل وأجود أنواع الكلاب الخاصة بالصيد[2]. إذا كان مولعاً بصيد الظبية[3] ومن المؤكد أنه كان يستخدم الخيول الأصيلة أثناء قيامه بذلك، وهذا ما يقودني للافتراض بوجود اخريك خاص بإسطبل السلطان محمد بن ملكشاه .

*** الوظائف الإدارية خارج العاصمة أصفهان:**

١- العميد:

نظراً لاتخاذ سلاطين السلاجقة مدناً في بلاد فارس لتكون حواضر لهم منذ تأسيس دولتهم كالري ومرو وأصفهان[4] ولأن العراق كانت تابعة لسلطانهم منذ سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٣م[5]. فإن حاجة السلاطين لوجود من ينوب عنهم في العراق أثناء تواجدهم في العاصمة كانت ضرورية، فقد استحدث السلاجقة منصباً إدارياً جديداً يعرف بالعميد[6] وقد وجد هذا المنصب في مدن العراق وبلاد الديلم ، ويطلق عليه عميد العراق أو عميد بغداد وفي بعض الأحيان رئيس [7].

وينوب العميد عن السلطان في حاضرة الخلافة "بغداد"، وحتى في أقاليم الدولة الأخرى التابعة للسلطان، فإنه يمارس نفس الصلاحيات في الإنابة ، ومثال ذلك الأعز ابو المحاسن الدهستاني ومحمد الجوزقاني عمداء السلاطين السلاجقة في العراق فيما بعد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[8].ويمكن القول أن طبيعة المهمات والصلاحيات التي انيطت بالعميد هي إدارية بجتة، فسلطته تشبه إلى حدٍ كبير سلطة المحافظ في عصرنا الحالي[9] من حيث إدارة الولاية

---

(1)الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٢٤.

(2)البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٩.

(3)الظبية، جميع ظباء كان يصيدها السلطان محمد أثناء قدومه لبغداد من أصفهان، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢١.

(4)الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٦.

(5)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢٣٤ ،.

(6) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤٨٣، أمين، نظم الحكم ، ص ٢٢٠، أمين، تاريخ العراق ، ص ٢٠٢.

(7) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٤٦٤، البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٧.

(8) ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤٨٣، أمين ، تاريخ العراق ، ص٣٣٨.

(9) أمين، تاريخ العراق، ص ٢٠٢، أمين، نظام الحكم، ص ٢٢٠.

سواء كانت في العراق أو بلاد فارس وإخماد الثورات والفتن التي قد تحدث بين السكان، لا سيما المذهبية منها[1]

كما كانت مهمة التعاون مع الشحنة أمر في غاية الأهمية للعميد للوقوف بوجه أي خطر قد يهدد الأمن الداخلي للولاية السلجوقية فيقومان سوياً بقيادة القوات العسكرية اللازم استدعاؤها إذا ما حدث شيء يعكّر صفو الأمن والاستقرار[2]، كما حدث في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م حينما جرت فتنه في بغداد بين العامة من الناس، تدخل فيها العميد الأعزّ أبو المحاسن الدهستاني وصاحب شحنة بغداد الأمير يلبرد سوياً في إعادة الأمن والإستقرار للمدينة [3]،إلا أن سلطة العميد أوسع بكثير من تلك التي بيد الشحنة وسبب ذلك عائد إلى أنه يشرف على العراق بأكمله، بينما الشحنة يعيّن للإشراف على مدينة بعينها فقط[4].

ويقوم العميد كذلك بصفة وجوده نائباً عن السلطان، بمراقبة دواوين الدولة وعمل إصلاحات عمرانية بالإضافة لمراقبة الخليفة وحاشيته بحيث يكون عيناً للسلطان، فقد وضع السلطان السلجوقي له حامية من العسكر للاستعانة بهم في تحقيق أغراض السلطان ومآربه[5].

ومن الأشخاص الذين تولوا منصب العميد في بداية حكم السلطان بركياروق أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني حيث يذكر توليه العمادة منذ سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م،[6] وقد حضر مع بقية أرباب المناصب عزاء الخليفة المقتدي بأمر الله سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[7]، وكان له دور كبير في عملية التواصل بين السلطان بركياروق والخليفة خاصة وأن السلطان بركياروق بقي أعواماً كثيرة يحارب فيها أفراداً من البيت السلجوقي منذ سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م – ٤٩٧هـ/١١٠٣م، حتى توقيع

---

(١) أمين، نظام الحكم، ص ٢٠٢.

(٢) أمين، نظام الحكم ، ص ٢٢٠، أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٩٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٦.

(٤) أمين، تاريخ العراق ، ص ٢٠٢، إدريس، رسوم السلاجقة، ص ١٠٨-١٠٩.

(٥) أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٩٩، إدريس، رسوم السلاجقة، ص ١٠٨-١٠٩.

(٦) إقبال، الوزارة، ص ١٧٦ ،أمين، تاريخ العراق ، ص ٣٨٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٢٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٦.

الصلح مع أخيه محمد[1]،ومن الأسماء الأخرى التي تولت منصب العميد في سلطنة محمد بن ملكشاه الأمير العميد محمد الجوزقاني الذي تولىّ وظيفة العميد أثناء وزارة أحمد بن نظام الملك (٥٠٠هـ/١١٠٦م – ٥٠٤/١١١٠)[2]، وقد تحوّل الأمير الجوزقاني من منصب العميد ليكون رئيساً لديوان الطغراء في أواخر سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م[3].

ورغم المهام الكبيرة التي كان يقوم بها العميد في حفظ الأمن، إلا أنه كان أيضاً مقرباً للسلطان السلجوقي في نقل أخبار الدولة لاسيما في العراق، وبإمكانه ان يكون سبباً في حدوث الفتنة، فيذكر ابن الأثير من خلال حوادث سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م عن دور العميد أبوجعفر البلخي[4] في إشعال فتيل العداء ما بين السلطان محمد والأمير صدقة بن مزيد حيث يقول:

"ثم أفسد ما بينهما العميد أبوجعفر البلخي، وقال في جملة ما قال عنه[5]: أن صدقة قد عظم أمره، وزاد حالة وكثراً دلاله، وأنه يبسط في الدولة حمايته على كل من يفرّ إليه من عند السلطان، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم، ولو أرسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله[6].

ويبدو من سياق الأحداث أن أبي جعفر البلخي قد تسلم وظيفة العميد في العراق بعد محمد الجوزقاني، ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها اسم عميد آخر تولى المهمة حتى نهاية حكم السلطان محمد بن ملكشاه بوفاته سنة ٥١١هـ/١١١٧م.

٢ – الشحنة:

يعيّن صاحبها من قبل السلطان ، فهو المسؤول عن الإدارة المدنية والمحافظة على أمنها واستقرارها ومراقبة الخارجين عن النظام ومعاقبة المسيئين، ويرتبط وجود الشحنة بالشرطة ، إلا أن الشرطة تاريخياً تعد أقدم من الشحنة، ويذكر المؤرّخ المقريزي أن الشحنة هي نوع من أنواع

---

(١)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢٨،

(٢)، ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٣٤٧، قبال، الوزارة، ص ٢٣٥.

(٣) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٧.

(٤) أبو جعفر البلخي: هو أبو جعفر محمد بن الحسين البلخي، عميد العراق في عهد السلطان محمد بن ملكشاه (٤٩٨ – ٥١١هـ) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٠.

(٥) يقصد بذلك الحوار الذي دار بين السلطان محمد والعميد البلخي.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٤٠.

الشرطة[1]، ويرى بعض المؤرخين أن السلاجقة أول من استحدث هذه الوظيفة في العراق بدخولهم سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٤م ، أما في بلاد فارس فقد كانت موجودة منذ عهد الغزنويين فتشير الروايات التاريخية أن صاحب شحنة طوس تصدى للسلاجقة، وهذا يؤكد أن الوظيفة غزنوية ، انتقلت للسلاجقة الذين بدورهم استحدثوا المزيد من مراكز الشحنة في بلاد فارس والعراق [2].

غير أن الثابت في الأمر ان الشحنة كمنصب إداري قد وجد في العراق زمن العباسيين، وتحديداً في عهد المقتدر بالله، حيث قام بتعيين الصابئ ليكون صاحب شحنة طريق الأهواز [3]

وقد جعل السلاجقة وظيفة الشحنة، وجعلوا صاحبها أو ما يعرف بـ(الشحنكية) مقيماً في بغداد، وذلك بعدما دخل السلطان السلجوقي طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وذلك لحفظ الأمن في العراق وبغداد على وجه الخصوص حيث جعل الأمير برسق شحنكية في بغداد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م[4].

ولست بصدد تتبع أسماء من تولى شحنكية بغداد منذ عهد السلطان طغرلبك حتى تسلم السلطانين بركياروق ومحمد مقاليد السلطنة منذ سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وإنما أريد هنا أن أشير إلى أهمية الأسباب التي دفعت السلاجقة باستحداث هذا المنصب، رغم وجود منصب مشابه له إلى حد ما غير أنه مختلف في بعض التفاصيل الدقيقة وهو (العميد)،ويعلّل ابن خلدون سبب وجود وظيفة الشحنة لدى السلاجقة بقوله:

"إن كثرة الفتن وانتشار الذعار والمفسدين في بغداد، دفعت السلاجقة لإنشاء هذه الوظيفة؛ وذلك بسبب بعد عواصمهم عن بغداد، فرأى السلاجقة أن يكون الشحنة مقيماً في بغداد لحسم هذه العلّة وللحدّ من المشاكل التي تحدث بين أصحاب المذاهب الدينية المختلفة [5]، لذا فإن صاحب

---

(1) يذكرها المقريزي برياسة الشرطة، ويسمى متوليها صاحب الشحنة، انظر ابن الأثير، الكامل ، ج٩ حوادث سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م، ص٣٢٣، المقريزي، السلوك ، ج١، ص ٣٥.

(2) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨، اليزدي، العراضة، ص ٤٧.

(3)ابن الأثير،الكامل، ج٩، ص ٦٠٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص ٤٩٢.

(4)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٨-٩،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٩٠-٩٢.

(5)ابن خلدون، العبر، ج٣، ص ٤٦٦.

الشحنة هو مسؤول بالدرجة الأولى عن الشؤون العسكرية وما فيها من حفظ للأمن نيابة عن السلطان السلجوقي[1] وتقابل هذه الوظيفة في الوقت الحاضر صلاحيات مدير الشرطة[2].

ويعيّن صاحب هذه الوظيفة بأمر وفرمان من قبل السلطان السلجوقي وحده، ليكون مكملاً ومعاوناً للعميد[3] ويمكن القول أن أبرز مهام صاحب الشحنة إدارة المدينة والمحافظة على أمنها.

الأمن ومراقبة المفسدين وقطاع الطرق[4]، وعند الحديث عن الأمراء الذين تولّوا هذا المنصب خلال حكم السلطانين : بركياروق ومحمد نذكر منهم سعد الدولة كوهرائين[5] يترد كثيراً في المصادر التاريخية، فقد كان صاحب شحنة بغداد بعد موت السلطان ملكشاه، وساعد تاج الدولة تتش في حربه ضد السلطان بركياروق مما دفع بالسلطان بركياروق لإعفائه من منصبه وتعيين الأمير يلبرد ليكون أول صاحب شحنة زمن السلطان بركياروق سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣[6].

إلا أن السلطان بركياروق قتل الأمير يلبرد في رمضان من نفس السنة[7]؛ وسبب ذلك كما يذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، كان لتفوهّه بكلام قبيح بخصوص والدة السلطان

---

(1) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ٥٠.

(2)ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٩٧،الخالدي، فاضل، الحياة السياسية ، ص ٢٢٣، بيات، السياسة السلجوقية، ص ١٠٩، القعايدة، عبد الهادي،الإدارة السلجوقية في بغداد الشحنة أنموذجاً(٤٤٧-٥٣٦هـ/١٠٥٥-١٠٤٢م)، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، الجامعة الأردنية، مج٤٢، ملحق ١، ٢٠١٥، ص١٢٠٩.

(3)القزاز، محمد ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة القضاء، النجف، ط١، ١٩٨١، ص ٢٤٥ ،إدريس، رسوم السلاجقة، ص ١٠٩.

(4) الراوندي، راحة الصدور ، ص٢١٨، اليزدي ، العراضة، ص ٣٨-٤٠ ، المقريزي ، السلوك ، ج١، ص٣٦-٤٠ ، الخالدي، الحياة السياسية ، ص ٢٥٥.

(5) عيّنه السلطان ألب أرسلان في شحنكية بغداد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧١م، ونال خلال حكم ملكشاه مالم يراه خادم من المال والجاه ونفوذ الأمر وطاعة العسكر، وبقي بها حتى تولىّ السلطان بركياروق السلطنة وقام بتعيين الأمير يلبرد مكانه، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٠،ص٢٨٩،ويرد باسم الكوهراني، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٤

(6)الأمير يلبرد من ضمن الأمراء الذين ناصروا السلطان بركياروق في حروبه ضدّ محمود وتركان خاتون، الحسيني ، زبدة التواريخ،ص١٦١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٢، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٧ – ٣٣٨، أمين، تاريخ العراق ، ص ٣٣٩.

(7)ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص ٢٢٦، بينما يذكر زامباور أن والدة السلطان بركياروق هي من قتلته سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، زامباور ، معجم الأنساب، ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

زبيدة خاتون[1]، فقام السلطان بركيارق بتعيين الأمير آيتكين جب في وظيفة الشحنة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[2] بدلاً منه وزاد في إقطاعه تقديراً لما بدر منه خلال نزاع السلطان مع تركان خاتون وولدها السلطان محمود، وقد أبلى آيتكين بلاءً حسناً في منصبه .

وتشير بعض المصادر التاريخية أن الأمير آيتكين جبّ عندما تولّى المهمة واجه فتنةً كبيرة بين أهل الكرخ والمحال المجاورة في باب البصرة ، إذ أن حاجبه ويدعى محمد حاولَ التدخلّ في حلّ قضية قتل كاتب ابن النقيب طراد الزينبي وهو من سكّان باب البصرة ، وعند تدخلّه في القضية لم يعجب أهل باب البصرة ذلك فرجموه وأسالوا الدمّ منه ، فرجع الحاجب محمّد إلى صاحبه آيتكين شاكياً الحال ناقلاً ما جرى، عندها أرسل آيتكين أخاه ليعاقب أهل باب البصرة ، فسار إليهم وأحرق باب البصرة ، ومع التصعيد الكبير الذي حدث تدخّل الخليفة العباسي المستظهر بالله بالأمر فطلب من آيتكين تهدأة الموقف ففعل واصطلح أهل الكرخ مع بقية المحال وتزواروا وتواكلوا وتشاربوا[3].

وبقي آيتكين جبّ يتولّى شحنة بغداد حتى سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م، عندما بدأ السلطان محمد بالخروج عن طاعة أخيه بركيارق، وكان صاحب شحنة بغداد السابق كوهوائين على موعد مع التاريخ للظهور على ساحة الأحداث مرّة أخرى، ذلك أنه كان من جملة الأشخاص الذين وقفوا بجانب السلطان محمد وشجعوه على العصيان ضد أخيه بركيارق، ويبدو أنه لم ينسى إعفاء السلطان بركيارق له من منصب الشحنة وظل حاقداً متوحشاً منه، فقام بتحريض جماعة من الأمراء[4] ضد السلطان بركياروق، إلا أن التاريخ لم يمهله كثيراً في الانتقام بصورة أكبر، ذلك لأن

---

[1])ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٢٢٦.

[2]) آيتكين جب: أحد الأمراء الأتراك الذين كانوا مقربين من السلطان بركياروق ، قام بتعيينه صاحب شحنةً لبغداد سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وقام بفضّ كثير من الاشتباكات والفتن في باب البصرة ، ابن الأثير، الكامل، ص٢٤٠، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٧ – ٣٣٨، أمين،تاريخ العراق ، ص ٣٣٩.

[3]) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص١٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٠.

[4])الأمراء هم إيلغازي بن أرتق وكربوقا وجكرمش وسرخاب بن بدر وغيرهم، وقد ساروا لبغداد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩ طالبين من الخليفة المستظهر الخطبة للسلطان محمد بن ملكشاه، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٩، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٤٧ .

أرض المعركة التي جمعت بين الأخوين بركياروق ومحمد في المواجهة الأولى بينهم سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[١]، في همذان شهدت مقتل سعد الدولة كوهرائين[٢].

وعلى إثر المشاحنات والمنازعات التي استمرت خمسة أعوام بين الأخوين، كانت وظيفة الشحنة هي الأخرى تشهد تنافساً بين الأمراء فنجد أن السلطان محمد يقوم بتعيين محمد بن كوهرائين شحنة بغداد سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، ثمّ بعدها بعامين قام بتعيين نجم الدين بن إيلغازي بن أرتق شحنة في بغداد سنة ٤٩٥هـ/١٠٠١م[٣]، إيماناً منه بقدرة نجم الدين إيلغازي بصد قوات أخيه بركياروق إذا ما أراد دخول بغداد، وكانت الخطوة التالية من السلطان بركياروق وفي أعقاب انتصاره على أخيه محمد في أصفهان سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م وكخطوة للردّ على أخيه محمد قام بتعيين كمشتكين الجاندار القيصري شحنة لبغداد سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م[٤]، وما أن عيّن من قبل السلطان بركياروق حتى دارت مشاحنات بينه وبين نجم الدين ايلغازي، تمكن معها الأخير بحنكته السياسية من نشر الاستقرار في بغداد، كان من نتيجته لاحقاً المصالحة بين الأخوين بركياروق ومحمد، نتج عنها مصالحة أخرى بين السلطان بركياروق ونجم الدين إيلغازي، ليقوم السلطان بركياروق في أواخر فترات حياته بإصدار مرسوم سلطاني يقضي بتعيين نجم الدين إيلغازي شحنة في بغداد سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م[٥]،ويلاحظ مما سبق أن تعيين صاحب الشحنة في بغداد ارتبط كثيراً بالحالة السياسية في السلطنة السلجوقية وما شهدته العلاقة من توتر بين الأخوين إضافة إلى تأثير الخواص، المقربين من السلاطين في مسألة اختيار صاحب الشحنة له حسب المصالح الشخصية والأموال التي قد ينالوها، لا سيما وأن السلاطين في حروب ونزاعات.

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤ ، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٢٩٤ – ٢٩٥،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٣.

(٢)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥ – ٢٩٦.

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٢٩، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٠٧–٣٠٨، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٦٤، زامباور ، معجم الأنساب ،ص٣٣٧–٣٣٨.

(٤) كمشتكين الجاندار : أحد الأمراك الأتراك المقربين من السلطان بركياروق ، سانده كثيراً في النزاعات التي دارت ضد أخويه محمد وسنجر ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٥٥، زامباور، معجم الأنساب، ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

(٥)ابن الأثير، الكامل،ج١٠، ص ٣٧١.

وبقي نجم الدين إيلغازي في شحنة لبغداد حتى عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م حيث أن السلطنة قد صفت للسلطان محمد دون وجود منافس قوي وخطير يواجهه في معارك، فقام بتعيين قسيم الملك آقسنقر البرسقي شحنة في العراق(١).

وخلال الأعوام ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م – ٥١١هـ/١١١٧م تولّى منصب الشحنة مجاهد الدين بهروز(٢) لما عرف عنه من القوة والحزم والحرص على مصلحة السلطان والبلاد، فقد قام بالإضافة لحفظه الأمن في العراق بعمارة دار المملكة ببغداد وبناء الأربطة للصوفية(٣).

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٥ – ٣٩٦، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٦٨.

(٢)مجاهد بهروز: هو بهروز بن عبدالله أبو الحسن، أصله من بلدة يقال لها دوين من نواحي أذربيجان، كان يلقب بمجاهد الدين تولى شحنكية العراق ثلاثون سنة أو يزيد قليلاً، توفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م،ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ١٠٦، ابن واصل، أبوعبدالله بن محمد بن سالم بن نصرالله المازني التميمي الحموى الشافعي الملقب بـ ابن واصل الحموي (ت٦٩٧هـ /١٢٩٨م)،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، سعيد عاشور وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، مج١،١٩٥٧، ص ٧، وسيشار إليه : ابن واصل ، مفرج الكروب .

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١٢١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٤٥–٤٦، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣١٥، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ص ١٩.

* المظاهر الإدارية والعسكرية في الدولة السلجوقية خلال عهد السلطانين: بركياروق ومحمّد:

أولاً: الجيش السلجوقي:

ترتبط نشأة الجيش في الإسلام بفكرة الجهاد أو القتال في سبيل الله والذي يعتبر ركناً من أركان الدين وفرضاً فرضه الله للدفاع عن النفس وأرض الإسلام[1]، ومن هذا المنطلق اهتمّ السلاجقة ببناء الجيش السلجوقي منذ وقتٍ مبكّر من تاريخهم وضمن استراتيجية عسكرية تُعنى بتنظيم الجيش وتنسيق القوى ووضع الخطط العسكرية الضرورية واللازمة للدفاع عن أرضي دولتهم ضدّ الأعداء المحيطين بهم[2]، ويعتبر الوزير السلجوقي نظام المُلْكْ صاحب الفضل في تطوير البنية الإدارية والفكر العسكري عند السلاجقة في مختلف مجالات الحياة، وقد أشار في كتابه سياسة نامة إلى وجود نُظم عسكرية وفكر عسكري خاصّ بالسلاجقة[3]

ويعتبر الوزير السلجوقي نظام الملك صاحب الفضل في تطوير البنية الإدارية والفكر العسكري في مختلف مجالات الحياة، جاء ذلك من خلال كتابه سياسة نامة، حيث أشار إلى وجود نظم عسكرية وفكر عسكري خاصة بالسلاجقة[4].

وتجلّى ذلك الفكر العسكري عند السلاجقة منذ أيام السلطان طغرلبك، فنظراً لبداوتهم وترحالهم وتنقلهم في بادي الأمر من مكان لآخر، ومشاركتهم في الحروب والقتال مع السامانيين ضد أعدائهم، كانت التنشئة العسكرية أبرز ملامح ذلك الفكر حيث اهتموا بتربية أبناؤهم ومنذ نعومة أظفارهم التربية العسكرية الصلبة، إذ كان الطفل وهو لم يتجاوز العامين من عمره يربط على ظهر الخراف لفترات طويلة من اليوم حتى يتعلم الفروسية والتوازن من الصغر، فتربي الأبناء على

---

(1) العبادي، أحمد، نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية" دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ط1، 2006، ص 171، وسيشار إليه: العبادي، نظم الحكم والإدارة.

(2) الحسيني، زبدة التواريخ ، ص21.

(3) نظام الملك، سياسة نامة، ص210 ، أبو قريحة، نايف، النظم الحربية عند السلاجقة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط1، 2003، ص 45، وسيشار إليه : أبو قريحة ، النظم الحربية ، انظر مرجونة، إبراهيم محمد علي، الفكر العسكري للأتراك السلاجقة في عهد طغرلبك (429 – 455هـ/1037 – 1063م)، المؤتمر الدولي الخامس (العرب والترك عبر العصور) كلية الآداب، جامعة دمنهور، 1993، ص 8.

(4) نظام الملك، سياسة نامة، ص210 .

فنون الحرب والقتال[1]، وربما كان الفكر العسكري الذي اشتهر به السلاجقة قد أخذوه من السامانيين الذين قامت دولتهم في بلاد ما وراء النهر، فقد حرص هؤلاء على التربية العسكرية والفكر العسكري الناضج للجنود والعساكر ومن اعتمدوا عليه في القتال من المماليك الأتراك[2].

وبالعودة لنظام الملك بصورة أكثر تركيزاً، فقد عمل عند توليه منصب الريادة في الدولة السلجوقية كوزيراً للسلطانين ألب أرسلان وابنه ملكشاه خلال السنوات (٤٥٥– ٤٨٥هـ/ ١٠٦٣ – ١٠٩٢م) [3] على تطوير الجيش السلجوقي من خلال ما عرف بـ الإقطاع العسكري حيث كان مختلفاً كثيراً عما كان عليه زمن السلطان طغرلبك، حيث أنه كان بدائياً مشابهاً لما شاع استخدامه عند البويهيين من خلال النظرة القبلية المستندة إلى الملكية المشتركة للأرض[4].

إن نظرية نظام الملك الجديدة جنباً إلى جنب مع نظرة السلاجقة القديمة للأرض والملكية المشتركة لها يشكلان أساس الإقطاع العسكري عند السلاجقة[5]، فقد أراد نظام الملك من خلال نظرية الإقطاع العسكري أن يتجنب ما حدث للبويهين من سوء تصرف في الإدارة العسكرية، إذ كان الوزير البويهي يمنح الإقطاعات العسكرية للجنود دون مشورة الخليفة العباسي، حتى أن معز الدولة البويهي أقطع قادته واصحابه من أهل عصبيته وخواصه وأتراكه جميع ما امتدت إليه يده من الأراضي، الأمر الذي دفع بكثير من أولئك المقطعين بإهمال عمارة الأرض وصار من السهل على هؤلاء أن يخربوا إقطاعاتهم ويردوها، وهو ما أدى في نهاية المطاف لإفلاس الخزينة البويهية،

---

(1)الراوندي، راحة الصدور، ص ١٩٧.

(2) انظر، نظام الملك، سياسة نامة، ص ١٤٩، العبادي، نظم الحكم والإدارة ، ص ١٧٤.

(3) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٢١٣ ، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٩٨.

(4)الجالودي، عليان، الإقطاع العسكري في عصر السلاطين السلاجقة الكبار ودور نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (٤٢٩ – ٤٨٦هـ/١٠٣٧ – ١٠٩٢م) المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج٢، ع١، ٢٠٠٨، ص ٤٧، وسيشار إليه : الجالودي ، الإقطاع العسكري ،شبارو، عصام، السلاطين في المشرق والمغرب العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط،١٩٩٤،ص٤٦، وسيشار إليه: شبارو،السلاطين.

(5)الدوري، عبدالعزيز، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة الاجتهاد، بيروت، ع١، ١٩٨٨، ص ٢٢٤ – ٢٥٦، وسيشار إليه : الدوري ، نشأة الإقطاع .

وعدم مقدرتهم على تأمين أرزاق جندهم[1]،هذا بالإضافة إلى قلّة خبرتهم السياسية فيما يتعلق بأمور الدولة وطريقة الإدارة الصحية للمؤسسات التي كانت قائمة لديهم، إذ أن أكبر همهم كان لا يتعدى إيجاد أفضل الطرق وأسهلها لإرضاء متطلبات الجند لديهم[2].

وبالرغم من محاولات الدولة السلجوقية في حماية الفلاحين والأراضي ومطالبات نظام الملك في النظر في اقطاع الإقطاعيين وأحوال الرعية والإهتمام بالعمارة ، إلاّ أن ذلك لم يؤتى أكله سريعاً إذ لم يراعِ الاقطاعيون في بداية الأمر حقوق أصحاب البلاد الأصليين لأن الإقطاعيين أصبحوا سادة في أراضي الفلاحين وظلموا الناس وقسوا عليهم ، فكانت الأسباب السابقة هي من دفعت نظام الملك لاتخاذ الإقطاع العسكري كمنحة بدلاً من الرواتب للجند والأمراء ،وهو بذلك يقدم حلولاً لمشاكل الدولة السلجوقية السياسية والاقتصادية ، كما أنه يؤدي لاحتفاظ الدولة بجند ثابتٍ وقوةٍ ثابتة لإنّ تسليم الأرض إلى المقطعين يضمن عمارتها وعناية المقطعين بها، وقد علّل البنداري ما قام به نظام الملك بشكل صريح وواضح بقوله: "رأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ولا يحصل منها إيراداً – لاعتلالها ففرقها على الأجناد إقطاعاً، وجعلها لهم حاصلاً وارتفاعاً فتوفرت دواعيهم على عمارتها وعادت في أقصر مدة إلى أحسن حالة"[3] .

وفي ضوء نظرية نظام الملك الجديدة في الاقطاع العسكري، نجد أنها جاءت بفوائد عظيمة انعكست على فاعلية الجند السلجوقي في الحفاظ على الأرض واستغلالها بادئ الأمر لاسيما في

([1])الدوري، عبدالعزيز، مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي ، دار الطليعة، بيروت، ط١، ص ٨٦، وسيشار إليه : الدوري ، مقدمة في التاريخ، الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطباعة والنشر، بغداد، (د.ط)، ١٩٤٥، ص ٢٦٣-٢٦٨، وسيشار إليه : الدوري، دراسات.

([2])الجالودي، الإقطاع العسكري، ص٤٦.

([3])البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٥٥-٦٠، الخرابشة ، سليمان، الإقطاع السلجوقي في بلاد الشام ، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، مج٢٢، ع٦، ص٣٤١٩-٣٤٢٠، وسيشار إليه : الخرابشة ،الإقطاع السلجوقي، أمين، نظام الحكم ، ص ٢٢٢.

سلطنة ملكشاه إذ أنه أصبح يعتمد على ما تنتجه الأرض من خراجٍ وليس على مبدأ ملكية الأرض فقط، كما كان في العصر البويهي على سبيل المثال[1].

أمّا في أعقاب وفاة السلطان ملكشاه فقد أصبح الجنود، ونظراً لضخامة أعدادهم أكثر خطراً على السلاطين السلاجقة من حيث كثرة متطلباتهم المادية ناهيك عن المخصصات النقدية (الأرزاق، والعطايا) التي كانوا يتحصلون عليها[2]، لاسيما مع كثرة المنازعات والحروب التي دارت بين أفراد العائلة السلجوقية، ومن أجل التعرف أكثر على نظام الإقطاع العسكري وطبيعة الجيش السلجوقي وعناصره وأهم الأسلحة التي استخدمت في عهود سلطنة بركياروق ومحمد أبناء ملكشاه، أمكنني تقسيم ذلك إلى:

أ- عدد الجيش:

تأثّر حجم الجيش السلجوقي من حيث العدد بعد وفاة السلطان ملكشاه ،إذ حدث انقسامٌ بين أولاده، خاصةً بركياروق ومحمود، ومحمد ، وسعى كلّ منهما للسلطنة، وقد انعكس ذلك بدوره على عناصر الجيش وفقاً لمصالحهم وأهواؤهم مع السلطان الأقوى[3]، ويؤكّد ذلك ما ذكره ابن الأثير عندما سار جيش السلطان ملكشاه إلى ما وراء النهر سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م قائلاً:

"ولما سار السلطان من أصفهان إلى خراسان جمع العسكر من البلاد جميعها، فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان، ولا تدخل تحت الإحصاء.."[4]، وفي قوله إشارة واضحة لكثرة الأعداد وعدم قدرة السجلات المقيدة فيها أسماء الجند ومقدار أعطياتهم، عدم قدرتها على احتواء ذلك العدد الكبير، ومن هذا المنطلق فقد كان عدد الجنود الذين مالوا لجانب السلطان بركياروق بعد تخليص النظامية له من سجن أصفهان يربو على عشرون ألفاً[5]، واستمر هذا العدد بالتضاعف على مرّ

([1])أمين، نظم الحكم ، ص ٢٢٢، أمين، تاريخ العراق ، ص ١٩٨-٢٠٠.

([2])الجالودي، الإقطاع العسكري، ص ٥٨.

([3])ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٦-٢١٧ ،

([4]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ١٧١ - ١٧٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٢٣.

([5])الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٧١، إقبال، تاريخ إيران ، ص ١٦٤، ويذكر ابن الأثير وجود أعداد كبيرة من الأمراء المتبوعين بجنود مالت إلى جانب السلطان بركياروق بالإضافة للنظامين الذين ثاروا في البلد، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٢١٥، فيما يشير سبط ابن الجوزي لانفاق تركان خاتون مبلغ ثلاثة مائة ألف دينار

السنوات التي تلت وفاة تركان خاتون سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[1]،إذ انضمّ جميع العساكر الذين كانوا بصف السلطان محمود وأمه تركان خاتون لصفوف السلطان بركياروق[2]،إلا أن ذلك العدد سرعان ما انقسم من جديد حينما ثار السلطان تاج الدولة تتش مطالباً بالسلطنة، وبقي الجيشان في حالة انقسام داخلي وصراع مرير بتحريض وتوجيه الأمراء خاصة الأمراء آقسنقر و بوزان أصحاب حلب وأنطاكية على التوالي، إلى أن وصلت سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، فبلغ جمع عسكر السلطان بركياروق في موقعة الريّ ضدّ عمّه تاج الدولة تتش نحو ثلاثون ألفاً[3].

وتجْدُرُ الإشارة إلى أن الوزراء قد لعبوا دوراً كبيراً ومهماً في زيادة أعداد العسكر وجمعهم بهدف مناصرة سلطان على سلطان آخر، ولا ننسى هنا قدرة ذلك المؤيد في مخاطبة الأمراء العراقيين والخرسانيين واستمالتهم لجانب السلطان بركياروق ضد عمه تاج الدولة تتش سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤[4].

كما أن تأثير الوزراء لم يقتصر فقط على جذب الجند لصالح سلطان على سلطان آخر داخل البيت السلجوقي، بل نجده يتعداه ليشمل كبار أمراء الجيش والعسكر، فقد كان تخلّى السلطان بركياروق كلياً عن أسرة نظام الملك، ذلك لأن تلك الأسرة لطالما تمتعت بحب السواد الأعظم من الناس بوجه عام وأمراء وقادة الجيش بوجهٍ خاص، فما أن عزل السلطان بركياروق مؤيد الملك بن نظام الملك سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥[5]، حتى بدأ أولئك بالتخلي عن السلطان بركياروق، الأمر الذي أدى إلى إضعاف جيش السلطان بركياروق واشتعال الفتن والثورات في كافة أجزاء الدولة السلجوقية، ومنها الفتنة التي وقعت في نيسابور في ذي الحجة من سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[6]، ثم ما

=على الجنود الذين كانوا معها وهم من الجنود في الجيش السلجوقي بالمجمل العام، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٠.

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص ٤٥٩،

(2)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٢ .

(3)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٥.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٥.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٢، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٣ .

(6) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥١، محمود، العالم الإسلامي، ص ٦١٣.

نجم عنها من خروج عمّ السلطان بركياروق أرسلان أرغون عن طاعة السلطان سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م[١]، إلا أن أبرز ما فعله الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك هو تحريض السلطان محمد الخروج على أخيه السلطان بركياروق، وما نجم عنه من ميل أعدادٍ كبيرة من الأمراء والعساكر للسلطان محمد سنة ١٠٩٩/٤٩٢[٢]، فنجد المؤرّخ ابن الأثير يوضح تفصيلاً لذلك أثناء حديثه عن المواجهات الخمس التي دارت بين الأخوين قائلاً: "واتفق قتل مجد الملك القميّ البلاساني، واستيحاش العسكر من السلطان بركياروق وقاد مؤيد الملك قوةً، وساروا نحو السلطان محمّد...." [٣]،كما أن أعداد الجيش الكبيرة التي كانت مع السلطان بركياروق وكانت سبباً في انتصاره على عمّه تاج الدولة تتش، كانت هي نفسها سبب هزيمة له في المواجهة الأولى مع أخيه محمد في اسبيذروذ سنة ٤٩٣هـ/١١٠م[٤].

أمّا الجيش المناصر للسلطان محمّد بن ملكشاه فقد كان عدده متفاوتاً ، تبعاً للظروف السياسية الداخليه في الدولة السلجوقية ، إذ إن المتتبع لمسيرة السلطان محمد بن ملكشاة من خلال الحروب التي خاضها سواءً في الشأن الداخلي (محاربة أخيه بركياروق خمس مرات) ثمّ الإسماعيلية الباطنية أو في الشأن الخارجي (في محاربة الفرنج)؛ ليرى أن عدد ذلك الجيش بدأ بـ عشرون ألفاً سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[٥] في المواجهة الأولى ضدّ السلطان بركياروق، ثم نجده قد

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٣٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٢.

(٢) من أولئك الأمراء الذين انحازوا لفريق السلطان محمد سعد الدولة كوهرائين وقوام الدولة كربوقا صاحب الموصل، وجكرمش صاحب الجزيرة وغيرهم، أنظر ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٢٨٩، ص ٢٩٣،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٢، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٥.

(٣) ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٧ ،الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥.

انخفض إلى خمسة عشر ألفاً في المواجهة الثانية سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م[١] ثم في المواجهة الرابعة قد بلغ عشرة آلاف مقاتل[٢] ثمّ لنجده يتضائل سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م ليبلغ ستة آلاف مقاتل[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أن أعداد الجيش في معسكر السلطان محمد كانوا في تباين وتفاوت من سنة لأخرى عطفاً على المنازعات بين الأخوين وما نجم عنها من تفرق واضح في العدد والعدة بسبب المصالح الشخصية لأمراء وقادة أولئك العساكر، فكانوا مع الأقوى دائماً ومع من تكون له الخطبة في دار الخلافة في بغداد.

إلا أن ذلك العدد من الجيش ارتفع عدده سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م في أعقاب وفاة السلطان بركياروق وتحوّل جيش السلطان بركياروق النظامي إلى جانب السلطان محمد، بالإضافة للأعداد من العساكر الذين كانوا في حالة جهوزية قصوى تحت إشراف ومتابعة الأمير صدقه بن مزيد، حيث تذكر بعض المصادر أن الملك صدقة أبلغ السلطان محمّد بتوافر خمسة وعشرون ألفاً في بغداد في أقصى درجات الاستعداد وتحت تصرف السلطان[٤].

ومع استقرار قواعد الحكم والسلطنة بيد السلطان محمد بن ملكشاه، ورغم ظهور بعض الفتن والقلاقل التي كانت تهدد السلطنة ومنها فتنة منكبرس بوري برس سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م[٥]، ثم مواجهة خطر الإسماعيلية في الداخل وما نتج عنه من فتح لقلعة شاه دزّ " أصفهان" سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[٦]، ثم الحرب الضروس الأكبر ضد الملك صدقه بن مزيد سنة ٥٠١هـ/

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٣.

(٢) التقى الأخوان في المواجهة الثالثة سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م إلا أنهما لم يتقاتلا وانتهى لقاؤهم بالصلح، بعد أن بلغ عدد الجيش في كلا الفريقين أربعة آلاف فارس، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣١٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٥، يذكرهم سبط ابن الجوزي بخلقاً كبيراً، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٦ ،ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٩٨ – ١٩٩، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٢١٨، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٠٥.

(٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٨.

(٦) تمت الإشارة لذلك خلال حديثي عن علاقة السلطنة بالإسماعيلية الباطنية، انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

١١٠٧م[1]، فقد بقي الجيش السلطاني محافظاً على تماسكه وقوته ، إذ وجة أنظاره بعد ذلك نحو الخطر الخارجي المتمثّل بالفرنج.

ب- عناصر الجيش:

اعتمدت السلطنة السلجوقية ومنذ بداية تأسيسها على وجود بعض العناصر الهامة في الجيش والتي لم يكن بالإمكان منذ تكوين الدولة على يد سلطانها الأول طغرلبك الاستغناء عنها، كانت تلك العناصر تتألف من القبائل التركمانية الغزية التي وفدت مع السلاجقة من سهول تركستان ونزحت نحو المشرق الإسلامي[2].

وكما كان للوزير نظام الملك الطوسي تأثير هام، بل وهام جداً في تحديد شكل الإقطاع الذي هو أساس الهيكلة الإدارية للجيش السلجوقي، كان له كذلك بصمات واضحة في تغيير البنية العامة لقوام الجيش السلجوقي وعناصره، كيف لا وقد أشار على السلطان ملكشاه بضرورة الاعتماد على عناصر أخرى غير التركمان لتكون مكملة وداعمة لهم، وذلك إيماناً منه بخطورة الاعتماد على عنصر واحد فقط لما قد يشكله من خطورة مستقبلية على السلطنة فنجده يقول:

"ينبغي أن يؤسس الجيش من كل جنس وملّة، لأن اتخاذ الجيش من عنصر واحد مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد، وعدم الجدّية في البلاء والحرب"[3].

ويبدو أن الوزير نظام الملك الطوسي قد اعتمد في مقولته مما شاهد وعرف عن الجيش الغزنوي، لا سيما جيش السلطان محمود الغزنوي، حيث كان ذاك الجيش مؤلفاً من الترك والخراسانيين والهنود والغزنويين والديالمة، الأمر الذي جعل من الصعوبة بمكان أن يتحالف جمع على آخر أو أن يتخاذلوا في ساحات القتال، بل ما حدث كان العكس إذ وكما يصف نظام الملك ذلك قائلاً: "كان كل فريق يراقب الآخر، وكانوا ينافسون بعضهم البعض سعياً للتميّز والتفوق" [4].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٩٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٤٠-٤٤٣،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٦-٢٧.

(2) الجالودي، قواعد الحكم ، ص ٢٢٦، أبو النصر، السلاجقة، ص ٢٥٤.

(3) نظام الملك، سياسة نامة، ص ١٤٠ - ١٤٢.

(4) نظام الملك،سياسة نامة، ص ١٤٠ - ١٤٢، الجالودي، الإقطاع العسكري، ص ٥٨ - ٥٩.

ومن هذا المنطلق نستطيع القول: أن السلطان بركياروق قد ورث جيشاً مؤلفاً من الخوارزميين والديالمة والأكراد والكرج والأتراك إضافة إلى الشبانكاريين[١]، هذا بالإضافة للعرب في الموصل ومدن العراق الذين كانت لهم بصمات واضحة في الإنطلاق من الموصل ومقاتلة الفرنج لاسيما في عهود ولاتها الأقوياء أمثال الأمير كربوقا والأمير مودود[٢].

وتذكر بعض المصادر التاريخية تواجد النظامية والأتراك وأفراد القبائل العربية في الموصل خلال مواجهة السلطان بركياروق مع تركان خاتون سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢ ومع عمّه تاج الدولة تتش منذ سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[٣]، وخلال المواجهات الخمس التي جمعت السلطانين: بركياروق ومحمد وأخاهم الآخر سنجر فقد اعتمد السلطان في تكوين جيشه على الجند المحليين من مدن همذان والريّ وطبرستان وجرجان ودامغان وغيرها من أقاليم الدولة السلجوقية[٤]، وهم في مجملهم لا يخرجون عن الفئات التي ذكرت.

ومن الملاحظ اعتماد السلطانين: بركياروق ومحمّد على الأتراك في المواجهات المباشرة بينهما ، والدليلُ على ذلك ما ذكرتهُ بعض المصادر التاريخية التي أشارت إلى وجود عناصر أتراك في كلا الفريقين، فهذا ابن الأثير يذكر في حوادث سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م وجود أربعة آلاف فارس من الأتراك في معسكر السلطانين المتمركز في منطقة روذ روار[٥]، وقد آلت نتيجة اللقاء إلى انسحاب الفريقين دون قتال بسبب البرد الشديد[٦].

ولم يكن اعتماد السلاطين السلاجقة بشكل عام والسلطانين : بركياروق ومحمد بشكل خاص على الأتراك، لأنهم من شكل النواة الأساسية للجيش فحسب، بل لما عرف عنهم من قوة

---

(١) الشبانكارية: نسبة إلى أحد الأقاليم الواقعة في بلاد فارس، تحديداً في الجزء الشرقي منه، أنظر لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٢٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٧٦، ص ٣٧٣، ص ٤٨٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥١٣

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥، ص ٢٣٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤- ٢٩٧.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١.

ومهارة وشجاعة وتحمّل للصعاب[1]،كما أنهم اتصفوا بالجهوزية العالية في القتال والعزيمة والشكيمة القوية والشدة منقطعة النظير، يضاف لذلك قوتهم البدنية في السجلات الحربية[2].

حتى أن الجاحظ وصفهم وصفاً دقيقاً يشير لمحبتهم الفروسية والقتال بقوله: "لو حصيت عمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على الأرض"[3].

كل العوامل السابقة دفعت السلطانين: بركياروق ومحمد ومن جاء قبلهم وبعدهم إلى الاعتماد على الأتراك أكثر من غيرهم، فيذكر عن السلطان ألب أرسلان مخاطبته للأتراك قائلاً: "لقد قلت لكم مرة ومرتين ومائة مرة أنتم الأتراك جيش خراسان وما وراء النهر، أنكم لغرباء في هذه الديار، لقد أحرزنا هذه الدولة بالسيف والقوة، ولكنا مسلمون أنقياء"[4].

وتؤكد لامتبون اعتماد السلاطين السلاجقة على العنصر التركي أكثر من غيره في كافة المعارك والمواجهات التي خاضوها، عطفاً على ما ذكرت سابقاً[5].

ومما سبق نرى أنّ الجيش في عهد السلطان بركياروق كان ممزّق العرى ومنقسماً بين أفراد البيت السلجوقي، بالإضافة إلى ازدياد مضطرب في نفوذ أمراء الجيش مستغلّين حالة الفوضى والمشاحنات بين الأخوين فصاروا يطالبون السلطان بالأموال، والزيادة في الاقطاعات وبدلاً من أن يقوم الجند والعساكر بحفظ الأمن والاستقرار في أقاليم الدولة السلجوقية برمتها، وكان ذلك الجيش سبباً في عدم الاستقرار فنجدهم في أكثر من موضع يمدون أياديهم إلى أموال الرعية[6]، إضافة للسلب والنهب[7]، الذي صار ديدنهم منذ بدء حالة عدم الاستقرار داخل أروقة البيت السلجوقي عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، كما أن ذلك الجند كانوا يميلون إلى الأمراء دون

---

(١) الشرمان، الجيش السلجوقي، ص ٢١-٢٢.

(٢) كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية ، ص ١٥٨.

(٣) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري(ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية) تقديم على أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٤٩٦، وسيشار إليه: الجاحظ ، رسائل الجاحظ.

(٤) نظام الملك، سياسة نامة، ص ٢٠٤.

(5) A.K.S. Lambton: The Interal Structure of the Seljuq Empire, The Cambridge History of Iran London, 1968, Vol. 5, P: 228.

(٦)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٢.

السلاطين، فلا إحساس بالمسؤولية ولا غيرة على الدين، وكلّ ما يحدث من سقوط للمدن الإسلامية بيد الفرنج وكأنه لا يعنيهم ، فبدلاً من المساهمة في توسعة رقعة الدولة السلجوقية، كانت أجزاء من العالم الإسلامي تتحول إلى حيازة الفرنج.

ومع ذلك فقد كان الجيش السلجوقي مرابطاً مع السلطان مشاركاً في القتال حينما اقتضت الحاجة لذلك، ولم يتقاعس قطّ عن تأدية الواجب، صحيح أنّ ذلك قد تم مقابل أموال نقدية وإقطاعات، غير أنه ومن المهم ذكره هنا أن الجيش النظامي لم ينهار بنشوب الصراعات الداخلية، إضافة إلى أن جيش السلطان الخاص كان مرابطاً كذلك في البلاط بجانبه بالإضافة إلى عدم انضمام أولئك العناصر العسكرية لقوى خارجية مجاورة للدولة السلجوقية.

وفي جيش السلطان محمد فإن عناصره لم تختلف كثيراً عنها في عهد السلطان بركياروق، فقد تألف من الأتراك، والخوارزميين والأعراب خاصة من العراق ومدنها الموصل وواسط حيث قبائل عبادة وخفاجة وآل خزيمة وآل ناشرة وآل عوف[١] وقد اعتمد عليهم السلطان محمد كثيراً لما شاهده منهم في حربه ضد الملك صدقة، فكانوا فرساناً مهرة وأصحاب جدارة، وكان اعتماده عليهم في أعقاب موت صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م.

ومن العناصر الأخرى كانت ذات قيمة كبيرة في هيئة الجيش السلجوقي الفرس من الديلم والخراسانيين[٢] وقد كانوا بارعين في استخدام الرماح ذات الرأسين إضافة إلى قدرتهم العالية في القتال سواء كانوا مشاة أو خيالة[٣]، وقد لعب هؤلاء دوراً كبيراً في القتال وإظهار الشجاعة والقوّة خلال المواجهات التي خاضها السلطان محمد بن ملكشاه ، ففي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م أظهر قائد الديلم الأمير سرخاب بن كيخسرو الديلمي شجاعة منقطعة النظير خلال المواجهة التي جمعت

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٦-٢٧.

(٢)عرف الخراسانيين بهذا الاسم نسبة إلى خراسان وتشمل مدن نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا وسرخس وابيورد وضواحيها شرق نهر جيجون، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج٢ ، ص١٢٣٤

(٣) الشرمان ، الجيش السلجوقي ، ص١١٢

السلطان محمد بأخيه بركياروق[1]، وأظهرت عناصر خراسانية في جيش السلطان محمد بن ملكشاه، إمكانياتها العالية في القتال الذي وقع بين الأخوين سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م وكانت إعدادهم كبيرة جداً في معسكر السلطان محمد بن ملكشاه [2]،كذلك كان اعتماد السلطان محمد عليهم في حربه ضد الأمير صدقه بن مزيد سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، وكانوا عند حسن الظن بهم بشكل مذهل، حيث يشير ابن الجوزي لدورهم الكبير في المعركة قائلاً:

"وقاتل الأمير صدقه قتالاً شديداً، فرشقته العجم رشقة واحدة فخرج منهم عشرة آلاف نشابة، فجاءه سهم فوقع في ظهره..." [3]، وكان المماليك وهم خليط من أجناس مختلفة من يونان وأرمن وغيرهم[4]،عنصراً مهماً في بنية الجيش السلجوقي في عهد السلطان محمد.

وقد جاء المماليك للبلاط السلجوقي من عدة طرق منها الشراء بالمال والحروب وغيرها، فمثلاً اشترى السلطان محمد سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م عدداً من المماليك من تجار وأمر بدفع ثمنهم من عامل خوزستان[5].

ج- تنظيم الجيش وتشكيلاته ووحداته:

سار السلطانين: بركياروق ومحمد في تنظيم الجيش ووحداته المقاتلة على نسق السابقين من أسلافهم السلاطين الثلاث العظام، حيث كان المنظر العام للجيش السلجوقي النظامي على نسق كتائب تشبه ترتيب أعضاء جسم الإنسان من حيث التقسيم للعساكر وأمراؤهم والسلاطين أثناء المعركة، فبالعودة لبعض المصادر التاريخية وما تضمنته من حديث عن المواجهات العسكرية أو الحروب التي خاضها السلطانين: بركياروق ومحمد أمكنني ضرب مثال على نسق ذلك التوزيع الذي قسّم به السلاطين أفراد الجيش، وأمكنني أيضاً تشبيه كل جزء من الجيش بجزء من جسم

---

(1) سرخاب بن كيخسرو: أمير تركي مقربّ من السلاطين السلاجقة ، حظي بإقطاع آبه وساوة ، انضم للسلطان محمد في حروبه ضد أخيه بركياروق، كان سبب الفتنة والحرب التي خاضها السلطان محمد ضد الأمير صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٢،٤٤١.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٣-٣٠٤.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٦.

(4) Lambton, The Internal Sturcture, P: 228.

(5) الشرمان، الجيش السلجوقي، ص ٤٠.

الإنسان، فالجذع في الوسط (في جسم الإنسان) بمثابة قلب العسكر، والرأس في المقدمة تشبه إلى حد كبير طليعة العسكر أو ما يعرف بمقدمة الجيش ، واليدان في جسم الإنسان بمثابة جناحي الجيش الميمنة والميسرة ثم الساقين في الخلف بمثابة مؤخرة الجيش، ولو نظرنا لوقائع المواجهات العسكرية الخمس التي خاضها السلطانين: بركيارق ومحمد بدءً من سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م ولغاية سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م وجدنا أن التقسيم مطابق تماماً لما ذكرت، ففي المواجهة الأولى بين السلطانين: بركياروق ومحمد في اسبيذروذ[١] "كان السلطان محمد في القلب ومعة الأمير سرمز وعلى ميمنته أمير آخر وابنه إياز، وعلى ميسرته الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك والنظامية[٢]. وبالمقابل فإن السلطان بركياروق تمركز في القلب إلى جانب وزيره آنذاك الأعز أبو المحاسن، وعلى ميمنته سعد الدولة كوهرائين وعز الدولة ابن الأمير صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر، فيما شغل الأمير قوام الدولة كربوقا ميسرة السلطان بركياروق[٣]،وبذلك نرى أن تنظيم الجيش السلجوقي قام مرتكزاً في المعارك على خمسة أقسام، ولربما كان ذلك استمراراً لما جرت عليه الجيوش الإسلامية وأمكن تسميتها بالجيش الخميس[٤]، كما قسّم السلاجقة قادتهم العسكريين بشكل هرمي آخذين من كبراء قادة الجيش المنطلق وجاعلين إياهم أمراء على مائة نفراً من العسكر، مروراً بأمراء الطبلخاناه[٥]،ثم أمراء العشرات وانتهاءً بأمراء الخمسات[٦].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٥.

(٤) العبادي، نظم الحكم والإدارة، ص ١٨٢.

(٥) الطبلخاناه: هو لفظ مركبٌ من طبل العربية وخاناه الفارسية ، وهو المكان الذي يحفظ فيه الطبول والأبواق التي يستخدمها الجيش في في الموسيقات العسكرية ، كما أطلق على الأمير المسؤول عن مجموعة العسكر والتي كانت مهمتهم دق الطبول في المواكب الرسمية وعلى أبواب السلاطين، القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص ٦٦، الباشا، الفنون الإسلامية، ج٢، ص ٧٦٣، دهمان ، محمد ، معجم الألفاظ التاريخية ، دار الفكر ، دمشق،ط١، ١٩٩٠ ، ص١٠٦.

(٦) الراوندي، راحة الصدور، ص ٣٤٥، أبوقريحة، النظم الحربية، ص ٧٧-٧٨.

وبالاعتماد على الأحداث التاريخية وما شهدته من مواجهات عسكرية خلال فترة حكم السلطانين : بركياروق ومحمّد ابنيّ ملكشاه كانت تشكيلات الجيش السلجوقي في صفّ السلطانين بركياروق وأخيه السلطان محمد تتألف من الوحدات العسكرية التالية :

أ- الفرسان أو ما اصطلح على تسميتهم بالخيالة[1]:

اعتمد السلاجقة على التركمان[2] اعتماداً كبيراً على معرفتهم بالخيل ومهاراتهم العالية في ركوبها إضافة لإتقانهم عمليات المراوغة والإستطراد ، كما كان لمهارتهم الكبيرة وسرعتهم في القيام بأعمال المناورة وتحمل قوة الصدمة عند الالتحام مع العدو أثر كبير في بروزهم [3]، وقد اعتمد السلطان بركياروق ومحمّد على الفرسان أثناء النزاعات التي دارت بينهما، فكان كل واحد منهم يجمع العدد الأكبر من الفرسان لإرهاب الجانب الآخر أو الحصول على اعتراف الخليفة العباسي، فيذكر ابن الأثير وضمن حوادث سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م دخول السلطان محمّد لبغداد بجيش جرار بلغ عدد فرسانه مائة ألف فارس عوضاً عن وحدات الإسناد الأخرى[4].

ب-المشاة:

وهم الرجالة من الجند الذين يقاتلون سيراً على الأقدام وكانت أعدادهم كبيرة في الجيش السلجوقي تصل لعدة آلاف، وتعود أصولهم لعناصر شتى[5]، وغالباً ما يكون هؤلاء المشاة في مقدمة الجيش الملتحم مع العدو مباشرة[6] ومن ذلك دور المشاة الكبير في المعركة الخامسة

---

(1) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ص٥٠٠، الجنابي ، خالد ، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١ ، ١٩٨٦، ص ١١٧، خطاب، محمود، العسكرية العربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط١٢، ١٩٨٣، ص ٧٣.

(2) الشرمان،الجيش السلجوقي ، ص٤٠-٤٥.

(3) الأنصاري، عمر بن إبراهيم الأوسي (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق: جورج سكانلوب، دار المعارف، القاهرة ، د.ط، ١٩٦١، ص٤٢، الشرمان، الجيش السلجوقي، ص ٤٥.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٦.

(5) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٦-٧٦.

(6) الشرمان، الجيش السلجوقي، ص ٤٨.

والأخيرة بين الأخوين: بركياروق ومحمد سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م، حينما التقيا في الثامن من جمادي الآخرة، والتي أسفرت نتيجتها عن انتصار السلطان بركياروق [١].

ج- النشابون (الرماة):

وهم الأشخاص الذين يحملون الأقواس ويرمون السهام أو النبل[٢]، وكان لهم دور كبير في حسم كثير من الحروب والمواجهات التي خاضها السلاطين السلاجقة ومنها المعركة التي دارت بين السلطان محمد والأمير صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ، والتي آلت إلى مقتل الأمير صدقة وهزيمة جيشه وأسر قائد جيشه سعيد بن حميد العمري وابنه دبيس بن صدقة، كما هرب ابنه الآخر بدران بن صدقة إلى الحلّة [٣].

د- المنجنيقيون:

وهم العسكر الذين يقومون برمي الحصون والقلاع والأسوار في حالة تحصّن واختباء الأعداء داخلها وخلفها[٤] ولم تذكر أياً من المصادر التاريخية التي اطّلعتُ عليها استخدام المنجنيق في المواجهات والحروب العسكرية التي خاضها السلطانين: بركياروق ومحمد، إلاّ أنه وعطفاً على الأحداث التي تتطلب استخدام تلك الآلة الحربية كان من الضروري والمهم للسلطان محمد على وجه الخصوص أن يستخدم المنجنيق في مناسبتين: الأولى أثناء حصاره للموصل لسنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م. حين اختبئ الأمير شمس الدولة جكرمش والي الموصل من طرف السلطان بركياروق وتحصّن خلف الأسوار، إذ يذكر ابن الأثير أن السلطان محمد زحف إليها بالنقابين والدبابات، فلم تشر المصادر إلى حقيقة استخدام المنجنيق، إلاّ ان تفاصيل الحصار في المدن الكبرى يفرض ذلك، أمّا المناسبة الثانية فكانت أثناء حصار قلعة ألموت سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، لا

---

(١) الحسيني ، زبدة التواريخ ، ص ١٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٥٩ – ٣٦١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ١٤٩، ويعاون النشابون الطلائع وهي سرية من الفرسان يتقدمون الجيش عادة للاستكشاف والاستطلاع، متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ص ١٢٥.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٩٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٤٧-٤٤٨ سبط الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٦.

(٤) إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج٤، ص ٣٦٠، الجنابي، خالد، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني (٢١٨-٣٣٤هـ) دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٩، ص ٣٨.

سيما وما امتازت به تلك القلعة وما جاورها من قلاع مثل خالجان وغيرها من موقع جغرافي استراتيجي حصينٍ و منيع[1].

هـ-وحدة الفيلة:

إن أول ذكر لاستخدام السلاجقة للفيلة يعود لسنة ٤٢٨هـ/١٠٣٦م وذلك حينما أخذ جغري بك داود الفيل الكبير الذي أتى به الغزنويين إلى بغداد لمحاربة السلاجقة[2]، ومنذ ذلك الحين استخدم السلاجقة الفيلة كوحدة عسكرية مقاتلة ضمن خططهم العسكرية في القتال، ففي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وعندما خرج ابن عمّ السلطان ملكشاه محمد بن سليمان والمعروف بـ أمير أميران في منطقة خراسان عن طاعة السلطان بركياروق، استعان بصاحب غزنه من أجل إمداده بالفيلة والمقاتلة إلا أن السلطان سنجر ملك خراسان من قبل السلطان بركياروق قاتله وألحق به الهزيمة[3].

و- العيون[4]:

إن تقصّي المعلومات والأخبار عن العدو قبل المعركة من أهم الأمور التي يعنى بجمعها قائد الجيش لضبط أمور جنده وتوزيعهم في أماكن تضمن النصر للجيش[5]،ورغم إلغاء السلطان ألب أرسلان لنظام البريد في عهده وذلك لأسباب وجدها هو من وجهة نظرة مبررة ومقنعة تتلخص بخوفه من قبول صاحب البريد للرشوة والأموال من الأعداء فيطلعهم على أخبار الدولة السلجوقية[6]، إلا أن نظام الملك أصرّ على ضرورة وجود هذا الجهاز الاستخباراتي حينما تولى ابنه السلطان ملكشاه الحكم في الدولة، اعتمد على كتاب الوزير نظام الملك وما جاء فيه من

---

(1) انظر تفاصيل حصار السلطان محمد لقلاع الإسماعيلية (الباطنية)، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٠-٤٣٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨-١٠،

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص ٤٠٥-٤٠٩.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(4) يطلق عليهم الشرطة السرية التي تمد السلاطين وقادة الجيش بمعلومات عن تحركات الأعداء وتمركزهم في المنطقة ونقاط ضعفهم، رايس، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم، ص ١٠٣.

(5) الشرمان، الجيش السلجوقي، ص ٥٧.

(6)ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص ٧٤، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٦٧-٦٩، نظام الملك، سياسة نامة، ص ١٠٧-١٠٩.

نصائح دستوراً تسير عليه أمور الدولة[١]،وقد اتخذ صاحب البريد (العين) أشكالاً متعددة من ضمنها شخصية التاجر والمتصوف وبائع الأدوية، كل ذلك لنقل جميع الأخبار للسلاطين وكان ذلك بنصح من نظام الملك للسلطان ملكشاه[٢].

وبعد وفاة السلطان ملكشاه وأثناء فترة النزاعات بين الأخوين السلطانين: بركياروق ومحمد استخدموا أصحاب الحصون والشحنة لنقل أخبار بعضهم البعض، ومن ذلك مثلاً نجد أن السلطان بركياروق قد أوصى شحنته في بغداد سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥ برصد تحركات عمه تاج الدولة تتش وقد فعل حسناً حينما أخبره بدخول يوسف بن آبق التركماني إلى بغداد في صفر من نفس السنة، فاتخذ السلطان بركياروق التدابير اللازمة إلى أن انتهى المطاف بهزيمة تاج الدولة تتش في موقعه الري سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م [٣]، وقد نقل العيون للسلاطين أخبار الوزراء وما يصدر منهم تجاه الدولة بوجه عام وتجاه السلاطين وخواصهم بشكل خاص ومن ذلك ما نقلوه للسلطان بركياروق من تصرفات لمؤيد الملك وأقوال تجاه أمه زبيدة خاتون[٤]،ولعب العيون دوراً كبيراً كذلك في نقل أخبار وجود فتن وقلاقل في الدولة السلجوقية، منها ما نجده سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، حينما ورد خبر خروج أرسلان أرغون عن طاعة ا بن أخيه السلطان بركياروق في خراسان[٥]،وفي سنة٤٩٣هـ/١١١٠م وصلت عن طريق العيون أخبار عن تآمر صاحب شحنة أصفهان الأمير سرمز مع جماعة من الناس بهدف قتل السلطان بركياروق[٦] .

وأثناء المنازعات والمواجهات العسكرية التي دارت بين السلطان بركياروق والسلطان محمد كان للعيون دوراً مؤثراً في نقل استعدادات الجانبين للآخر وإيصال أخبار الدولة وما فيها من تحالفات وأطراف تميل لجانب سلطان على آخر، فمثلاً أن السلطان بركياروق وحينما انهزم من

---

(١) نظام الملك، سياسة نامة، ص٢٣-٢٥.

(٢) نظام الملك ، سياسة نامة، ص ١١١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٢.

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٦)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٣.

أخيه محمد في المعركة الأولى سنة ٤٩٣هـ/١١١٠ م سار للريوأرسل إلى من كان يعلم أنه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه وقوي به جانبه[١].

ز- الأطباء:

كان من الضروري والمهمّ جداً وجود كادر طبي خاصّ بالجيش السلجوقي والمرافق للجنود والعساكر أثناء الحروب، وذلك تماشياً مع ما جرت عليه العادة في الجيوش الإسلامية بوجه عام. إلا أنه ومن أجل الحديث عن الأطباء واتباعهم في الجيش السلجوقي يتحتم علينا مراجعة النصوص التاريخية المعاصرة لفترة حكم السلطانين بركياروق ومحمد، فقد ذكر المؤرّخ ابن الأثير وجود وحدة طبية عسكرية سلجوقية تتبع للجيش، فمثلاً ومن خلال حوادث سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م حينما دخل السلطان بركياروق إلى أصفهان بجيشه، كان متعباً منهكاً بسبب حربه مع عمه تاج الدولة تتش وما حدث بينهما من مناوشات، وبعد دخول المدينة اجتمع عليه أمراء أخيه محمود بن ملكشاه وأوقعوا به عندما ألقوا القبض عليه وأرادوا تسميل عيونه وكحلها[٢]، وهنا جاء تدخل أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب، فخاطب أمراء الجيش قائلاً: "إن الملك محمود وقد جدر، وما كأنه يسلم منه، وأراكم تكرهون أن يليكم، ويملك البلاد تاج الدولة، فلا تعجلوا على بركياروق، فإن مات محمود أقيموه ملكاً، وإن سلم محمود فأنتم تقدرون على كحله"[٣].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢)ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٢٣٤ ، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٣، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ١٩٥، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٤.

ثانياً: القضاء في الدولة السلجوقية خلال عهد السلطانين بركياروق ومحمد :

كانت السمة البارزةُ فيما يخصّ القضاء خلال عصر السلطانين بركياروق ومحمّد ازدياد خطر الإسماعيلية على حياة القضاة، فتذكر بعض المصادر التاريخية عدة اغتيالات قام بها الإسماعيلية – الباطنية للقضاة البارزين في الدولة.

فعلى سبيل المثال في سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م قتلت الإسماعيلية قاضي أصفهان عبيد الله بن علي الخطيبي في همذان أثناء أداءه لصلاة الجمعة (١)، كما قتلوا أيضاً قاضي نيسابور صاعد بن محمد بن عبدالرحمن أبو العلاء يوم عيد الفطر بسبب تحذيراته المستمرة التي كان يقدمها للناس عن خطر الإسماعيلية الباطنية (٢)، وفي نفس العام قتل الإسماعيلية الباطنية فخر الإسلام القاضي أبا المحاسن الروياني بجامع آمد(٣) وكان ذلك في يوم الجمعة من شهر الله المحرم وفي ذلك إشارات واضحة للعداء الذي كان الشيعة الإسماعيلية يكنّوه للمسلمين السنة على وجه العموم، وما نتج عن ذلك العداء من قتل وسفك للدماء دون التفريق بين أمير أو وزير أو قاضي، فكان الاغتيال هو السلاح الرهيب الذي استخدمه الباطنية في تنفيذ أغراضهم والتخلصّ من خصومهم والعبث بمصالح البلاد وأرواح العباد، وهو ما لم يسكت عليه سلاطين السلاجقة بركياروق ومن بعده أخيه محمّد ابنيّ ملكشاه ، فقد حاربهم السلطان بركياروق سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، وكذلك فعل السلطان محمّد عندما حاصر قلعة ألموت ،إلا أن وفاة السلطان محمّد سنة ٥١١هـ/١١١٧م وضعت حداً لذلك (٤)، ونظراً لخطورة الشيعة الإسماعيلية على منصب القضاء بوجه خاص والدولة ومؤسساتها بوجه عام، جاءت تحذيرات نظام الملك وأولاده من بعده واشتملت تلك التحذيرات على ضرورة تشديد الرقابة على الباطنية من خلال العيون ورجال الاستخبارات السريين(٤).

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص١٠١–١٠٢، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٤٧١–٤٧٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧١.

(٣) اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٣١.

(٤) عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص٤٩٥–٤٩٧.

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٨٠.

وكما كان أسلافهم السابقين أولى السلاطين السلاجقة بركياروق ومحمد من بعده مهمة مراقبة مؤسسة القضاة إلى وزرائهم[1] الذين كانوا مرافقين لهم مباينين لهم أثناء فترات النزاع، كما طلب الوزراء انضمام الفقهاء والعلماء للمدارس النظامية[2]،ومن الملاحظ أيضاً على مؤسسة القضاء خلال العصر السلجوقي تتابع سيطرة عائلة الدامغانيالتي توارثتها أباً عن جد ومنذ عام ٤٤٧هـ/١٠٥٥م – ٦١٣هـ/١٢١٦م[3].

*** دور القضاة في الدولة السلجوقية خلال عهد السلطانين بركياروق ومحمّد :**

من خلال قراءة الحوادث التاريخية بين سنتيّ ٤٨٧– ٥١١هـ/١٠٩٤–١١١٧م ، تم ملاحظة عدد من الأدوار التي قام بها القضاة خلال عهد السلطانين بركياروق ومحمد، إلا انها في الوقت نفسه كوّنت استمرارية لما قام به القضاة خلال العصر السلجوقي بصفة عامة، ويمكن دراسة اهم الأدوار على النحو التالي:

١ – الفصل في المنازعات وقطع التشاجرات والخصومات:

يشهد التاريخ عبر أحداثه المتتابعة تدخل العلماء والفقهاء (القضاة) في حل مسائل الخلاف الذي كان يحدث بين السلاطين وأبناؤهم بسبب النزاع على السلطة، فنجد أن أبي حامد الغزالي وهو من العلماء البارزين قد تقمّص شخصية القاضي لحلّ مسألة انتقال السلطة من السلطان ملكشاه إلى ابنه السلطان محمود بفضل رعاية حثيثة من والدته تركان خاتون سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، جاء ذلك حينما أرسل الخليفة المقتدي بالله الغزالي لتركان خاتون يخبرها بشروطه لقبول سلطنة ابنها محمود[4].

---

[1] أبو النصر، السلاجقة، ص ٣٢٧.

[2] سعادة، صفيّة، تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، دار أمواج للنشر، بيروت ، ط١، ١٩٨٨، ص١٠٦، وسيشار إليه : سعادة ، تطوّر منصب قاضي القضاة.

[3] أبوالنصر، السلاجقة، ص ٣٢٨.

[4]ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٤٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٣.

٢- حضور المبايعة بالخلافة والاعتراف بالسلطنة:

كما شهد القضاة مبايعة الخليفة المستظهر بالخلافة بعد أبيه المقتدي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م[١]، كما شهدوا كذلك استدعاء دار الخلافة للسلطانين: بركياروق ومحمد حينما تم الاعتراف الرسمي بسلطنتيهما، فكانت لبركياروق سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وللسلطان محمد سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م [٢]

٣- تقديم النصح والمشورة للسلاطين السلاجقة :

حرص القضاة على تقديم النصح والمشورة للسلطانين: بركياروق ومحمّد ، إلّا أن تلك المشورة لم تكن مقتصرةً على الأمور السياسية فقط، فقط قام الإمام أبو حامد الغزالي بنصح السلطان محمّد حينما صفت له السلطنة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م قائلاً: " إعلم يا سلطان العالم بأن الله قد أنعم عليك نعماً ظاهرة، وآلاء متكاثرة، ويجب عليك شكرها ، ويتعيّن عليك إذاعتها ونشرها، ومن لم يشكر نِعم الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه، فقد عرّض تلك النعمة للزوال، وخجل من تقصيره يوم القيامة"[٣]، كما نصح الإمام السلطان محمّد بأن يتقي الله في الرعية وأن لا يثقل كاهل الناس بالضرائب، وهمس في أذن السلطان محمّد ضرورة الالتفات للناس وتخفيف الهموم عنهم بدلاً من الاهتمام بالخيل، في إشارة منه للأطواق الذهبية التي كانت تلتفّ حول عنق الخيول، فكانت كلماته: "أسفاً إن رقاب المسلمين كادت تنقضّ بالمصائب والضرائب ، ورقاب خيلك كادت تنقضّ بالأطواق الذهبية"[٤].

٤- المساهمة في نشر حفظ الأمن والاستقرار في الدولة:

كان للقضاء دور بارز في بذل الجهود بغية حفظ أمن البلاد التي كان جيش السلطانين: بركياروق ومحمد يتنقلون فيها سواء في فارس أو العراق، ومن ذلك نجد أن القاضي أبوعلي الحسن

---

(١)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٦.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧.

(٣) ابن خلّكان ، وفيات الأعيان ،مج١، ٧١-٧٢، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الشافعي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، المكتبة العصرية، بيروت ،ط١، ٢٠٠٨ ،ص١١.

(٤) الندوي، أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، دار ابن كثير، بيروت ، ط٣، ج٢، ٢٠٠٧،ص٧٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم ،ج١٠، ص٣٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٤.

بن إبراهيم الفارقي[١]، قاضي واسط بذل جهداً مضاعفاً في منع عسكر السلطان بركياروق من السلب والنهب في مدينة واسط وما تخللها من أسواق ومحالٍ تجاريه سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، لدرجة أن الناس خافوا منهم ولزموا جامع واسط[٢].

وبنفس السياق أرسل الخليفة المستظهر بالله القاضي أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن محمد الدامغاني[٣] إلى بغداد سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م لينهى ينال بن أنوشتكين الحسامي صاحب شحنة بغداد عن ظلم الناس ومصادرتهم، وليكفَ أيدي أصحابه عن أعمال السلب والنهب والمصادره التي طالت الرعية في بغداد ، ففعل وانتهى[٤].

٥- إصلاح ذات البين في الدولة :

كذلك كان للقضاة در بارز في إتمام الصلح والاتفاق بين السلطانين : بركياروق ومحمّد ابنيَ ملكشاة سنوات ٤٩٥هـ/١١٠١م و٤٩٧هـ/١١٠٣م، فقد كان القاضيان : أبو المظفّر أحمد بن يحيى الجرجاني الحنفي وأبو الفرج حمد بن عبدالغفار الهمذاني مبعوثان بين السلطانين: بركياروق ومحمّد ابنيَ ملكشاه من أجل إتمام ما اتفق عليه من حقن للدماء وحفظاً للبلاد[٥].

وكان لقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني دور كبير في إزالة الخلاف وإقامة الصلح بين السلطان محمد وابن أخيه ملكشاه بن بركياروق المدعّم باتابكه الأمير إياز، حيث حضر قاضي القضاة والنقيبان والصفيّ وزير الأتابك إياز والوزير سعد الملك الآبي وزير السلطان محمّد بن

---

(١) أبوعلي الفارقي: الإمام الفقيه الشافعي يستدل من اسمه نسبه إلى مدينة ميافارقين حيث ولد بها سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م تفقّه بها ثمّ ارتحل إلى بغداد، تولىّ القضاء في مدينة واسط زمن خلافة المستظهر بالله، بذل جهداً كبيراً في حفظ أمن واسط بالتعاون مع شحنتها، كان زاهداً وقوراً لا تأخذه في الله لومة لائم، ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص ٣٣٠-٣٣١، ابن خلكّان، وفيات الأعيان، ج٢،ص٧٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٠.

(٣)أبو الحسن الدامغاني: علي بن أحمد بن علي، ولد في دامغان، ودرس الفقه والحديث، تولّى قضاء ربع الكرخ بعد وفاة والده أبو عبدالله الدامغاني، ثم وليَّ قضاء القضاة في العراق، كان ساكناً، وقوراً، نبيلاً ،ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٢٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٥٣.

(٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢٨.

ملكشاة إلى مقر إقامة السلطان في بغداد وسعوا في عقد الصلح بينهم سنة ٤٩٨هـ/١٠١٤م ، حيث قال سعد الملك الآبي للسلطان محمّد: "إنّ إياز يخاف لما تقدمّ منه وهو يطلب العهد لملكشاة ابن أخيك ولنفسه، وللأمراء الذين معه"، فقال السلطان محمّد: أمّا ملكشاه فإنّه ولدي ، ولا فرق بيني وبين أخي، وأما إياز والأمراء فأحلف لهم "وبذلك تم الصلح بين السلطان محمد وابن اخيه ملكشاه بن بركياروق[1].

وفي مبادرة للصلح وتطييب الخاطر وتصفية الأجواء التي تعكّرت بين السلطان محمد والأمير صدقة بن منصور بن دبيسبن مزيد الأسدي سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ، أرسل السلطان محمّد القاضي أبو سعيد الهروي إلى صدقة بن مزيد يطيّب قلبه ويزيل خوفه، ويأمره بالإنبساط على عادته، ويعرّفه عزمه على محاربة الفرنج ويأمره للتجهّز معه، إلاّ أن صدقة لم يقبل بما قاله السلطان وصممّ بمساعي قائد جيشه ابن حميد على محاربة السلطان محمّد.

٦-المناظرة وإثبات الشرعية السنية للسلطنة:

حينما أراد السلطان محمد قلع جذور الإسماعيلية الباطنية من قلعة أصفهان والقلاع المجاورة سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[2]، طلب الإسماعيلية من السلطان محمد إرسال (الفقهاء والعلماء) وقضاة الدولة لمناظرتهم فيما يقولون؛ بغية التوصل لاتفاق، فما كان من السلطان محمّد إلا أن استمع لهم وأرسل إليهم القاضي أبو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية في أصفهان[3].

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٧-٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٦-٣٨٧، ابن تغري بردي، النجوم ، ج٥، ص ١٨٨.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣١-٤٣٤،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨-٩، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٠٨-٢٠٩،اليافعي، مرآة الجنان، ج٥، ص١٩٠.

(3) قتله الإسماعيليه الباطنية يوم عيد الفطر ، وتمّ الإمساك بذلك الباطني وقتل، ابن الأثير، الكامل، ص٤٣٢، ص٤٧٢، وقد تمتّ الإشارة لترجمته سابقاً ، انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة .

٧ – عقد عقود النكاح في مصاهرة السلاطين:

لما كانت سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م، وحينما عزم الخليفة المستظهر بالله على مصاهرة السلطان محمد بالزواج من شقيقته [١]، تولّى قاضي مدينة أصفهان أبوالعلاء صاعد ابن محمد النيسابوري إجراءات عقد القرآن في مدينة أصفهان[٢].

*** أشهر القضاة خلال سلطنة بركياروق ومحمّد ابنيَ ملكشاه (٤٨٥ – ٥١١هـ/١٠٩٢ – ١١١٧م)**

١– أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور الجيلي[٣]، ويلقبّ بشيذله، فقيةٌ شافعي، ولد في جيلان سنة٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وتفقّه فيها وأخذ العلم عن شيوخ الشافعية، الفقيه الشافعي الواعظ. كان فقيها، فاضلا، واعظاً، ماهراً، فصيح اللسان، حلو العبارة، كثير المحفوظات، صنّف في الفقه، وأصول الدّين، والوعظ، وجمع كثيرا من أشعار العرب، وتولى القضاء بمدينة بغداد بباب الأزج، وكانت في أخلاقه حدّة، وسمع الحديث الكثير من جماعة كثيرة[٤].

٢– أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الدامغاني[٥]: ولاّه منصب قاضي القضاة وزير الخليفة العباسي المستظهر بالله عميد الدولة ابن جهير وكان ذلك مشافهة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وقد قام الدامغاني بأعمال جليلة حينما تولّى منصبه إذ تمكّن من تهدئة الأوضاع في بغداد بعد

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧١،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٨، الذهبي، العبر، ج٢، ص٢٣٤ ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٦، للمزيد انظر جواد، سيدات البلاط العباسي ، ص١٧٦–١٧٧،علي، وفاء ،الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية ، دار الفكر، القاهرة، ط١ ، ١٩٨٨، ص١٠٦–١١٠، وسيشار إليه : علي ، الزواج السياسي.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ص ١٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص٢٨.

(٣) أبو المعالي: ابو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور هو قاضي شافعي شعري من جيلان له مصنفات كثيرة، تميز بالورع توفي سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٢٦..

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٦٥، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٢٢٧، ابن خلكّان ، وفيات الأعيان ، ج٣، ص٢٥٩، الذهبي، العبر،ج٢، ص٥٤١، ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٢، ص١٦٠.

(٥) تمتّ الإشارة لترجمته سابقاً في هذا الفصل ، انظر دور القضاة في الدولة السلجوقية.

حدوث فتنة طائفية بين أهل باب الطاق وأهل باب الأرجا إحدى المناطق القريبة من بغداد[١]، وكان القاضي الدامغاني ممن حضروا عزاء الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله في بغداد سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م ، وفي اليوم الثالث من موت المقتدي بأمر الله شهد قاضي القضاة البيعة للخليفة المستظهر بالله ثم فيما بعد اعتراف الخليفة العباسي المستظهر بالله بسلطنة السلطان بركياروق سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وإعلان الخطبة له[٢].

٣- أبوعبدالله الحسن بن محمد بن علي الطبري: تولّى القضاء في دولة السلطان بركياروق سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م، عن طريق وزير السلطان فخر الملك بن نظام الملك، كان من أعيان الفقهاء الشافعية ، أخذ الفقه عن إمام الحرمين الجويني،عمل مدرساً في نظامية بغداد سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، وتوفيَ بها سنة ٥٠٤هـ/١١١١م كان من ذوي الثروة الكبيرة والحِشمة، فصيحُ اللسان، له تصانيف حسنةٌ [٣].

٤- عبدالباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبدالملك بن هارون المراغي[٤]: كان قاضياً شافعياً سمع الحديث عن شيخه أبو الطيب الطبري وبه تخرّج واشتهر ، أراد السلطان بركياروق أن يوليه قضاء همذان سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٧م لكنه رفض، لرغبته في اعتزال الدنيا والزهد فيها، إذ قال لرسول السلطان حينما أتاه في مسجد نيسابور: "أنا في انتظار المنشور الأكبر من الله تعالى بلقائه وقدومي عليه، وقعودي ساعة في هذا المسجد على فراغ القلب أحب إلي من ملك الثقلين"[٥].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٩، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢٣٩

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٨٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٩، ص٣٥٠، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٣٣.

(٤) عبدالباقي المراغي : ولد في مراغة إحدى مدن اذربيجان سنة ٤٠١هـ/١٠١١م، تفقّه في بغداد على يد أبي الطيب الطبري ، برع في المذهب الشافعي وأفتى به ، ثم تولى القضاء في نيسابور ،كذلك فقد عمل مدرساً في نظامية نيسابور، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠١،الذهبي، سير أعلام البنلاء، مج١٩، ص ١٧٠.

(٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤١-٤٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٨ .

٥- أبو طاهر محمد الفزّاري[١]: قاضي قضاة فارس ، كان صاحب علم وورع وزهد وحلم وفتوة، سافر إلى الحجاز والعراق ... وتكلّم في سائر العلوم ، وعرض الأئمة في مجلسه حسب المذاهب المختلفة وكان هو الناقد لها، وليّ القضاء في صباه وحكم بين الخلق خمسين سنة، ما قام فيها خصمان من مجلسه إلا بالرضا، توفي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م [٢].

٦- أبو محمد عبدالله بن القاسم بن المظفّر الشهرزوري [٣]:عيّنه السلطان بركياروق قاضياً على الموصل حينما دخل بغداد سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، نظراً لسمعته الحسنة، من المشهورين بفصاحته وعلمه ودينه وتقواه، أقام ببغداد يشتغل بالحديث والتفسير ثم رحل إلى الموصل لتوليّ القضاء، اشتهر بكتابة قصائد شعرية، توفيّ سنة ٥٢١هـ/١١٢٧م[٤].

---

(١) محمّد بن عبدالله بن الحسين بن عبيد الله بن برده: ترجم له الذهبي في تاريخه(الجزء الخاص بحوادث ٤٩١-٥٠٠هـ، ص١٣٤، ذكر عن محاسنه ومناقبه العديده ، انظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ، مج٤.

(٢) ابن البلخي ، فارس نامه ، ص١١٣ .

(٣) أبو محمد الشهرزوري: الابن الأكبر لأبي حامد الشهرزوري ، برع في علوم الحديث والتفسير والشعر ، من أشهر قصائده ، تلك المعروفة باللامية والتي مطلعها :لمعت نارهم وقد عسعس الليل وملّ الحادي وحار الدليل، ابن خلكّان ، وفيات الأعيان ، مج٣، ص٤٧-٤٨.

(٤) ابن خلكّان، وفيات الأعيان ، مج٣، ص٤٧، الحنبلي، شذرات الذهب، مج٤، ص١٢٤، الجبوري،أحمد ، نبذة عن تراجم قضاة الموصل وأطرافها في العصر العباسي١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨،دراسات موصلية ،جامعة الموصل ، ع١٢، ٢٠٠٦،ص٢١.

الحسبة وعلاقتها بالقضاء:

ترتبط الحسبة[1] بأعمال القضاء، فكلاهما يعتمد على النصوص الشرعية في التطبيق امتثالاً لقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) صدق الله العظيم*. ووجه الارتباط بين الحسبة والقضاء بأن كلاهما ولاية شرعية ومناصب دينية، كما وضحّها ابن تيمية قائلاً : " يدخل في ولاية القضاء في بعض الأمكنة والأزمنة ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمانٍ، وكذلك الحسبة وولاية المال ، فأي من عدل في تلك الولايات فقد أطاع الله ورسوله، وأي من ظلم فهو من الفجّار الظالمين " [2].

والفرق بينهما أن المحتسب له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما هو ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم، وبينما يتركز عمل القاضي في جميع الدعاوي الخاصة بالعقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات، فإن المحتسب مقصور النظر على أنواع القضايا الخاصة بالمنكرات فحسب[3]،

وقد اهتم السلاجقة بوظيفة المحتسب وجعلوها من الوظائف الخاصة بالقضاء، إذ كان في كلّ مدينة محتسب يراقب الأسواق، ويضبط الموازين ، ويشرف على البيع والشراء، ويضرب على يد المتلاعبين في الأسعار والمحتكرين للمواد الغذائية، سواءً كان ذلك في العراق أو بلاد فارس،

---

(1) الحسبة : الإشراف على المعاملات الاقتصادية وتجيهها بما يتلائم مع التدبير السليم، ويسمّى الشخص القائم عليها محتسب، ويعرّفها الماوردي على أنها " الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله"، الماوردي ، الأحكام السطانية،ص٣٩٣، الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، دراسة وتحقيق:أحمد جابر وعلي جمعة، دار الرسالة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠، ص٣٦، وسيشار إليه : الماوردي، الرتبة ، والحسبة في عرف النظام الإداري : كلمة تطلق على حسابات الدولة ،وعلى دار المحاسبات والمواريث ،وعلى ديوان مراقبة الموازين والمكاييل، ثم خصصت لمعنى الشرطة وخاصة شرطة الأسواق والآداب ، وبهذا المعنى تناولها مؤرخو الأحكام السلطانية، للمزيد انظر زيّود ، محمد، نظام الحسبة في الإسلام ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق، ع٢٩-٣٠،١٩٨٨،ص١٤٩.

(2)ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالرحيم الحنبلي (ت ٧٢٨ﻫ/١٣٢٦م) الحسبة في الإسلام، تحقيق: سيّد بن أبي سعدة، مكتبة دار الأرقم ،الكويت،ط١، ١٩٨٣، ص١٥-١٦، وسيشار إليه: ابن تيمية، الحسبة، رسلان، صلاح، الفكر السياسي عند الماوردي، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٦٧٨.

(3) الماوردي، الرتبة ، ص ٣٩-٤٠، ابن تيمية ، الحسبة ، ص١٦.

وحرصوا على توسيع دائرة اختصاص المحتسب لأسباب عديدة من أهمها وأبرزها الاستفادة من الأموال التي تأتي من وراء المخالفين لتوقيع الغرامات عليهم أو من يتهربون من دفع الضرائب المقررة عليهم(1)، كما كان من مهام المحتسب في كافة مدن السلاجقة منع أهل السفن من الإكثار من حمل البضائع، إضافة إلى الحكم على أهل المباني الآيلة للسقوط بهدمها وإزالتها (٢).

وفي ما يخص تعيين المحتسب في مدن العراق فإن الخليفة العباسي هو المسؤول عن ذلك، فقد كان الخليفة العباسي يصدر أمراً بذلك ممهوراً بخاتمة من ديوان الخلافة أو أنه يعهد بتعيين المحتسب إلى قاضي القضاة(٣).

ومن الإشارات التاريخية التي ترد عن الخليفة المستظهر بالله قيامه بتعيين محتسب، ما ورد في المصادر التاريخية من أنباء لتعيين الخليفة المستظهر القاضي أبو العباس الرطبي(٤) ليكون محتسباً على بغداد بأكملها وذلك سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م(٥) ويفهم من سياق الأحداث التاريخية في العراق أن السلطان محمد وافق على قرار تعيين المحتسب ابن الرطبي، لا سيما وأن علاقته بالخليفة المستظهر كانت جيدة في تلك الأثناء خاصة بعد أن صفت السلطنة له من أي منازع، وقد تمتّ المصاهرة بينهما.

وفي مدن بلاد فارس فإن وزير السلطان، يصدر أوامره إلى ولاة الأقاليم تعيين المحتسبين في الولايات التابعة لهم، وكان على الوالي تأييد المحتسب ودعمه في وظيفته ، لإنّ المحتسب وكما يصفه نظام الملك في كتابه سياسة نامه الذي يوضحّ التنظيم الداخلي للدولة السلجوقية، يعتبر

---

(1) نظام الملك ، سياسة نامة، ص٧٤، الزهراني، نظام الوزارة، ص١٨٣، انظر كذلك السيد، شوقي، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المشرق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، ١٩٩٤، ص ١٦٧.

(٢) نظام الملك، سياسة نامة، ص ٧٤-٧٥.

(3)D.Levy: The Social Structure of Islam, Cambridge, University Press, 1969, pp: 334.

(٤) أبو العباسي الرطبي: أحمد بن سلامة بن عبدالله ابن مخلد المعروف بابن الرطبي، فقيهاً شافعياً تولى قضاء الكرخ، كان قريباً من الخليفة العباسي المستظهر، توفي سنة ٥٢٧هـ، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج ١٩، ص ٦١٠،. الذهبي، شذرات الذهب، مج٤، ص ٢٣١.

(٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٩٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٥٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٢.

(٤) نظام الملك ، سياسة نامة، ص٧٤.

عماد الإدارة، فإن لم يؤدِ وظيفته على أكمل وجهٍ ،فقد تكون العوقب وخيمةً في انتشار الغلاء، وانتشار الجشع والطمع في نفوس التجّار في الأسواق، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى انتشار الظلم والفساد بين الرعية، كما أكدّ الوزير نظام الملك في كتابه على ضرورة دعم السلطان ووكلائه للمحتسب[1].

أما بخصوص السنوات التي سبقت ٥٠١هـ/١١٠٧م في بلاد فارس فلم تُشر المصادر التاريخية التي اطّلعتُ عليها إلى وجود محتسب، غير أنّ المؤكّد في الأمر بأنه ومن غير الممكن أن لا تقوم الدولة بتعيين محتسباً في مدنها وأقاليمها عطفاً على ما يحظى المحتسب به من أهمية في تاريخ الدولة ومؤسساتها، وربما يعزى سبب عدم وجود إشارت تاريخية للمحتسب في بلاد فارس خلال فترة الدراسة إلى وجود منازعات وحروب بين السلاطين السلاجقة، ونتائج عدم وجود المحتسبين وقوع غلاءٍ شديد في الأسواق، ومثال ذلك ما حدث في أسواق خراسان بدءً من سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[2] وأسواق العراق إذ انحلت الأسعار حيث بلغ سعر كرّ الحنطة سبعون ديناراً[3] وكان كل ذلك لاشتعال الصراع بين الأخوين بركياروق ومحمّد وما نتج عنها من مدّ أيدي عسكر السلطانين إلى أموال العامة في الأسواق[4] وما ترتب عليه أيضاً من خلو الأسواق من الباعة والناس أثناء حصار السلطان بركياروق لأخيه محمّد في أصفهان سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، إذ عدمت الأقوات وأكل الناس الخيل والجمال وقلت الأموال[5].

إن ذكر كل تلك الأمثلة السابقة توضح غياب وجود محتسب في مدن وأقاليم الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق منذ أن وقعت الخلافات بين أفراد البيت السلجوقي عقب وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. ويبدو أن السلطان محمّد وبعد أن استقل بأمور السلطنة لوحده دون منافس سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م، عمل على تأمين الناس في مدن الدولة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣١٢.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١.

(3) ابن الأثير ، الكامل، ج١٠، ص ٣٠١

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٧.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٤-٣٣٦.

وعلى رأسها أصفهان فكفّ عنهم المصادرة والعسف[1]، وحرص لاحقاً على تعيين محتسبين في مدن وأقاليم الدولة، وكان أولئك المحتسبين من الثقاة لأهمية وظيفتهم[2] فكان يتولى الحسبة القضاة والعدول والشهود والأدباء[3].

يخلص القول من ذكر مما سبق أن مؤسسة القضاء في الدولة السلجوقية سواءً كان ذلك في قضايا الحقوق والمطالبات أو في قضايا المعاملات المالية والمنكرات كانت مستمرة ولها وجود في الدولة السلجوقية خلال فترة الدراسة الممتدة من (٤٨٥هـ/١٠٩٢م/٥١١هـ/١١١٧م) وهو ما لم تذكره كثير من الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ الدولة السلجوقية.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٦.

(2) إبراهيم، شيرين، الحسبة في العراق في العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١٠٩٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣٥، وسيشار إليه : إبراهيم، الحسبة في العراق صبري، مواهب، التطور الاقتصادي والاجتماعي في العراق خلال القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٩، ص ٩١.

(3) ابراهيم ، الحسبة في العراق، ص ٣٥.

الفصل الرابع

" المظاهر الحضارية في الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق خلال عصر السلطانين بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه "

الحياة الاقتصادية في الدولة السلجوقية

الحياة الاجتماعية في الدولة السلجوقية

الحياة الثقافية في الدولة السلجوقية

الحياة الاقتصادية في الدولة السلجوقية

إن الحديث عن الحياة الاقتصادية في الدولة السلجوقية لا يكتمل دون النظر للأحداث السياسية في الدولة، فقد تعرّض العالم الإسلامي قبيل ظهور السلاجقة لظروف اقتصادية مختلفة تباينت ما بين الرخاء والازدهار أو الاضطراب تبعاً للتغيرات السياسية، وحتى مع بداية عصر السلاجقة في بلاد فارس والعراق خلال السنوات (٤٨٥-٥١١هـ/١٠٩٢-١١١٧م) فإن المنازعات السياسية ألقت بظلالها على منظومة الحياة الاقتصادية، وإن كان هناك بعض الإشارات لدور الوزراء في إحداث التغيّر الاقتصادي والاجتماعي.

فبالنسبة للتغير الاقتصادي كان الوزراء مهتمون بإنعاش الحالة الاقتصادية في الدولة حتى أثناء ميلهم لجانب أحد السلاطين بركياروق أو محمّد ابنيَ ملشكاه ، ويستدل على ذلك ممّا ذكره الثعالبي في كتابه تحفة الوزراء عن مهام الوزير ودوره في إنعاش اقتصاد الدولة والإهتمام بعمارتها إلى جانب مهّامه الأخرى ما نصّه:

"السعي في عمارة البلاد، وإصلاح خللها وتثمير الأموال والمزروعات وتحصيل الآت العمارة والترغيب في ذلك، فإن بالعمارة تغزّر الأموال وبالأموال تشمخ الممالك وتكثر الأعوان"[١].

وبالنظر لمحتوى حديث الثعالبي عن دور الوزراء، يتضح أن عمارة البلاد تشمل اصلاح الأراضي الزراعية التي تعرضت للخراب جراء الحروب والمنازعات بين أفراد البيت السلجوقي الواحد[٢]، كما تشمل تحسين الزراعة من خلال عدة عوامل مجتمعة منها إيجاد وتوفير المعدات الزراعية وتشجيع المزارعين في كافة أراضي الدولة على العمل بجد واجتهاد، لأن الدولة تكتسب قوتها من قوة الاقتصاد فيها، والزراعة إحدى جوانب تلك القوة وتحسّن الزراعة يؤدي لتطور وازدهار التجارة والصناعة في كافة مدن وأقاليم الدولة السلجوقية[٣]. وهذا ما لم نلمسه في مدن الدولة وأراضيها على الأقل خلال سلطنة بركيارُوق (٤٨٧- ٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م).

---

(١) الثعالبي: تحفة الوزراء ، ص٤٦.

(٢) الزهراني، نظام الوزارة ، ص ١٧٧.

(٣) السماحي، شيرين، مدينة قزوين خلال العصر السلجوقي (٤٣٤ – ٥٩٠هـ/ ١٠٤٢-١١٩٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٠٧، وسيشار إليه: السماحي، مدينة قزوين.

أولاً: الزراعة في الدولة السلجوقية:

كانت الزراعة هي إحدى موارد الثروة الاقتصادية لأيّ دولة من الدول لا سيما إذا ما أحسن استغلالها على الوجه الأمثل، لذا وجّه السلاطين السلاجقة أنظارهم نحو الزراعة من أجل توطيد دعائم حكمهم(١)،وإن كانت بعض المصادر التاريخية لم تتحدث عن اهتمامات السلطان بركياروق بالزراعة، إلا أن بعضها الآخر المعاصر لفترة الدراسة أشار إلى اهتمام السلطان محمد بن ملكشاه بالزراعة وإصلاحها سنة ٥٠٢ هـ/١١٠٩ م ، وذلك حينما أمر بحفر السواقي وشقّ الطرق و زراعة الأرض(٢).

وتفسير ذلك عائد إلى استقرار دعائم السلطنة ومقاليد الحكم بيد السلطان محمّد دون منازع منذ سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م ، على العكس من فترة حكم السلطان بركياروق والتي شهدت العديد من الفتن والمنازعات.

أ- ريّ المزروعات:

وقد اعتمدت الزراعة التي سادت في العراق وبلاد فارس خلال الفترة السلجوقية على نظم الري فاعتمدت وبشكل أساسي على وجود نهري دجلة والفرات في المنطقة بالإضافة للاعتماد على مياه الأمطار والعيون(٣) وإن كان الاعتماد الأكبر في منطقة العراق لري المزروعات قائماً على الاستفادة من مياه النهرين وروافدهما وفروعهما بسبب قلة الأمطار التي تتساقط في أكثر مناطقه(٤)،وبالنظر لخط جريان النهرين فإن نهر دجلة ينحدر من جهة الشمال نحو الجنوب فيمرّ من مدن تكريت وسامراء والقادسية وعكبرا وبصرى وواسط(٥) ومن أهم روافده التي تروي أرض

---

(١) إدريس، محمد، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٧٣، وسيشار إليه : إدريس ، تاريخ العراق والمشرق.

(٢)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢، ص ٢٧.

(٣) إدريس، تاريخ العراق والمشرق ، ص ١٧٣.

(٤) حتاملة، عبدالكريم، دجلة والفرات في العصرين البويهي والسلجوقي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١٤، ع٢، ١٩٩٨، ص ٩٣، وسيشار إليه: حتاملة، دجلة والفرات.

(٥) حتاملة، دجلة والفرات ، ص ٩٦.

بغداد نهر ديالي[1] عبر عدة قنوات، وأمّا الفرات فإنه ينحدر هو الآخر من الشمال قاطعاً بلاد الجزيرة الفراتية حيث يمرّ بهيت والأنبار ويتفرّع منه نهر جانبي يدخل بغداد وتتفرع منه بعد ذلك عدة أنهار في الجهة الغربية ليصب فيها[2].

أما في مدن الشرق (بلاد فارس) فإن فارس تضمّ مجموعة كبيرة من الأنهار منها نهر طاب الذي يخرج من حدود نواحي سميرم ن ثم يبدأ بالزيادة حتى يصل إلى أرجان ويسقي مدينة ريشهر ويصبّ في البحر قرب سينيز ، هذا بالإضافة إلى أنهار عديدة في ولاية فارس مثل نهر خوبدان ونهر كُر ونهر برازة ونهر بشابور وبرواب وغيرها، وفي مدينة أصفهان مثلاً فإنها تضم مياه الوادي الذهبي (وادي زرين روذ) والذي ينبع من عين جانان ويسقي الأراضي الزراعية ويعود نفعه كذلك على الأسواق وأقطار البلدة إلى جانب غيره من الأنهار والجداول[3]،وفي مدينة قزوين مثلاً فإن هناك العديد من الأنهار التي كانت سبباً في ازدهار الزراعة وتطورها من أهمها أنهار أبهر وكردان وشاهرود وغيرها[4]،وفي ضوء وجود تلك الأنهار عمل المزارعون على إنشاء القناطر والسدود من أجل ري المساحات الزراعية في المدينة[5]

([1]) ديالي: بفتح أوله وإمالة اللام، نهر يقع أسفل منطقة بعوقبا في العراق ومصبّه في دجلة يسمّى فم ديالي، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج ٢، ص ٥٤٨.

([2]) العمري ، أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن فضل الله بن يحيى بن أحمد(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، مج١، ٢٠١٠، ص٢١، وسيشار إليه: العمري ، مسالك الأبصار، حتاملة، دجلة والفرات، ص٩٧.

([3]) ابن البلخي ، فارس نامه ، ص١٤٧-١٤٨، الأصفهاني، مفضل بن سعد بن الحسين المفاروخي، (ت القرن الخامس هـ/ الحادي عشر ميلادي)، محاسن أصفهان، تصحيح السيد جلال الدين الحسيني، مطبعة مجلس، طهران، (د.ن)، ص ٥١، ٨٣، وسيُشار إليه : محاسن أصفهان.

([4]) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٥٥ – ٢٥٧.

([5]) السماحي، مدينة قزوين، ص ١٠٨.

ب-أهم المحاصيل الزراعية:

كانت الحبوب أهم تلك المحاصيل الزراعية التي تمت زراعتها في أقاليم ومدن الدولة السلجوقية، لا سيما في منطقة الجزيرة الفراتية والتي لعبت دور كبير في تصدير تلك المحاصيل لبغداد على وجه التحديد[١]، كما كانت طوس وسرخس مدناً مميزة في إنتاج الحبوب بأنواعها[٢].

ولا أنسى مدينة أصفهان فيصفها القزويني بمدينة الحنطة التي لا تسوّس بها[٣] ولم تقتصر زراعة الحبوب على تلك المدن فحسب، بل إن أرجان وأبهر[٤] كانتا الصدارة في ذلك[٥].

كما اشتهرت نيسابور ومدنها وقراها بزراعة الحبوب بأنواعها[٦] ويزرع الشعير كذلك في الجزيرة الفراتية والبطائح في العراق، بالإضافة لمنطقة واسط التي اشتهرت هي الأخرى بزراعته[٧]، وكان الأرز يزرع في مناطق مختلفة من أراضي الدولة السلجوقية، فهذه البطائح وبلاد الجزيرة بالعراق من أوائل المدن التي اشتهرت بزراعته[٨] وكانت الكوفة هي الأخرى مميزة بزراعة الأرز في أراضيها المنخفضة[٩] واشتهرت كلا من كسكر[١] وطبرستان بزراعة الأرز ذي النوع

([١]) الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٧٤، ص٢٩، وسيشار إليه: الدوري ،تاريخ العراق الاقتصادي .

([٢]) المقدسي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٩٥٦، ص ٣١٠، وسيشار إليه : المقدسي ،أحسن التقاسيم.

([٣]) القزويني،آثار البلاد ، ص ٢٩٦.

([٤]) أبهر: بسكون الهاء مدينة مشهورة بين قزوين وزيخان وهمذان من نواحي الجبل والعجم يسمونها أوهز البغدادي، مراصد الاطلاع، مج١، ص٢١.

([٥]) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٥٧.

([٦])الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس الحمودي الحسيني ، (ت ٥٥٩هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،ط٢، ٢٠٠٢، مج٢، ص ٢١٥،القزويني،آثار البلاد ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤.

([٧])ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢ ،ص ٢٣٩،القزويني، آثار البلاد، ص ٤٧٦.

([٨]) القزويني، آثار البلاد، ص٣١١ ، إدريس تاريخ العراق والمشرق ، ص ١٧٧.

([٩]) التنوخي، أبوعلي الحسن بن محمد (ت ٣٨٤هـ/٩٩٦م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق ودراسة محمد السيد، طبعة القاهرة، ١٩٥٠، ج٨، ص٦٧.

الجيد[٢]،أمّا أشجار النخيل فقد اشتهرت أراضي العراق المختلفة بزراعتها وذلك لجودتها وخصوبتها وتعتبر مدينة البصرة واحدة من أهم المناطق التي اشتهرته بزراعته[٣] حتى أن أنواع التمر التي تنتجها أشجار النخيل هذه قد بلغت أربعون صنفاً [٤]،ومن أراضي الدولة السلجوقية التي تميزت بأشجار النخيل في المشرق كلاً من سجستان وكرمان[٥] واشتهرت مدن أرجان وكازرون[٦].

وكانت الكروم واسعة جداً في الموصل وسنجار [٧] واشتهرت مدينة أصبهان على وجه الخصوص بزراعة التفاح فيها ومن عجائب أمر تفاحها أنّه ما دام على الشجر لم يقطف بعد لا يكون له رائحة كثيرة، أما إذا تم التقاط ثمار التفاح فاحت رائحته[٨]، كما كانت مدن سرخس ونسا ومرو مميزة بزراعة الكروم بها[٩].

ج- المشاكل التي كانت تعاني منها الزراعة:

تنوعت واختلفت المشاكل التي كان لها تأثير سلبي على تطور الأوضاع الاقتصادية في الدولة بوجه عام والزراعة بوجه خاصة ومن أبرزها حالة عدم الاستقرار التي شهدتها الدولة السلجوقية وما شهدته من نزاعات انعكست على امراء الولايات والمدن حيث تعرض أولئك الأمراء للعزل والاغتيال لا سيما أمراء الموصل.

كما كان لأحوال المناخ وتقلباته الأثر الكبير في تلف كثير من المحاصيل الزراعية، ففي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م يشير المؤرّخ ابن كثير إلى أنّ مدن العراق قد شهدت تساقطاً كثيفاً للأمطار

---

(١) كسكر: ناحية بين واسط والبصرة على طرف البطائح، الحموي، معجم البلدان، مج٤،ص٤٦١، القزويني، آثار البلاد، ص ٤٤٦.

(٢) القزويني، آثار البلاد ، ص ٤٠٤، ص ٤٤٦.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٠، القزويني، آثار البلاد، ص ٣٠٩.

(٤) متز، الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٢٥٩، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص ٥٨.

(٥) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٣٧٢، ٤٣٨.

(٦) كازرون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز يقال في وصفها دمياط العجم، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج٣، ص ١١٤٣.

(٧) ابن حوقل، أبوالقاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) المسالك والممالك ، ص ١٤٣-١٥٠.

(٨) الاصفهاني، محاسن أصفهان، ص ٥٤، القزويني، آثار البلاد ، ص ٢٩٦.

(٩) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٧٨.

والبرد ذو الحجم الكبير، أسفر عن تلف وهلاك كثير من أشجار النخيل، كما ساهمت الرياح العاتية في هلاك وموت كثير من الأشجار[1].

وفي عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م هلكت كثير من المحاصيل الزراعية في أصفهان وخراسان ودامغان بسبب انخفاض درجة الحرارة بشكل كبير وحدوث البرد الشديد الذيّ أضرّ بالناس كذلك[2].

ويذكر الذهبي في حوادث سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م تعرّض المزروعات في أصفهان للقحط، هلكت على أثره الأشجار[3]، وزادت مياه دجلة والفرات زيادة عظيمة بسبب كثير سقوط الأمطار سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م الأمر الذي أدّى لهلاك وتلف المحاصيل الزراعية[4].

هذا بالإضافة لانشغال أمراء المدن والولايات في الدولة بتجهيز الجيوش والعساكر لقتال الفرنج الذين اجتاحوا بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي منذ احتلالهم أنطاكية سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨[5]، فقد كرّس أمراء مدن الموصل على وجه الدقّة جهوهم لتحقيق ذلك الهدف الأمر الذي نجم عنه الإهمال في المرافق الزراعية ووسائل الري، فعمّ الخراب الأراضي الزراعية ونقصت موارد البلاد بصورة كبيرة حتى أصبحت على حدّ تعبير أبن الأثير أقلّ بلاد الله فاكهة[6].

وكان نظام الإقطاع الذي طبّقه السلاجقة منذ عصر السلطان ملكشاه ذو أثر كبير على انخفاض إنتاجية الاراضي الزراعية فقد قام امراء المدن بتوزيع إقطاعات الأراضي على أمراء الجيش الذين قاموا بدورهم بتوزيعها على الجند أو صغار الفلاحين الذين لم يهتموا بالزراعة وبالتالي خراب معظم الأراضي الزراعية ونقص الإنتاج، فيذكر ابن الجوزي في حوادث سنة

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤٩.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٤٣.

(4)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٣-٨٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٧.

(5)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٧٢،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤١٩.

(6) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ٧٨.

٤٩٥هـ/١١٠٢م وأثناء ولاية جكرمش للجزيرة الفراتية والخابور[١] وكان من أتباع السلطان بركياروق أن جماعة من الناس قدموا آلية طالبين منه العون والمساعدة في تقويم اعوجاج عمالهم في الأراضي الزراعية فما كان منه إلاّ أن استقبلهم واكرم نزلهم وأقام لهم وليمة طعام، وعندما جهز الطعام لم يحضر الخبز فسأل العسكر فقالوا لا نعلم، فقال لهم: " الخبز إنما يجيئ من الزرع والزرع إنما يكون بعمارة السواد وقد أضررتم بأهل إقطاعكم فاستغلوه الآن أنتم بتحصيل الطعام"[٢].

د- أسعار الحبوب والمنتوجات الزراعية الغذائية:

لم تكن أسعار الحبوب والمواد الغذائية في جميع أرجاء مناطق الدولة السلجوقية ثابتة، وإنما كان لها تأثير كبير بالأوضاع السياسية وما شهدته من حالة عدم استقرار وتنازع بين السلاطين بركياروق ومحمد وغيرهما من أفراد الجيش السلجوقي، كما ارتبطت تلك الأسعار بالتقلبات المناخية الناجمة عن تذبذب سقوط المطر، وبالإضافة إلى عوامل اجتماعية أخرى شهدتها المدن في الدولة[٣]،وعن أسعار الحبوب والمنتوجات الزراعية عقب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٤] فيمكن القول أنّه وأثناء صراع السلطان بركياروق مع عمّه السلطان تاج الدولة تتش، دخل السلطان بركياروق أصفهان سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م و كان أهلها قد أشرفوا على الهلاك لارتفاع أسعار المواد الغذائية وعدم وجود الأقوات[٥]،ولم تكن أصفهان وحدها التي عمّ الغلاء بها، وارتفعت أسعار المواد الغذائية حتى عدمت الأقوات بسبب الفتن والنزاعات[٦]،فقد

---

(١) الخابور: اسم لنهر كبير يصب إلى الفرات من أرض الجزيرة الفراتية وهو من أعمال الموصل في شرقي دجلة عليه عمل واسع وقرى في شمالي الموصل، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج١، ص ٤٤.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٣.

(٣) العزام، صبحي، أسعار الحبوب والمواد الغذائية في العصر السلجوقي ٤٤٧هـ/١٠٥٥م – ٥٩٠هـ/١١٩٣م، مجلة جامعة البعث، مج٣١، ع٧، ٢٠٠٧، ص ٢٨٩، وسيشار إليه: العزام ، أسعار الحبوب.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦١٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٠ ، البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٧٩ ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٤٣٠ .

(٥) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٣٦.

وصلت أسعار الحبوب والخضروات في سروج[1] إلى حدٍ كبيرٍ من الارتفاع لم يتمكن الناس معه من شراء ما يأكلونه[2]، ونتيجةً للقتال العنيف بين السلطان بركياروق وعمه تاج الدولة تتش، عُدمت الأقوات في مدينة جرباذقان[3] والريّ بسبب نهب عساكر السلطان تتش، كما أن مرض السلطان بركياروق بمرض الجدري، وحالة عدم الاستقرار في صفوف تاج الدولة تتش ألقت بظلالها هي الأخرى على حالة الأسواق في الريّ سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م إذ خلت الأسواق من المارّه ولزموا بيوتهم [4].

إلا أن التحوّل الأكبر في غلاء الأسعار وهلاك كثير من الناس كان مع بداية نشوب سلسلة الحروب الخمس التي دارت رحاها على أراضي ومدن الدولة السلجوقية منذ سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م بين الأخوين بركياروق ومحمد، والتي انتهت بعقد صلحاً بينهما سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م[5]، ففي سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ارتفعت الأسعار في مدن العراق بغداد وواسط حتى بلغ سعر كرّ[6] الحنطة تسعون ديناراً[7] ومات كثيرٌ من الناسِ جوعاً[8].

ولم يكن الوضع الاقتصادي في بلاد فارس وما وراء النهر مختلفاً عن مدن العراق، حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى وقوع غلاء شديد في أسعار المواد الغذائية في مدن خراسان ونيسابور ومرو وغيرها حتى أنَ كثير من الناس ماتوا وعجز الناس عن دفنهم لكثرة أعدادهم[9].

---

(1) سروج: بلدة قريب من حرّان تتبع لديار مّضر، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٤، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج ٢، ص٧١٠.

(2) العزام، أسعار الحبوب، ص ٢٩٧.

(3) جرباذقان: بلدة قريبة من همذان، بينها وبين الكرج وأصفهان مسافة كبيرة، البغدادي، مراصد الإطلاع، مج١، ص٣٢٢.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٥.

(5)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧٢،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٩،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٢٨ .

(6) الكرّ: كان يساوي مقداره في العراق آنذاك ما يقارب ٢٧٠٠كغم، هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠، ص ٦٩.

(7)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٢١.

(8) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦٨.

(9) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١، الذهبي، تاريخ الإسلام ، ص ٢١.

واستمرّ الغلاء قائماً في أسعار الأغذية والمحاصيل الزراعية خلال سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م ففي بغداد مثلاً ونتيجة لعدة عوامل منها انحباس الأمطار وجفاف الأنهار والصراع القائم بين بركياروق ومحمد ارتفعت الأسعار كثيراً حتى بلغ كرّ الحنطة سبعون ديناراً(١)،وبسبب ازدياد خطر العيارين(٢) وما كانوا يقومون به من أعمال سرقة وتعدى على أموال الناس في مدن العراق ارتفعت أسعار المواد الغذائية .

وكثُرت وفيات الناس(٣)، كما أن الأوضاع الاقتصادية في جرجان وخراسان في حدود تلك السنوات قد ساءت كثيراً حتى أكل الناس الميتة والكلاب(٤) ولم تتوافر سبل دفن الموتى من الناس لكثرتهم في ذلك الوقت، فقد حُمل ستة أموات على نعش واحد وحفرت لهم حفرة واحدة القوا بها جميعاً(٥)، ومع استمرار الصراع بين السلاطين بركياروق ومحمّد على الخطبة في مساجد بغداد كان الغلاء في أسعار المواد الغذائية آخذاً بالارتفاع، فكلما دخل السلطان بركياروق بغداد ارتفعت الأسعار ووقع الغلاء بين الناس، وتوقفت المعايش والكسب بين الناس في الأسواق(٦).

وربما يكون تفسير ذلك عائداً لعدم رضا التجار عن الحروب بين السلطانين وما تخلّفه من آثار اجتماعية واقتصادية، ولربما أنها وسيلة ضغط على الخليفة المستظهر باتخاذ قرار وحثّه على التدخل بين السلاطين حفظاً لحياة الناس ومصالحها.

وحدث غلاء في أسعار الحبوب والمواد الغذائية في مدن أصفهان، وبغداد، ودامغان وجرجان، وخراسان ،وخوزستان سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م بسبب استمرار النزاع بين السلاطين، على أنه لم يكن السبب الوحيد فقد كان أمراء السلاطين أنفسهم يستغلون انشغال السلطانين بالحروب

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠١.

(٢) العيارين: مجموعة من الاشخاص الذين لم يكون لهم حرفة او مهنة ،قاموا باعمال السرقة والنهب مستغلين سوء الأوضاع السياسية في بغداد أثناء السيطرة السلجوقية ،وستأتي الدراسة على تفصيل أحوالهم عند الحديث عن الحياة الإجتماعية من هذه الدراسة بحول الله .

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ٦١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص ٦٠.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠١.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨١، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص١٥،القلقشندي، مآثر الإنافة، ص ١٤.

فيقومون بظلم الناس ومصادرتهم، كما كان العساكر يقومون بالنهب والمصادرة[1]، والأمثلة على ذلك كثيرة، فعندما دخل السلطان بركياروق بغداد سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م ضاقت عليه الأموال فمدّ أصحابه من العساكر أيديهم لأموال الناس[2]،كما أن ارتفاع الأسعار لم يكن مؤثراً على الرعية فقط، بل أن العساكر أنفسهم في كلا الجانبين قد تفرقوا عن السلاطين في جرجان وخوزستان سنة ٤٩٤هـ/١١٠١[3]، إلاّ أن أغرب ما قيل عن تأثير ارتفاع أسعار الحبوب والأغذية في تلك السنة هو ما ذكره بعضاً من المؤرخين وعلى رأسهم ابن الجوزي وابن الأثير فقد أشارا واصفين حال الناس في جرجان ودامغان بقولهم:

(وعمّ الغلاء تلك الأصقاع وخرّب العساكر القرى وأكل الناس الميتة وأكل الناس بعضهم بعضاً حتى شوهد رجلاً يأكل كلباً مشوياً في الجامع، وإنسان يطاف به في الأسواق وفي عنقه يد صبي قد ذبحه وأكله)[4]، وعلى الرغم من عدم إمكانية قبول جميع تفاصيل هذه الرواية إلا أنها تعكس مدى تردي الأوضاع الأقصادية والاجتماعية التي رافقت الغلاء.

وفي بداية سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م عمّ الرخص بغداد لفترة وجيزة، وكانت الفواكه والأغذية في متناول الجميع[5] إلا أنها سرعان ما عادت للإرتفاع أثناء حصار السلطان بركياروق لأخيه محمد في أصفهان سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م[6] فمن إشارات ذلك الارتفاع أن الحنطة قد بيعت العشرة أرطال منها بدينار، أما اللحم فقد بيع الرطل بربع دينار، فيما بلغت أسعار التبن أربعة دنانير لكل رطل[7]،وقد صاحب ارتفاع الأسعار في أصفهان خلو المحال التجارية من الناس وانعدام

---

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٥٢.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٧، الذهبي، تاريخ الإسلام ، ص ٢٧، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٣٦.

(3) الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٩.، دول الإسلام، ج٢، ص ١٧.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٥.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٣.

(6) يذكر بعض المؤرخين ذلك الحصار سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م، ومنهم ابن الأثير وأبو الفداء والذهبي، فيما يشير ابن الجوزي في كتابه المنتظم وابن كثير لوقوع ذلك الحصار سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م، ويأخذ الباحث برأي ابن الأثير وذلك لتفنيده وقائع الأحداث والحروب بين الأخوين فيشير لوقوع حرب بينهم (سنة ٤٩٥ هـ/١١٠٢م) تلاها الحصار في أصفهان.

(7)ابن الجوزي، المُنتظم، ج١٠، ص ٦٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٤.

الأقوات[1] ويصف ابن الأثير انعكاس ارتفاع الأسعار على الناس في أصبهان في تلك السنة قائلاً: "وقد أكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك"[2].

ومع وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[3] رخصت الأسعار في مدن العراق ومنها واسط والموصل[4]، ثمّ مع تولي السلطان محمد بن ملكشاه مقاليد الحكم دون منازعة أحد من أفراد البيت السلجوقي، اهتم السلطان محمد كثيراً بالأوضاع الاقتصادية، فعمرت السواقي وحفرت ورخصت الأسعار في الأسواق والمحال التجارية[5]،وشعوراً منه بأحوال الناس وما عانوه من ويلات الحروب التي دارت في الدولة السلجوقية ونظراً لما اتصف به من عدل وتسامح مع الرعية، ومع شكاوى كثير من الناس كثرة الضرائب وغلاء الأسعار[6] أمر السلطان محمد بإلغاء الضرائب عن الناس سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م وكثر الدعاء له على منابر المساجد بين الناس[7].

وفي السنوات اللاحقة حتى سنة ٥١١هـ/١١١٧م شهدت الأسعار ارتفاعاً في بعض الأحيان، إلا أن سببها لم يكن عائداً إلى اضطراب الحالة السياسية في الدولة السلجوقية وإنما كان بسبب غرق المحاصيل الزراعية، كما جرى في بغداد سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م ، حيث زادت مياه نهر دجلة زيادةً عظيمةً ، وتقطّعت الطرق وغرقت الغلّات الزراعية الشتوية والصيفية ،وحينها

---

(1) ابن الأثير،الكامل، ج١٠، ص ٣٣٤، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٤٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٤.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٤ – ٣٣٥.

(3)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٣٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ، ص٢٠١ ، الذهبي، سير إعلام النبلاء، مج ١٩، ص١٩٨.

(4) ابن خلدون العبر، ج٥، ص ٧٢.

(5)ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص ١٠١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٧.

(6) إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي ، ج٤، ص ٤٧.

(7)الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٧٢،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٥٤،النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢١١، القلقشندي، مآثر الإنافة، ص ١٥،السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٧،

بلغت كارة الدقيق عشرة دنانير، وعَدمَ الخبز ،وأكل الناس التمرَ والبقاقلّاء الخضراء ، واقتصر طعام كثيرٌ من الناس على الحشيش والتوت [١].

وبناءً على ما تقدّم ذكره عن ارتفاع أسعار المواد والغذائية أمكننا القول أن الدولة السلجوقية وأثناء ما شهدته من نزاعات بين السلاطين كانت في حالة عدم استقرار، الأمر الذي أدى لارتفاع أسعار المحاصيل وخراب القرى الزراعية، إلا أنه وفي أعقاب استقرار الحالة السياسية فيبدو جلياً وواضحاً مساعي السلطان محمد بن ملكشاه في إعادة الاستقرار للدولة وحرصه الكبير على نشر العدل بين الناس، بالإضافة لعدم انتشار الأوبئة والجراد أو القحط الكبير الذي قد يؤدي لهلاك المحاصيل جنباً إلى جنب مع وجود المنازعات السياسية.

ثانياً: التجارة في الدولة السلجوقية

إن ظهور نشاط تجاري في الدولة لابد أن يصاحبه تطور ونمو في المجالات الأخرى المرتبطة بها كالزراعة والصناعة[٢] إلا أن الأوضاع السياسية وما شهدته من نزاعات داخل الأسرة السلجوقية أو مع الأمراء في أقاليم الدولة أدت إلى ركود حركة التجارة في الدولة،كما أن احتلال الفرنج " الصليبيين" لمناطق هامة في بلاد الشام والجزيرة بدءً من سنة٤٩١هـ/١٠٩٨م[٣] قد أثّرَ سلباً على حركة التجارة لاسيما الخارجية منها في الدولة والتي كانت تربط الموصل وبغداد ببلاد الشام مثلاً، هذا بالإضافة إلى توافر عوامل اجتماعية أخرى كظهور العيارين وما كانوا يقومون به من أفعال مشينة تمثلت بقطع الطرق والتخريب والسلب والنهب وغير ذلك[٤].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧٠، رغم انّ المؤرّخ سبط ابن الجوزي يشير إلى رخص الاسعار في تلك السنة ، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ،ج٢٠،ص٢٧.

(٢) إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ١٩٢.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٣٥،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٧٢،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٩١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٤.

بالإضافة لخطر الإسماعيلية- الباطنية الذي كان محدقاً من كل جانب في أصفهان ومدن بلاد فارس، فقد قاموا بقطع الطرق وقتل وترويع الأبرياء من الناس[١] ترافق كلّ ذلك مع وجود حالة من الانفلات الأمني المتسبّب بها أصحاب الشحنة أنفسهم أو بعض المفسدين في مدن الدولة وأقاليمها، فأمّا أصحاب الشحنة فقد شاغبوا في المدن وصادروا الأهالي في المدن ، ومن ذلك ما قام به صاحب شحنة بغداد أيتكين جبّ من إحراق لباب البصرة سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بسبب فتن طائفية حدثت، وفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م أغارت قبيلة خفّاجة على مدينة واسط ، وسط غياب لدور صاحب شحنتها، كما اجتمع عدد من المفسدين في مدينة أصفهان سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م بعد مفارقة السلطان محمّد لها، وقاموا بالسلب والنهب، كذلك فعل صاحب شحنة بغداد ينال بن أنوشتكين الحسامي عندما وصل بغداد في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م، إذ قام بمصادرة اهل البلد وعسف بهم [٢]، كل ذلك أدّى إلى عدم وجود نشاط تجاري واضح يمكن الإشارة إليه.

ورغم وجود عدم إشارات واضحة في بعض المصادر التاريخية المعاصرة لوجود نشاط تجاري في مدن وأقاليم الدولة السلجوقية، إلاّ أنه أمكنني استخلاص بعضاً من النقاط التي تتحدث عن التجار والتجارة ومراكزها، معتمداً على بعض المصادر الجغرافية وكتب الرحالة.

١) مراكز التجارة:

مثّلت المدن التابعة للدولة السلجوقية مراكزاً تجارية مليئة بالأسواق ، كان يؤمها الناس بغية البيع والشراء كما كانت المدن أسواقاً للقرى المحيطة بها، وكان أهل القرى يأتون إليها في أيام مخصصة من أجل البيع والشراء [٣]،وكانت الأسواق في أصفهان تقسّم لمناطق أو أحياء، فكان كل حي مخصص لبيع سلعة واحدة مخصصة فقط لا سيما وأن أهل أصفهان قد عرف عنهم براعتهم وحذقهم ومهارتهم في الصناعة، فكانوا يصنعون ما عجز عنه صنّاع جميع البلدان[٤].

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص ٥١-٥٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١١-٥١٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٧٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٠، ص٢٦٠، ص٣٣٥، ص٣٥٣.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ١٣٨.

(٤) القزويني، آثار البلاد ، ص ٢٩٦.

إلا أن تلك الأسواق والمحال التجارية قد تعرّضت لفترات عصيبة أثناء الصراع الدموي بين الأخوين بركياروق ومحمد خاصة سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م فعندما حاصر السلطان بركياروق أخاه محمّد في المدينة وكما يصف بعضاً من المؤرخين المعاصرين أنّ المحال التجارية قد خلت وانعدمت الأقوات والسلع والبضائع[١] ولم تسلم المحال التجارية من الخراب ، فقد أغلقت الدكاكين أبوابها وتمّ خلع أبوابها بسبب القتال المحتدم بين الأخوة السلطانين: بركياروق ومحمّد[٢] وهذا يدفعنا للقول: ما بال السلاطين المسلمين لا يبالون بأمر الناس وأرزاقهم ، وهذه نقطة تسجلّ عليهم لا لهم، إلا أن المدينة والحركة التجارية فيها سرعان ما بدأت تتعافى واستقامت أمور التجار والرعية سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م وذلك حينما أصدر السلطان محمد بن ملكشاة أوامره بإبطال وإلغاء الضرائب[٣]، ومن المراكز التجارية الهامة بلخ التي اعتبرها الرحالة الجغرافيون من أمهات بلاد خراسان[٤] واشتهرت تلك المدينة ببيع وشراء المنتجات الزراعية والصناعية[٥]،وكانت الريّ مركزاً تجارياً هاماً لبيع الخوخ والعنب والتين، كما كانت أسواقها تتميّز ببيع نوع خاص من أنواع الطين يغسل به الرأس ليصبح أكثر نعومة[٦] كما اشتهرت المدينة بتصدير أصناف النسيج ذو النوعية المميزة، إضافة لبيع الخشب المستعمل في الأثاث[٧]،وفي مدن العراق كانت بغداد أهم مركز تجاري في العراق وقد تحققّ لها ذلك بفضل موقعها المميّز فهي تصل بين دجلة والفرات وتتوسّط مدن العراق، كما كانت سوقاً يقصدها تجار أهل الصين بتجارتهم فيربحون منها الربح الوافر[٨] واشتهرت المدينة ببيع التوابل والبخور والسكر والحرير[٩]،وتركزت التجارة داخل أسواق مدينة

([١]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٤.

([٢]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٧.

([٣]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٥٤، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢١٣، القلقشندي، مآثر الإناقة، ص ١٥.

([٤]) القزويني، آثار البلاد ، ص ٣٣١.

([٥]) المقدسي، أحسن التقاسيم ، ص ٣٣٤.

([٦])الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص ١١٦-١١٧،القزويني، آثار البلاد، ٣٧٦.

([٧]) القزويني، آثار البلاد ، ص ٣٧٦، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٢٦٢.

([٨]) الحموي، معجم البلدان، مج١، ص ٤٥٦.

([٩]) الحموي، معجم البلدان، مج١، ص ٤٥٦-٤٥٧، القزويني، آثار البلاد، ص ٢٢١-٢٢٤.

الموصل المسقوفة[١] واشتهرت ببيع العسل والحبوب والحديد والسلاسل[٢] إضافة إلى ما اشتهرت به من بساتين العنب والكرمة والنخيل[٣].

إلاّ أن الموصل قد شهدت تدهوراً كبيراً في حركة التجارة في عهد السلطانين: بركياروق ومحمد بسبب انشغال الولاة فيها للتصدي للفرنج، فنقرأ أكثر من مرّة إصدار السلطان محمد آوامره للولاة بتجهيز الجيوش والتوجّه لمقاتلة الفرنج في بلاد الشام والجزيرة ، فمن ذلك على سبيل المثال إرسال السلطان محمد جاولي سقاوة والي الموصل سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م على رأس جيش لمواصلة الجهاد الإسلامي[٤]، وكتب السلطان محمّد إلى الأمراء في الجزيرة الفراتية سنوات ٥٠٢هـ/١١٠٨ و٥٠٥هـ/١١١١م يأمرهم بالاستعداد لقتال الفرنج في بلاد الشام[٥]، كما كان للعيارين دور كبير في تدهور حركة التجارة في مدن العراق بوجهٍ عام وفي مدينة الموصل بوجهٍ خاص بسبب مهاجمتهم للسفن التجارية القادمة من الموصل إلى بغداد وبالعكس، وازدياد خطرهم بما قاموا به من عمليات سلبٍ ونهبٍ [٦]، ويمكن القول بأنّ ذلك أثّر بما لا يدعو للشكّ في اقتصاد الدولة السلجوقية تأثيراً سلبياً، ونتج عنه انتشار الفقر والمجاعات في بعض الأحيان في مدن الدولة وأقاليمها .

٢) طرق التجارة:

كانت هذه الطرق عبارة عن مسالك استخدمها التجار في رحلاتهم لشراء أو بيع بضائعهم حينما كانت الأوضاع السياسية داخل الدولة السلجوقية تسمح بذلك، وأهم هذه الطرق:

---

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٣٨.

(٢) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٧.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص ٤٦١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٢٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٦٤،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٣٦، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص٣١٧.

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم ،ج١٠، ص،٧٧،٤٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٣٠١، الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، ص ١٤٤.

أ- طريق خراسان:

ويصفة لسترنج بالطريق الحيوي ذلك لأنّه يربط ما بين ثلاث وجهات تجارية ذات حركة نشطة فنجده يربط بغداد بمدن إقليم ما وراء النهر ليصل بها في نهاية المطاف إلى حدود الصين[1] بحيث تقسم الطريق إلى قسمين، الأولى تبدأ من نيسابور إلى هراة مارةً بعدد من القرى الخراسانية مثل بوزجان والطريق من نيسابور إلى مدينة بوشنج، والثانيه تصل نيسابور بمدينة سرخس[2].

ب- طريق الريّ- أصفهان:

وهو الطريق التجاري الذي يبدأ من الري مروراً بدزه[3] ثم يمر بمدينة قمّ ليصل في نهاية المطاف إلى أصفهان[4]، ويبدو أنّ هذه الطريق كانت أكثر الطرق خطورة لما شهدته من أحداث تاريخية مفصلية وهامّة، فيكفي أن نقول أن بداية المناوشات العسكرية بين أفراد البيت السلجوقي بين تركان خاتون وابنها محمود من جهة وجماعة النظامية أنصار السلطان بركياروق من جهة أخرى كانت قد جرت في تلك النواحي[5] كما أن وقائع الحرب الطاحنة التي جرت سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م بين السلطان تاج الدولة تتش وابن أخيه بركياروق قد جرت في الريّ[6]،

---

(1) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٣، إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٠٣.

(2) عبدالجليل، محمد فتحي، النشاط التجاري في خراسان منذ قيام الدولة السلجوقية حتى وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه (٤٢٩-٥٥٢هـ/١٠٣٧-١١٥٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٩، ص ١٢٧-١٢٨.

(3) دزه أو دزاه: بكسر الدال من مشاهير قرى الري وهي قرية عامرة كبيرة، الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ٤٥٤.

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، مج٢، ص ٦٨٤-٦٨٥، انظر كذلك الوهيبي، اديل، مدينة الريّ في العصر السلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩، ص٢٦٦.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٠.

(6) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٤ ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٥، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٦٧-٤٦٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١١١.

ولا ننسى وجود والدة السلطان بركياروق زبيدة خاتون في الريّ حيث كانت مقرّ إقامة لها، وما شهدته الريّ من مناوشات بين الأخوين أدت في نهاية المطاف لقتلها سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[١].

هذا بالإضافة لما شهدته المدينة من تنقل لعساكر السلطانين بركياروق ومحمد أثناء حروبهما التي امتدت لخمس سنوات متتالية، كل الظروف السابقة جعلت من مدينة الريّ مدينة ذات تجارة غير رائجة في تلك الفترات العصيبة على الأقلّ.

ج- طريق البصرة – الصين:

وهو الطريق التجاري البحري من البصرة جنوب العراق عبر الخليج العربي مروراً بمسقط ليدور حول الهند – وجزيرة سومطرة – ليصل أخيراً إلى ميناء كانتون الصيني[٢].

٣) المعاملات المالية النقدية:

إن المتتبّع لتطوّر تاريخ المعاملات المالية النقدية في الدولة الإسلامية ليجد أنه ومن الواضح ظهور مفردات الدينار والدرهم [٣]، فلقد تعامل المسلمون ومنذ عهودهم القديمة بالدرهم والدينار، ولنا من كتاب الله شاهد ودليل ذلك قول الله تعالى: (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة)[٤]، وفي موضع آخر يرد في القرآن الكريم قوله تعالى (ومنهم من إن تأمنه بدينار يؤدّه إليك، ومن إن تأمنه بقنطار لا يؤده إليك)[٥] صدق الله العظيم.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٨، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص٨٦.

(٢) إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٠٣،الدفاع، علي، روّاد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة ، الظهران، ط١، ١٩٩٠ ،ص١١٤.

(٣) لفظ الدينار مشتق من اللفظ اليوناني اللاتيني(Denariu Aureus) وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب، وقد عرف العرب هذه العملة الرومانية وتعاملوا بها قبل الإسلام وبعده وتساوي ١٠/١٠ في وزن مثقال الذهب، أما الدرهم فهي وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية أصلها يوناني مأخوذة من كلمة (Drachma) وتساوي ١٠/٧ من الدينار وقد استعمله العرب في المعاملات بعد أن استعاروه من الفرس، انظر فهمي، عبدالرحمن ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار القلم ، القاهرة، د.ط ، ١٩٦٤، ص٨ – ١٠، انظر أيضاً الكرملي، انستاس، النقود العربية وعلم النميات، مكتبة الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص ٢٨-٢٩.

(٤) سورة يوسف الآية رقم (٢٠).

(٥) سورة آل عمران الآية رقم (٧٥).

كما تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم بالدنانير الذهبيه البيزنطية والدراهم الساسانية[1] فممّا يذكر عنه أنه قوله صلى الله عليه وسلّم:" إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم ولا آراهما إلا مهلكيكم" [2]، واستمراراً لما تعامل به العرب المسلمين سار السلاجقة على ذلك المنحى في التعامل بالدنانير، فلقد كانت وحدة النقد التي تعامل بها السلاجقة في العراق وبلاد فارس هي الدنانير الذهبية والدراهم الفضية[3]

وفي أعقاب وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، ضربت الدنانير في مدن الدولة السلجوقية المختلفة أصفهان ونيسابور والريّ والأهواز، كما تم سك العملة في حاضرة الخلافة العباسية بغداد، وتمت عملية الضرب تحت إشراف السلطان السلجوقي أو الخليفة العباسي أو من ينوب عنهما من القضاة[4].

وقد ضربت تركان خاتون نقوداً ذهبية حملت اسم السلطان محمود بن ملكشاه ذو الأربعة أعوام ن وقد كانت مدينة الضرب أصفهان ، وهو ما ضربه الخلفاء العباسيين من نقود بنفس المدينة، كما احتوت على اسم الخليفة العباسي المقتدي بالله حيث ورد عليها لقب(ناصر الدنيا السلطان المعظم محمود بن ملكشاه)[5]، ويشير ابن الأثير كذلك لضرب تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه ديناراً ذهبياً في أصفهان سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣ حمل اسم ابنها محمود وإسماعيل ياقوتي خال السلطان بركياروق وذلك تكريماً لوقوفه معها ضد خاله السلطان بركياروق في نفس

---

(1) القزويني ، حسين، العملة الإسلامية ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ،الكويت، ط١ ،١٩٩٥، ص١٧، رضوان، هناء، النقود الإسلامية القديمة، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، ع ٣٤، ١٩٩٧، ص ١٢٥، وسيشار إليه: رضوان، النقود الإسلامية.

(2) الطراونة ، خلف ، المسكوكات وقراءة التاريخ ، وزارة الثقافة ، عمّان ، د.ط ، ١٩٩٤، ص٢١، وسيشار إليه: الطراونة ، المسكوكات.

(3) إدريس، تاريخ العراق والمشرق ، ص ٢٢٣.

(4) إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص٢٢٦.

(5)الطراونة ، خلف، موسوعة النقود العباسية في متحف الآثار الأردني ، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط١ ،٢٠٠٢م، ص٣٩٩، وسيشار إليه : الطراونة ، موسوعة النقود ،الحسيني، محمد باقر، دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية، مجلة سومر، مج٢٨، ج١، ١٩٧٢، ص ١٥٩، وسيشار إليه: الحسيني، دراسة تحليلية وإحصائية، انظر ملحق رقم (٥).

السنة، كما ورد على الهامش في هذا الدينار عبارة " محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون" وقد تشابه هذا الأسلوب من ضرب النقود السلجوقية مع النقود العباسية التي سكّها الخلفاء العباسيين في أغلب نقودهم [١].

وقد حملت النقود التي ضربت في تلك الفترة التي تولىّ فيها السلطان محمود بن ملكشاه عبارات تشير للأحداث السياسية والعسكرية التي كانت تمرّ بها الدولة السلجوقية، ومن ذلك نقش كلمة (فتح) على وجه الدينار الذهبي وهو على ما يبدو للدلالة على فتح تركان خاتون لمدينة أصفهان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢ وطرد اتباع بركياروق منها بعد سجنه بقلعتها[٢] التي استولت عليها تركان خاتون بمساعدة الأمير قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل[٣].

***النقود في عهد السلطان بركياروق بن ملكشاه:**

وفي عهد السلطان بركياروق استمر التعامل بالدينار الذهبي الذي ضرب في أماكن مختلفة من الدولة السلجوقية ، فمنها ما تم ضربه في أصفهان سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وحمل اسم السلطان بركياروق على الوجه، فيما جاء اسم الخليفة المقتدي بأمر الله على الظهر ، ونقشت ألقاب السلطان بركياروق (ركن الدنيا والدين) على وجه الدينار ، وهي نفس الألقاب التي أطلقت على السلطان طغرلبك[٤].

وهناك مثال آخر لدينار ذهبي آخر تم ضربه في عهد السلطان بركياروق في مدينة بغداد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م إذ احتوى ذلك الدينار على الوجه في الأسفل اسم الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين ، فيما ضمّ الظهر عضد الدولة/ القاهر برقيروق بالإضافة إلى وجود نقش لعناصر

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤، الطراونة ، موسوعة النقود ، ص٣٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٤ – ٢١٥، انظر ملحق رقم (٥).

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج١٩، ص ٤٥٠.

(٤) الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٣٠٦، الحسيني، دراسة تحليلية وإحصائية ، ص ١٥٦، ١٦٦، المخزومي، صادق، النقود العربية الإسلامية بين التبعية والاستقلال، مجلّة كلية الدراسات الإنسانية، النجف الأشرف، ع٢٢، ١٩٧٤، ص ١٦١، انظر ملحق رقم (٦).

زخرفية نباتية وهندسية ، كما احتوى في الظهر إلى اليمين كلمة عماد الدين وإلى الشمال أبو المنصور[1].

وقد تعامل الناس وأصحاب الحرف بـ الدنانير الذهبية في الأسواق من صاغة وصيارف ومخلطين وحدادين ونجارين وغيرهم، كما كانت تلك الأموال من الدنانير الذهبية بأيدي الوزراء الذين دفعوها بغية الحصول على مناصب عليا ومثال ذلك الوزير فخر الملك بن نظام الملك حيث أرسل أموالاً طائلة للسلطان بركياروق من أجل موافقته على تعينه في الوزارة سنة٤٨٨هـ/١٠٩٥م[2].

***النقود في عهد السلطان محمد بن ملكشاه :**

وفي عهد السلطان محمد بن ملكشاه تعامل الناس بالدينار الذهبي والدرهم النحاسي[3] فمن الإشارات التاريخية التي تشير للتعامل بالدينار مما أورده البنداري في كتابه مختصر دولة آل سلجوق ويشير فيه إلى استلام صاحب خزينة السلطان محمّد مبلغ سبعمائة ألف دينار من السيد أبوهاشم رئيس همذان، كذلك فإنّ نفس المصدر يشير إلى تحصيل مبلغ خمسون ألف دينار من مختص الملك المستوفي سنة ٥١١هـ/١١١٧م[4]،كذلك فإن العامة من الناس قد استعملوا الدينار في عملية البيع والشراء داخل مدن العراق وبلاد فارس، فيذكر ابن الجوزي انه عندما الأسعار سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م في كافة أصناف الغذاء ومنها القمح والشعير إذ بلغ تسعون ديناراً[5].

---

(1) الحسيني، محمد باقر، دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية على النقود السلجوقية، مجلة سومر، بغداد، ج١ وج٢، مج٢٥، ١٩٦٩، ص ١٨٥ – ١٩، وسيشار إليه : دراسة تحليلية للعناصر، قازان ، وليم ، المسكوكات الإسلامية مجموعة خاصة ، بنك بيروت ،١٩٨٣، ص٤٩٢، انظر لوحة رقم (٨).

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٧، ص ٢٥٣.

(3) أبوحشيش، أحمد، نقود أصفهان منذ عصر الخلافة العباسية حتى سقوط دولة السلاجقة العظام في إيران (١٣٢–٥٥٢هـ/٧٥٠–١١٥٧)م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١١م، ص ٣٢٢، وسيشار إليه: أبو حشيش، نقود أصفهان.

(4) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٥، ص ١١٠.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠.

ومن الإشارات الأخرى لاستعمال الدينار في عهد سلطنة محمد بن ملكشاه ما أورده ابن الأثير من حديث عن مقتل مؤيد الملك وزير السلطان محمد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، إذ أشار إلى أنّ مؤيد الملك بن نظام الملك استولى على مبلغ خمسة آلاف دينار كانت مع والدة السلطان.

ومن النقود الذهبية التي ضُربت في عهد السلطان محمّد ، دينار ذهبي ضرب في مدينة السلام "بغداد" سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م وقد جاء على الوجه عبارة غياث الدنيا والدين .

كما ضربت نقود من فئة الدينار وقد نُقش اسم الخليفة العباسي المستظهر على الوجه، فيما جاء اسم السلطان محمد على الظهر ، وكان ذلك الدينار ضرب في مدينة أصفهان سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م وجاءت كلمة غياث الدنيا و الدين على المركز، وجاءت عبارة ولله الأمر من قبل ومن بعد في الهامش الخارجي للدينار، ويتضح للقارئ مدى تأثر هذا النوع من الدنانير مع ما وجد من نقود عباسية للخلفاء المأمون وأبو العباس أحمد المعتمد على الله وغيرهم(١) .

كما ضربت نقود في مدن أخرى غير أصفهان وبغداد ، كالدينار الذي ضرب في مدينة الأهواز وحمل في الوجه كلمة " العدل " واسفلها اسم المستظهر بالله فيما جاء اسم السلطان محمد بن ملكشاه على الظهر وأسفله السلطان المعظّم ابو شجاع محمد بن ملك شاه ، وإلى اليمن غياث الدنيا وإلى الشمال كلمة والدين(٢). انظر لوحة رقم (٩)

ثالثاً: الصناعة في الدولة السلجوقية

تعدّ الصناعة ركيزة هامة من ركائز الاقتصاد في أي دولة كانت، بل أنها من أهم مصادر الثروة والدخل القومي، لذلك فقد نالت نصيباً وافراً من اهتمام السلاطين السلاجقة ووزرائهم منذ أيام السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسي، فقد عملا على انعاش الصناعة والطبقات الكادحة من أرباب الصناعات والحرف في مدن فارس لا سيما خلال تلك الفترات التي شهدت ذيوع وانتشار الدعوة الإسماعيلية – الباطنية ،ولإنجاح تلك الغاية فقد عمل الوزير السلجوقي بالتعاون مع

---

(١) Poole , Lane , The Coins Of Turkuman Houses , Order of the Trustees, London, 1877, pp:35، الطراونة موسوعة النقود ، ص١٦٤، ١٦٧، أبوحشيش، نقود أصفهان، ص ٣٠٨. انظر ملحق رقم (٧).

(٢) قازان ، المسكوكات الإسلامية ، ص ٤٢١.

موظفي الدولة المعنيين بناءً على توجيهات السلاطين السلاجقة على إقامة مراكز صناعية هامة متنوعة، فعلى سبيل المثال نجد أن صناعة المنسوجات والزجاج والتحف والصناعات الزراعية وغيرها كانت محل اهتمام الوزير السلجوقي نظام الملك ومن بعده ابناؤه عزّ الملك ومؤيد الملك وفخر الملك الذين تعاقبوا على وزارة السلاطين السلاجقة بدأ من سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م [١].

ويمكن اعتبار العصر السلجوقي الذي شهد حركة ونشاط الوزير الطوسي، عصر ازدهار الصناعة في المشرق الإسلامي خاصةً وأن الصناعة تخلّت عن الطابع الساساني واتخذت الطابع الإسلامي لدى السلاجقة وأرباب الصنائع منهم[٢].

كما أن موقع الأراضي الزراعية في بلاد فارس والعراق بالقرب من الأنهار وغزارة الأمطار أدى لتنوّع زراعة البساتين والرساتيق مثل مدينة بغداد والبصرة وواسط ومدن المشرق مثل أصفهان والريّ وغيرهما، و ذلك بدوره أدىّ لنمو الصناعة والحرف[٣]،وسبب ذلك عائد إلى أن المواد الخام للصناعة اعتمدت في شكلها العام على المحاصيل الزراعية، ولنا بصناعة النسيج والقطن والحرير والكتان مثال واضح على ذلك[٤]، ويمكن القول أن الحياة الاقتصادية قد تطورت في عهد السلاطين السلاجقة العظام وازدادت قوة وتماسكاً، فنجد أهل الحرف يشار إليهم بالأحناف وأصحاب المهن وأهل الصنايع[٥]،ومن الإشارات التاريخية لوجود أصحاب الأرباب والصنائع في

---

(١)ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٥٢،٢٣٦،٢١٩،١١٥، إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ١٨١.

(٢) عبدالله، سامية، تطوّر صناعة المنسوجات بالمشرق الإسلامي في العصر العباسي، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ع ٣، ١٩٩٣، ص ٤٩٩، وسيشار إليه: عبدالله، تطوّر صناعة المنسوجات، نشأت، صادق، صفحات عن إيران، مطبعة مخيمر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٦٠، ص ٩٦،وسيشار إليه:صادق،صفحات عن إيران .

(٣) الشيخلي، صباح، الأصناف في العصر العباسي، نشأتها وتطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع الإسلامي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، د.ط، ١٩٧٦، ص ١٩، وسيشار إليه: الشيخلي،الأصناف .

(٤) متز، الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص ٣٤٤ – ٣٥١.

(٥) الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩، ص ٢٠،وسيشار إليه: الدوري، أوراق في التاريخ.

العراق خلال العصر السلجوقي ما ذكره ابن الأثير عن وجود حرفتي الصياغة والصيرفة وغيرهما من المهن في بغداد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[١].

كما أن متز يشير وبالاعتماد على كتب الرحالة والجغرافيين، إلى تطور الصناعات وتقدمها في مدن العراق و بلاد فارس، لا سيما صناعة المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية فمثلاً اشتهرت بغداد بصناعة الأقمشة والثياب العتابية التي نسبت لأحد أحياء مدينة بغداد وهو عتاب، كذلك اشتهرت صناعة الكتان، حيث كانت مدينة كازرون أكبر مدينة في صناعة ثياب الكتان[٢].

لقد لاقت حرفةُ الصناعة رواجاً وقبولاً لدى الناس في عصر السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) وبعد وفاته وما شهدته الدولة من نزاعات وحروب، كان من الطبيعي أن تتأثر الدولة في المجال الصناعي بالتوقف عن العمل والدوران، إلا أنها وفي عهد السلطان بركياروق سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م وبعد انتصاره على عمّه تاج الدولة تتش في الريّ، سار إلى بغداد وقد وردت الإشارات التاريخية إلى مشاركة أهل الأصناف والصنائع في تزيين الأسواق والمحال التجارية بمناسبة قدومه كما أشارت إلى بناء الخليفة المستظهر بالله سور على الحريم[٣]،كما أن (الأسواق) ورد ذكرها في بعض المصادر التاريخية كثيراً ومنها ما ذكره ابن الأثير عن وصول السلطان بركياروق لواسط سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م وما أشار إليه في تلك الأحداث من خلوّ أسواق المدينة من الناس[٤]. هذا بالإضافة لورود مفردات التجّار وأصحاب الصنائع في مدن أصفهان وحسن تعامل وزير السلطان بركياروق (الأعز أبو المحاسن الدهستاني) معهم[٥]، وهذا يشير إلى وجود صناعات محلية في الدولة السلجوقية ، راج بيعها وشراؤها وقت الحاجة في الدولة .

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢١٧.

(٢)المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٣٢٣ ،الأصطخري، أبو اسحق محمدّ بن إبراهيم الكرخي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) المسالك والممالك ،تحقيق: محمد صابر عبدالعال، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٦١، ص١١٧، متز، الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص ٣٤٨.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥١.

(٤) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٣٣٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٣٣٦.

ومن الأدلة التاريخية أيضاً على وجود صناعة للنسيج في عهد السلطان محمد ما ذكره صاحب المنتظم عن اهتمام السلطان محمّد بن ملكشاه سنة ٥١٠هـ/١١١٦م بفرش الدار السلطانية في بغداد والمدارس النظامية بأجود أنواع السجاجيد والفروش المميزة[١] ولا غرابة في ذلك إذ انّ منطقة النعمانية[٢] كانت من أشهر مراكز إنتاج البسط والسجاد في العصر السلجوقي[٣].

كما أن صناعة المعادن قد تطورت ونمت في بلاد المشرق الإسلامي ومن أهمها الفضة والحديد والنحاس، وذلك لاستعمالها في صناعة السيوف، لاسيما إذا ما علمنا أن تربة بلاد فارس وجبالها غنية بأنواع عديدة من المعادن والأحجار الكريمة، خاصة مدن أصفهان وقزوين[٤]،وكان معدن النحاس يستخرج من جبال طوس في إقليم خراسان[٥] واشتهرت أصفهان بوفرة معدن النحاس الأصفر[٦]، وقد بلغ نصيب خراج المدينة للسلطان محمّد بن ملكشاه منه مبلغ عشرة آلاف درهم[٧]، ويبدو أن معدني الحديد والنحاس قد حظيا بأهمية كبيرة في الدولة السلجوقية ونالا اهتمام السلطانين: بركياروق ومحمد معاً، ذلك أن الحروب الطويلة التي خاضاها سوياً خلال خمسة أعوام تطلبت صناعة السيوف والتروس والدروع، وهو ما يشير إليه المؤرخ ابن الأثير في حديثه عن الحرب الثانية بين السلطانين بركياروق ومحمّد سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م فيقول: "إن رجالة بركياروق احتاجوا إلى تراس، فوصل إليه يوم المصاف بكرةً اثنا عشر حملاً سلاحاً من همذان منها ثمانية أحمال أتراس، ففرقت فيهم[٨].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٢٩.

(٢) النعمانية بليدة تقع بين واسط وبغداد وتشرف على ضفة نهر دجلة، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج٣، ص ١٣٨.

(٣) ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد وأحمد فكري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٧٨-٢٧٩، إدريس، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي، ص ١٨٥.

(٤) نشأت، صفحات عن إيران، ص ٩٦.

(٥) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٣٠.

(٦) متز، الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص ٣١٤-٣١٧.

(٧) عبدالله، سامية، مظاهر التقدم الصناعي في المشرق الإسلامي منذ بداية القرن الرابع الهجري حتى آخر العصر السلجوقي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ٢٤، ج٢، ١٩٩٩، ص ٥٠.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٤.

رابعاً: الموارد المالية في الدولة السلجوقية:

كان من الأهمية بمكان للدولة السلجوقية العمل بنظام مالي يحقق لها الاستقرار في أراضي دولتهم ويمكنهم من السيطرة على كافة الأقاليم والمدن التي كانت تابعة لهم، كما أن ذلك النظام المالي يعمل وبشكل كبير على تحقيق التوازن بين ما تنفقه الدولة وما يدخل خزينتها.

وقد حققت الدولة السلجوقية ومنذ نشأتها ذلك التوازن في عهود السلاطين: طغرلبك ومن بعده ألب أرسلان وملكشاه ولا عجب في ذلك إذا ما علمنا تلك الجهود المضنية التي بذلها الوزير "نظام الملك" الطوسي في تنظيم الدواوين واتخاذ العمال للإشراف على إدارة وحسابات الأقاليم والمدن[1]، وبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وما شهدته الدولة السلجوقية من نزاعات على السلطة، أصبحت الحاجة لوجود أموال في الدولة لصرفها على أعداد الجيوش والجنود أمراً في غاية الأهمية، ويمكن تقسيم الموارد المالية في عهد كلاً من السلطانين: بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه إلى النحو التالي:

أ- الواردات:

تنوعت واردات الدولة السلجوقية في فترة حكم السلطانين: بركياروق ومحمد ابنيّ السلطان ملكشاه واختلفت قيمتها من فترة لأخرى وذلك في ضوء الأحداث السياسية التي شهدتها الدولة وما تضمنته أيضاً من صعود وهبوط في وتيرة العلاقات الداخلية مع أمراء الأقاليم و مع الخلفاء العباسيين، إلا أنها ارتكزت على عدة مصادر منها:

١. الخراج[2] المفروض على الأراضي الزراعية:

وقد اعتمدت قيمة المبالغ المفروضة على الأراضي الزراعية على طبيعة المناخ وحالة الأراضي الزراعية في الدولة، ففي كثير من المواسم الزراعية كانت الأراضي لا تؤتي بكثير من

---

(١) نظام الملك، سياسة نامة، ص ٣٠٤،الدوري، النظم الإسلامية، ص ١٣٧، إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٠٩.

(٢) الخراج: هو ذلك المبلغ المالي الذي تفرضه الدولة على زراعة الأراضي الزراعية وقد يكون محصولاً ويشبه إلى حد كبير في وقتنا الحاضر الضريبة، علي، إبراهيم، الموارد المالية في الإسلام، دار الشرق العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٩، ص ١٨٠-١٨١.

الثمار، فعلى سبيل المثال هلكت الزروع جميعها في أصبهان وخراسان بسبب برودة الطقس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م[١]، ومثال آخر سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م فقد هلكت الغلاّت والمحاصيل الزراعية في بغداد بسبب فيضان النهر عليها وسقوط الأمطار بطريقة كثيفة لم تتناسب مع نمو الزرع[٢].

ومن جملة الأموال المفروضة على الأراضي في الدولة، كان ناتج المحاصيل الزراعية في مناطق جنزة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر وديار مضر وديار ربيعة، وهذه المناطق كانت تدفع مبالغ مالية لخزينة الدولة تراوحت قيمتها بين مائة ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار وبضعة عشر ألف دينار[٣]، وبالنظر إلى تلك المبالغ الكبيرة التي تم تحصيلها من مدن ومناطق الدولة التي أشار إليها الاتفاق في الصلح الأول بين السلطانين: بركياروق ومحمد سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م[٤]، يظهر أن حجمها كان كبير جداً إذا ما تم تقديره رقمياً، أما وقد كانت الدولة في نزاع عسكري قوي بين السلاطين فقد كان حجم الإنفاق المالي كبيراً جداً وبالتالي فإنه لم يستفاد من تلك المبالغ في إعمار الدولة وإصلاحها ، على الأقلّ أثناء نزاع الأخوين: بركياروق ومحمّد، ومن الطرق الأخرى التي تمّ من خلالها تحصيل أموال ناتج الأراضي الزراعية ما كان يجمع عن طريق رئيس الريّ أبو مسلم سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م فقد كانت عملية تحصيل الأموال تتم عن طريق مستوفين تحت رعاية وإشراف وزير السلطان محمّد آنذاك وهو سعد الملك الآبي[٥].

٢. إقطاعات الأراضي:

انتشر في الدولة السلجوقية نوعان من الإقطاعات هما المدني والحربي، أما الإقطاع المدني فهو ما يقوم على إعطاء الأراضي للأمراء وغيرهم وفق نظام الالتزام، وكانت الدولة تستفيد من هذه الأراضي في حال مصادرة أصحابها أو إذا ما حلّ الخراب بها[٦]، أمّا الاقطاع الحربي فقد

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٣-٨٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٦٢.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢١، النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ٢٠١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٧٥-٧٦.

(٥) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٠-٩١.

(٦) إدريس، تاريخ العراق والمشرق ، ص ٢١١-٢١٢.

كان يقوم على إعطاء الدولة أراضيَ للجنود والعمل بها وإصلاحها وعمارتها ومن ناتج أرباحها يدفعون للدولة[1] وقد تمت الإشارة سابقاً إلى حيثيات هذا النظام عند الحديث عن الجيش السلجوقي في أروقة الفصل الخامس من هذه الدراسة.

ومن أمثلة الاقطاع المدني إقطاع السلطان بركياروق الأمير يلبرد بغداد وما كان بجوارها سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[2] وإقطاعه الموصل وأعمالها لقوام الدولة كربوقا سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م[3].

واقطاع الأمير أنر بلاد فارس وإمارة العراق سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م مقابل مبلغ مالي بلغت قيمته عشرة آلاف دينار[4]، وفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م أقطع السلطان بركياروق منطقة هيت لبهاء الدولة ثروان بن وهب مقابل مبلغ من المال[5] إلا أنه وفي عام ٤٩٦هـ/١١٠٣ وأثر خلاف داخلي استولى الأمير صدقة بن مزيد عليها، وبعد وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م اقطع السلطان محمد الموصل وأعمالها للأمير شمس الدولة جكرمش على أن تكون الخطبة للسلطان محمد في تلك المناطق مقابل دفع مبالغ من الأموال للخزانة السلطانية [6]،وعندما خرج السلطان منكبرس بوري برس بن ألب أرسلان على ابن أخيه السلطان محمد بن ملكشاة سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م اقطع السلطان محمد زنكي بن برسق مناطق الدينور[7]،وفي سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م اقطع السلطان محمّد بن ملشكاه ثابت بن دبيس[8] مناطق في واسط[1] كذلك الحال حينما اقطع السلطان محمّد نجم الدين ايلغازي ماردين سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م مقابل مبلغ من المال[2].

---

(1) سرور، محمد، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٦، ص ١١٢-١١٣، وسيشار إليه : سرور ، تاريخ الحضارة.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٦.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٨-٢٥٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٢.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨١.

(5) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٥٨.

(6) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٢ – ٣٨٣.

(7) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٩.

(8) ثابت بن دبيس: هو ابن عم الملك صدقه بن مزيد، كان حاسداً لابن عمه منتظراً الإيقاع به، فعندما وقع الخلاف بين السلطان محمد وملك العرب صدقة انضم لصفوف السلطان محمد ضد ابن عمه سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ،ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص ٤٤٧.

٣. الضرائب:

إن حصول الدولة على إيرادات مالية من الناس باختلاف أعمالهم أنعش خزينة الدولة المالية في بلاد فارس والعراق وقد أطلقت تسمية المكوس[٣] على ذلك النوع من الضرائب.

ومثال ذلك ما أقرّه صاحب شحنة بغداد سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م من فرض ضرائب مالية على أصحاب المحال التجارية، بلغت قيمتها ألفي دينار[٤]،كما كانت الضرائب تستوفى من التجّار خاصة في حالة استقرار الدولة وخلوّها من النزاعات والحروب، ففي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤ وبعدما تسلّم السلطان محمد بن ملكشاه مقاليد الحكم دون منازع كانت هناك مبالغ مالية تفرض على واردات السوق من عمليات البيع والشراء[٥].

إلا أنه ولتداعيات الأزمة الاقتصادية التي حلّت بالناس على بشكلٍ عام والتجّار بشكلٍ خاصّ ، وسيراً على ما فعله والده السلطان ملكشاه من إسقاط للمكوس والضرائب على عامة الناس في أقاليم الدولة السلجوقية، فقد ألغى السطان محمد المكوس والضرائب سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م ، ويبدو أن الغاء السلطان محمد للضرائب قد قررّ ذلك بعد أن نظر لأحوال الرعية وتفهّم صعوبة العيش لديهم ، بالإضافة لكون السلطان محمد كان قد أمر ابن البلخي الذي كان قد عمل مستوفياً في الجهاز الإداري لركن الدولة خمارتكين والي فارس وخوزستان من قبل السلطان بركياروق ، أمره بمقارنة نظام الضرائب الذي كان في الأزمنة السابقة لبلاد فارس مع النظام السائد على عهده فيها [٦].

إن تصرّف السلطان محمد على النحو السابق لهو دليل على عدله وحسن تعامله مع الرعية، فيذكر سبط ابن الجوزي عن سيرته قائلاً: "كان عادلاً عابداً خيّراً ديناً رؤوفاً رحيماً متمسكاً

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٤٧.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٤٥.

(٣) المكوس: هي مبالغ مالية يدفعها التجار كرسوماً على ما يباع ويشتري من بضائع وسلع صناعية، علي، الموارد المالية في الإسلام، ص ٣١٠، سرور، تاريخ الحضارة، ص ١١٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٧١.

(٥) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٩٠-٩١.

(٦) ابن البلخي ، فارس نامه ، ص٦.

بأحكام الشريعة الإسلامية"[1] كما أن إشارة ابن الأثير لشخصية السلطان محمد تؤكد ما جاء به سبط ابن الجوزي، ففي معرض حديثه عن حوادث سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م، يشير إلى وصول السلطان محمد في رمضان من تلك السنة إلى أصفهان، فظهر منه من حسن معاملة لأهلها الشيئ الكثير، تمثّل بوقف مصادرتهم وتأمينهم وعدله معهم، وكفّ أيدي الجند عنهم،" لدرجة أن كلمة العامي من الناس صارت لدى السلطان أقوى من كلمة الجندي ويد الجندي قاصرة عن العاميّ من هيبة السلطان وعدله" [2].

٤. المصادرات:

كان لنشوب الخلافات والصراعات بين أبناء السلطان ملكشاه على السلطة الأثر الكبير في بروز ما يعرف بمصادرة الأموال من الوزراء أو العامة من الناس، لا سيما بعد خروج السلطان محمد سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م عن طاعة أخيه[3]، فبالإضافة لحاجتهم الماسة للأموال لدفعها للجنود في حلّهم وترحالهم خلال الحروب التي دارت بينهم، كانت الأموال والفائض منها يوضع في الخزينة السلطانية.

والأمثلة على ما قام بها السلطانين: بركياروق ومحمد وجنودهما من مصادرات كثيرة جداً، ففي عام ٤٩٣هـ/١١٠٠م وحينما وصل السلطان بركياروق إلى خوزستان كان في حالة سيئة سببها تخلّي كثير من الأنصار والأتباع عنه وميلهم للسلطان محمد بفضل خطط وتدبير وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك آنذاك ، ومن أجل ذلك كله غادرها لواسط وصادر أهل الأهواز[4].

كذلك فعل جنود السلطان بركياروق من سلب ونهب ومصادرة للناس في همدان في أعقاب خسارة المعركة الأولى ضدّ أخيه محمد سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م وخسارة أخرى من أخيه السلطان

([1]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢١.

([2]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٦.

([3]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧،البنداري ، مختصر تاريخ دولة السلجوق، ص ٨٦، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٥، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٤٥.

([4]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٣-٤٥.

سنجر بنفس العام[1]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن جنود السلطان بركياروق استمروا بمصادرة الرعية في ترمذ سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[2]،كما لم يكن جنود السلطان بركياروق وحدهم من يقومون بأعمال المصادرة بل شمل ذلك السلطان محمد وجنوده أيضاً، فنجدهم في سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م وبعد خسارتهم المواجهة الثانية من المواجهات الخمس مع السلطان بركياروق يقومون بمصادرة أهالي جرجان وخراسان ونيسابور الضعفاء منهم الكبار والصغار[3]

ومن الملاحظ أن قيمة المصادرات وحجمها في زيادة مستمرة طالما استمرت الحروب بين السلطانين فكلاهما كان يعتمد على جباية أموال الناس وجمعه بأي وسيلة كانت وكأن أمر الناس لا يعنيهم ضاربين بعرض الحائط كل صور وأشكال المسؤولية التي تقع على عاتق الحاكم تجاه رعيته .

ب-النفقات:

إن تلك الحصيلة الكبيرة من موارد الإيرادات ومصادرها ما كانت لتكون وجوهها كثيرة لولا وجود كم هائل من أبواب صرفها وإنفاقها، فقد كانت الدولة السلجوقية تنفق الأموال التي ترد من الإيرادات على مصالح الدولة لسد احتياجات السلطان بالإضافة لإنفاقها على مصالح الدولة في كافة قطاعات ومجالات الحياة ومنها:

١. **المبالغ المالية الشهرية التي كانت تدفع للموظفين في الدواوين**

رغم عدم وجود إشارات محددة للنفقات في المصادر التي قمت بالإطلاع عليها إلا انه ومن خلال قراءة تاريخ دولة آل سلجوق أمكنني إحالة بعض من النفقات بناءً على بعض الشواهد التاريخية ، وهذه النفقات للدواوين إما على شكل نقود عينية أو أرزاق يتم صرفها من بيت مال

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٣-٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٦، ص ١٩٩.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٢٩٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٤، ص ٣٠٥-٣٠٦، الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص١٧.

الدولـة العـام، ومثـال ذلـك المـوظفين فـي ديـواني الاسـتيفاء برئاسة علـي القمـي والطغـراء برئاسـة عبدالرحيم بهاء الملك[1].

وكـان يتبـع لرؤسـاء تلـك الـدواوين مـوظفين إداريـين بـذلوا جهـوداً كبيرة فـي إنجـاز المهـام المطلوبـة منـهم فـي فترة نزاعـات السلطان مـع أفراد البيت السلجوقي، وإذا كـان هنـاك ثمـة أمـر قد أنجـز فـي عهـد السـلطان بركيـاروق أثنـاء وزارة عزّ الملـك وأخيـه مـن بعده مؤيد الملـك فهـو عائـد لرؤسـاء الـدواوين[2]،كذلك بـذل كـلاً مـن شـرف الـدين أنـو شـروان ابن خالد أثنـاء توليـه نيابـة الـوزارة وكمـال الملـك علـي السـميرمي أثنـاء إشـرافه علـى مملكـة السـلطان بالإضـافة لإشـرافه علـى ديـوان كهرخـاتون زوجـة السـلطان محمـد، بـذل أولئـك جهـوداً جبـارة ومضـنية فـي العمـل لإنجـاح منصـب الوزارة وتحصيل الأموال ودفعها في مصالح الدولة[3].

٢- رواتب الوزراء والقضاة والولاة:

فقد دفـع السـلاطين للـوزراء أمـوالاً طـائلة مـن أجـل تـدبير أمـور دولـتهم لاسيما أثنـاء فتـرة نشـوب الصـراعات، فقـد أعطـى السـلطان بركيـاروق مؤيـد الملـك ومجـد الملـك القمـيّ البلاسـيني ،أعطاهمـا حق التصـرف بالسـيف والقلـم لمـا عـرف عنهمـا مـن كفـاءة عاليـة، فلقـد كـان مؤيـد الملـك أهـلاً للـوزارة، عارفـاً بلغتـي العـرب والعجـم، الأمـر الـذي سـهّل علـى السـلاطين أمـر التواصـل مـع العـرب والعجـم فـي بـلاد فـارس والعـراق وجمـع الحشـود والأنصـار والمؤيـدين لكلاهمـاه[4] كمـا أن مجـد الملـك القمـي كـان بارعاً فذاً متحكماً في دولة السلطان بركياروق[5].

٣- أرزاق الجند وقادة الجيش من الأمراء:

حيث كـان الجنـد يطـالبون بـالأموال دائمـاً وبشـكلٍ مسـتمر فـي أعقـاب كـل مواجهـة عسـكرية يخوضـها السـلطان، وقـد لا يتـوفر عنصـر الـولاء والانتمـاء لـديهم خاصـة أثنـاء تلـك الفتـرات الصـعبة

---

(١) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٣-٨٥، إقبال، الوزارة ، ص ١٦٣.

(٢) إقبال، الوزارة، ص ١٦٣.

(٣) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٠٤-١٠٦، إقبال، الوزارة، ص ٢٥٦.

(٤) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٨٣-٨٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٩.

التي شهدتها الدولة السلجوقية وما شهدتته من تمزّق في عرى اللحمة بين العائلة الواحدة، فنجدهم (الجنود) لا يدينون بالولاء لسطان بل نجدهم يميليون لمن يدفع أو يعطيهم أكثر، ومن ذلك أنهم أثناء نزاع السلطان بركياروق مع عمه السلطان تاج الدولة تتش ولما رأوه من انشغال السلطان عنهم بالشرب ومعاقرة الخمر واللهو ، وأمراء الدولة من حوله مشغولون بالطرب والغناء تحولوا للسلطان تاج الدولة تتش[١]، وكان حجم التحوّل الأكبر لدى الجنود والعساكر مؤثراً وكبيراً بفضل عبرقية ونفاذ بصيرة وكلمة مؤيد الملك بن نظام الملك، سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م إذ عمل على استقطاب العسكر من طرف السلطان بركياروق وحولهم للسلطان محمد[٢].

كما أن مطالبة العسكر للسلطان بركياروق بالمال دفعه لطلب المساعدة المالية من الخليفة المستظهر بالله حيث أعطاه مبالغ مالية نقدية في الحال[٣]، بل أن مطالبة العسكر للسلاطين بالأموال والأرزاق دفعت السلطان بركياروق لتهديد الأمير صدقه سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م بأخذ بلاده منه بالقوة إذا لم يدفع مائة ألف دينار لخزانة السلطان[٤].

٤- منح العلماء والفقهاء وأرزاق الطلبة في المدارس النظامية:

وقد ظهرت تلك المنح بصورة واضحة في عهد استقرار الدولة وخلوّها من المنازعات الداخلية واعني بذلك عصر السلطان محمد بن ملكشاه ٤٩٨هـ-٥١١هـ/١١٠٤ - ١١١٧م.

فيشير سبط ابن الجوزي إلى إعطاء السلطان محمد الضوء الأخضر سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م لوزيره سعد الملك الآبي باغداق الأموال والمنح للمدارس النظامية[٥].

كما أعطى العلماء والفقهاء مبلغ خمسمائة دينار وقال لهم: (اصرفوها في مصالحكم)[٦]، هذا بالإضافة للمبالغ المالية الكبيرة التي توفرت في الدواوين ومنها ما كان بيد نصير الملك بن مؤيد

---

(١) البنداري،مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٨٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٤.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٤.

(٥)ابن الجوزي، المنتظم ، ج١٠، ص٩٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ج٢٠.

(٦) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٧، إقبال، الوزارة، ص٢١٩.

الملك سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م، فقد صرف أموالاً طائلة من أموال الدولة على الكيمياء والنجوم، ولم يخرج بطائل من ذلك حتى أن أحد الشعراء ويدعى أبو طاهر الخاتوني كتب كتاباً في مثالب ذلك الوزير أسماه (تنزير الوزير الزير الخنزير)[1]، والتنزير هنا هو قليل العلم التافه.

*** الحياة الاجتماعية في الدولة السلجوقية :**

يعدّ الجانب الاجتماعي من الجوانب الهامّة في دراسة تاريخ أي دولة من الدويلات الإسلامية، كما أنّه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمتغيرات السياسية والإقتصادية والبيئية والثقافية التي تحيط بالدولة، وبناءً على ما تقدّم، يمكن القول بأن الحياة الاجتماعية في الدولة السلجوقية قد تأثّرت تأثيراً كبيراً بالظروف السياسية والإقتصادية، وأدّى ذلك إلى تنوّع عناصر المجتمع السكانية وفئاتهم الاجتماعية كما سنوضّحه تالياً:

أولاً: الفئة الخاصةّ وتضمّ السلاطين والأمراء وكبار القادة وكبار رجالات الدولة .

ثانياً: فئة موظفوا الدوواوين وأهل الحرف والصنائع والتجّار .

ثالثاً : فئة الجند والفلاحين

رابعاً: فئة الرقيق وأهل الذمّة والعيارين وغيرهم .

*** مكونات المجتمع السلجوقي :**

أمّا عن المكونات فقد كان المجتمع في بلاد فارس والعراق في العصر السلجوقي خلال الفترة ما بين ٤٨٥-٥١١هـ/١٠٩٢-١١١٧م يتكوّن من المكونات التالية :

أولاً: الأتراك

وتعود أصولهم لتلك المناطق التي تقع جنوب نهر جيحون[2] وأول ذكر لهم في تلك المناطق كان ما قبل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[1]، ومن فروعهم الأتراك الغزّ الذين ينتمي

([1]) البنداري ، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٧، إقبال، الوزارة، ص ٢١٩.

([2]) جيحون: اسم نهر في وادي خراسان وعليه مدينة اسمها جيحان، ومنه عين تخرج من موضع يقال له عندمس، في أول عدة أنهار تجتمع فيكون نهرا كبيراً، يمرّ بعدّة بلاد حتى يصل لخوارزم ويصبّ في بحيرة تعرف بخوارزم، الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص ١٩٦ - ١٩٧، البغدادي، مراصد الاطلاع، مج١، ص ٣٦٥.

إليهم السلاجقة[٢] وقد هاجروا من بلاد تركستان إلى ما وراء النهر، وعرفوا باسم السلاجقة نسبة لجدهم سلجوق بن دقاق[٣]، وقد كان السلاجقة يميلون في تعاملاتهم واستيعابهم لعناصر السكان في دولتهم للأتراك أو القبائل التركية من أبناء جلدتهم بوجه عام[٤] حتى أن بارتولد يذكرهم بـ (الأتراك السلاجقة)، وقد وقعت كثير من التصادمات بين الأتراك والفرس وبين الفرس والعرب ن كما ظهر التجانب بين العنصرين الأصفر والأبيض[٥]، وقد كان أولئك الأتراك الذين سكنوا مناطق وأقاليم الدولة السلجوقية يفتخرون بأصلهم كقبائل بدوية اتخذت من الحلّ والترحال نمطاً يشكل حياتها، وقد أكسبتهم البداوة قوة البدن وخشونة في الطبع، فنجد أن الترك قد اتخذوا من الحرب صناعة ووظيفة لهم يكتسبون رزقهم منها[٦]، لذا فقد اعتمد السلاجقة عليهم في الحروب التي خاضوها داخل أراضي الدولة السلجوقية أثناء حروبهم فيما بينهم أو خارجها ضد الفرنج .

كما أن الأتراك شاركوا في قتال السلطان بركياروق مع أخيه سنجر سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[٧]، وكانوا العنصر الأساس في جيش السلطانين بركياروق ومحمد في الحرب التي جرت بينهما سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م في منطقة روذ راور[٨] وقد أبلى الأتراك بلاءً حسناً في تلك الحرب التي دارت رحاها بين السلطان محمد والأمير صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م فهزموا بسهامهم جموع العرب في فريق الأمير صدقة[٩].

---

(١) بارتولد، فاسيلي ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، مراجعة : أحمد الزين ، مجلة الاجتهاد، ع٤١، ٤٢، ١٩٩٩، ص ٩٩، وسيشار إليه : بارتولد ، تاريخ الترك .

(٢)الراوندي، راحة الصدور، ص٩-١٠، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٨، ص ٤٤٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ١٤٨ – ١٤٩، رايس، السلاجقة، ص ١٧.

(٤) بارتولد، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ص ٩٦ – ٩٩.

(٥) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص١٣، بارتولد، تاريخ الترك ، ص ١٠٥.

(٦) عبدالحميد، سعد زغلول، الترك والمجتمعات التركية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ع١٠، ١٩٥٦، ص ٧٤.

(٧)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٤٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٧،

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٦ – ٢٩٧.

(٩)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢١،

ورغم براعة الأتراك في الحرب والقتال وتحدثهم اللغة التركية، إلا أن اندماجهم في المجتمع السلجوقي المؤلّف من مكونات شتّى أدى إلى اندماج أولئك الأتراك بالثقافة الفارسية وهي لغة الدواوين في الدولة السلجوقية، ولغة معظم الناس في عاصمة الدولة أصفهان، هذا بالإضافة لاختلاطهم بالعديد من القبائل العربية في العراق، وبالتالي فإن المحصلة النهائية اكتساب أولئك الأتراك آفاق ثقافية جديدة، اجتمعت لتكون في بوتقة واحدة قدّمت أزهى عصور الحضارة الإسلامية في العلوم والآداب[١].

ثانياً: الفُرس:

هم العنصر الرئيسي في بلاد فارس وما وراء النهر (خراسان) وهم ينسبون لولاية واسعة وإقليم فسيح أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة سامل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مُكران[٢]، إن وجود الفرس في الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق وانطوائهم تحت مظلة دين الدولة الإسلامي السنّي، ووجودهم في الدولة كفئات سكانية جنباً إلى جنب مع الأتراك والعرب قد ألّف بينهم وبين الشعوب المسلمة الأخرى التي كانت تدين بالإسلام على اختلاف ألوانها وأجناسها وحضاراتها فجعل الإسلام التقارب والتماثل عوضاً عن التغاير والاختلاف[٣].

كما أن وجود الفرس في المجتمع الإسلامي في العراق والمشرق بوجه عام كان قد بدأ منذ أوائل العصر العباسي الأول[٤] وأدى ذلك التواجد للاختلاط مع العنصر العربي في المجتمع الإسلامي بوجه عام والسلجوقي على وجه الخصوص.

---

(١) جمعة، فاطمة، أثر تفاعل ثقافتين مختلفتين على المتغيرات التربوية دراسة تاريخية للمجتمع العباسي في عهد السلاجقة، مجلة المستقبل التربوية العربية، المركز العربي للتعليم والتنمية والمكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ع٢٦، ٢٠٠٢، ص ١١، وسيشار إليه: جمعة، أثر تفاعل ثقافتين.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٢٢٦.

(٣) المصري، حسين، صلات بين العرب والفرس والترك: دراسة تاريخية أدبية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢١٨، وسيشار إليه : المصري، صلات بين العرب والفرس.

(٤) إدريس، تاريخ العراق والمشرق ، ص ٢٣٤، مرور، تاريخ الحضارة ، ص ١٦٩.

إلاّ أنّ تـأثير الفرس فـي المجتمـع السـلجوقي يتضـح فـي جـانبين أحـدهما ثقـافي والآخـر عسكري، ففي الجانب الثقافي يتضح نشاطهم في المشاركة فيما يعرف بالأعياد الفارسية مثل أعياد النوروز[1] والمهرجان، كما أن الفرس قد اشتهروا ببناء القصور ذات الطراز الرفيع واهتموا كذلك بالعيش الرغد في الحياة [2]،أما الجانب العسكري فيتضح بمشاركة الخراسانيين من الفرس مع السلطان بركياروق بعد هزيمته الأولى من عمّه السلطان تاج الدولة تتش سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م عندما استطاع الوزير مؤيد الملك من استمالتهم لجانب السلطان بركياروق[3].

كما أن الفُرس قد استعصوا على الأمير أُنر ولم يسلّموه لهم كما إرادات تركان خاتون الجلالية ذلك وهزموه بنفس السنة المذكوره أعلاه [4]،وفي موضع آخر يذكر ابن الجوزي مشاركة العجم[5] في حرب السلطان محمد مع الملك صدقة سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م حيث يشير إلى قوة العجم في القتال حينما رشقت العجم صدقة بعشرة آلاف نشابة[6].

ثالثاً: العرب:

عند الحديث عن العرب لابد في البداية من الإشارة إلى أهمية دورهم في تكوين الدولة العربية الإسلامية حينما حققوا النصر على أكبر أمتين في عصرهما وأعني بذلك الفرس والروم،

---

(1) النيروز: كلمة فارسية مؤلفة من شقّين (نو) ومعناها جديد و(روز) ومعناها يوم وهما من الاحتفالات القديمة التي حرص الفرس على إقامتها وذلك لاعتقادهم بأهميته الدينية حيث تشير المصادر التاريخية أن سليمان بن داود عليهما السلام، فقد خاتمة فذهب عنه الملك والحكم ، وعاد إليه الملك مرة أخرى ، فجاء إليه الملوك من كل حدب =وصوب للتهنئة، فقال الفرس: نورو أمد فجاءته أي جاء يوم جديد فسمّي هذا اليوم نوروز، نداء طه، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ع١٢، ١٩٦٣، ص ٣٣-٣٨.

(2) سرور، تاريخ الحضارة ، ص ١٦٩، إدريس، تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٣٤.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٥.

(4) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٩.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٦.

(6) العجم: هم سكان بلاد فارس من الموالي وغيرهم وقد وصفهم ابن خلدون في المقدمة قائلاً: العجم أو من في معناهم من الموالي أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم وهم حملة الحديث الشريف الذي حفظوه من أهل الإسلام فإن أكثرهم عجم أي من أهل فارس، ابن خلدون، المقدمة، ٥٤٤ – ٥٤٥.

ويفضل الإسلام أصبح العرب مضرب عز وافتخار بأصلهم[1]،كما أن العرب هم أصل الدولة الإسلامية، كيف لا وقد كرّمهم الله بلغة كانت هي لغة القرآن ولغة خاتم الأنبياء والمرسلين صلىّ الله عليه وسلم، ناهيك عن ما قام به العرب من فتوحات جمّة أسهمت في نشر الإسلام في أصقاعٍ عديدة[2]، لقد وصل العرب من خلال الفتوحات الإسلامية إلى مناطق عديدة في المشرق الإسلامي منها أصفهان وخراسان وخوارزم وغيرهم من الأماكن في المشرق الإسلامي، فمثلاً يعود تاريخ وجود العرب في خراسان إلى عهود الدولة الأموية حينما وضع خلفاء بني أميّة عناصر عربية في خراسان لتكون عوناً لهم في ضبط أمور الولاية[3].

أما خوارزم فيرجع دخول العرب إليها إلى حوادث سنة ٣٢هـ/٦٥٢م حينما سار إليها المسلمون ووصلوا بلخ، كذلك الحال سنة ٦١هـ/٦٩١م لمّا ولىّ يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سلم بن زياد على خراسان وسجستان فقام الأخير بغزو خوارزم وضمّها إليه[4].

ومن هنا يتضح أن العرب قد وصلوا إلى مناطق المشرق الإسلامي والتي أصبحت فيما بعد تابعة للسلاجقة ومنها أصفهان ومرو وبلخ وغيرها حتى أنهم وصلوا إلى أماكن بعيدة من أقاليم آسيا الوسطى، وكان همّهم الأساس نشر الإسلام[5].

بالإضافة لتواجد العرب في مناطق الدولة السلجوقية بالعراق وبكافة مدنه وأقاليمه، فقد كان العرب يشكلون غالبية سكان العراق ، ومن القبائل العربية التي سكنت في الموصل مثلاً الخزرج

([1]) ماجد، عبدالمنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٣، ص ٨١-٨٢، وسيشار إليه : ماجد، تاريخ الحضارة.

([2]) عبدالرؤوف، عصام الدين، الدول المستقلة في المشرق، دار الفكر العربي للطباعة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٨، ص٢٧٣ن وسيشار إليه : عبدالرؤوف ، الدول المستقلة .

([3]) اليعقوبي، أحمد بن إسحق ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت بعد٢٩٢هـ / ٩٠٥ م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت د.ط ، ١٩٦٠، ص ١٣٤.

([4]) البلاذري، ابو الحسن أحمد بن يحيى ين جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)،فتوح البلدان ، نشر ومراجعة صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ط، ج٣، ١٩٥٧، ص٥٠٤.

([5]) محمود، حسن، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٢، ص ١٣.

الذين أقاموا مسجداً لهم اتخذ اسمهم[١]، إلى جانب قبائل عربية أخرى كالأزد وتميم وهمذان الذين قدموا مع بني قيس من شرقي الحجاز[٢].

أمّا المنطقة ما بين القادسية إلى البصرة فإن قبائل عربية من بني أسد وتميم هي من كانت تسكنها[٣] والمنطقة التي تقع بين الزابين الأعلى والأسفل فقد كانت مصائف لبني شيبان ومشاتي للأكراد[٤]،وسكن بنو نمير في منطقة الحلّة المزيدية وامتدت بيوتهم نحو هيت[٥] كما سكنت قبائل خفاجة وعبادة المنطقتين الكوفة وواسط تحت إمرة الأمير صدقة بن مزيد الأسدي[٦].

ويكشف لنا المؤرّخ سبط ابن الجوزي خلال حديثه عن مخاطبة الملك صدقة لقبائل العرب التي كانت تقاتل معه سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، يكشف النقاب عن أسماء تلك القبائل التي خاطبها صدقة عندما شاهد تقاعدها عن القتال، فيقول واصفاً حال صدقة: (وتقاعد جماعة من العرب عنه، فكشف صدقة رأسه وصاح: يا آل خزيمة، يا آل ناشرة، يا آل عوف أنا حاج الملوك[٧] أنا ملك العرب، النار ولا العار...)[٨]، وإلى جانب العرب في بغداد فقد سكنت عناصر آخرى مثل الأكراد والديلم والأرمن الروم وغيرها[٩].

أما عن دورهم في الحياة الاجتماعية في الدولة فلقد كان للعرب المسلمون دور كبير في إظهار الأعياد والمناسبات الدينية بشكل لائق ولافت فكان أهالي بغداد والموصل وغيرها من المدن في العراق يقومون بالاحتفال بعيدي الفطر والأضحى وإقامة الخطبة يوم الجمعة ونحر الأضاحي،

---

(١) الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، ص ١٤٥.

(٢) عواد، كوركيس، الموصل، وزارة الثقافة، بغداد، ط١، ١٩٥٩، ص٤.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٤، حسون، محمد ضايع، سكان العراق في العصر السلجوقي (دراسة في الأحوال الاجتماعية) مجلة كلية التربية، جامعة بابل، ع٢، ٢٠٠٨، ص ٢٥٨، وسيشار إليه: حسّون، سكّان العراق

(٤) حسون، سكّان العراق، ص ٢٥٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٥٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ص ٣٩٦ – ٤٠٠.

(٧) يذكر ابن الجوزي تاج الملوك، المنتظم، ج١٠، ص ٩٦.

(٨)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٩٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٦.

(٩) البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢١٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٤٦٩، حسون، سكان العراق ، ص ٢٥٩.

ففي سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م احتفل المسلمون العرب وغيرهم بإقامة صلاة العيد في بغداد[١]،وكانوا كذلك يقومون بالاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف، وكانت الشوارع والأزقة والبيوت العربية تزيّن بأجمل أشكال الزينة، وكانت المساجد مكاناً لاجتماع الناس بقراءة القرآن والاستماع للأناشيد والتواشيح الدينية[٢]، وكانت المساكن العربية في أقاليم ومدن الدولة السلجوقية ذات تأثير واضح بإضفاء الصبغة العربية لما كانت تتوشّح به من موائد وقواعد ووسائط وغير ذلك من منسوجات وما يفرش من البسط وما احتواه المطبخ من المقلاة والهاون والفرن والمدقة وغيرها[٣].

ومن مظاهر اهتمام العرب المسلمين كذلك بالنواحي الدينية عمل كثير من العرب كوعاظ وفقهاء وأئمة مساجد، فقد أخذوا على عاتقهم مهمة تعليم الناس اللغة العربية وتفقيه الناس أمور دينهم[٤]،ومن أولئك الفقهاء الفقيه الحنبلي أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي الذي اشتهر بمعرفته بالعلوم الشرعية ووعظه للناس وحلمه على تعليم الناس أمور دينهم، مما جعله مقرباً من السلطانين: بركياروق ومحمد [٥].

*** الأوضاع الاجتماعية في الدولة السلجوقية خلال عهد السلطانين: بركياروق ومحمد**

من المعروف بأن دراسة أحوال السكان في أي عصر من العصور تعتبر مفيدة جداً في معرفة طبيعة المجتمع وأحواله في ذلك العصر، لا سيما وأن الإنسان يمثّل جزءاً فاعلاً فيه، ومن خلال حركة هذا المجتمع وتأثّره بالأحداث التاريخية سواءً كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية نستطيع تكوين الصورة الأولية لذلك المجتمع.ونتيجةً لما حصل من أحداث سياسية شملت النزاعات والمواجهات العسكرية بين السلاطين السلاجقة وأتباعهم من الأمراء والوزراء وحكام الأقاليم وحتى الموظفين العسكريين والإداريين التابعين لهم.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧.

(٢) الجميلي، الموصل في عهد السيطرة السلجوقية، ص ١٤٦.

(٣) ليفي، رونالد، فارس والعرب، فصل من كتاب تراث فارس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩، ص ١٠٨.

(٤) عبدالرؤوف، الدول المستقلة ، ص ٢٧٢.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٣.

أمكننا القول أن المجتمع في العصر السلجوقي (٤٨٥هـ- ٥١١هـ/١٠٩٢م - ١١١٧م) قد عانى الأمرّين في مواجهة تلك الأحداث السياسية والتي كان ضحيتها العامة المستضعفة من الرعية، أفراد المجتمع السلجوقي في مدن الدولة،على أن النزاعات السياسية حول السلطة لم تكن وحدها ذات التأثير الكبير على فئات المجتمع، فلقد كان للإسماعيلية - الباطنية دور واضح في رسم ملامح الخوف والقلق على الناس، لا سيما بعد استيلائهم على الكثير من الحصون والقلاع في جبال بلاد فارس، وكان لانعدام الأمن الذي تأثر بالنزاعات بين السلاطين دور كبير في انتشار الفساد ونشاط العيارين الملحوظ في مدن الدولة وأقاليمها، فضلاً عن الصراع الطائفي بين أفراد المجتمع السلجوقي في العراق وبلاد فارس،كما لعبت الكوارث والأوبئة الطبيعية دوراً بارزاً في التأثير على طبقات المجتمع السلجوقي وتشكيل الفروقات والاختلافات في الوحدة المجتمعية السلجوقية.

١- تأثير النزاعات السياسية على الحياة الاجتماعية:

كان للنزاعات السياسية بين الأمراء السلاجقة على السلطنة أثرها السلبي على المجتمع في العصر السلجوقي، فبعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وما تبعها من اختلاف أولاده حول السلطة وصغر سنهم وطمع الطامعين في السلطة ، كان تاج الدولة تتش صاحب الخلاف مع ابن أخيه بركياروق سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م سبباً في نهب سكان الموصل في أموالهم وبيوتهم بالإضافة لخسائر في الأرواح جراء موقعة المضيّع[1]، ورافق اختلاف السلاطين السلاجقة على السلطة خلاف آخر على تعيين كل سلطان شحنة له في بغداد، ولم يكن حال الشحنة ذاك أفضل بكثير من حال السلطان مع الرعية.

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص٦٢٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٠- ٢٢١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٢.

ففي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م دبّ خلاف بين ملك العرب صدقة بن مزيد صاحب الحلّة ويوسف التركماني[١] الذي ما أن سمع بقدوم صدقة إليه حتى هرب وقام بنهب السكان وذويهم بطريقة لم يفعلها الروم مع المسلمين[٢].

وفي سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م وبعد ما أعلن السلطان محمد بن ملكشاه الخروج عن طاعة أخيه بركياروق وإعلان التحدي له، وما أحدثه تخطيط مؤيد الملك بن نظام الملك للإيقاع بالسلطان بركياروق، فقد ضعف موقف السلطان بركياروق كثيراً وفارقه كثير من العسكر، وقام عسكره بنهب خوزستان والأهواز، وأصبح السلطان بركياروق في وضع لا يحسد عليه بسبب مطالبة الجند بالأموال أو الرحيل لطرف السلطان محمد، وهنا يتضح طمع العسكر، ورغبتهم بالوقوف مع السلطان الأقوى والمنتصر، فقد فاز السلطان محمد بالمواجهة الأولى سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م[٣]، أمام كل ذلك نهب عسكر السلطان بركياروق سكان جرجان وطبرستان وواسط وصادروا الناس وأحرقوا سقوف الدور وأوقدوا أخشابها وسبوا الحريم[٤] إلا أن تدخّل الأمير صدقة بن مزيد وأوقف ذلك[٥].

---

(١) يوسف بن آبق التركماني: عينه السلطان تاج الدولة تتش شحنة لبغداد أثناء خلافه مع ابن أخيه بركياروق وارسله لبغداد سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م لإقامة الخطبة له، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٤، زامباور، معجم الأنساب، ص ٢٣٥.

(٢)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١١،ابن الأثير، الكامل ص ٢٤٤.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٤-٤٥، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢١٤، الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٤ – ٢٩٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص٥٠٣.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٥ ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩٣ – ٢٩٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٢٢، دول الإسلام، ج٢، ص ١٨.

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٠، ص٤٥.

٢- تأثير العياريّن[١] على الحياة الاجتماعية:

لم يكن ظهور العيارين في المجتمع الإسلامي نتيجة سيطرة السلاطين السلاجقة على العراق وحسبْ، بل أنّ العياريين قد ظهروا في فترات تاريخية، تعود بداياتها إلى العصر العباسي الأولّ لفترة الخليفه العباسي الثالث المهدي (١٥٨-١٦٨هـ/٧٧٥-٧٨٥م) ٬ حيث يشير البلاذري إلى بداية ظهور العياريين قائلاً: " فلمذا كثر الصعاليك والزعّار والعيارين وانتشروا بالجبل في خلافة المهدي جعلوا هذه الناحية ملجأ لهم فكانوا يقطعون الطريق وياوون إليها فلا يطلبون" [٢]. ورغم كثرة وجود العياريين في الدولة العباسية إلا أن خطرهم لم يهدد حاضرة الخلافة ومركز السلطة هناك.إلا أنه ومن خلال قراءة صفحات المصادر التاريخية للسنوات (٤٨٥هـ/١٠٩٢م – ٥١١هـ/١١١٧م) أمكننا ملاحظة إعادة ظهورهم على ساحة الأحداث السياسية أثناء خلافة المستظهر بالله (٤٨٧ – ٥١٢هـ/١٠٩٤ – ١١١٨م) وسلطنة السلطان بركياروق (٤٨٧ – ٤٩٨هـ/١٠٩٤ – ١١٠٤م) وتشكيلهم خطراً في الحياة الاجتماعية إذ يشير المؤرخ ابن الأثير لبداية تحرك العياريين في الدولة آبان تلك الفترة حيث يقول: "في شعبان من سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م، زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد وعظم ضررهم"[٣]، ويزيد ابن الجوزي تفصيل ذلك حول نشاط العياريين بإشارته لسرقتهم عباءة قاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني[٤]، وفي الحقيقة فإن العياريين قد تزايد نشاطهم في تلك الفترة لعدة أسباب مجتمعة منها: الصدام المحتدم بين الأخوين: بركياروق ومحمد من جهة، وبداية الحملات الصليبية على بلاد الشام بدءاً من سنة

([١]) مفردها عيّار: هو الرجل كثير المجيء والذهاب في الأرض والتطواف والحركة، وقيل هو الماهر المجتهد في جرح الثياب وسرقة المال منها، النجّار، محمّد ، الشطّار والعيارين حكايات في التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون "عالم المعرفة"، الكويت،ط١، ١٩٨١، ص١٢، وسيشار إليه: النجّار، الشطّار ،عبد المولى، محمد، العيارون والشطّار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٠، ص ٢٨، وسيشار إليه، عبدالمولى،العيارون، إلا أن التعريف الاصطلاحي المتفق عليه أن العيارون هم أولئك الأشخاص الذين يقومون بمجموعة من الأعمال التخريبية بهدف إحداث الفوضى والاضطراب مستغلين وقت زعزعة الأمن في الدولة وعدم استقراره، أمين، تاريخ العراق ، ص ٩٧.

([٢]) البلاذري، فتوح البلدان ، ص١١٨، النجّار ، الشُطّار، ص١٣.

([٣]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠١.

([٤]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٤.

٤٩١هـ/١٠٩٨م من جهة أخرى، إضافة للاختلال الأمني الذي سبّبه أمراء الشحنة وظهور طمعهم بالحصول على إقطاعات مجزية من السلاطين فكان نشاطهم دليل على ضعف الناحية الأمنية في الدولة التي رافقت النزاعات بين السلاطين[١].ومن الصور الأخرى لنشاط العياريين وآذاهم للناس في المجتمع السلجوقي سرقة العيارين للمحالّ التجارية والأسواق حتى أصبح الناس يخشون على أنفسهم[٢]، وفي رجب سنة٤٩٥هـ/١١٠٢م قتل أحد جنود صاحب شحنه بغداد نجم الدين أيلغازي بن أرتق ملاحاً من محلة الملاحين، فأخذ أهل المحلة القاتل، غير أن ابن أيلغازي فك قيود ذلك الجندي من أيدي العامة من الناس وأنقذه منهم، فآثار ذلك العمل العامة فرجموا ابن ايلغازي، أثناء مروره بالسوق وهنا تدخل العيارون واستغلوا نشوب المشاجرة فمالوا على العامة وقتلوا منهم عدد كبير، وانتقم الملاحون لقتلاهم، فلحقهم العيارون ومن خلفهم العامة فأثخنوا فيهم فكان الغريق منهم أكثر من القتيل[٣].وقد زاد خطر العيارين على الناس في آواخر سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م وكثرت فتنتهم وسرقاتهم وآذاهم للناس، حتى أن الشرطة عجزت عن السيطرة على الجانب الغربي من بغداد[٤].

ومن الملاحظ هنا عدم ظهور نشاط للعيارين بعد وفاة السلطان بركياروق سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م أو بصفة أخرى فإن هدوء الأوضاع السياسية وعدل السلطان محمد أدى لاختفاء نشاطهم في الدولة، إضافة لملاحظة أخرى تم رصدها من خلال القراءة، ومفادها عدم وجود نشاط للعياريين في بلاد فارس بسبب قوة نفوذ السلطان محمد ورجاله في تلك البقاع، رغم أن هناك عدد من المؤرخين المحدثين يرجعون سبب اضمحلال أخبار العيارين في سلطنة محمد بن ملكشاه إلى تقصد عدم تدوين أخبارهم بتوجيهٍ من رجال الدولة لمؤرخي السلطة[٥].

---

(١) الحصونة، رائد، العيساوي، علاء، آثار الاحتلال السلجوقي للعراق على الأوضاع الاجتماعية في بغداد ٤٤٧هـ-٥٩٠هـ، مجلة آداب البصرة، ع ٥٧، ٢٠١١، ص٢٠٩-٢١٠،وسيشار إليه: الحصونة، آثار الاحتلال السلجوقي.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٢١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٣٨.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٨.

(٥) عبدالمولى، العيارون ، ص ١٣٣.

٣-تأثير الإسماعيلية - الباطنية على الحياة العامة:

لم يقلّ خطر هذه الفرقه على المجتمع والسكان عن غيرها من الأخطار التي هددت سلامة المجتمع وأمنه، بل كانت عامل رعب دبّ في قلوب الناس، وقد نجحت مساعي الإسماعيلية الباطنية في إيقاع الفزع في صدور سكان بلاد فارس (أصفهان) على وجه الخصوص بسبب تظافر عدة عوامل منها استغلالهم (الإسماعيلية) للتفكك الواضح في الدولة السلجوقية بسبب النزاعات بين السلاطين، ثم لاختلاف المذهب الديني العقائدي الذين ينتمون له وهو الشيعة عن غالبية مذهب المجتمع السلجوقي السنّي.

ومن الأمثلة والشواهد التي أمكنني رصدها وتوظيفها في هذا السياق ما ورد في بعض المصادر التاريخية عن تأثير الإسماعيلية الباطنية على الحياة الاجتماعية في عهد الخليفة المستظهر بالله ، وقد تمثل ذلك الخطر بقطع الطرق والسلب والنهب ، حتّى أن الخليفة العباسي طلب من الغمام أبو حامد الغزالي تأليف كتاب في الردّ على الباطنية وعقائهم أسماه " المستظهري"، ومن صور خطرهم على عامة الناس من أفراد المجتمع السلجوقي خطفهم للعديد من الناس في أصفهان سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م وحبسهم في بيوت مهجورة، وإلقاء البعض منهم في آبار تحت الأرض ودق أجسام الرجال بالمسامير وغير ذلك[١].كما كان خطرهم على عامة الناس كبير، وكبير جداً، ذلك أنهم كانوا يقطعون الطرق ويأخذون الأموال من الناس بالقوة، ويفرضون الضرائب على أملاك الناس ويجبرونهم على الدفع وإلاّ فإن القتل أو ما اصطلح على تسميته بالاغتيال بانتظارهم، الأمر الذي أدى لتعذر انتفاع الناس بأملاكهم[٢].

ومن صور خطرهم على عامة الناس، دعوتهم المستمرة للضعفاء والمساكين لمذهبهم، فحدث أن قدم أحد دعاة الإسماعيلية لباب النوبى سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، يدعوا الناس للمذهب

---

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٢،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣١٤، الأزدي، اخبار الدول المنقطعة، ج٢،ص٤٣٧-٤٣٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١١، ابن خلدون، العبر، ج٥، ص ٥٥.

الشيعي ، فما كان من أولئك الناس إلّا وأخبروا القاضي الفقيه ابن عقيل[١]، الذي لم يتردد بإصدار الفتوى بقتل الداعية الإسماعيلي ، فأخذ الاسماعيلي بالصراخ ورفعَ صوته مظهراً تبجّحه واحتجاجه على قول الفقيه قائلا: "كيف تقتلوني وأنا أقول لا إله إلا الله"، فقال ابن عقيل له: أنا أقتلك، فقال الباطني الذي قدم من قلعة للإسماعيلية بخوزستان: بأي حجة تقتلني، فردّ عليه ابن عقيل: اقتلك بحجة قوله تعالى (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بِاللَّـهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا) صدق الله العظيم[٢] وقتله الفقيه ابن عقيل في شوال من تلك السنة[٣].وهنا يتّضح خطر الإسماعيلية الباطنية من خلال ما كانوا يسعون إليه من خلق للفتنة المذهبية بين أفراد المجتمع السني آنذاك وعمل بلبلة في صفوف أفراد المجتمع السلجوقي.

حتى أن حجّاج بيت الله الحرام المتجهون للديار المقدسة من خراسان والعراق والسند والهند وما وراء النهر لم يسلموا من شرورهم، فبعد أن اجتمعوا في مدينة الريّ ، قدم إليهم الباطنية وقت السحر، وقتلوهم ووضعوا السيف في رقابهم ، وأخذوا جميع أموالهم، وسلبوهم امتعتهم سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م[٤].

ولمّا استفحل خطرهم واشتد بأسهم على العامة من الناس في مدن أصبهان والريّ وخوزستان وغيرها، بما كانوا يقومون به من قطع للطرق وقتل للناس وأخذ الأموال [٥]، قرر السلطان محمد بن ملكشاة التّصدي لهم وقلع شوكتهم من جذورها، وإراحة عامة الناس من آذاهم،

---

(١) ابن عقيل: هو القاضي الفقيه عقيل بن علي بن محمد بن عقيل، شهد عند قاضي القضاة الدامغاني، سمع الحديث كان له فهم وحفظ حسن، عرف بكرهه الشديد للباطنية، ولد سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م وتوفي سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، ودفن بداره بالظفرية، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٣٣.

(٢) سورة غافر، الآيتان (٨٤ – ٨٥).

(٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج١٩،ص ٥٢٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٣، أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣١٠،ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ١٦، ابن تغري بردي، النجوم،ج٥،ص٢١٣-٢١٥.

(٥)ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٦-١٨، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٧٧.

وكان له ذلك سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م بفتح قلعة شاه دز المجاورة لأصفهان وقلعة خلنجان بالقرب منها كذلك[١].

٤- تأثير الكوارث الطبيعية والأوبئة على الحياة الاجتماعية:

كان للكوارث الطبيعية التي شهدتها بلاد فارس والعراق في العصر السلجوقي خلال الفترة (٤٨٥ – ٥١١هـ / ١٠٩٢- ١١١٧م) تأثيراً ليس بسيطاً على حياة الناس في المجتمع نظراً لما خلفته تلك الكوارث من خسائر بشرية ومادية، وكانت الزلازل أهم تلك الكوارث التي ضربت المنطقة.وكان حجم الدمار يفوق جميع المستويات كافة، ورغم اختلاف الأماكن التي أصابها الدمار، لوحظ مبالغة بعض المصادر التاريخية في نقل تلك الوقائع، إلاّ أنه ومن الضروري هنا الإشارة لها والتعليق ما أمكن على جزئياتها.

أ. الزلازل:

وأولى تلك الهزات الأرضية التي حدثت آبان العصر السلجوقي ضربت بغداد سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م لم تسفر عن أضراراً بليغة على المستويين المادي والبشري، إلاّ أن المصادر التي نقلت ذلك الخبر أشارت لحدوث غلاء في الأسعار[٢]، الأمر الذي يشير إلى تهدّم بعض الدكاكين والحوانيت، كما أن ارتفاع الأسعار على الناس في بغداد ربما يكون سببه عائد أصلاً لارتفاع سعر المواد الغذائية وغيرها ، والتي كانت تجلب من الشام، والتي ارتفع سعرها بسبب الزلازل الكثيرة والمتتابعة التي حدثت بنفس السنة[٣].

وفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م تعرّضت بغداد والأقاليم المجاورة لها لزلزال شمل عدة هزات أرضية قوية، نجم عنها دماراً كبيراً في الأبنية وخسائر بشرية تمثّلت بعدد كبير من القتلى بالإضافة لأعداد من الجرحى، هذا ناهيك عن ما سببته تلك الهزات من خوف وقلق وهلع في

---

(١)ابن الجوزي المنتظم، ج١٠، ص ٨٩،الحسيني، زبدة التواريخ، ص ١٦٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣١-٤٣٢، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٨٨-٨٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢)ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٦٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٥٥، ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٣٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٣٨.

نفوس السكان وتدمير للبنية التحتية، وقد تم استخلاص ذلك من إشارة الدواداري للهزة حينما وصفها بزلزلة عظيمة عامة[١].

وحدث أن ضرب زلزال قوي منطقة دياربكر والجزيرة الفراتية سنة ٥٠٨هـ /١١١٤م نجم عنه موت عدد كبير من الناس وهدمت كثير من البيوت[٢]، زد على ذلك زلزال قوي هزّ مدينة بغداد وقع يوم عرفة (سنة ٥١١هـ/١١١٧م) واعتبر ذلك الزلزال من أعنف الزلازل التي أصابت مدينة بغداد والأقاليم المجاورة[٣] ويصف المؤرخ ابن الجوزي ذلك الزلزال فيقول:

(زُلزلزت الأرض ببغداد يوم عرفة، وكانت الستور والحيطان تمرّ وتجيئ، ووقعت دور ودكاكين في الجانب الغربي)[٤]، وكانت نتيجة ذلك الزلزال الكبير وقوع الدور على أهلها، مما أسفر عن وفاة عدد كبير من الخلق[٥] ولم تقف أضرار الزلزال على مدينة بغداد فحسب، بل امتدّ للمناطق المجاورة شمال بغداد وجنوبها والحق بها خسائر جسيمة أيضاً[٦].ومن الأضرار السلبية التي نتجت عن هذا الزلزال الأقوى والاعنف في تاريخ العصر السلجوقي أن مات الناس جوعاً[٧] حتى أن الأمر وصل بالناس فأكلوا الكلاب والسنانير[٨].

([١]) الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ص ٤٤٧.

([٢]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٢٧،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٧٥-٧٦،

([٣]) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٣٢.

([٤]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤١.

([٥]) ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ٢١٨.

([٦]) ابن قاضي شهبة، بدر الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، الكواكب الدريّة في السيرة النورية تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١، ص ٨١.

([٧]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٥٦٤، ابن تغري، بردي، النجوم، ج٥، ص ٢٠٩.

([٨]) السنانير: السنور بكسر السين وفتح النون المشدّدة، حيوان خلقه الله لدفع الفأر ويطلق عليه أيضاً اسم أبوخداش وأبو شماح. أنظر: الدميري، غزوان، حياة الحيوان الكبرى، دار التحرير للنشر، القاهرة، ط١،ج١، ١٩٦٥، ص٤٠٥

إن وصف ابن الجوزي وإن كان فيه نوعٌ من المبالغة فإنه يشير إلى تأثير ذلك الزلزال على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليس على بغداد فحسب بل الأقاليم المجاورة، لا سيما وأن ذلك الزلزال يحتاج لجهود كبيرة من الخلفاء والسلاطين في التخفيف على الناس مما أصابهم، وهو ما لم يتمكن السلطان محمد من فعله على الأقلّ ، فقد مات بعدها بعدة أيام في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ٥١١هـ/١١١٧م(١).

ب. الفياضانات:

كان للفياضانات نصيبها هي الأخرى في ترويع حياة الناس خاصة العامة والضعفاء منهم، وقد أصابت تلك الفياضانات مدن وأقاليم الدولة السلجوقية، ففي عام ٤٨٩هـ/١٠٩٦، تأثر الحجاج من سكان بغداد والموصل ومدن العراق الأخرى بغزارة الأمطار التي أثرت عليهم في طريقهم للحج، فقد غرقت منطقة نخلة(٢) وأغرقت الأمطار كثيرٌ من الحجاج، ونجا بعضهم بأعجوبة بعد أن تعلّق بالجبال(٣)، ويبدو أن التدابير الاحترازية التي أقيمت في بغداد في تلك السنة والتي تمثلت بإقامة الحواجز الترابية التي تمنع الغرق اتت أكلها ، فقد سلّم الله الناس من ذلك بعد أن كانوا ينتظرون الغرق(٤)، وفي سنة ٤٩٩هـ/١١٠٦م تأثر الناس في المنطقة القريبة من نهر دجلة بالفياضانات التي سببتها الأمطار الغزيرة، وخربت البيوت وأصاب الناس الخوف والقلق لعدم وجود سفن تكفي لنقلهم لمكان آمن(٥)، وعندما آلت السلطنة برمّتها للسلطان محمد بن ملكشاه بعد وفاة أخيه بركياروق استقر في الحكم، وأمر بتوفير السفن للناس لا سيما سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م، ففي نيسان منها زادت مياه نهر دجلة زيادة عظمة بسبب غزارة المطر والبرد الذي سقط على المدينة، أدّت لتقطع الطرق على الناس الذين لم يجدوا ما يأكلوه بسبب غرق الغلّات الزراعية الشتوية والصيفية

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٢٥.

(٢) نخلة: موضع بالحجاز قرب مكة على مسيرة ليلتين، الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص ٢٧٩ – ٢٨٠، البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٣٦٥.

(٣)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٠.

(٤)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ٤٧٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨٣.

على حدٍ سواء [١]، الأمر الذي أدى إلى حدوث غلاءٍ عظيم في أسواق مدن العراق، حيث بلغت أوقية القمح عشرة دنانير ، فتعذّر على الناس أكل الخبز ، فأكلوا التمر والباقلاء الخضراء عوضاً عنه وعلى إثر ذلك وفّر السلطان محمد السفن للناس إلاّ أنه منع النساء العبور فيها مع الرجال[٢].

وهذا دليل واضح على حرص السلطان محمّد بن ملكشاه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما قد يمثله ركوب السفن معاً الاختلاط بين الرجال والنساء .

ج. الأوبئة والأمراض:

أصاب الناس وباء سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م لم تكشف بعضاً من المصادر التاريخية التي عدت لها عن نوعه، إلاّ أنه يعتقد بأن يكون ذلك المرض مرتبطاً بانخفاض درجات الحرارة والبرد الشديد ، وربما يكون الحمّى أو الطاعون، وقد أشارت تلك المصادر إلى خطورة ذلك الوباء الذي أدى لموت عدد كبير من الناس فماتوا على الطرقات[٣].

ويصف ابن الأثير خطورة ذلك الوباء وخطورة الموقف الذي حلّ بمدن فارس والعراق بقوله:" وكان بخراسان غلاء شديد ،تعذّرت فيه الأقوات ، ودام سنتين ، وكان سببه انّ البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف، فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم)[٤].

ويستمر تأثير ذلك الوباء الخطير على مدن العراق بأكمله سنة (٤٩٣هـ/١١٠٠م) ليزيد من عدد الناس المتوفين بسبب انعدام الأدوية والعقاقير المضادة للوباء[٥]، ومن أغرب الأمور التي تذكُرها بعضاً من المصادر المعاصرة لذلك الحدث مشاهدة الناس لنعشٍ حُمل عليه ستة من الموتى، حيث يذكر المؤرّخ ابن الأثير: " وفي سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م انحلّت الأسعار بالعراق

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ٢١.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٥٣٩.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠١.

وانقطعت الأمطار، وييُست الأنهار وكثُرَ الموت، حتّى عجزوا عن دفن الموتى ،فحُملَ في بعض الأوقات ستةُ أموات على نعشٍ واحدة، وعُدمت الأدويةُ والعقاقير" [١].

ويزداد الإعتقاد بأنّ ذلك الوباء الذي حلّ بالعراق ومدنها قد يكون الطاعون سلّمنا الله وإياكم، وذلك لعدة مؤشرات منها انتشاره في السنوات القليلة التي سبقت عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية لإصابة مدن خراسان والشام والحجاز بذلك المرض الفتاك[٢]، فقد مرّ بعض الأتراك أثناء ذهابهم للحجّ بطريق امتلئ بعددٍ كبير من الموتى[٣] كما أن سرعة انتقال العدوى من الموتى للأحياء هي من خصائص مرض الطاعون الذي يزداد وينتشر كالنار في الهشيم في البيئات ذات الحرارة العالية والمناخ الجاف، والعراق يتميز بتلك المزايا[٤].

ومن الأمراض الأخرى التي اجتاحت بلاد فارس والعراق مرض الجدري، الذي انتشر في مدينة الريّ سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ، وأصاب عدد كبير من الخلق، كان على رأسهم السلطان بركياروق[٥] إلا أنه عوفي منه ولم يصبه بأذى سوى بعض الآثار للقروح التي خلفها الجدري وكانت تخرج من جسده[٦]، وقد أصاب هذا المرض السلطان محمود بن ملكشاه ومات على أثره في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[٧].

ومن غريب الصدف أن ذلك المرض الذي أصاب السلطان بركياروق سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥ عاد للظهور والانتشار من جديد في العراق بعد عشر سنوات، ليصيب عدد هائل من الصبيان ، فيذكر ابن الأثير:" ففي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م كثُر الجدري في كثيرٍ من البلدان، لا سيمّا في

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٠١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٠٩.

(٣) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ١١٨.

(٤) حسين، طه، الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس إبان العصرين البويهي والسلجوقي (٣٣٤ – ٥٩٠هـ/٩٤٦-١١٩٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٤٥، وسيشار إليه: حسين، الكوارث الطبيعية .

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٥.

(٦) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ١٥.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٣، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص٨٤.

العراق ،فإنّه كان به كُلّهُ ، ومات به من الصبيان مالا يحصى ، وتبعهُ وباءٌ كثير ، وموتٌ عظيم"[1]، وهي نفس السنة التي توفي فيها السلطان بركياروق ولكن بمرض السّل والبواسير[2].

الحياة الثقافية في الدولة السلجوقية :

ساهمت عدة عوامل في قيام وازدهار الحركة العلمية والثقافية والفكرية في كلاً من بلاد فارس والعراق خلال العصر السلجوقي، لعلّ أهمها ذلك النشاط الذي وصلت إليه حركة البحث والتأليف في مختلف العلوم عطفاً على ما وصلت إليه حركة الترجمة في العصر الذي سبق عصر السلطانين: بركياروق ومحمد بأكثر من قرنين من الزمان، وأعني بذلك العصر العباسي[3].

ومن العوامل المهمة الأخرى التي أدت لتطوّر الحياة العلمية والفكرية سفر وترحال العلماء والأدباء من مغارب العالم الإسلامي لمشارقه، الأمر الذي أدىّ لزيادة حركة التأليف بشكل ملحوظ[4] هذا بالإضافة لظهور الفرق الدينية المختلفة والتي أخذت على عاتقها ترويج تعاليمها، ومن تلك الفرق الإسماعيلية – الباطنية على وجه الخصوص في بلاد فارس والتي أخذت بنشر المذهب الديني الخاص بها وهو مبدأها الأساسي المعترف به ويسمّى (مذهب الشيعة الإثني عشرية)[5]، إلا أن هناك فرق دينية أخرى بذلت جهوداً وافرةً وواضحةً لمقاومة تعاليم الفرق التي تنافسها، مما أدّى إلى ظهور آثار علمية وفيرة خلفها علماء الفرق الدينية وشملت العلوم الشرعية من علوم التفسير والحديث والفقه والقراءات، كما شملت العلوم العقلية كالفلسفة والهندسة والطب والرياضيات وغيرها [6] إضافة إلى العلوم اللغوية والأدبية.

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٩٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٧.

(2)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج١٩، ص٥٣٥ ، الذهبي، سير إعلام النبلاء، مج١٩، ص ٢١٠.

(3) حسنين، إيران والعراق، ص ١٨١.

(4) إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي، ج٣، ص ٣٣١، حسنين، إيران والعراق، ص ١٨١.

(5) حلمي، السلاجقة ، ص ١٦٩.

(6) حسنين، إيران والعراق ، ص ١٨٢.

أولاً: المؤسسات التعليمية في عصر السلطانين: بركياروق ومحمد:

أ- المدارس:

ومع الانتقال للعصر السلجوقي وما شهده من تأسيس للمدارس النظامية[1] والتي من خلالها تم الإحسان للعلماء ومراعاتهم، ازدهر العلم في كافة فروعه خاصة المذهب الشافعي الذي اشترط نظام الملك أن يدرّس هو الوحيد فقط في تلك المدارس، كما اشترط على من يدرّس فيها أن يكون مقرئاً للقرآن، بالإضافة إلى أن يكون مميّزاً باللغة العربية وآدابها [2].

ولم تكن المدرسة النظامية في بغداد وحدها من حظي باهتمام الوزير نظام الملك فقد ذكر بعض المؤرخين المعاصرين بناءه للمدارس والرباطات في كل بلد يتبع للدولة السلجوقية منها على سبيل المثال نظامية أصفهان وبغداد ونيسابور والبصرة وبلخ ويزد والموصل وغيرها ... ، انظر ملحق رقم (٢) .

ولا غرو في ذلك على شخصية الوزير نظام الملك فقد وصف المؤرّخ ابن الأثير مناقب الوزير الطوسي ومحبته للعلم والعلماء قائلاً : " كان عالماً ،ديّناً ،جواداً ، عادلاً ، حليماً، كثير الصفح عن المذنبين ،طويل الصمت ، كان مجلسه عامراً بالقرّاء، والفقهاء،وأئمة المسلمين ،وأهل الخير والصلاح [3].

كما يذكر ابن الأثير حرص نظام الملك على بناء المدارس النظامية والاهتمام بها و توفير كل ما تحتاجه المدارس من كتب وعلماء من قراء ونحاة، و يذكر بذله كل جهد في توفير المال اللازم لها وحرصه على تدريس الحديث الشريف في تلك المدارس كغاية أولى وهدف رئيس ،فيقول ابن الأثير عن نظام الملك: " أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد،وأجرى لها الجرايات

---

(١) المدارس النظامية: سميت كذلك نسبة لنظام الملك الطوسي، فقد بدأ بعمارتها سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وقد كانت أول المدارس التي أقامها الوزير الطوسي المدرسة الكبرى في بغداد، وهي أشبه بالجامعات وكانت تدار بإشراف الخلفاء والسلاطين والأمراء والحكام وقد كان العالم الجليل أو نصر بن الصباغ صاحب كتاب الشامل أول من درّس بها في سنة تسع وخمسين وأربعمائة، الذهبي، البيهقي، تتمة صوان الحكمة، ص٩، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٩٤، العبر، ج٢، ص ٣٠٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٦٤٦.

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ٢٠٨، ٣٦٦سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٦.

العظيمة، وأملى الحديث في البلاد: ببغداد وخراسان وغيرهما ، وكان يقول : إني لست من أهل هذا الشأن، لما تولاّه لكنيّ أحب أن أجعل نفسي على قطار نقله حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[١].

وإذا ما أردت الحديث عن سبب تأسيس تلك المدارس، فإن الفكر الأيدولوجي يظهر في صورة الحدث بشكل كبير، فقد أدرك العلماء من أهل السنّة وعطفاً على ما خلّفه العصر السابق للسلاجقة تآمر للفاطميين والبويهيين. ثم الإسماعيلية – الباطنية معاً، ضد الوجود السني بوجه عام والسلاطين والوزراء والأمراء والعلماء السلاجقة بشكل خاص، حينها فقد أدرك الجميع خطورتهم، فكان لزاماً اتخاذ موقف ملموس على أرض الواقع يواجهه التحدي الحضاري، تمثل برعاية علماء السنة الشافعية والصوفية ضد الشيعة [٢].

وقد اتخذت مواجهتهم لهذا التحدي وسيلتين: الأولى هي السلاح الفكري ونشر العقيدة، والثانية قيام المؤسسات التي تجسّد العقيدة الإسلامية الصافية في واقع الحياة[٣]، كما أن الحرص على تربية الأمة الإسلامية على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من الوحي الإلهي كان لها دور كبير في تأسيس المدارس، كما جاء تأسيس النظاميات سلاحاً لخدمة النظام السلجوقي ، ونشر المذهب السنيَ في وجه الحركات الإسماعيلية الباطنية ، وللمساهمة في تخريج جيلٍ من الفقهاء والعلماء الذين عملوا فيما بعد في مؤسسات الدولة السلجوقية ، وللعمل في الوقت نفسه على تحقيق توازن بين السيف التركي والقلم السنيّ [٤]، وعلى ذلك الأساس فقد نشر نظام الملك سلسلة المدارس النظامية ،بالمقابل فإنه ويمكن القول أن

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٣٦.

(٢) أبو الرّب، هاني، الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، مج ٢١، ع٣، ٢٠٠٧، ص ٨٨٠

(٣) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٥، ص ٧٧.

(٤) الجالودي، عليان، إضاءات على سيرة محمد بن محمد الطوسي الإمام الغزالي الشخصية في ضوء المصادر التاريخية (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، عمّان، مج٢، ع١، ٢٠٠٨، ص٧٢، وسيُشار إليه: الجالودي،إضاءات .

الصراع المذهبي بين المذاهب الدينية العقائدية أغنى المكتبة بحجاج طابعه مذهبي بين التيارات ونهجه اعتماد الجدل والحجج البرهانية، الأمر الذي أدى لبروز أكثر من كتاب قيّم منها على سبيل المثال بعض فضائح الروافض وهو من تأليف شهاب الدين التواريخي الشافعي [1].

وقد ساعدت المدارس النظامية على انتشار اللغة العربية ورواجها، إلا أن هذه المدارس، فيما بعد، حجبت طلابها عن تناول الفلسفة والهندسة وعلم النجوم، وقوضّت كل التوجهات لدى الطلبة لترتكز على العلوم الدينية المتصلة بالأدب واللغة العربية[2].

ومن أشهر العلماء الذي درسوا في المدارس النظامية:

١) **أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي**[3]

ولد الإمام أبو حامد في قرية الغزالة إحدى قرى طوس، وتلقى تعليمه في الفقه على يد الإمام الفقيه أحمد بن محمد الراذكاني فهو أشهر من أحاط بالعلوم الإسلامية المختلفة ومنها التصوف والفلسفة ويعدّ بحق أشهر المفكرين المسلمين، ثم انتقل الغزالي إلى جرجان لدراسة الفقه في فروع المذهب الشافعي، ومنها انتقل إلى نيسابور ومكث فيها حتّى سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م، وهناك التقى بأشهر فقهاء الشافعية آنذاك وهو الإمام الجويني إمام الحرمين الشريفين، وبقي مع إمامه الجويني حتى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م في نيسابور، حيث تبلور فكر الغزالي العلمي في الفقه وأصول الكلام ، كما أصبح انتمائه للمذهب الشافعي واضحاً وكبيراً ، واكتسب الغزالي قدراً وافراً من الفلسفة والتصوّف، وقد توّج عطائه في الفلسفة بتأليف بواكير مؤلفاته العلمية من خلال كتابه

---

(١) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص٨-٩، ولبر، دونالد ، إيران ماضيها وحاضرها،دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨، ص ٦١.

(٢) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص٩.

(٣) تمتّ الإشارة لترجمته سابقاً في هذه الأطروحه ، انظر الفصل الأول، للمزيد انظر ترجمته في ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص١١٤، ابن الأثير، الكامل،ج١٠،ص٢٥٢،٤٩١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠،ص٥٠-٥١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٩، ص٣٢٢-٣٤٦.

المنخول في معرفة الأصول[1] وكان أستاذه الجويني هو من قدّمه لنظام الملك ونظراً لإعجابه الشديد به خلع عليه لقب (زين الدين وشرف الأمة)[2].

وبعد تدريسه في النظامية بدءً من سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، استمر الغزالي مدرساً في نظامية بغداد، وعمل مع نظام الملك على تفعيل فكرة الأحياء الأيديولوجي والفكري للإسلام السني[3].

وفي أعقاب موت الوزير نظام الملك صاحب الفضل عليه في البروز والتميز، ثم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وعطفاً على ما شهدته الدولة السلجوقية من نزاعات بين أبناء ملكشاه، قررّ الإمام الغزالي اعتزال التدريس في بغداد، فتوجه للقدس ومنها لدمشق تاركاً الدنيا بأسرها للزهد والعبادة وأخذ فيها بتأليف كتابه" إحياء علوم الدين والمصنفّات الكلامية والردود على الباطنية" والمتميّز بالردود على بعض مسائل الفلاسفة وبإشادة المنطق على طابع عربي إسلامي[4] ثم بعد فترة مكوثه عاد إلى نيسابور زمن وزارة فخر الملك بن نظام الملك، وخرج إلى المدارس النظامية فيها ودرسّ فيها لوقت قصير، ثم عاد إلى طوس وجلس يدرّس بالأربطة فيها، واتخذ في جواره مدرسةً، وبنى داراً حسنة، وغرس فيها بستاناً، وتشاغل بحفظ القرآن وسمع الصحاح ،وبقي على حاله إلى أن توفيَ في مسقط رأسه طوس سنة ٥٠٥هـ/١١١١م في يوم الإثنين الرابع عشر من جمادي الآخرة ودفن بها [5].

٢) علي بن محمد ابوالحسن الطبري

المعروف بالكيّا الهراسي، الفقيه الشافعي، الملقبّ بعماد الدين شمس الإسلام، درس الفقه على يد العالم الجويني، في نيسابور ثم قدم بغداد في عهد السلطان ملكشاه وحدث أن ذكر مذهب

---

(1) الجالوي، إضاءات ، ص ٧٤

(2) الزبيدي، محمد بن محمّد مرتضى الحسيني (١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م)إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،دار الفكر ، بيروت، ط١،ج١، ١٩٧٠، ص٥- ٦٥،الجالودي،إضاءات ، ص ٧٤.

(3) ميثا، فاروق، الغزالي والإسماعليون العقل والسلطة في إسلام العصر الوسيط، ترجمة: سيف الدين القصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٢٤.

(4) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص١٠.

(5) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص١١٤-١١٦،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٢٠،ص٥٠-٥١.

الأشعري فرجموه العامة من الناس[١] وفي سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٧م رتب وزير السلطان بركياروق فخر الملك بن نظام الملك، العمل للطبري في نظامية بغداد[٢].

وهذا دليل واضح على مشاركة واهتمام وزراء السلاطين بأمور التعليم في الدولة، وفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م عُزل الطبري من التدريس في النظامية لاتهام الباطنية له بأنه باطنيُ ينتسب إليهم ، إلاّ أن جماعة من العلماء والفقهاء منهم ابن عقيل شهدوا له بالبراءة لدى السلطان والخليفة في الحادي عشر من محرم، كان من أعيان الشافعية الفقهاء الذين يشهد لهم بالبنان ، توفيّ سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م في بغداد، ودفن عند تربة الشيخ أبي إسحق [٣].

٣) أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشافعي الشاشي[٤]

ولد سنة سبعٍ وعشرين وأربعمائة ، تفقّه على يد الفقهاء أبو يعلى الفراء وأبو بكر الخطيب ، قرأ كتاب الشامل على يد علي بن أبي نصر الصبّاغ ، صنّف ودرّس في نظامية بغداد حينما أخذ مكان الطبري سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م، كان منشداً متميزاً من شعره على بحر الوافر :

تعلّم يا فتى والعود رطب .... وطينك ليّنٌ والطبع قابلْ

فحسبُك يا فتى شرفاً وفخراً .... سكوتُ الحاضرين وأنتَ قائلْ

حضر عنده وزير السلطان محمد آنذاك، إضافة إلى نخبة ومجموعة من أرباب الدولة السلجوقية ودار الخلافة العباسية، توفي يوم السبت السادس عشر من شوّال سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م[٥].

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص ٤٦ – ٤٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٦٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٦١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠٠، الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٨٣-٢٩٢.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٢٤،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٠٠، سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٦٩،

ب-المساجد:

احتفظ المسجد بمكانته العلمية الرفيعة باعتباره المكان الذي يتم فيه تعليم الطلبة أمور الدين خلال العصر السلجوقي[1] وقد امتلئت خزائن الكتب في المسا جد بأهم مصادر العلم والتعلم للرواد الراغبين في نهل الخير والعطاء[2] فقد كانت المساجد في أقاليم ومدن الدولة السلجوقية ومنذ أيام السلطان ملكشاه تحتضن حلقات العلم والتعلم، كما حدث سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م حينما زار نظام الملك بغداد مع السلطان ملكشاه ودخل إلى المدرسة النظامية ويجوارها المسجد، حيث جلس في خزائن الكتب وطالع فيها، وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث[3]. ومن الأمثلة على المساجد خلال عصر السلطانين: بركياروق ومحمد ما تم تجديد بناؤه لمسجد الشجرة جنوب غرب مدينة الري، على يد السلطان بركياروق ووزيره آنذاك مجد الملك القمي سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، حيث أجريت التجديدات على فناء المسجد والمحراب [4]، وقد كان الواعظ الفقيه أبو المظفّر الخجندي يعظ الناس في حلقات علمٍ بمسجد الريّ سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م، وبعد انتهاءه من حلقة الوعظ نزل من كرسيّه فانقضّ عليه غلام علوي وقتله .

ومن المساجد الأخرى التي أمر السلطان محمد ببناؤها لإقامة الشعائر الدينية إضافة للتعليم مسجد الغرى[5] وذلك خلال سنوات حكمة التي امتدت من ٤٩٨هـ/١١٠٤م – ٥١١هـ/١١١٧م ،وقد تمكنّا من التوصل لأهمية ذلك المسجد من خلال إشارة تاريخه وردت في

([1]) عبدالله، سامية، المدارس النظامية وأثرها الثقافي في العصر السلجوقي، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ج٢، ع١٦، ١٩٩٨، ص ١١٢، وسيُشار إليه: عبدالله ،المدارس النظامية.

([2]) أمين، تاريخ العراق ، ص ٢٨٠.

([3]) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ١٦٧-١٦٨، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠،ص١٥٧،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٠٧.

([4]) مرتضائي، سيك، الحياة الثقافية في مدينة الري خلال عهد السلاجقة (٤٣٤ – ٥٩٠هـ/١٠٤٣ – ١١٩٣م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، ١٩٩٩، ص ٤٧.

([5]) يقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الري، وقد بني في حي سكني معظم سكانه من أصحاب المذهب الشيعي.

كتاب الطبري[١].كما أن السلطان محمد كان قد فوّض أمر بناء مسجد في بغداد منذ تسلّمه السلطنة سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م إلى بهروز الخادم، وأشارت بعض المصادر التاريخية إلى تاريخ الانتهاء منه سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م[٢]

ج- الأربطة:

استعمل العلماء والعبّاد والزهاد أماكن صغيرة مخصّصة لتعليم الصوفية، حيث جعلت الخلوة الصوفية فيها للعبادة[٣] وقد أطلق على تلك المحال أو الأماكن اسم الرباط[٤] أو الخانقاه[٥].

ولم تقتصر الأربطة أو الخوانق التي انتشرت في أنحاء الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق على كونها مكاناً لعبادة الصوفية فقط، بل أن أبرز ما شهدته تلك الأماكن هو إلقاء المحاضرات الدينية التوعوية من قبل العلماء والفقهاء، وتعدُ الأربطة والخانقوات من المؤسسات الاجتماعية العلمية الهامة في الدولة الإسلامية التي تدعوا للجهاد في سبيل الله والرباط من المرابطة على الثغور للجهاد لقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تُفلحون"[٦]، وقد كانت الأربطة دوراً للعبادة بهدف مراقبة الثغور الإسلامية خشية هجوم

([١]) الطبري، أبي جعفر محمد بن القاسم محمد بن علي (ت ٥٣٠هـ/١١٣٦م)، بشارة المصطفى، تحقيق ونشر المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣، ص ٩٦ – ١٠٣.

([٢])ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠١،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢، ص ٢٧، .

([٣]) عبدالله، المدارس النظامية ، ص ١١٣.

([٤]) الرباط: كلمة تعني مكان العبادة، شارع وانتشر استعمالها في العراق خلال العصر السلجوقي وغيره من العصور، ويتكون تخطيط الرباط المعماري من مساحة مربعة يحيط بها من الخارج سور كبير شيد من الحجر ، في زواياه أبراج دائرية للمراقبة . ويضم الرباط منارة أسطوانية الشكل ، ويتوسط عمارة الرباط من الداخل صحن مربع على جوانبه حجرات مكونة من طابقين . ويضم الرباط أيضاً ملاحق عديدة ، أهمها الإسطبلات المعدة للخيل وصهاريج للمياه حلمي، السلاجقة، ص ٣٧٧.

([٥]) خانقاه: كلمة فارسية تعني مكان عبادة الصوفيين وهي مرادفة للكلمة العربية رباط، وتتكون من صحن أوسط مكشوف مستطيل الشكل يحيط به من الجانب الشمالي والجنوبي إيوانات ، خصص الجنوبي منها للصلاة وقد أنتشرت وشاع استعمالها في بلاد الفرس والشام ومصر، أمين، تاريخ العراق ، ص ٢٣٩.

([٦]) سورة آل عمران ، الآية رقم ٢٠٠، انظر كذلك حلمي، السلاجقة، ص ٣٧٧، أمين، تاريخ العراق، ص ٢٣٩، عبدالله، المدارس النظامية، ص ١١٣.

(٤) ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) تلبيس إبليس، تحقيق: أحمد بن عثمان، دار الوطن، الرياض ،ط١ ، ٢٠٠٢، ص٩٨، القزويني ، آثار البلاد ، ص٣٦١.

الأعداء على الأراضي الإسلامية، وكان قاطنوا هذه الثغور يعدون من المجاهدين في سبيل الله، ثم عن قوماً اتخذوها للتفرّد والإنقطاع والعبادة (4)

ومن أشهر علماء الصوفية في العصر السلجوقي خلال فترة السلطانين: بركياروق ومحمد ابنيّ ملكشاه الإمام أبو حامد الغزالي، الذي اتخذ من رباط أبو سعد الصوفي سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م مكاناً للتصوّف، واجتمع إليه كثير من الناس يسمعون كلامه[1] وحبّب التصوف للناس وعكف أثناء تدريسه للصوفية والحديث عنها على كتابة أبحاث في الصبر والتوبة والمحبة ضمّنها كتابة أحياء علوم الدين[2].

ومن الأمثلة الأخرى على العلماء الذين أسهمت علومهم في ازدهار وتطوّر الأربطة في العصر السلجوقي، أبو الحسن البسطامي الصوفيّ صاحب الرباط المشهور غربي نهر دجلة ، الذي بناه سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ودرسّ فيه العلوم الدينية المختلفة ، وبقي فيه حتى توفي سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م ، وأبو يوسف بن أيوب الهمذاني الذييُنسب لمدينة همذان، تفقّة على يد الشيخ أبو اسحق وبرع في علم الفقه واشتغل في التعبد والزهد، كان علمه وافراً، لم يجب المذهب الشافعي ولم يتكلم فيه قط وقد أقام حلقات الوعظ والإرشاد في بغداد لسنوات عديدة [3] أقام في رباط مرو واستمع إليه كثير من الخلق المنقطعين لله تعالى وفي سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م عاد إلى بغداد وأقام بها واعظاً فوقع له القبول في قلوب الناس ومن القصص التي تزّذكر عنه أثناء وعظه في بغداد قيام رجلٌ يدعى ابن السقاء فآذى الواعظ الهمذاني في مسألة شرعية، فقال له الهمذاني: "اجلس فإني اجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلّك تموتُ على غير دين الإسلام "، فاتفق بعد مُديدة انّ ابن السقاء خرج إلى بلاد الروم فتنصّر [4].

أما عن اهتمام السلاطين السلاجقة في بناء الأربطة فقد أولى السلطان محمّد بن ملكشاه اهتمامه بها، ففي سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م أمر السلطان ببناء الأربطة للصوفية على أن تكون في

---

(5)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٣سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ص ٤٦٦.

(6) الغزالي، أحياء علوم الدين، ج١، ص ٤٢، عبدالله، المدارس النظامية، ص ١١٥.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١١٧.

(4)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١١٧،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٩٢-٤٩٣.

مكان قريب من المدرسة النظامية في بغداد[1] وقد اعتمد في متابعة أمور البناء على بهروز الخادم متوليّ شحنكية بغداد في تلك السنة ، وقد أولى السلطان محمد بهروز الخادم كذلك عمارة دار المملكة في بغداد[2]، وقد حرص السلطان محمد كل الحرص على توفير كل ما تحتاجه الأربطة من مكتبات امتلأت بالكتب والتصانيف العديدة، إلاّ أنه وفي سنة ٥١٠هـ/١١١٦م وقع حريق هائل في رباط (بغداد) امتدّ ليشمل دار النظامية المجاورة له، وقد أصدر السلطان أوامره برعاية وتأمين العلماء والفقهاء ونقلهم لمكان آخر بعيداً عن الحريق[3]، وهذا يدلّ على اهتمام السلطان بالعلماء والفقهاء ويدلّ أيضاً على عنايته بالمعارف والعلوم في الدولة وحرصه على تطورها وازدهارها فقد كان قريباً من العلماء وكثيراً ما اجتمع بهم واستمع إليه.

ثانياً: اهتمام السلطانين بركياروق ومحمد بالحركة العلمية :

استمراراً لما سار عليه السلاطين السلاجقة العظماء وأقصد بهم السلطان طغرلبك وابن أخيه السلطان ألب أرسلان ثم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، وإيماناً منهم بأهمية العلم وفي بناء الدولة، بفضل مشاعل الحضارة ورواد الأمة من العلماء، اهتم السلطانين: بركياروق ومحمد بالعلم والعلماء، وعملوا على تشجيع العلوم، فبنوا المدارس والمساجد والأربطة وأكرموا العلماء وأكرموا وفادتهم، لاسيما الفقهاء منهم بسبب تعدد الفرق المذهبية وعلى رأسها الإسماعيلية الباطنية، فالعلماء حراس الأمة وخير من يدافع عنها[4].ومن صور ذلك الاهتمام وإن لم يظهر في عهد السلطان بركياروق بصورة كبيرة بسبب انشغاله بالحروف والنزاعات طيلة سنوات عهده ٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤-١١٠٤م[5].إجلاله واحترامه للعلماء، ومنهم العالم الفقيه أبوالحسن الطبري

---

(1)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠١،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٢٧.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠،ص١٠١،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧١.

(3)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٣١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٥٢٣.سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان، ج١٠، ص ١١٠.

(4) مريزن، مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٧، ص ١٧٣، وسيُشار إليه: مريزن، الحياة العلمية.

(5) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٤-٢٢٩، الحسيني ، زبدة التواريخ، ص٢٥٥-٢٦٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٥،٢٤٤،٢١٤-٣٨٠ .

المعروف بالكيا الهراسي، فقد قرّبه إليه واتخذه سفيراً لدى بلاط الخلفاء والسلاطين، فنجده سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م يرسل الفقيه الطبري لبلاط السلطان إبراهيم الغزنوي(١) ثم بعدها بسنتين نجده يرسله نفسه لبلاط الخليفة المستظهر، ليكون وسيطاً بينه وبين السلطان(٢) كما نال الطبري المال والاهتمام والرعاية من قبل وزير السلطان بركياروق مجد الملك القمي البلاسيني(٣)،وتقديراً لكفائته وتميّزه في المذهب الشافعي وعلمه الغزير الذي انتفع به من جلوسه عند الإمام الجويني (إمام الحرمين) تولّى المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٨م(٤)،كما أن العلماء والقضاة قد حظوا بمكانة رفيعة لدى السلطان بركياروق، فكانوا رسل السلم والصلح بينه وبين أخيه السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م(٥)،وبتصرفه ذاك، فإن السلطان بركياروق يبرهن إجلاله واحترامه للعلماء ومنزلتهم في السعي بإيقاف الحرب وسفك الدماء، وهو ما قام به الجرجاني والهمذاني في عقد الصلح الثاني بين الأخوين :بركياروق ومحمّد بنفس السنة المذكورة.

ولم يكن اهتمام وتشجيع السلطان بركياروق للعلم والأدب مقتصراً على رعايته للفقهاء والعلماء، بل أنه شمل الوزراء مثل مؤيد الملك ومجد الملك القمي البلاسيني، فقد شجعهما على حضور مجالس العلم والفن والأدب، خاصة إذا ما علمنا تميّز مؤيد الملك بكفائته وفصاحته وبلاغته، فقد كان بارعاً في النثر والنظم باللسانين الفارسي والعربي ومن ذلك :

قالوا أتى العيد مفترُّ الثغور فخُذ حظَّ السرور فهذا موسم الطرَبِ

فقلتُ والقلب في أيدي الفراق لما ومُقلة العينِ تبكي من دمٍ سربِ (٢)

(١)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٠-٤١.سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٩١، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج٣، ص ٢٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١١١، ابن الأثير، الكامل، ص٤٨٤سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٧، الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ١٧١، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ١٧٧-١٧٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٧٢-١٧٣.

(٥)ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٢،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٧٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢٨،أبو الفداء، المختصر، ج٢، ص ٣٠٦،ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ١٤.

ومن جوانب اهتمام السلطان محمد بالعلماء، تقريبه للإمام أبو حامد الغزالي والاستماع لنصائحه[1]، وقبول ما نادى به القضاة الذين سعوا في الصلح بينه وبين أخيه بركياروق سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م وعدم تعنّته في موقفه من السلطنة، وهذا دليل على رأفته وعطفه بما حلّ بالناس جراء الحروب الطاحنة.

كذلك فإن إنفاقه على مصالح العلماء والفقهاء بإعطائهم مبلغ خمسمائة دينار سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، يعتبر دليلاً على كرمه واهتمامه بأمرهم[2] ومن صور كرمه وإعطائه بسخاء ما فعله مع قاضي طرابلس فخر الملك أبوعبدالله حينما جاءه سنة ٥٠١هت/١١٠٧م مستنفراً على الصليبيين طالباً العون والمساعدة، فأكرمه السلطان محمد إكراماً زائداً وخلع عليه[3].

وحينا كان وزيره سعدا لملك الآبي متولياً لحقيبة الوزارة في الدولة السلجوقية أصدر السلطان محمد أمراً له بحضور جلسات وحلقات التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، وكان هدفه من ذلك زيادة ترغيب الناس بالعلم، وعلاوة على ذلك نجده يأمر بإعطاء الموظفون في تلك المدرسة ملابس جديدة[4]، وفي سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م وحينما اكتمل بناء دار السلطان ببغداد، جاءت لفتة كريمة من السلطان محمد بحضور الفقهاء والعلماء والشعراء حفل افتتاح الدار وتلاوة القرآن الكريم لمدة ثلاثة أيام متتالية[5].

وأخيراً فإن بناؤه للأربطة والمدارس النظامية في العراق وبلاد فارس خير دليل على حرصه على نشر العلم والثقافة الإسلامية وازدهار العلوم في كافة أرجاء الدولة السلجوقية[6].

---

(1) ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص ٧٢-٧٣، الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣٢٥ – ٣٢٨.

(2) سبط الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٦.

(3) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٥٢ – ٤٥٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٢، ص١٨٠.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٩.

(5) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨٤.

(6) للمزيد عن الحياة العلمية في الدولة السلجوقية انظر الهادي، إبراهيم، الحياة العلمية في أصفهان في العصر السلجوقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩، انظر كذلك، عزب، محمد، الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي (٤٢٩-٥٥٨هـ/١٠٣٧-١١٦٢م)، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ٢٠١١.

ثالثاً: أبرز العلوم والعلماء في الدولة السلجوقية :

لا يخفى عن المطّلع على تاريخ الدولة السلجوقية معرفة أصولهم البدوية وكيفية بداية حياتهم البدوية المتنقلة من سهول تركستان إلى مناطق بلاد ما وراء النهر، بحثاً عن تطويع صعوبة الظروف الحياتية الاقتصادية والسياسية[1].فقد كانوا قبائل بدوية غير مثقفة، لذا تحتم عليهم عندما استقرت دولتهم وأصبحوا زعماء العراق والمشرق الإسلامي منذ دخولهم لهُ سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥ م) أن يستعينوا بذوي الخبرات الإدارية والسياسية والعلمية[2] من الفرس والغزنويين.وقد استطاع أولئك قيادة دفة الدولة إلى برّ الأمان وإدارة شؤون البلاد السياسية والعلمية وفي عهود السلاطين العظام في الدولة أتيح للسلاطين بسبب اعتمادهم على ذوي الخبرات الاهتمام بالعلم والعلماء ومنحوهم كل اهتمام[3].

ومع مرور الزمن واختلاط السلاطين برجال السياسة والفكر من وزراء وجلساء وعلماء أدركوا أهمية العلم وقدروا العلماء ورواد العلم والأدباء ورجال الدين[4] وبلغ ذلك الاهتمام أوجه في عصر السلطان ملكشاه بسبب ما بذله وزيره نظام الملك الطوسي من جهود في تأسيس المدارس والأربطة. وبالوصول لعهد السلطانين بركياروق ومحمد أصبح للعلماء مكانة مميزة، خاصة في عهد السلطان محمد، وبرزت حركة التأليف والترجمة في عديد العلوم، يمكن إيجاز أبرزها وأهم العلماء الذين برعوا بها على النحو التالي:

أ- الدراسات الشرعية وتشمل:

علم القراءات: وهو علم يبحث في اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها، إذ كان لإنتشار علماء القراءات الأثر الكبير في ازدهار العلم

---

(1) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٤ ، البنداري، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٧-١٣، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٢ ، حلمي، السلاجقة، ص ٢١.

(2) كاهن ، كلود ، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص ٥٠٣، مادة ألب أرسلان ، أمين، نظام الحكم، ص٢١٧.

(3) الوزنة، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر، ص ٢١٣.

(4) مريزن، الحياة العلمية في العراق، ص ١٧٢.

وتأليف الكتب، انطلاقاً من حرص المسلمين على تعليم أبنائهم القرآن الكريم، تطبيقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه) [1].

لقد راجت القراءات القرآنية في العصر السلجوقي في بلاد فارس والعراق نظراً لوجود علماء أكفياء، كانت لهم مصنفات كبيرة، ومن أشهر أولئك العلماء:

١) أبو محمّد عامر الضرير (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م) كان فقيهاً شافعياً، مقرئاً للقرآن الكريم، عالماً بأحكام التجويد والنحو، كان الإمام الخاصّ بالخليفة العباسي المقتدي بأمر الله في شر رمضان المبارك على وجه التحديد [2].

٢) أبو محمّد رزق الله بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن الحارث التميمي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) الفقيه الحنبليُ من أهل بغداد وشيخها وجليلها ، ولد في بغداد سنة ٤٠١هـ/١٠١١م، قرأ القرآن على نحو القراءات السبع على يد شيخ بغداد علي أبي الحسن بن الحمامي، كما كان متميزاً في الفقه والحديث والتفسير والفرائض واللغة العربية والأدب والوعظ، صنّف شرح الإرشاد في الفقه والخصال والأقسام، كان قريباً من السلاطين والخلفاء، جعله الخليفة المستظهر بالله رسولاً للسلطان بركياروق في مهام الدولة، كانت حلقات الوعظ والقرآن تعقد له بجامع المنصور، توفي بعمر ثمانٍ وثمانون عاماً[3].

٣) أبوبكر عمر بن السمرقندي (ت٤٨٩هـ/١٠٩٦م) ولد في سنة ثلاثمائة وثمانٍ وثمانين، قرأ القرآن الكريم حسب قراءات هو من صنّفها بنفسه، كان مجيداً للتجويد، وناسخاً للمصاحف، عاش مائة عام تقريبا، توفيّ في رمضان سنة أربعمائة وتسعٍ وثمانون للهجرة[4].

---

(1) العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨ م) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق، عبدالفتاح عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٩، ص ٧٤، حديث رقم ٥٠٢٧،آل اسماعيل ، نبيل، علم القراءات نشأته اطواره أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة ، الرياض، ط١، ٢٠٠٠،ص٢٧.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٧.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٤-١٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ١٩، ص ٤٧- ٧١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج١٨،ص٦٠٩-٦١١.

(4) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦١، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٥٧.

٤) أبو اسحق إبراهيم بن الحسين الخزار (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٦م) الزاهد العابد، كان يسكن منطقة الرصافة ببغداد قرأ القرآن وتعلّمه على يد ابن عقيل، أجاد القراءات السبع ،وحفظ القرآن وعلّمه، كان من عادته الإمساك عن الكلام في رمضان، فلا يتحدث لقضاء حوائجه وأعماله إلا بآيات من الذكر الحكيم ، كانت وفاته في ربيع الآخر من سنة اربعمائة وتسعٍ وثمانين ، دُفِنَ بباب حرب قُرب بغداد [١].

٥) أبوالقاسم يحيى بن أحمد بن محمد بن محمّد بن علي السيبيُّ القصري (ت٤٩٠هـ/١٠٩٧) وُلِدَ سنة ثلامائة وثمانٍ وثلاثين، الإمام المُقرئ المُعَمِّر الكبير أحد أهم المُقرئين في بغداد، كان صحيح الحواسّ صالحاً ثقةً وصدوقاً، حاضرُ القلب، يُقرأ عليه القُرآن، ويسمع الحديث ،حفظ القرآن على يديه خلق كثير، مات في سنة أربعمائة وتسعين وقد بلغ من العمر مائة وثلاثاً وخمسين سنة وثلاثة أشهرٍ وأياماً[٢].

٦) أبوالفضل العباسي عبدالقاهر بن عبدالسلام بن علي (ت ٤٩٣هـ/١٠٩٩م) النقيبُ المكيُ أخذ القراءات والحديث من مكة على يد أبي عبدالله الكارينيّ، ثم رحل لبغداد وأقام بها، وعلّم القرآن للعباد والزهّاد ، كان قيّماً بالقراءات ، فقرأ عليه من مشايخنا أبو محمّد، وأبو الكرم بن الشهرزوريّ، تُوفيّ في جمادي الآخرة سنة أربعمائة وثلاثٍ وتسعين للهجرة[٣].

٧) أبوعبدالله محمد بن الحسن الراذاني (ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) سكن في قرية أوانا من قرى بغداد كان فقيهاً مقرئاً للقرآن من العباد الزهاد الورعين المُنقطعين ، قنوعاً من الدُنيا ، صاحبُ

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٦-٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٠، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٣٣، يذكر ابن الأثير بانّ عُمره حينما توفي كان مائة وسنتين، الكامل، ج١٠، ص٢٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٩٠، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٣، سير إعلام النبلاء، ج١٩، ص ٩٨-٩٩، ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج١٢، ص١٥٥،ابن تغري بردي، النجوم، ج٥، ص ١٦١،الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص ١٠٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٨، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٨، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١٥٦، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص ١١١.

كراماتٍ وآيات، سَمِعَ من القاضي أبي على بن الفراء وغيره ، تُوفيّ في جمادى الآخرة سنة أربعمائة وأربعٍ وتسعين للهجرة(١).

٨) محمد بن أحمد بن محمد الرازيّ ،(ت بعد سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م) قدم بغداد وسنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م وكتب بخطّه قراءة ببغداد ، كان عالماً وقوراً مشتهراً بعلم القراءات إلى جانب اشتهاره بامور الوزارة والسياسة وأسباب الأمر والنهي والرياسة (٢).

١٠) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن النيسابوري(ت٥١٦هـ/١١٢٤م) من أشهر العلماء بفنون القراءات مبرزاً في اللغة العربية ، كان يطلق عليه شيخ القراء بخراسان وبلاد فارس ، زاهد في عصره ، ترجم له ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٣).

- علم الحديث:

اشتهر عددٌ من علماء الحديث خلال العصر السلجوقي الممتد من ٤٨٥-٥١١هـ/١٠٩٢-١١١٧م، ساروا على نهج من سبقهم من العلماء في معرفة أسانيد رجال الحديث وأسماؤهم ومراتبهم، بالإضافة لحفظهم عدداً وافراً من الأحاديث النبوية الشريفة (٤).

ومن أشهر عُلماء الحديث خلال فترة الدراسة:

١) أبو يوسف عبدالسلام بن محمد بن بندار القزويني (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) روى الحديث في بغداد عن شيوخ المعتزلة، فسّر القرآن في سبعمائة مجلد(٥)، من المآخذ عليه والتي يذكرها المؤرخين المعاصرين، مغالاته في الاعتزال، تولّى القضاء إلى جانب ذلك في قزوين ، وقيلْ أنّهُ زيديّ المذهب(٦).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص٥٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥١٨.

(٢) ابن الدبيثي ، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٠م)، ذيل تاريخ مدينة بغداد ، تحقيق: بشار عواد معروف ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، مج١، ص٨٢، ١٩٧٤، وسيشار إليه: ابن الدبيثي، ذيل تاريخ .

(٣) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص١٠٦.

(٤) حلمي، السلاجقة، ص ٣٨٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٦، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص ٩٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٣.

٢) أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي (ت ٤٨٩هـ/١٠٩٦م) من أهم رواة الأحاديث في أصفهان ، روى عن محمد بن إبراهيم الجرجاني في أماكن عدة منها أصبهان ونيسابور وبغداد والحجاز [١].

٣) أبوبكر محمد بن أحمد بن عبدالباقي المعروف بابن الخاضبة(ت ٤٨٩هـ/١٠٩٦) أشتهر بجمعه للقراءات والحديث، أثنى عليه الشيوخ في بغداد كثيراً [٢] من جملة ما روي عنه نسخة لصحيح مسلم في سنة واحدة سبع مرات [٣].

٤) أبو محمد عبدالله بن الحسن بن أبي منصور (ت٤٩٤هـ/١١٠٠م) جال وارتحل في أقطار الدولة، سمع من الشيوخ الكثير من الأحاديث وخرّج لهم التخاريج في مدينة طبس، كان أحد الحفاظ الذين يعتمد عليهم، عارفاً بأصول الحديث والرواة، حسن الخلق [٤].

٥) أبو الفرج القومساني إسماعيل بن محمد بن عثمان بن أحمد (ت ٤٩٧هـ/١١٠٣م) سمع الحديث بهمذان، ورحل لبغداد ليسمع من شيوخها، كان حافظاً حسن المعرفة بالرجال والمتون، ثقةً صادقاً [٥].

٦) أبومحمد جعفر بن أحمد بن الحسين السرّاج البغدادي (ت ٥٠٠هـ/١١٠٦م) بالإضافة لقراءته القراءات المتعددة في القرآن الكريم، فقد تميّز بالحديث وكان علاّمة زمانه بهذا المبحث، فقد سمع من أعيان المحدثين ورحل إلى مكة ليأخذ علم الحديث على وجهه الحسن، من أهم تصانيفه كتاب مصارع العشاق، مناقب السودان، والتنبيه، ومناسك الحج، برع في علوم أخرى، ذكره ابن الأثير بأنه واحد من أعيان الزمان [٦].

---

(١) الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٠ – ٦١، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤،ص ١٠٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٨–٢٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٦٠–٢٦١.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٨٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٣.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ١٠–١١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٣٩، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، مج ١، ص٣٥٧–٣٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٢٢٨، دول الإسلام، ج٢، ص ٩٢، العبر، ج٣، ص ٣٨٠.

٧) أبو الفتح أحمد بن محمّد بن أحمد بن سعيد الحدّاد الأصبهاني(ت٥٠٠هـ/١١٠٦م) وُلِدَ سنة أربعمائة وثمانٍ للهجرة ، كان مُكثراً من الحديث، مشهوراً بالرواية، كان ورعاً كثير الصدقات ،روى عن أبي سعيد النقّاش وخلقٌ آخرين، توفيّ في ذي القعدة من سنة خمسمائة للهجرة[1].

٨) أبو محمّد عبدالوهاب بن محمّد عبدالوهاب الشيرازيّ(ت٥٠٠هـ/١١٠٦م)، فقيهٌ تولّى التدريس بالنظامية في بغداد سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، كان يوري الحديث أيضاً عن شيوخ كثر ،توفيّ سنة خمسمائة للهجرة .

٩) أبو الفضل محمد المقدسيّ (ت ٥٠٧هـ/١١١٣م) سمع كثيراً من الأحاديث وصنّف كتباً منها " صفوة التصوّف"، "الأنساب المتفقّه في الخط المتماثلة في النقط والضبط"، قدم إلى بغداد في أواخر حياته وبها توفيّ سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م ، دفن بالقرب من رباط الزوزني بالجانب الغربي من بغداد [2].

- **علم الفقه:**

أحد أهم مصادر التشريع في الإسلام، خاصة مع وجود المذاهب الفقهية الأربعة، فقد أدى اختلاف أئمة الفقه في فهم بعض النصوص واستنباط الأحكام، إلى ظهور أربعة مذاهب، فجاء المذهب المالكي معتمداً على الإسناد والنقل، والحنفي على الرأي والقياس وهو مذهب السلاجقة في العراق[3] والشافعي الذي كان وسطاً بين المذهبين السابقين، فيما جاء الحنبلي مبتعداً عن الاجتهاد[4].

ويمكن القول أن علم الفقه ورغم تطوّره في عهد السلطان محمد بن ملكشاه والخليفة المستظهر بالله على وجه التحديد، بسبب تشجيعهما المستمر لعلماء المذاهب الفقهية، وبناء العديد

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص٤٣٩، الذهبي، العبر،ج٢، ص٣٧٩.

(٢) ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق الشيباني(ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب ،تحقيق: مصطفى جواد ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ثلاث مجلدات، مج٢،ص٦٦٤، وسيشار إليه ، ابن الفوطي ، معجم الآداب .

(٣) مريزن، الحياة العلمية في العراق، ص ٣٣٩ – ٣٤٠.

(٤) عبدالعزيز، محمد، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، د.ط، ١٩٧٣، ص ٧١-٧٢، وسيّشار إليه: عبدالعزيز ، الحياة العلمية.

من المؤسسات التعليمية كالمدارس النظامية والأربطة[1]،إلا أن الفقه في الفترة الممتدة بين سنتيّ ٤٨٥- ٥١١هـ /١٠٩٢- ١١١٧ م، قد تأثر بالأحوال السياسية في الدولة، خاصة فيما يتعلق بانتشار وتفاقم خطر الإسماعيلية. الباطنية، فقد بدت الحاجة واضحة وملحّة لوجود عدد من الفقهاء، الذين عملوا وبكل طاقاتهم على مواجهة التحديات العقائدية، وذلك باللجوء لأسلوب التعليم والتوجيه في المدارس والجامعات[2].

فما ذكره المؤرخين المعاصرين لفترة السلطان محمد بن ملكشاه عن مواجهته للإسماعيلية، ذكر حاجة السلطان للأئمة من الفقهاء في مناظرة زعماء الإسماعيلية في قلاعهم سنة ٥٠٠هـ/١١٠٨م[3].

ومن أهم العُلماء الذين برعوا في علم الفقه في بلاد فارس والعراق:

١) أبو شجاع محمد بن حسين بن عبدالله بن إبراهيم الروذراوي (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥): قرأ الفقه واللغة العربية، وصنّف كتب عديدة منها كتابه الذي ذيّله على تجارب الأمم، كان متواضعاً مع الناس، وامتلأت مجالسه بالفقهاء والعلماء والعوام والصالحين، كان عفيفاً عادلاً، حَسُن السيرة، كثيرُ الخيرِ والمعروفُ ، توفيّ في المدينة المنوّرةُ سنة أربعمائة وثمانٍ وثمانين للهجرة[4].

٢) ابو المظفّر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي السمعاني (ت٤٨٩هـ/١٠٩٦م) أحد أئمة وعلماء المذهب الحنفي في مرو، فيها نشأ وتفقّه ، تحوّل من المذهب الحنفي للشافعي، صنّف كتب (التفسير، البرهان) قال عنه السبكي: إنّه أحد أئمة الدنيا[5].

٣) أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخبري (ت٤٨٩هـ/١٠٩٦م): هو أحد العلماء الفقهاء في بلاد فارس، كانت له معرفة واسعة بالفرائض وله بها تصانيف حسنة، كما كان ذو سعة

([1]) شندب محمد، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (٤٧٦- ٥١٢هـ)، دار النفائس ، بيروت ، ط١، ١٩٨٤، ص ١٩٦.

([2]) ابن الجوزي، المنتظم، ج٩، ص ٩٦.

([3])ابن الأثير، الكامل، ج١٠،ص ٤٣٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٨-٩،

([4]) ابن الجوزي، المُنتظم، ج١٠، ص ١٦-١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٧٢،

([5]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٣٠، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦١، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص 151

واطّلاع في اللغة والأدب، أشهر وأبرز ما ذكر عنه، قصة جرت له قبيل وفاته أنه كان جالساً في أحد مساجد بلاد فارس يكتب المصاحف، فبينما هو كذلك استند ووضع القلم من يده وقال: "والله إن كان هذا موتاً، فهذا موت طيب" فمات من حينها[1].

٤) أبو الفضائل محمد بن أحمد بن عبدالباقي بن الحسن بن محمد الموصلي (ت ٤٩٤هـ/١١٠١م)، كتب الكثير من كتب الفقه من خلال ما تعلّمه من شيوخ الفقه وعلماؤه أمثال الشيرازي وابو الطيب الطبري، كان فقيهاً صالحاً ثقة[2].

٥) أبو المظفر الخجندي[3] (ت٤٩٦هـ/١١٠٢م): أحد علماء الفقه المشهورين على المذهب الشافعي، مدرّس النظامية في أصفهان منذ سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م، انتقل من أصفهان للري من أجل الوعظ والإرشاد قتله علوي بعد نزوله من كرسيّه بمسجد الريّ، ودفن الخجندي بنفس الجامع الذي يعظ به[4].

٦) أبو المحاسن عبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الروياني (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م) يعود في أصوله لقرية آمل في طبرستان، وُلِدَ سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، تنقّلَ بين المدن والأقاليم في الدولة السلجوقية طلباً للعلم، تفقّه على المذهب الشافعي وأبحر في قراءته وحفظه عن ظهر قلب، نقلَ ابن الأثير كلامه قائلاً: "لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي" (كتب مصنفات من الكتب في المذهب والخلاف بين المذاهب، توفي قتلاً وظلماً يوم عاشوراء على إيدي الملاحدة الإسماعيلية"[5].

---

[1] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٤٨١.

[2] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٥٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٢٦.

[3] لم يذكر اسمه الكامل في التراجم، إلاّ أن شهرته قد أكتسبها من مدينة خجندة وهي بلدة مشهورة في ما وراء النهر على شاطئ سيحون، قريبة من مدينة فرغانة (انظر الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ٣٤٧).

[4] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٧٠،الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٦٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٢٧.

[5] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٠٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٧٣،سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ص ٣١، ابن خلّكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٩٨، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٨٢.

٧) أبو الحسن علي بن محمد علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي (ت٥٠٤هـ/١١١٠م): فقيه شافعي، أخذ العلم عن إمام الحرمين الجويني، كان حافظاً للفقه أحد أهم فحول الفقهاء والعلماء ورؤوس الأئمة فقهاً وجدلاً وحفظاً لمتون أحاديث الأحكام، عمل مدرساً في نظامية بغداد، كان مقرباً خاصة من السلطان بركياروق، كان يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسته للعلماء والفقهاء وطلبة العلم، من أهم كتبه شفاء المسترشدين وأحكام القرآن[١].

٨) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام (ت٥٠٥هـ/١١١١م): أحد أهم علماء الفقه في الدولة السلجوقية، درس الفقه وأخذه عن إمام الحرمين الجويني، التقى بالوزير نظام الملك في أحد مجالسه في شرح المذهب الشافعي، فأعجب نظم الملك من طريقته في الخلاف والجدل والمنطق ومناظرة فحول العلماء، وانتدبه الوزير السلجوقي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩٠م للتدريس في النظامية ببغداد.

٩) الواعظ أبو منصور مظفّر بن أردشير العبادي (ت٥٤٦هـ/١١٥٢م) حظي بقبول السلاطين والخلفاء والعامة ، وكانت له جلسات وعظٍ وإرشاد في مدن العراق وبلاد فارس [٢].

- علم التفسير:

يعرف التفسير بأنه العلم الذي يتناول تفسير وشرح آيات القرآن الكريم وأسباب نزولها وكافة الأمور الشرعية المتعلقة بما ورد فيها من أمر ونهي وحلال وحرام وغير ذلك[٣].

وقد كان هناك اتجاهان في تفسير آيات القرآن الكريم أحدهما يعرف بالتفسير المأثور كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة والآخر يعرف بالتفسير بالرأي وذلك بسبب ما جاء من اعتماد مفسريه على العقل بصورة أكبر من النقل[١].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١١٠-١١١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٤٨٤، ابن خلّكان،وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٣٣، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٨٦، ص ٢٣١، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص ١٤٠.

(٢) البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين (ت ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م)، تاريخ بيهق ، دار اقرأ ، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٣٠، وسيشار إليه : البيهقي ، تاريخ بيهق.

(٣) مريزن، الحياة العلمية في العراق، ص ٣٢١.

وقد تطوّر علم التفسير في عصر السلاجقة كثيراً في ما عرف بتفسير الرأي وذلك لاختلاف مذاهب العلماء من سنّة وشيعة[٢].

وإزاء ذلك كله ظهر في بلاد فارس والعراق جملة من العلماء الذين برعوا في علم التفسير يمكن الإشارة إلى أبرزهم:

١) أبوالفضل أحمد بن الحسن بن خيرون "ابن الباقلاني" (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م): وُلِدَ سنة ٤٠٦هـ/١٠١٦م، درس التفسير في قزوين أولاً على يد كبار المشايخ هناك، ثم انتقل للريّ ودرس الكلام فيها على يد القاضي عبدالجبار، وتنقّل وسافر لمصر، عرف عنه تشدّده بالاعتزال[٣].

٢) أبو يوسف عبدالسلام بن محمد بن يوسف بن بندار القزويني المعتزليّ (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، ولد سنة ٤١١هـ/١٠٢١م، درّس في نظامية الريّ لمدة طويلة، وقرأ على شيوخها وعلماؤها، قام بتصنيف تفسير للقرآن الكريم أثناء مكوثه في مدينة الريّ وكان نتاج جهده سبعمائة مجلد[٤].

٣) ابوالقاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ/١١٠٨م): فسّر آيات القرآن الكريم، وكتب كتابه الشهير رسالة منبهة على فوائد القرآن ثم ألّف كتاباً في آواخر حياته أسماه جامع التفاسير[٥].

٤) أبوالحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي[٦] وهو من العلماء النخبويون الذين كتبوا في علم التفسير[٧].

---

(١) عبدالعزيز، الحياة العلمية ، ص ٦٨.

(٢) حلمي، السلاجقة، ص ٣٧٩.

(٣) ابن الأثير،الكامل ج١٠، ص ٢٥٣، ابن الوردي، تاريخ ابن الورديّ، ج٢، ص ١١٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ١٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٥٣،الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص ١٧، اليافعي، مرآة الجنان، ج٣، ص ١١٢،

(٥) الحنبلي، شذرات الذهب، ج٣، ص ١٣٦.

(٦) ورد ترجمته عند الحديث عنه فقيهاً في هذا الفصل.

(٧) حلمي، السلاجقة، ص ٣٨٠.

٥) الإمام أبو القاسم محمد الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م) عالم جليل اشتهر في علم التفسير، وله مؤلفات حسنة [١].

ب-العلوم اللغوية والأدبية:

مما لا خلاف عليه أن وجود المدارس النظامية في مدن وأقاليم الدولة قد أفاد كثيراً في انتشار وازدهار العلوما الأدبية في بلاد فارس والعراق، كما كان لاهتمام السلاطين والوزراء من بعدهم دور حيوي في تشجيع طلب العلم الذين حرصوا على التواجد في مجالس الأدب والمدارس والأربطة والمكتبات[٢].

وقد تواجد الكثير من اللغويين والنجاة والأدباء والشعراء في مدن الدولة في بغداد وأصفهان وغيرهما يعقدون مجالس الأدب وما تتضمنه من سباقات في الشعر والنثر والتفاخر بالنسب، الأمر الذي دفع الطلبة إلى حب العلم والتعلّم[٣]، والواقع أن مفكري ومتأدبي العصر السلجوقي كانوا حريصون أشد الحرص على دراسة ما قام به أسلافهم من دراسات أدبية، وقاموا بعد ذلك بالتذييل والشرح والنقد[٤].

ومما يجدر قوله في الحديث عن العلوم اللغوية والأدبية في الدولة أن علماء اللغة بذلوا جهوداً مضنية في جمع ألفاظ فيما يخص علماء العراق خلال العصر السلجوقي، فقد تركزت دراسة اللغة في مدن الكوفة وبغداد، كما كثرت المؤلفات وظهر الاعلام في العلوم اللغوية والأدبية[٥].

أما بالنسبة للعلماء في مدن أصفهان والري وتبريز وغيرها من مدن المشرق الإسلامي فقد كتبوا بالفارسية نظراً لتأثرهم بالسامانيين واقتبسوا نظمهم فكانت الفارسية لغة الأدب والتأليف والحكم والسياسة[٦].

---

(١) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص١٠.

(٢) حلمي، السلاجقة، ص ٣٩٩، حسنين، إيران والعراق، ص ١٨٩.

(٣) الهادي، الحياة العلمية في أصفهان، ص ٢٠٩.

(٤) مريزن، الحياة العلمية في العراق ، ص ٣٦١.

(٥) البيهقي ، تتمة صوان الحكمة ، ص٩، الهادي، الحياة العلمية في أصفهان، ص ٧٩.

(٦) التنونجي، محمد، حول الأدب في العصر السلجوقي، مكتبة قورينا، بنغازي، ليبيا، د.ط، ١٩٧٤، ص ١٠٥-١١٣، شبارو، تاريخ المشرق الإسلامي، ص ٢٨، انظر أيضاً مريزن، الحياة العلمية، ص ٣٦٣.

وما ينطبق على لغة علماء اللغة في تمكين إسقاطه ولو بشكل جزئي على لغة السلطانين: بركياروق ومحمد، فكما هو معروف أنهم استعانوا بكتاب وموظفين يعرفون الفارسية والتركية والعربية بوزراء، كمؤيد الملك على سبيل المثال[1].ولم أعثر على نصّ أو قرينة تاريخية في جملة ما قرأت يشير لتحدث السلطانين: بركياروق ومحمد باللغة العربية، بل أن لغتهم كانت التركية، أمكنني الإشارة لذلك من خلال موقف تخلّص السلطان محمد من الأمير إياز الأتابك سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م، حيث أشار المؤرخ ابن الأثير لحديث جرى بين السلطان محمد وأحد غلمانه باللغة التركية يطلب فيه السلطان محمد من غلامه أن يلمس أحد صبية الأمير إياز[2].

ومن أبرز أولئك العلماء الذين ذاع صيتهم في مدن الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق ما بين سنتيّ ٤٨٧- ٥١١هـ/١٠٩٤- ١١١٧م ما يلي:

١) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد الميبذي (ت٤٩١هـ/١٠٩٨): عاش وترعرع في بلدة ميبذ بالقرب من كورة اصطخر[3] ثم ارتحل لبغداد ودرس اللغة والأدب فيها[4]. مما يعني أنه كان يجيد الفارسية ثم تعلّم العربية في العراق.

٢) أبو عبدالله سلمان بن ابي طالب عبدالله الفتي الحلواني (ت٤٩٣هـ/١١٠٠م) كان له معرفة تامة باللغة والادب، عاش في أصفهان، قال الشعر في مناسبات كثيرة، قرأ على أهم أئمة وطلاب أصفهان الأدب وكان جميل الطريقة في الإلقاء والطرح[5]، ومن أ هم تصانيفه في اللغة كتاب القانون الذي وقع في عشر مجلدات ضخمة، كما شرح ديوان المتنبي[6].

---

(١) اقبال، الوزارة، ص ٢٨٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٣٨٨.

(٣) اصطخر: بلدة بفارس وهيمن أعيان حصون فارس ومدنها، كان أول من أنشأها اصطخر بن طهمورت ملك الفرس، ومن أشهر علماؤها الذين حملوا اسمها القاضي أبو سعيد الحسن بن أحمد الاصطخري زعيم الشافعية وإمامها، الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٢١١.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٣٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٤٦-٤٧، الذهبي، العبر، ج٢، ص ٣٦٧.

(٦)القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم، (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إنباه الرواة على أنباه النجاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ج٢، ١٩٥٠، ص ٢٦،الحنبلي، شذرات الذهب، ج٤، ص ١١٠.

٣) بديع الزمان أبوعبدالله الحسين بن إبراهيم بن أحمد النطنزي (ت٤٩٧هـ/١١٠٣م): عاش في أصفهان مدة طويلة، كان عرافاً حاذقاً باللغة العربية، شاعراً فصيحاً، كتب بالفارسية والعربية الشعر، أطلق عليه لقب ذي اللسانين، من أهم مؤلفاته دستور اللغة وكتاب الخلاص[1].

٤) أبوالحسن محمد بن علي بن الحسن بن ابي علي الصقر الواسطي (ت٤٩٨هـ/١٠٠٤م): كان قرائاً للأدب، فقيهاً، شاعراً، اتسم إلقائه للشعر بالظرافة من شعره:

من قال لي جاه وحشمة ولي قبول عند مــولانا [2]

٥) أبو بكر عماد الدين أحمد بن محمد بن مهران الجويني، المعروف بشيخ الإسلام والنحوي المميز، كان من المشايخ الكبار الصالحين الأخيار، كانت لد دروس وحلقات في تعليم النحو بحدود سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م [3] .

٦) الوزير السلجوقي المتمكّن أبو الفضل مجد الملك القمّي البلاساني (ت ٤٩٢هـ/١٠٩٩م) الذي مدح السلطان بركياروق، وأمراء الريّ وشعرائها[4].

٧) الحكيم الفريد أبو مضر محمود بن جرير الضبي الأصفهاني (ت٥٠٧هـ/ ١١١٣م)، يسمىّ أبو مضر النحوي لكثرة براعته في النحو، كان عالماً باللغات والنحو والطب، أقام بخوارزم فترة ثم عاد لمرو وبها توفيّ[5] .

٨) أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري (ت ٥١٥هـ/١١٢١م) نيسابوري الميلاد والآباء والأجداد، ارتحل وتنقلّ بين مدن بلاد فارس، وارتحل إلى أصفهان، التقى بسلاطين الدولة السلجوقية، كان عالماً باللغة والفقه والتواريخ، من أشهر مؤلفاته الرباعيات[6].

([1]) القفطي، إنباه الرواة، ج١، ص٣٢٠، حلمي، السلاجقة، ص ٤٠٠.

([2]) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٠، ص ٨- ٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١٩، ص ٥٣٩.

([3]) ابن الفوطيّ، معجم الآداب ، مج٢، ص٦٧٧.

([4])الطاهر، علي، وزراء السلاجقة في شعرهم، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج٧، ١٩٦٠، ص ٢٠٢-٢٠٣.

([5]) البيهقي، تتمة صوان الحكمة ، ص١٠، ص١١٨.

([6]) البيهقي، تتمة صوان الحكمة ، ص١٠٦، تاريخ حكماء الإسلام ، عني بشرحه محمد علي كرد ، المجمع العلمي العربي، دمشق ، ط٢، ١٩٧٦، ص١١٣.

الخاتمة

لقد بحثت هذه الدراسة موضوع الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق في الفترة الزمنية (٤٨٥-٥١١هـ/١٠٩٢-١١١٧م)، وتتبّع الباحث سير الأحداث التاريخية وأبرز المنجزات السياسية والعسكرية والحضارية في الدولة بعد وفاة السلطان ملكشاة بن ألب أرسلان، وقد خلصت الدراسة إلى عدّة نتائج:

١- رغم المساحة الشاسعة التي تركها السلطان ملكشاة لأبنائه من بعده محمود وبركياروق ومحمّد وسنجر والتي كانت إقطاعات الأراضي فيها تعود بالفائدة الكبيرة على السلاطين، إلاّ أن الحرص على الفوز بالسلطنة كان الهاجس الأكبر في أذهانهم، وربما كان ذلك الهاجسُ في تزايد مستمر نتيجة سعي الأمراء والوزراء وقادة الجيش لإبقاء دائرة النزاع مشتعلة ليستفيدوا من ذلك.

٢- جاء تدخّل العلماء والفقهاء في إبقاء آواصر العلاقات بين ابناء السلطان ملشكاة المتنازعين على السلطة متأخراً، حيث ضمّت الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق علماء لهم وزنهم في الدولة أمثال الغزالي والشاشي وابن عقيل وغيرهم، إذ بادر العلماء والقضاة للولوج في صلحٍ يحقن الدماء سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣م، بالمقابل فإنّ دورهم عاد للظهور من جديد عندما ازداد خطر الإسماعيلية الباطنية في الدولة، وذلك بالمساهمة في التدرس داخل المؤسسات العلمية في المساجد والمدارس والأربطة وغيرها .

٣- وقف السلاجقة سداً منيعاً أمام التمددّ الفاطمي الشيعي المنطلق من مصر باتجاه الشرق في بلاد الشام والعراق، وذلك بمقاومة السلطانين :بركياروق ومحمّد للإسماعيلية الباطنية عبر محاربتهم ومهاجمة قلاعم ومحاولة تصفيتهم .

٤- على الرغم من النزاعات السياسية بين أفراد البيت السلجوقي الواحد والتي شهدتها الدولة السلجوقية في بلاد فارس والعراق، واحتدام الخطر الداخلي المتمثّل بالاسماعيلية الباطنية والخطر الخارجي الذي شكّله الصليبيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية، بقيت الدولة السلجوقية متماسكة ولم تهوي للسقوط والانهيار بيد أيٍ من القوى المجاورة .

٥- لعب نظام الإقطاع دوراً كبيراً في تحديد شكل العلاقة والسياسة المتّبعة بين السلاطين وولاة الأقاليم، فكان كلُ أمير يحرص على أخذ نصيب الأسد من أراضي الدولة، هذا إلى جانب ارتباط حجم الاقطاع الذي يحصل عليه الأمراء بحجم المساعدة التي يقدمها للسلطان أثناء فترات نزاعه على السلطنة .

٦- لم نلحظ تعطّل مؤسسات الدولة الإدارية والقضائية عن العمل وديمومة الحياة آبان النزاعات السياسية على السلطنة، وهو الأمر الذي تصوّره لنا أغلب الدراسات الحديثة التي عالجت التاريخ السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاة ، فاستمرّ عمل الدواوين على أكمل وجه.

٧- رغم الأدوار الكبيرة التي قام بها ولاة الموصل في الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام ،إلاّ أن عدم خروج السلاطين بأنفسهم للغزو الصليبي، أعطى فكرة قاتمة عن شخصيات السلطانين بركياروق ومحمّد لدى المسلمين كافة.

٨- بعد وفاة تركان خاتون الجلالية والدة السلطان محمود وزبيدة خاتون والدة السلطان بركياروق فإننا لم نلمس وجود دور للخواتين في الدولة السلجوقية بالتدخّل في شؤون الحكم .

٩- رفع السلاجقة من شأن المذهب السّنّي وعلمائه في بلاد فارس والعراق ، فكانوا يقربونهم لهم ويقدرونهم في كثير من المواقف .

١٠- تباينت شخصيات السلطانين بركياروق ومحمّد في الشعور بمسؤولية الحكم والرعية، فبعيداً عن النزاعات التي قاما بها وما نجم عنها من تردي للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الدولة، إلا أن السلطان محمد كان أقرب للرعية عندما رفع المكوس والضرائب، في الوقت الذي ظلم السلطان بركياروق الرعية بما قام به جنوده من سلبٍ ونهب .

١١- تكالب وتعاون الإسماعيلية الباطنية مع الصليبيين المبطّن، كان له أثر كبير في تصفية رموز الجهاد الإسلامي، كما حدث في مقتل مودود بن التونتكين سنة ٥٠٧هـ/١١١٣م.

١٢- زيادة حجم الإنفاق المالي في فترة الدراسة عن الفترات السابقة ،وقد كان ذلك مبرراً بسبب احتياجات الجند والعساكر المستمرة للأموال، لا سيما اثناء النزاعات العسكرية ، وكانت

الطرق التي يتمّ من خلاله تحصيل المال الخليفة العباسي ضعيف الشخصية، أو السلب والنهب أو المصادرة .

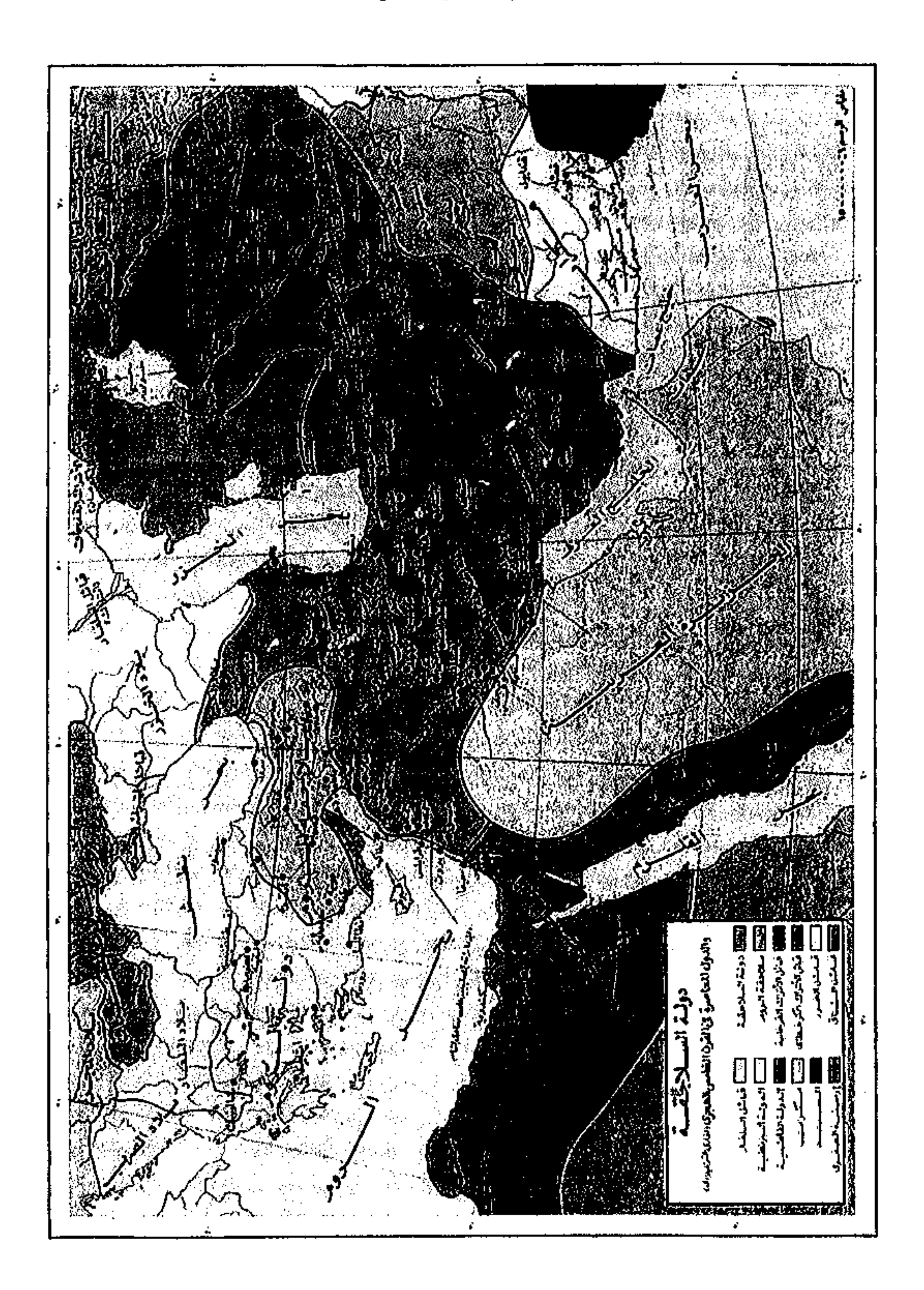
١٣- تناولت الدراسة وبعمق البحث في شخصية السلطانين: بركياروق ومحمّد، فوجدنا أن صغر سنّ السلطان بركياروق وعدم وجود أتابك قوي الشكيمة يتمتّع بخبرة سياسية كبيرة ساهم وبشكلٍ كبير في وقوع النزاعات العسكرية، كما أثّر سلباً على مسلك السلكان السلجوقي من حيث تكوين الشخصية المستقيمة والملتزمة دينياً.

١٤- تعاظم خطر الإسماعيلية الباطنية على الثّلة المميّزة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء السنّة في الدولة السلجوقية، إذ قامت الدراسة بإحصاء العدد الذي تفنّنت الإسماعيلية الباطنية بقتلهم وتصفيتهم خلال فترة الدراسة الممتدة من ٤٨٥-٥١١هـ/١٠٩٢-١١١٧م، فكان العدد مهولاً حيث بلغ سبعة عشر شخصية تاريخية، وهذا إن دلّ على شيئ فإنما يدُلُ على الحقد الكبير الذي تكنّه الشيعة الرافضة للمذهب السنيّ، وخطرها الكبير على الدولة في بلاد فارس والعراق.

١٥- خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أنّ استقرار الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في بلاد فارس والعراق، ليس مرتبط بانزاعات السياسية فحسب، فقد عانى اهالي المدن والأقاليم في الدولة من النهب والسلب في عهد السلطان بركياروق، فكثُرَ العيّارين في الدولة، وعمّ الفساد في حين أن الاستقرار سرعان ما عاد للدولة السلجوقية حينما تسلّم السلطان محمد بن ملكشاة السلطنة، فاستقام العدل في الدولة، لا سيما حينما ألغى المكوس والضرائب عن الرعيّة ،فلم نعد نقرأ في المصادر التاريخية المعاصرة للسلطان محمد عن وجود العيارين على سبيل المثال.

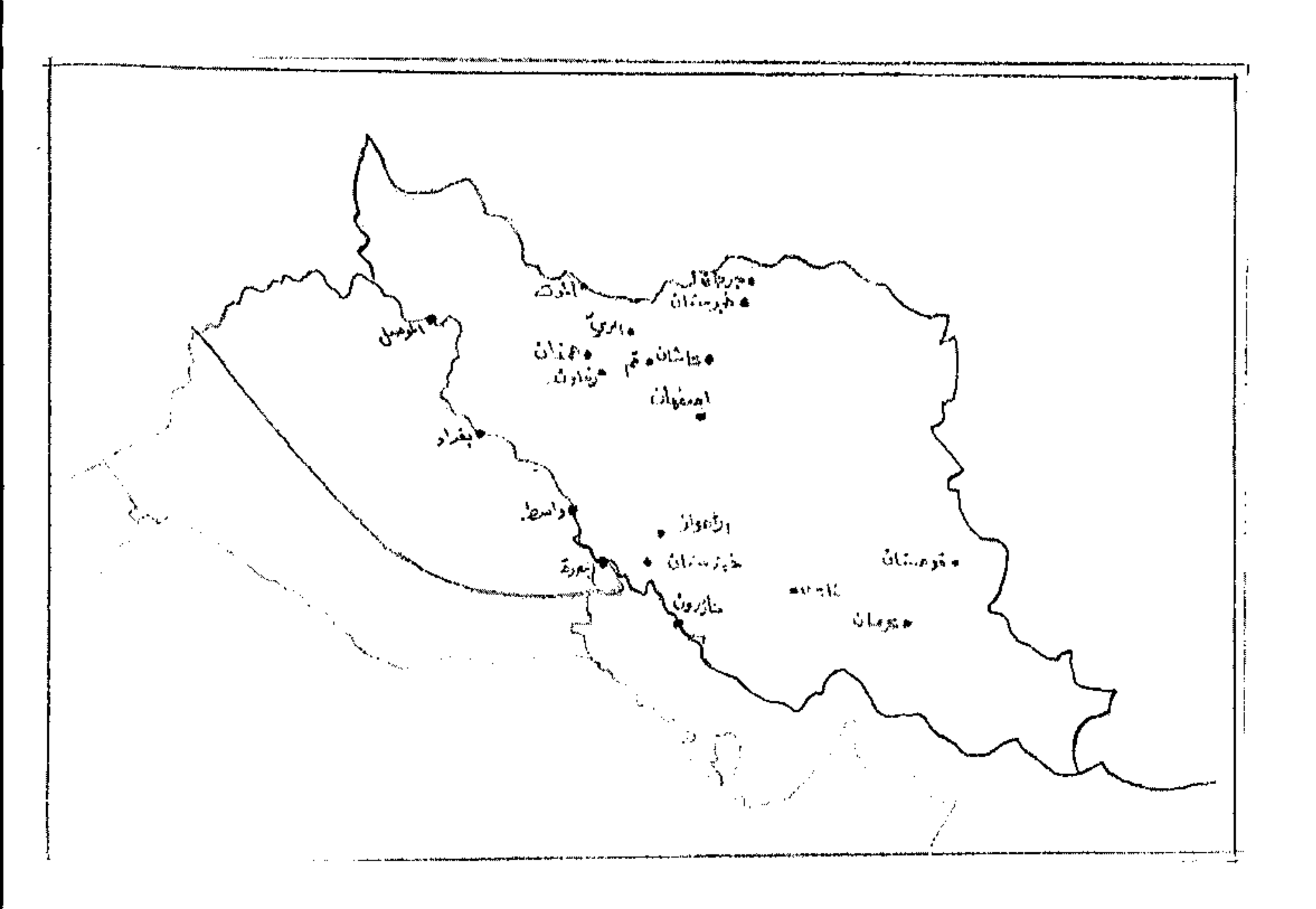
الملاحـق

ملحق رقم (١): خريطة الدولة السلجوقية في أقصى اتساع لها



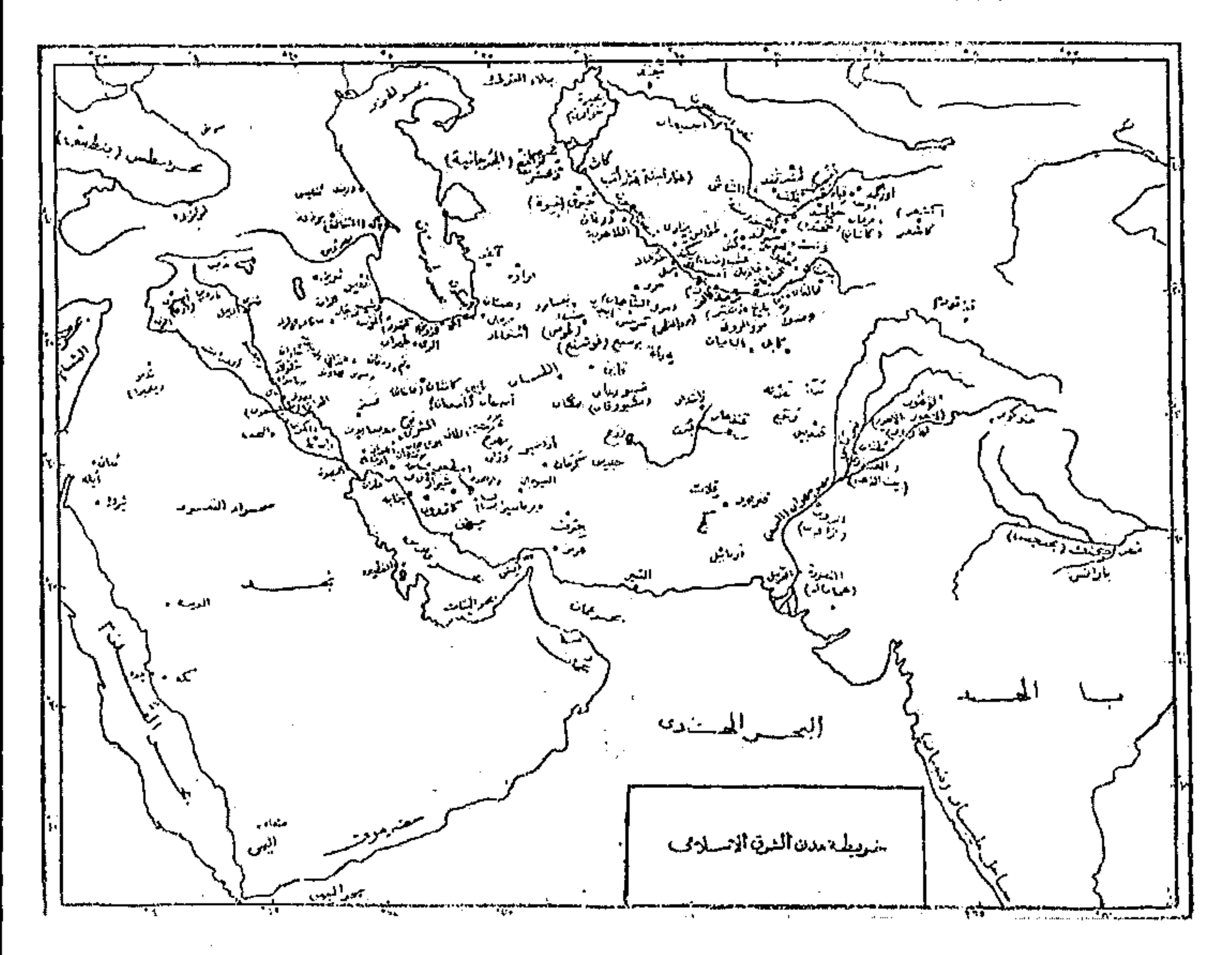
مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٢٠

ملحق رقم (٢): خريطة دولة بلاد فارس والعراق في عهد السلطانين بركياروق ومحمد



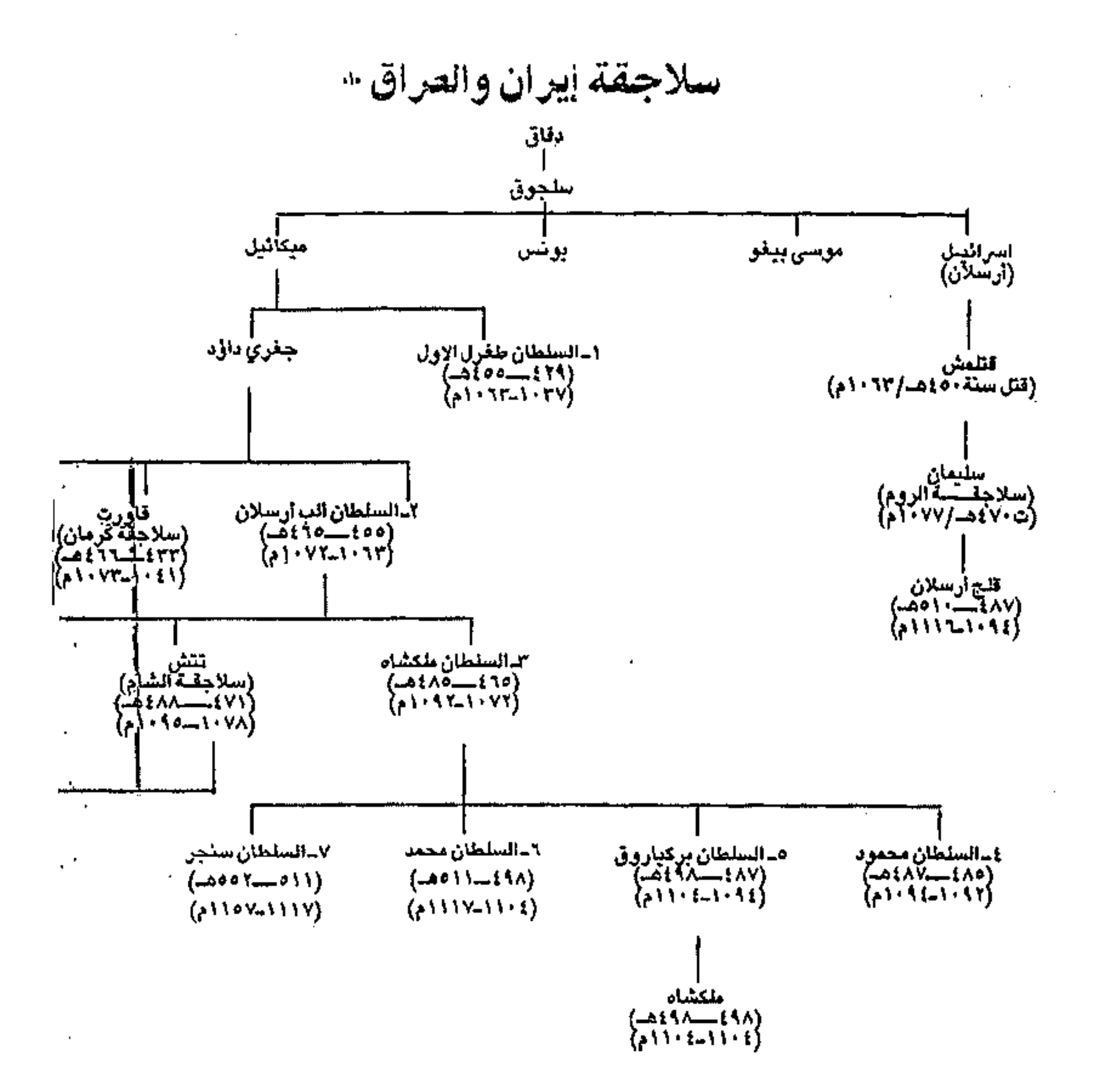
المصدر: الباحث

ملحق رقم (٣): خريطة مدن المشرق الإسلامي



ماجد، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، ص٢٣

ملحق رقم (٤): شجرة نسب السلاطين السلاجقة



(١) الراوندي ، راحة الصدور ، ص١٤٢

ملحق رقم (٥): طراز ضرب نقود السلطان محمود بن ملكشاه

الوجه

مركز:

فتح
لا إله إلا الله
المقتدى بأمر الله
السلطان المعظم
محمود بن ملكشاه

(ناصر الدنيا — والدين)

هامش داخلي:

بسم الله ضرب هذا الدينار
بأصفهان سنة ست وثمنين وأربع مائة

هامش خارجي:

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله

الظهر

مركز:

ايل أرسلان
محمد رسول الله
السلطان الأعظم
محي الدنيا والدين
اسمعيل بن ألب
سنقر بك

هامش:

محمد رسول الله أرسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون.

أبو حشيش ، نقود أصفهان، ص٢٩٢

ملحق رقم (٦): طراز ضرب نقود السلطان بركياروق بن ملكشاه

الوجـه

مركـز:

نصر
لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
السلطان المعظم
ركن الدنيا والدين
أبو المظفر بركيارق

هامش داخلي:

بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا
الدينار بأصفهان سنة سبع وثمنين
وأربع ومائة

هامش خارجي:

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله

الظهـر

مركـز:

فتح
محمد رسول الله
المقتدى بأمر الله
السلطان المعظم
ناصر الدنيا والدين
أبو القسم محمود
بن ملكشاه

هامش:

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون

أبو حشيش، نقود أصفهان ، ص٢٩٨

ملحق رقم (٧): طراز ضرب نقود السلطان محمد بن ملكشاه

الوجـه

مركـز:

أمير

خليفة
لا إله إلا
الله وحده
لا شريك له
المستظهر

المؤمنين

هامش داخلي:

بسم الله ضرب هذا الدينار بأصفهان
سنة سبع وخمس مائة

هامش خارجي:

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ
يفرح المؤمنون بنصر الله

الظهـر

مركـز:

غياث

الدنيا
محمد رسول الله
السلطان المعظم
شاهانشاه
ابو شجاع محمد

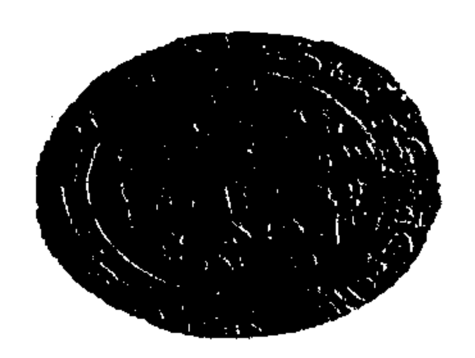
والدين

هامش:

محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أبو حشيش ، نقود أصفهان ،ص٣١٩

ملحق رقم (٨) دينار ذهبي يحمل اسم السلطان بركياروق بن ملكشاه




دينار ذهبي ، ضرب مدينة السلام سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م

الوزن : ٢،٩٤ غرام – القطر ٢٥ ملم

الوجه :

تحت كلمة / المستظهر بالله امير المؤمنين

الظهر :

تحت / كلمة عضد الدولة /القاهر برقيروق

لليمين عماد الدين ، للشمال ابو المنصور

قازان ، المسكوكات الإسلامية ، ص٤٢١.

ملحق رقم (٩) دينار ذهبي يحمل اسم السلطان محمد بن ملكشاه





دينار ذهبي ضرب مدينة الأهواز سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥

الوزن ٤،٧٢ غرام – القطر ٢٥ ملم

الوجه :

فوق كلمة /عدل/ تحت : المستظهر بالله

الظهر :

تحت كلمة : السلطان المعظم ابو شجا محمد بن ملك شاه، إلى اليمين غياث الدنيا إلى الشمال والدين

قازان ، المسكوكات الإسلامية ، ص٤٢١

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر المطبوعة

١- ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبدالقادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ط ،١٩٦٣.

٢- ابن الأثير، عزّ الدين أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيشاني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، دار صادر بيروت، د.ط، مج١٠، ١٩٧٩.

٣- الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن إدريس الحمودي الحسيني ، (ت ٥٥٩هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ط٢، ٢٠٠٢.

٤- الأربلي، عبدالرحمن سنبط قنينو (ت٧١٧هـ/ ١٣١٧م) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، وقف على طبعه وتصحيحه: مكي السيد جاسم،مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص٢٧٠.

٥- الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر(ت٦١٣هـ/١٢١٧م) أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام هزايمة وآخرون ، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، اربد، ١٩٩٩.

٦- ابن الأزرق، أبوعبدالله محمد (ت ٨٩٦هـ/١٤٩١ م) بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي الشناق، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ج١، ١٩٧٧.

٧- ابن إسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (ت ٦٢٣هـ/١٢١٦م) تاريخ طبرستان ، ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادي ،المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٢.

٨- الأصطخري، أبو إسحق محمدّ بن إبراهيم الكرخي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) المسالك والممالك، تحقيق: محمد صابر عبدالعال، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٦١.

٩- الأصفهاني، مفضل بن سعد بن الحسين المفاروخي، (ت القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي)، محاسن أصفهان، تصحيح السيد جلال الدين الحسيني، مطبعة مجلس، طهران، (د.ن).

١٠-الأنصاري، عمر بن إبراهيم الأوسي (ت٨١٥هـ/١٤١٢م) تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلوب، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط، ١٩٦١.

١١-البغدادي، عبدالمؤمن بن عبد الحق صفي الدين (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،تحقيق: علي البجاوي ، دار المعرفة ، حلب،١٩٥٤.

١٢-البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى ين جابر بن داود (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)،فتوح البلدان، نشر ومراجعة صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، د.ط، ج٣، ١٩٥٧.

١٣-ابن البلخي (ت٥١٠هـ/١١١٦م) فارس نامه، تحقيق : يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩.

١٤-البنداري، الفتح بن علي بن محمد (ت٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٨.

١٥-بولو، ماركو ، رحلات ماركو بولو، ترجمة : عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ج١، ٢٠٠٢.

١٦-البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين(ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م) تتمة صوان الحكمة ، تحقيق: رفيق العجم ، دار الفكر اللبناني،بيروت ، ط١، ١٩٩٤.

١٧-البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين(ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م) تاريخ بيهق، دار اقرأ ، دمشق، ط١ ، ٢٠٠٥ .

١٨-البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين(ت ٥٦٥هـ/١١٧٠م) تاريخ حكماء الإسلام ، دار الترقي للطبع والنشر ، دمشق، ط١، ١٩٤٦.

١٩- البيهقي، أبو الفضل محمد بن الحسين (ت ٤٧٠هـ/ ١٨٧٠ م) تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، ١٩٨٢.

٢٠- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، مورد اللطافة في من وليّ السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، ط٢، ١٩٩٧.

٢١- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تعليق :محمد شمس الدين،دار الكتب العلمية ،بيروت،ج٥،ط١، ١٩٩٢.

٢٢- التنوخي، أبوعلي الحسن بن محمد (ت ٣٨٤هـ/٩٩٦م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق ودراسة محمد السيد، طبعة القاهرة، ١٩٥٠.

٢٣- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالرحيم الحنبلي (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٦م) الحسبة في الإسلام، تحقيق: سيّد بن أبي سعدة، مكتبة دار الأرقم ،الكويت،ط١، ١٩٨٣.

٢٤- الثعالبي، أبو منصور، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل، (ت٤٢٩هـ/١٠٣٨ م) تحفة الوزراء، تحقيق :حبيب علي الروادي ، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦.

٢٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر البصري(ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية) تقديم على أبو ملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٢٦- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) تلبيس إبليس، تحقيق: أحمد بن عثمان، دار الوطن، الرياض، ط١ ، ٢٠٠٢.

٢٧- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق سهيل زكّار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، ج٩، ١٩٩٥.

٢٨- الحسيني، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر(ت مابعد ٦٢٢هـ/١٢٢٥م)،زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية،تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت ،ط١، ١٩٨٥.

٢٩- الحموي، أبوعبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ط، مج٣، ١٩٩٧.

٣٠- الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد(ت ١٠٨٩هـ /١٦٧٨م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٤، ط١، ١٩٩٨م.

٣١- الحنفي،علاء الدين بن قليج(ت٧٦٢هـ/١٣٦١م)مختصرتاريخ الخلفاء،تحقيق:آسيا كليبان،دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١، ٢٠١٠.

٣٢- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢.

٣٣- ابن حوقل، أبوالقاسم محمد بن علي النصيبي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، طبعة ليدن، ١٩٣٨.

٣٤- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد المغربي(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ط١، ج٥، ق١، ١٩٨٣.

٣٥- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق:إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج١، ، ج٥ ، د.ط، ١٩٦٨.

٣٦- خواندمير، غياث الدين محمّد بن همّام الدين(ت٩٤٢هـ/١٥٣٤م) دستور الوزراء، ترجمة وتعليق حربي سليمان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨١.

٣٧- الدواداري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك (ت ما بعد ٧٣٦هـ/١٤٣٢م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عاشور، د.ن، د.ط، ج٧، ١٩٧٢.

٣٨- ابن الدبيثي ، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أبي المعالي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٠م)، ذيل تاريخ مدينة بغداد ، تحقيق: بشار عواد معروف ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، مج١، ١٩٧٤.

٣٩- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٢، ج ١٨ ، ج١٩ ، ٢٠٠٣.

٤٠- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبوهاجر محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ج٢، ١٩٩٣.

٤١- الذهبي ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، حوادث ووفيات ٤٨١- ٤٩٠هـ، ط١، ١٩٩٤.

٤٢- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان(٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، دول الإسلام، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ج٢، ط٢، ١٣٦٤هـ.

٤٣- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان(ت ما بعد ٦٠٣هـ/ ١٢٠٧م)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة:إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد الصياد مراجعة وتقديم إبراهيم الشواربي وبديع جمعة وشيرين حسنين، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥.

٤٤- الروذراواري، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) ذيل تجارب الأمم ، مطبعة شركة التمدّن الصناعية ، القاهرة ، د.ط، ج٣، ١٩١٦.

٤٥- الزبيدي، محمد بن محمّد مرتضي الحسيني (١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين،دار الفكر، بيروت، ط١،ج١، ١٩٧٠.

٤٦- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفّر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦ م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق محمد أنس الحسن وكامل الخرّاط، دار الرسالة العلمية للنشر، دمشق، ط١، ج١٨، ج١٩، ٢٠١٣.

٤٧- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) طبقات المفسرين، مراجعة لجنة من علماء دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٤٨- أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط١،ج١، ١٩٩٧.

٤٩- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبو بكر ،(ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) الملل والنحل ، تحقيق: أمير مهنا و علي حسن، دار المعرفة ، بيروت، ط٨، ٢٠٠١.

٥٠- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)الوافي بالوفيّات تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط١، ج١٠، ١٩٩٣.

٥١- ٥١ - الصوري، وليم، الحروب الصليبية، ترجمة: حسين حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩١.

٥٢- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي(ت٧٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، تحقيق : عبدالقادر محمد ،دار القلم العربي، بيروت ،ط١، ١٩٩٧.

٥٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن القاسم محمد بن علي (ت ٥٣٠هـ/١١٣٦م)، بشارة المصطفى، تحقيق ونشر المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٣.

٥٤- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري،(ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) تاريخ مختصر الدول، تصحيح وفهرسة: الأب انطون اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، د.ط، د.ن.

٥٥- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة كمال الدين بن أبو جرادة (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م) زبدة الحلب من تاريخ حلب ،تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ج١، ١٩٩٦.

٥٦- ابن العديم ، عمر بن أحمد بن هبة كمال الدين بن أبو جرادة (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق: سهيل زكّار ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ج٢ ،١٩٨٨.

٥٧- العسقلاني، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨ م) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق، عبدالفتاح عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٩، د.ن.

٥٨- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد،(ت ٥٨٠ هـ /١١٨٤م) الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٣.

٥٩- العمري ، أبو العباس أحمد بن شهاب الدين بن فضل الله بن يحيى بن أحمد(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، مج١، ٢٠١٠.

٦٠- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الشافعي (ت٥٠٥هـ/١١١١م)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، المكتبة العصرية، بيروت ،ط١، ٢٠٠٨.

٦١- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الشافعي (ت٥٠٥هـ/١١١٢م)،فضائح الباطنية،تحقيق: إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

٦٢- الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق(ت ٥٨٠هـ/ ١١٨١م) تاريخ الفارقي تحقيق: بدوي عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع ، القاهرة ،د.ط، ١٩٥٩.

٦٣- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن علي المعروف بأبي الفداء، المختصر في أخبار البشر (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تحقيق : محمد عزب، دار المعارف ،القاهرة ، ط١، ج٢، ١٩٩٩.

٦٤- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق الشيباني(ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، تلخيص معجم الآداب في معجم الألقاب ،تحقيق: مصطفى جواد ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم، دمشق، ثلاث مجلدات، مج٢، د.ن .

٦٥- الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م) القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٦٦- ابن قاضي شهبة، بدر الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)، الكواكب الدريّة في السيرة النورية تاريخ السلطان نور الدين محمود بن زنكي، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١.

٦٧- القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ/١٦١٠م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، مج٢، ط١، ١٩٩٢.

٦٨- القزويني، أبو عبدالله بن زكريا بن محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ /١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر للطباعة والنشر ،بيروت، د.ط، ١٩٦٠.

٦٩- القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم، (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، إنباه الرواة على أنباه النجاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ج٢، ١٩٥٠.

٧٠- ابن القلانسي ، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت ٥٥٥هـ /١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت، د.ط ، ١٩٠٨.

٧١- القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية، القاهرة،ج٥،١٩٢٢.

٧٢- القلقشندي، أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) مآثر الإنافة، تحقيق : عبدالستّار فرّاج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت،د.ط ،ج٢، ١٩٦٤.

٧٣- ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) مقامة في قواعد بغداد في الدولة العباسية ، تحقيق: كوركيس عواد، مطبعة الإرشاد ،بغداد، د.ط،١٩٦٢.

٧٤- ابن الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)،مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: مصطفى جواد،مديرية الثقافة العامة، بغداد، د.ط ، ١٩٦٩.

٧٥- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) البداية والنهاية،مراجعة: أحمد ابو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ج١٢، ١٩٨٧م.

٧٦- كرماني، ناصر الدين نشي، (٧٢٥هـ/١٣٢٥م) نسائم الأسحار من لطائم الأخبار، تحقيق مير جلال الدين أرموي، دار تاريخ وزراء، أصفهان، ط١، ١٩٦٩.

٧٧- الكليني ،الشيخ ،(ت ٣٢٩هـ/٩٤١م)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٥، ج١، ١٩٤٤.

٧٨- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية، تحقيق :أحمد مبارك،مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩.

٧٩- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري(ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) الرتبة في طلب الحسبة، دراسة وتحقيق:أحمد جابر وعلي جمعة، دار الرسالة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٠.

٨٠- مؤلف مجهول (القرن السابع)، أخبار سلاجقة الروم"مختصر سلجوقنامه"، ترجمة : محمد السعيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.

٨١- المحبي ، محمد بن فضل الله (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩ م) قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، تحقيق عثمان الصيني ،مكتبة التوبة ،الرياض، ط١، ج١ ، ١٩٩٧.

٨٢- المقدسي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، ١٩٥٦.

٨٣- المقريزي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ /١٤٤٢م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط بالمقريزية ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ج٢، ط١، ٢٠٠٣.

٨٤- المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)،المقفّى الكبير،تحقيق:محمد اليعلاوي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٨٥- المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الشيال،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، مج١، ١٩٩٦.

٨٦- المقريزي، أبوالعباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح محمد مصطفى زيادة، دار النهضة، القاهرة، ط١، ج١، ق١، ١٩٥٦.

٨٧- نظام الملك، أبو علي الحسيين بن علي بن إسحق(ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م) سياسة نامة "سير الملوك"، ترجمة وتحقيق: يوسف بكّار، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

٨٨- النوبختي، أبو الحسن محمد بن موسى (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، فرق الشيعة، تصحيح:هـ. ريتر،جمعية المستشرقين الألمانية، استانبول،١٩٣١.

٨٩- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٣ م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٢٦، ٢٠٠٤م.

٩٠- الهمذاني، رشيد الدين "الدولة" فضل الله بن أبي الخير بن علي (ت٧١٦هـ/١٣١٦م) جامع التواريخ، تحقيق ونشر أحمد آتش، مؤسسة تاريخ الترك ،أنقره، مج٢، ج٥، ١٩٦٠.

٩١- ابن واصل، أبوعبدالله بن محمد بن سالم بن نصرالله المازني التميمي الحموى الشافعي الملقب بـ ابن واصل الحموي (ت٦٩٧هـ /١٢٩٨م)،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، سعيد عاشور وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، ط١، مج١، ١٩٥٧.

٩٢- ابن الوردي، زين الدين عُمر بن مظفّر(ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م)تاريخ ابن الوردي،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ج٢،١٩٩٦.

٩٣- اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن سلمان(ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م)،مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق :خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١١، ج٣، ١٩٩٧.

٩٤- اليزدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله ابن النظام الحسيني (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق عبدالنعيم حسنين وحسين أمين، منشورات جامعة بغداد، د.ط، ١٩٧٩.

٩٥- اليعقوبي، أحمد بن إسحق ابي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت بعد٢٩٢هـ / ٩٠٥ م)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت د.ط، ١٩٦٠.

ثانياً : المراجع العربية الحديثة

١- إبراهيم، حسن،النظم الإسلامية،دار الفكر،بيروت،ط٢، ١٩٨٨.

٢- إبراهيم، رمضان، فرق الشيعة، دارالفكر للنشر، بيروت،ط١، ١٩٨٠.

٣- أبو النصر، محمد، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

٤- أبو قريحة، نايف، النظم الحربية عند السلاجقة، دار الفكر، الرياض، ط١، ٢٠٠١.

٥- إدريس، محمد ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣.

٦- إدريس، محمد، تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥.

٧- إسماعيل، نبيل ، علم القراءات نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٠.

٨- أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، منشورات المكتبة الأهلية ، بغداد ،ط١، ١٩٦٥.

٩- الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٥.

١٠- الباشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، ج٢،١٩٦٠.

١١- البيطار، أمينة، موقف الأمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى آواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق للنشر، دمشق، ط١،١٩٨٠.

١٢- التنونجي، محمد، حول الأدب في العصر السلجوقي، مكتبة قورينا، بنغازي، ليبيا، د.ط، ١٩٧٤.

١٣- الجميلي، رشيد، إمارةالموصل في العصر السلجوقي ٤٨٩-٥٢١هـ، مطبوعات جامعة بغداد، ط١، ١٩٨٠.

١٤- الجنابي، خالد، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ط١ ، ١٩٨٦.

١٥- الجنابي، خالد، تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني (٢١٨-٣٣٤هـ) دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٩.

١٦- جواد،مصطفى، سيدات البلاط العباسي،دار الفكر للجميع،بيروت، ١٩٩٣.

١٧- حتاملة، عبدالكريم، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٢هـ/٩٦١ - ١١٨٦م)، دائرة المطبوعات والنشر، المكتبة الوطنية، عمّان، ط١، ٢٠٠١م.

١٨- حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١،ج٤، ١٩٩٦.

١٩- حسنين عبدالنعيم، سلاجقة إيران والعراق، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠.

٢٠- حسنين، عبدالنعيم، إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٢١- حلمي، أحمد، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٧٥.

٢٢- حمادة ، ماهر ، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ٢٤٧-٦٥٦هـ/٨٦١-١٢٥٨م"دراسة ونصوص"،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

٢٣- الخالدي، فاضل، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري، دار الأديب، بغداد، ط١، ١٩٦٩.

٢٤- الخرابشة، سليمان، محاولات التقارب السلجوقية الفاطمية، مؤتمر بلاد الشام في فترة النزاع الإسلامي الفرنجي٤٩١-٦٩٠هـ، كلية الآداب، جامعة اليرموك ، ١٩٩٩.

٢٥- الخرابشة، سليمان، التنافس السلجوقي الفاطمي على بلاد الحجاز وإمرة الحج، منشورات جامعة اليرموك، ط١، ١٩٩٩.

٢٦- خطاب، محمود، العسكرية العربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط١٢، ١٩٨٣.

٢٧- خليل، عماد الدين، المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي "عصر ولاة السلاجقة في الموصل ٤٨٩-٥٢١هـ/١٠٩٥-١١٢٧م، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ، ١٩٨١.

٢٨- الدفاع، علي، روّاد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة ، الظهران، ط١، ١٩٩٠.

٢٩- دفتري، فرهاد، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ،دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الاسماعيلية، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

٣٠- الدميري، غزوان، حياة الحيوان الكبرى، دار التحرير للنشر، القاهرة، ط١،ج١، ١٩٦٥.

٣١- دهمان، محمد، معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر، دمشق،ط١، ١٩٩٠.

٣٢- دواود، نبيلة،نشأة الشيعة الإمامية، دار المؤرّخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.

٣٣- الدوري، عبدالعزيز، النظم الإسلامية، وزارة المعارف العراقية، بغداد، ١٩٥٠.

٣٤- الدوري، عبدالعزيز، أوراق في التاريخ والحضارة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩.

٣٥- الدوري، عبدالعزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.

٣٦- الدوري، عبدالعزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، شركة الرابطة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٤٥.

٣٧- الدوري، عبدالعزيز، مقدّمة في تاريخ الاقتصاد العربي،دار الطليعة، بيروت، ط١ ، ١٩٦١.

٣٨- رسلان، صلاح، الفكر السياسي عند الماوردي، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٣٩- الرفيعي،عبدالأمير، العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية،الفرات للنشر والتوزيع، بغداد،ج١ ، ط١، ٢٠٠٢.

٤٠- زكّار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، بيروت، ط ٣ ،١٩٧٥ .

٤١- الزهراني، محمد بن مسفر، نفوذ السلاجقة السياسي في العصر العباسي ٤٤٧- ٥٩٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٤٢- الزهراني، محمد بن مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية ٣٣٤-٥٩٠هـ" العهدان البويهي والسلجوقي"، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٣، ١٩٨٦.

٤٣- زيان، حامد، الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة، القاهرة، ط١ ،١٩٨٣.

٤٤- زيدان، جورجي ، تاريخ التمدنّ الإسلامي ،دار مكتبة الحياة، بيروت، ج١، ط١، ١٩٨٠.

٤٥- السامرّائي، خليل وآخرون، تأريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر – جامعة الموصل، العراق– الموصل، ط١، ١٩٨٨م.

٤٦- سرور، محمد، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٦.

٤٧- سعادة، صفية، تطوّر منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية، دار أمواج للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٤٨- السلومي، عبدالعزيز، ديوان الجند نشأته وتطوره في الدولة الإسلامية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٦م.

٤٩- سيد، أيمن ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، مكتبة الأسرة، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٧.

٥٠- السيد،عبد الفتاح،أمراء السلاجقة، دار الكتب والوثائق القومية،القاهرة،ط١،٢٠١٠.

٥١- شبارو، عصام، السلاطين في المشرق والمغرب العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط،١٩٩٤.

٥٢- الشريف، أحمد، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٨٥.

٥٣- شلبي،أحمد،التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،مكتبة النهضةالمصرية، القاهرة،ج٤،ط٣، ١٩٦٩.

٥٤- شندب، محمد، الحضارة الإسلامية في بغداد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري(٤٦٧-٥١٢هـ)، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٥٥- الشيخلي، صباح، الأصناف في العصر العباسي، نشأتها وتطورها، بحث في التنظيمات الحرفية في المجتمع الإسلامي، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، د.ط، ١٩٧٦.

٥٦- الصياد، المغول في التاريخ، دار النهضةالعربية، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

٥٧- الطراونة ، خلف ، المسكوكات وقراءة التاريخ ، وزارة الثقافة ، عمّان ،د.ط ، ١٩٩٤.

٥٨- الطراونة ، خلف ، موسوعة النقود العباسية في متحف الآثار الأردني ، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، عمّان ، ط١ ، ٢٠٠٢.

٥٩- طقوش، محمد، تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

٦٠- عاشور، سعيد ،الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١،ج١، ٢٠٠٩.

٦١- عاشور، فايد، جهاد المسلمين في الحروب الصبليبية "العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤ ،١٩٨٨.

٦٢- العبادي، أحمد، نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية" دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط١، ٢٠٠٦.

٦٣- عبد المولى، محمد، العيارون والشطّار البغاددة في التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٠.

٦٤- عبدالرؤوف،عصام الدين، الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، دار الفكر العربي للطباعة، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٦.

٦٥- عبدالعزيز، محمد، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية، وكالة المطبوعات للنشر، الكويت، د.ط، ١٩٧٣.

٦٦- علي، إبراهيم، الموارد المالية في الإسلام، دار الشرق العربي، القاهرة، ط١، ١٩٦٩.

٦٧- علي، وفاء، الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية،دار الفكر العربي،القاهرة، ط١، ١٩٨٨.

٦٨- عمران، محمود، تاريخ الحروب الصليبية، دار النهضة العربية ، بيروت، ط١٩٩٩،٢.

٦٩- عواد، كوركيس، الموصل، وزارة الثقافة، بغداد، ط١، ١٩٥٩.

٧٠- فهمي ، عبدالرحمن ،النقود العربية ماضيها وحاضرها ، دار القلم ، القاهرة، د.ط، ١٩٦٤.

٧١- القزاز، محمد ، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير، مطبعة القضاء، النجف، ط١، ١٩٨١.

٧٢- قازان ، وليم ، المسكوكات الإسلامية مجموعة خاصة ، بنك بيروت ، ١٩٨٣.

٧٣- القزويني ، حسين ، العملة الإسلامية ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط١ ،١٩٩٩.

٧٤- قوصي، عطية، الحضارة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٥.

٧٥- كحالة، عمر رضا، إعلام النساء، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٥ أجزاء، ج١، ط١، ١٩٨٢.

٧٦- الكردي، إبراهيم سليمان، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩.

٧٧- الكرملي، انستاس، النقود العربية وعلم النميات، مكتبة الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧.

٧٨- الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٥.

٧٩- ماجد، عبدالمنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٧٣.

٨٠- ماجد، عبدالمنعم، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧.

٨١- محمد، كامل، طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط١، ١٩٨٣.

٨٢- محمود، حسن، الإسلام في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٢.

٨٣- محمود، حسن، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار العلم ،القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

٨٤- مرجونة، إبراهيم محمد علي، الفكر العسكري للأتراك السلاجقة في عهد طغرلبك (٤٢٩ – ٤٥٥هـ/١٠٣٧ – ١٠٦٣م)، المؤتمر الدولي الخامس (العرب والترك عبر العصور) كلية الآداب، جامعة دمنهور، ١٩٩٣.

٨٥- مريزن، مريزن، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٧.

٨٦- المصري، حسين، صلات بين العرب والفرس والترك: دراسة تاريخية أدبية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

٨٧- المعاضيدي، خاشع، تاريخ الدولة الفاطمية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

٨٨- المعاضيدي، خاشع،الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ٣٥٩-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م، دار الحرية للطباعة، بغداد،د.ط،١٩٧٥.

٨٩- المعاضيدي، خاشع، الموصل في عهد الإدارة العقيلية٣٨٠-٤٨٩هـ/٩٩٠-١٠٩٥م،موسوعة الموصل الحضارية، دار الكتب -جامعة الموصل،ط١، ١٩٩٢.

٩٠- مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١ ،١٩٨٧.

٩١- ناجي، عبدالجبار،الإمارة المزيدية "دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي"، دار الطباعة الحديثة، بغداد، ط١، ١٩٧٠.

٩٢- النجّار محمّد ، الشطّار والعيارين حكايات في التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون "عالم المعرفة"، الكويت،ط١، ١٩٨١.

٩٣- الندوي، أبو الحسن ، رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، دار ابن كثير، بيروت ، ط٣، ج٢، ٢٠٠٧.

٩٤- نشأت، صادق، صفحات عن إيران، مطبعة مخيمر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.

٩٥- الوزنة، يحيى حمزة عبدالقادر، الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ٤٩٠-٥٥٢هـ/١٠٩٦- ١١٥٧م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٤، جامعة ام القرى، ١٩٩٧.

ثالثاً: المراجع المعرّبة:

١- أسيديو، ل، تاريخ العرب العام، ترجمة وتحقيق:عادل زعيتر، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٤٨.

٢- إقبال، عبّاس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة: أحمد كمال الدين حلمي، نشر جامعة الكويت، الكويت، ط١، ١٩٨٤.

٣- إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية وحتّى نهاية الدولة القاجارية ٢٠٥-١٣٤٣هـ/٨٢٠-١٩٢٥م)، ترجمه عن الفارسية :محمد علاء منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

٤- بارتولد، فاسيلي، تاريخ الترك، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦.

٥- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تحقيق وترجمة ونقل نبيه فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨.

٦- ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد محمد وأحمد فكري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨.

٧- رايس، تمارا تالبوت، السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي خوري وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، د.ط، ١٩٦٨.

٨- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة:السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ج١، ط١، ١٩٦٧.

٩- فامبري، أرمينيوس، تاريخ بخارى، ترجمة أحمد الساداتي ومراجعة وتقديم يحيى الخشاب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، ١٩٧٠.

١٠- كارلا، كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي، مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة هارفرد، ترجمة عبدالجبار ناجي، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١.

١١- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس و كوركيس عواد، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٩٨٥،٢.

١٢- لويس، برنارد، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة، ترجمة حكمت تلحوق، مراجعة خليل أحمد، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

١٣- لويس، برنارد، الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب: محمد العزب، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦.

١٤- ليفي، رونالد، فارس والعرب، فصل من كتاب تراث فارس، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩.

١٥- متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة:عبد الهادي أبو ديك،دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٦٧.

١٦- ميثا، فاروق، الغزالي والإسماعليون العقل والسلطة في إسلام العصر الوسيط، ترجمة: سيف الدين القصير، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٧- هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٧٠.

١٨- ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، دار الفكر، بيروت،ط١، ١٩٩٨.

رابعاً: المقالات العربية والدوريات:

١- أبو الرُبّ، هاني، الوزير نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية، مجلّة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية)،مج٢١ ،ع٣، ٢٠٠٧.

٢- أمين، نظام الحكم في العصر السلجوقي، مجلة سومر، مج ٢٠، ج١، ص ٢٢١، بغداد، ١٩٦٤.

٣- بارتولد، فاسيلي، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، مراجعة أحمد الزين، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ع٤١، ٤٢، ١٩٩٩.

٤- بيات، فاضل، السياسة السلجوقية في العراق، مجلة المؤرخ العربي، إصدار الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب،ع ١٧، ١٩٨١.

٥- البيطار، أمينة، رؤيا معاصرة للحملة الصليبية الأولى، مجلة دراسات، جامعة دمشق، العدد٢١، ١٩٨٩.

٦- الجالودي، عليان، إضاءات على سيرة محمد بن محمد الطوسي الإمام الغزالي الشخصية في ضوء المصادر التاريخية (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، عمّان، مج٢، ع١، ٢٠٠٨.

٧- الجالودي، عليان، الإقطاع العسكري في عصر السلاطين السلاجقة الكبار ودور نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (٤٢٩ – ٤٨٦هـ/١٠٣٧ – ١٠٩٢م) المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج٢، ع١، ٢٠٠٨.

٨- الجالودي، عليان، قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق من خلال كتاب سياسة نامة المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج ٥، ع ١، ٢٠٠٩.

٩- الجبوري،أحمد ، نبذة عن تراجم قضاة الموصل وأطرافها في العصر العباسي١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨،دراسات موصلية ،جامعة الموصل ، ع١٢، ٢٠٠٦،ص٢١.

١٠- جمعة، فاطمة، أثر تفاعل ثقافتين مختلفتين على المتغيرات التربوية دراسة تاريخية للمجتمع العباسي في عهد السلاجقة، مجلة المستقبل التربوية العربية، المركز العربي للتعليم والتنمية والمكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ع٢٦، ٢٠٠٢.

١١- الجميلي، رشيد، ولاية جيوش بك على الموصل (٥٠٩-٥١٥هـ)، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، دارالكتب للطباعة، الموصل،ع ٥، ١٩٧٤.

١٢- حتاملة، عبدالكريم، دجلة والفرات في العصرين البويهي والسلجوقي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج١٤، ع٢، ١٩٩٨.

١٣- حسون، محمد، مقاومة الإمارة المزيدية للاحتلال السلجوقي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، مج٩، ع ١، ٢٠٠٤.

١٤- حسون، محمد، سكان العراق في العصر السلجوقي (دراسة في الأحوال الاجتماعية) مجلة كلية التربية، جامعة بابل، ع٢، ٢٠٠٨.

١٥- حسون، محمد، الأمير صدقة بن منصور، مجلة جامعة بابل، بابل، ع١، ١٩٩٦.

١٦- الحسيني، زهراء، الأميرات السلجوقيات ودورهن السياسي والعسكري سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، مجلة كلية التربية – جامعة المثنى، العراق، ع ٥، ٢٠٠٧.

١٧- الحسيني، محمد باقر، دراسة تحليلية للعناصر الزخرفية على النقود السلجوقية، مجلة سومر، بغداد، ج١ وج٢، مج٢٥، ١٩٦٩.

١٨- الحسيني، محمد باقر، دراسة تحليلية وإحصائية للألقاب الإسلامية، مجلة سومر، مج٢٨، ج١، ١٩٧٢.

١٩- الحصونة، رائد، العيساوي، علاء، آثار الاحتلال السلجوقي للعراق على الأوضاع الاجتماعية في بغداد ٤٤٧هـ-٥٩٠هـ، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة،ع ٥٧، ٢٠١١.

٢٠- حمدي، وجدان،الإمارة العقيلية في الموصل ودورها في التصديّ للبويهيين ٣٨٠-٤٤٧هـ/٩٩٠-١٠٥٥م، دراسات موصلية، جامعة الموصل، ع٣٩ ، ٢٠١٣م.

٢١- الخرابشة، سليمان، الإقطاع السلجوقي في بلاد الشام، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية،الجامعة الأردنية ،مج ٢٢،ع ٦ ،١٩٩٥.

٢٢- الخزرجي، ماجد، سيف الدولة صدقة بن منصور ودوره في التصديّ للتسلّط السلجوقي على العراق، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، ع١ ، مج١٦، ٢٠٠٨,

٣٢- دائرة المعارف الإسلامية، تحقيق أحمد الشناوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، مج٣، ١٩٧٠.

٢٣- الدوري، عبدالعزيز، نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية، مجلة الاجتهاد، بيروت، ع١، ١٩٨٨.

٢٤-رضوان، هناء، النقود الإسلامية القديمة، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد، بيروت، ع ٣٤، ١٩٩٧.

٢٥- الزهاوي، عباس، الإسماعيلية النزارية ونهاية وجودهم في إيران (٤٨٧-٦٥٤هـ/١٠٩٤-١٢٥٦م)، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بغداد، ع٤٨ ،٢٠٠٤.

٢٦-زيّود ، محمد، نظام الحسبة في الإسلام ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق، ع٢٩-٣٠، ١٩٨٨.

٢٧- الطاهر، علي، وزراء السلاجقة في شعرهم، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مج٧، ١٩٦٠.

٢٨- عبدالحميد، سعد زغلول، الترك والمجتمعات التركية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ع١٠، ١٩٥٦.

٢٩- عبدالله، سامية، المدارس النظامية وأثرها الثقافي في العصر السلجوقي، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ج٢، ع١٦، ١٩٩٨.

٣٠- عبدالله، سامية، تطوّر صناعة المنسوجات بالمشرق الإسلامي في العصر العباسي، مجلة الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ع ٣، ١٩٩٣.

٣١- عبدالله، سامية، مظاهر التقدم الصناعي في المشرق الإسلامي منذ بداية القرن الرابع الهجري حتى آخر العصر السلجوقي، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، ع ٢٤، ج٢، ١٩٩٩.

٣٢- العزام، صبحي، أسعار الحبوب والمواد الغذائية في العصر السلجوقي ٤٤٧هـ/١٠٥٥م - ٥٩٠هـ/١١٩٣م، مجلة جامعة البعث، مج٣١، ع٧، ٢٠٠٧.

٣٣- عقلة ، عصام ، أنوشروان بن خالد القاشاني وكتاب نفثة المصدور ، المجلة التاريخية الفلسطينية ، رام الله ، مج١ ، ع ٣ ، ٢٠٠٣.

٣٤- عقلة، عصام، المرأة والسلطة في الإسلام، الخواتين السلجوقيات (٤٤٧-٥١١هـ/١٠٥٥ - ١١١٧م) أنموذجاً، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٣٤، ٢٠٠٧.

٣٥- قداوي، علاء، العلاقات السياسية بين مملكة أرمينية الصغرى والكيانات الإسلامية المجاورة ، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ع ٤٦، ٢٠٠٧.

٣٦- القعايدة، عبد الهادي،الإدارة السلجوقية في بغداد الشحنة أنموذجاً(٤٤٧-٥٣٦هـ/١٠٥٥-١٠٤٢م)، مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، الجامعة الأردنية، مج٤٢، ملحق ١، ٢٠١٥.

٣٧- كاهن، كلود ، تطوّر الاقطاع الإسلامي ما بين القرنين التاسع والثالث عشر، مجلة الاجتهاد، بيروت ، ع ١، ١٩٨٨.

٣٨- المخزومي، صادق، النقود العربية الإسلامية بين التبعية والاستقلال، مجلة كلية الدراسات الإنسانية، النجف الأشرف، ع٢٢، ١٩٧٤.

٣٩- نداء طه، الأعياد الفارسية في العالم الإسلامي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ع١٢، ١٩٦٣.

خامساً: الرسائل الجامعية:

١- إبـراهيم، شـيرين، الحسـبة فـي العـراق فـي العصـر السـلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١٠٩٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧.

٢- أبوحشيش، أحمد، نقود أصفهان منذ عصر الخلافة العباسية حتى سقوط دولة السلاجقة العظام في إيران (١٣٢-٥٥٢هـ/٧٥٠-١١٥٧)م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١١.

٣- باشا،عزام، النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي ٤٣٢-٤٨٥هـ/١٠٤٠-١٠٩٢م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٩٨٧.

٤- الجالودي، عليان، تطوّر السلطنة وعلاقتها بالخلافة العباسية خلال العصر السلجوقي، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م.

٥- حسين، طه، الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس إبان العصرين البويهي والسلجوقي (٣٣٤ - ٥٩٠هـ/٩٤٦-١١٩٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٩.

٦- الربيدي ، فاطمة، بنو جهير ودورهم في الخلافة العباسية.، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٨.

٧- السـماحي، شـيرين، مدينـة قـزوين خـلال العصـر السـلجوقي (٤٣٤ - ٥٩٠هـ/ ١٠٤٢-١١٩٣م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥.

٨- السيد، شوقي، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في المشرق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، ١٩٩٤.

٩- الشرمان، أحمد، الجيش السلجوقي، رسالة ماجستير، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠٠١.

١٠- الشياب، عبدالله محاولات الإصلاح في العصر العباسي، فترة السيطرة البويهية والسلجوقية (٣٣٤ - ٥٩٠ هـ/٩٤٠ - ١١٩٦م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، ٢٠١٠.

١١- صبري، مواهب، التطور الاقتصادي والاجتماعي في العراق خلال القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٩.

١٢- عاشور، ذهبية، إقليم ما وراء، النهر في العصر السلجوقي ٤٢٩-٥٥٨هـ/١٠٣٧ - ١١٦٢م، رسالة دكتوراه غير منشوره، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٧.

١٣- عبدالجليل، محمد فتحي، النشاط التجاري في خراسان منذ قيام الدولة السلجوقية حتى وفاة السلطان سنجر بن ملكشاه (٤٢٩-٥٥٢ه/١٠٣٧-١١٥٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٩.

١٤- عبدالفتاح، مواهب، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة السلاجقة على عهد السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ه)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٨٢ه.

١٥- عزايزة، وجدان، المرأة في العصر العباسي (٤٤٧ - ٦٥٦هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة اليرموك ،٢٠٠٤.

١٦- القعايدة، عبدالهادي، ولاية العهد عند السلاجقة العظام وسلاطين فارس والعراق (٤٣١-٥١١ه/١٠٣٩-١١١٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة الجامعة الأردنية، ٢٠١٣.

١٧- محيسن، سماح، دولة الأتراك السلاجقة في عصر السلطان سنجر (٥١١ - ٥٥٥هـ/١١١٧ - ١١٦٠م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٨.

١٨- مرتضائي، سيك، الحياة الثقافية في مدينة الريّ خلال عهد السلاجقة (٤٣٤ - ٥٩٠ه/١٠٤٣ - ١١٩٣م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، ١٩٩٩.

١٩- الهادي، إبراهيم، الحياة العلمية في أصفهان في العصر السلجوقي ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٩.

٢٠- الوهيبي، اديل، مدينة الريّ في العصر السلجوقي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩.

سادساً: المراجع الأجنبية:

1- A.K.S. Lambton: The Interal Structure of the Seljuq Empire, The Cambridge History of Iran London, 1968, Vol. 5, P: 228.

2- D.Levy: The Social Structure of Islam, Cambridge, University Press, 1969, pp: 334.

3- Poole , Lane , The Coins Of Turkuman Houses in the British Museum, Order of the Trustees , London, 1877 , pp :33- 34

4- Raverty H Major .Tabakat Nasiri A General History of The Muhammadan Dynasties of Asia from A.H.194(810A.D)to A.H.658(1260 A.D)and the Irruption of the Infidel Mughals into Islam .Oriental Books Reprint Corporation,New Delhi.VOL.I.Pp 143-144.-

Abstract

Seljuk State in Persia and Iraq During 487 -511 A.H / 1094-1117 A.D

By:

Rafat Alzabin

Supervisor:

Prof. Suliman Alkharabsheh

The Seljuk state had remarkable history in the Eastern Islamic which enabled the state through expansion to include large areas of the Islamic World, and that is due to the power, wisdom and sophistication of its great sultans Tgrblak, Alp Arslan and his son Malikshah.

This study analyses the situation of the Seljuk state in Persia and Iraq after the death of Sultan Malikshah Ben Alp Arslan in the year 485 Hijri / 1092 CE, which witnessed division, fragmentation and rivalry among the people of the Seljuk state. Despite of all the conflicts and political divisions that took place, the Seljuk state did not fall nor collapsed, and all aspects of life sustained and continued. In this study I attempted to examine the details of life in various political, military, judicial, economic, social and cultural fields, and highlighted the positive aspects of the state, including the stand lookout for Ismaili- Batenieh, and attempts to jihad against the Crusaders "Ferenj" in the Levant and Upper Mesopotamia.

This study comes in an introduction and analysis of the Seljuk State's most important sources, a preface, four chapters and a conclusion. In the introduction the study addresses the significance of the topic and then critique and analysis of the most important sources and references of the study. While the preface introduces the Balslajqhand, the sequence of its sultans, and the establishment of their state and its inception in Nishapur in 429 Hijri / 1037 CE. It also discusses their defeat of the Gznoyen , and their entrance of Baghdad in 447 Hijri / 1055 CE. I also briefly present the political and cultural achievements of the early great sultans starting with the Sultan Tgrbak who was succeeded by his nephew, Sultan Alp Arslan , and ending up with the Sultan Malikshah Ben Alp Arslan .

The first chapter which is titled "Political Power Conflict" discusses the political conflicts that existed between the sons of Sultan Malikshah: Barakaarouk, Mahmoud, Mohammed and Singer. It also tackles the political and military competitions that took place between the sons of the Seljuk Family, addressing the role of princes, ministers, Akhawatin (wives or daughters of the sultan) and army commanders in raising the spirit of strife and wars among the sultans.

The second chapter discusses the relations with the governors of the regions within the Seljuk state in Persia and Iraq, and with the neighboring countries such as: the Abbasid state, Ismaili- Batenieh, the Crusaders "Ferenj". I have tried hard to clarify the role of the Seljuk state, represented by: Barakaarouk and Muhammad; the sons of Malikshah in resisting the Ismaili and the Crusaders, regardless of the difficulties and challenges that were experienced by the Seljuk State.

The third chapter carries the title of "Cultural Systems in the Seljuk state," which includes the political systems: the Sultanate, the crown prince and the ministry. I have pointed out the important roles of princes, ministers and Akhawatin (wives or daughters of the sultan) in the formation of its features. I also tackled the administrative systems in the Seljuk State: the administrative institutions in the capital, the provinces and administrative divisions of areas. In addition to the sultans' jobs in the palace of the Sultan of Seljuk and other administrative posts such as brigadier general and his officers. The chapter ended up discussing the army, the judiciary and the committee of promotion of virtue and prevention of vice and their outstanding roles that were witnessed by the Seljuk State.

The fourth and last chapter mainly discusses the economic, social and cultural life in the Seljuk State, in which I addressed the economic areas: agriculture, industry, trade and monetary transactions which were used by the people in the state. I also pointed out the social life, the nature of the Seljuk community, the categories of the population and its structure which was composed of different elements. I also discussed the cultural life which included the educational institutions in the country: schools, mosques and some religious and worshiping organizations. I also introduced some of the sultans Barakaarouk and Mohammed interests in the scientific movement.

The last chapter ends by talking about the most important legal, linguistic and literary sciences. Furthermore, I elaborated in this chapter by introducing the most prominent scientists and scholars who excelled in the previously mentioned sciences. The conclusion included the most important findings of the study, as the methodology that was followed by the researcher is to gather historical information from original sources, classify, tabulate, analyze and compare them with each other, and then assign the information to its original sources.

Since introducing the judgments and views of contemporary and modern scientists and historians is part of the applied methodology in the study, for which I wanted to draw conclusions obtained by carrying out this comprehensive study.